طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المسلك السهل
في شرح توشيح ابن سهل

تأليف: محمد الإفراني

تحقيق وتقديم
الأستاذ محمد العمري

1418 هـ - 1997م

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المسلك السهل
في شرح توشيح ابن سهل

تأليف: محمد الإفراني

تحقيق وتقديم
الأستاذ محمد العمري

1418 هـ - 1997م

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الأمين.

وبعد، فإن المتتبع للأدب المغربي عبر مختلف عصوره وأزمنته الإسلامية يجد فيه إنتاجاً غزيراً متنوعاً، وعطاء فكرياً رفيعاً متميزاً، مليئاً بالمشاعر النبيلة والعواطف الصادقة، والأحاسيس الجياشة الرقيقة، والحكم والمواعظ البليغة، والصور البلاغية والبيانية الرصينة.

وهو بالإضافة إلى ذلك كله وسيلة لتهذيب النفوس وترويح القلوب، وتنوير العقول وتغذية المدارك، وأداة ارتقاء بالعقل والفكر وسمو بالشعور والعاطفة إلى أعلى مدارج الكمال.

وتعتبر الموشحات إحدى الفنون الشعرية التي اهتم بشرحها الأدباء المغاربة باعتبارها من الأشعار الجميلة الرائعة الغائصة في أغراض ومعان مختلفة، فكان الموشح أدباً إنسانياً رفيعاً، وتعبيراً بشرياً سليماً، وأسلوباً عاطفياً سامياً، ينمي في الإنسان مشاعر الخير وعواطف الود، وسمو التفكير ونبل الإحساس والمكارم، ويبعث فيه الشعور بروعة الكون وجماله، كما خلقه الله دالاً على وجوده ووحدانيته، وباهر إرادته وكامل قدرته. فكان من نتائج ذلك انتشار الموشح بلغته السهلة العذبة وأوزانه المختلفة الرائقة، وقوافيه الرفيعة المتعددة، فتطرب له النفوس، وتروقها صوره اللطيفة الجميلة.

ويعتبر كتاب المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل أحد النماذج لشرح الموشح الأندلسي الذي مطلعه :

هلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أنْ قد حَمى

قلبَ صَبٍّ حَلَّه عن مكنسِ

الذي ألفه العلامة الشهير والمؤرخ النحرير، والأديب البياني البارع، محمد الإفراني صاحب المنن على التاريخ المغربي والأدب، ويعد الكتاب باكورة إنتاج اليفراني في مجال الشروح الشعرية، وثمرة من ثمرات شبابه.

والكتاب فضلاً عن ذلك يعد سِفراً نفيساً من أسفار التراث العربي، وإبداعاً جميلاً من إبداعات علماء المغرب، وفي عنوانه رمز دقيق لمضمونه ومغزاه، وإشارة واضحة إلى المقصد الجمالي، والغاية الفنية التي سعى إليها صاحبه، مما يدل على سعة اطلاعه، وسلامة ذوقه وعلمه بالشعر وفنونه وأساليبه، وقواعده وأسراره وعناصر جماله، مما جعل منه إحدى النصوص التي سيساهم نشرها في إبراز جوانب الأصالة والتميز في الأدب المغربي.

واعتباراً للأهمية العلمية والأدبية لهذا المؤلف المفيد، وما احتواه من فوائد جليلة لا تتوفر في غيره من كتب الشروح، قام الأستاذ محمد العمري بتحقيقه، وقدمه أطروحة جامعية نال به درجة دكتوراه الدولة في الأدب.

وتنفيذاً للتوجيهات الملكية السامية المتعلقة ببعث عيون التراث الإسلامي، يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقوم بطبعه ونشره لتعميم الاستفادة والنفع به لدى المهتمين بالدراسات الأدبية والمتخصصين فيها.

وتسأل الله عز وجل أن يجعله في سجل الأعمال الصالحة، والمبرات الكريمة، والمآثر العلمية الخالدة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وأن يقر عين جلالته بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير المجيد مولاي رشيد، ويحفظه في كافة أسرته الملكية الشريفة.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

أما بعـــد

كتاب المسلك السهل من الأعمال الأصيلة مِنهاجيا. فهو عمل مبني على اجتهاد شخصي في إطار مدرسة:

المجتهد هو الأديب المؤرخ محمد الصغير الإفراني صاحب نزهة الحادي وصفوة ما انتشر.

والمدرسة هي مدرسة **الدراية والممارسة** (في مقابل مدرسة الرواية والتبعية)، هي مدرسة أبي علي اليوسي وابن المسناوي ومن سار في طريقهما، وقد احتفلنا بالمجتهد والمدرسة في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17،18.

لقد ارتفعت قيمة المنحى الذي نحاه الإفراني، وهو منحى بلاغي لساني تناصي، مع غلبة التوجه حديثا إلى البناء اللغوي للأدب و زيادة الاهتمام بالتناص وتوالد النصوص. هذا في ممارسة شرح الأبيات. أما إذا نظرنا إلى الكتاب نظرة شمولية فسنعجب لوعي الرجل بالمحيط العام الضروري لفهم النص وتقويمه، هذا المحيط الذي تحقق من خلال وضع النص في إطاره التاريخي (التعريف بالشاعر والظروف التي أثرت في شعره) والفني (التعريف بالموشحات في تاريخها وبنائها).

إلى جانب القيمة المنهاجية التأطيرية والقيمة التحليلية البلاغية للكتاب،هناك بعد ثالث يُحل الإفراني وكتابه مقاما عليا وهو البراعة الإنشائية التي تتراوح بين النثر الأدبي الكثيف صوتيا ودلاليا، كما في المقدمة، والنثر السلس المبلّغ المتوازن، في العرض والتحليل. إن الإفراني يوصل المعاني بأدق عبارة وأسلسها في صنعة خفية ينعم بها القراء ولا يدرك أسرارها إلا أولو الألباب من المختصين.

ولائحة مصادره ومراجعه التي بلغت المئات، من الأصول والأمهات، جديرة بتفسير قوة هذا الشرح. لهذه الاعتبارات فإن كتاب المسلك السهل هو أحد النصوص التي

سيساهم نشرها في إبراز جوانب الأصالة والتميز في تاريخ الأدب المغربي. و إذا نظرنا من زاوية تلقي الكتاب، والتجاوب معه، فإننا نندهش لعدد النسخ المخطوطة المتوفرة منه في خزائن الكتب العامة والخاصة في الرباط وفاس وحدهما. فضلا عن طبعته الحجرية التي تداولها العلماء تدولا واسعا منذ بداية القرن.

بعد هذه اللمحة، وقبل أن أسلم الكتاب للقارئ الكريم، استسمحه في استعادة لحظتين: لحظة بداية البداية، ولحظة بداية النهاية:

اللحظة الأولى

...كان أولُ لقاء لي مع المسلك السهل في يوم سعيد من أيام 1974. كانت شمس الرباط صفراء ناعمة. كنت أحث أستاذي الدكتور عزت حسن على ركوب السيارة، كي نصل بسرعة إلى قسم الوثائق، و كان هو مشغولا بشاعرية الأصيل، يرفع عينه إلى السماء ثم يعرّض ظهر راحته لأشعتها أمام عيني! كأنه يعاتبني.

أذكر جيداً كل ما جرى في هذه اللحظة. أذكر الشمس المتسللة من بين العمارات، من وراء قبة البرلمان الحمراء، وأذكر وجهه المشرق، و أذكر لهفتي للوصول قبل غيري إلى قسم الوثائق.

...فتح الدكتور عزة حسن مخطوطة المسلك، وسوى نظارته، واستغرق في قراءة خطبة الكتاب. وكلما حاولت أن أوجه قراءته بكلمة أوجملة، وضع يده على معصمي وضغط واستمر ضاغطاً؛ يقلب صفحات، ويقرأ فقرات، ليصدر في النهاية حكماً بتأييد الانطباع الأول الذي وقع لديه في الصباح عندما قرأت عليه فقرات كنت نسختها من مقدمة المسلك: "يا محمد، هذا هو... هذا هو.... هل تأكدتَ من أنك غير مسبوق إليه؟"

ثم كانت رحلتي، في الكتاب، مع عالم عفٍّ كريم، يحسب المواعيد بالدقيقة والثانية، ولا يرحم حين يحس بمحاولة استغلاله علميا. وما أكثر من حاولوا ذلك معه فردهم على أعقابهم. استفدت منه علميا وإنسانيا، فلزمني شكره والتنويه بفضله مشرفا وإنسانا.

جرني كتاب المسلك السهل في مسارب ودروب. وعندما انتهى التحقيق سنة 1980 سُرق هو وكل الوثائق. فكان ذلك نعمة على الكتاب بقدر ما كان نقمة علي؛ إذ أعدت العمل من أوله إلى آخره، مستفيدا مما اكتسبته من خبرة خلال المرحلة الأولى، محتسبا أجري، تطلبت الإعادة سنتين ونصف.

اللحظة الثانية

كم من ماء تدفق تحت قنطرة سَبُو، قبل أن تسمح الظروف باستعادة تلك اللحظة الأولى في شتاء 1996، أي بعد 22 سنة من لقائي الأول بالكتاب، تذكرتها وقررت تسجيلها بحروف تسافر في الآخرين، تذكرتها بقاعة الأساتذة من كلية الآداب بفاس، وأنا ألحظ المفاجأة والإعجاب الذي أبداه بعض الزملاء من شُعب اللغات عندما أطلعتهم على السحب الأول للكتاب تمهيدا للنشر. لقد اندهشوا للمنهج الشامل بلاغيا ولغويا وتناصيا، المنهج الذي صرح به المؤلف ثم التزمه و وفاه حقه. كما عبروا عن عدم فهم الظروف التي تحكم على مثل هذا العمل بملازمة الرقوف.

أجدني اليوم سعيدا بلقاء اللحظتين لحظة البداية ولحظة النهاية. ولذلك لن أعكر صفو هذه اللحظة بالحديث عن أسباب تأخر ظهور الكتاب كل هذه السنين، فذلك يعيد إلى المخيلة بعض صور اللؤم التي عاينتها و أنا أحاول نشره.

أكتفي بشكر من تحملتْ عبء إخراجه على الشكل الذي ارتضيتُه له، زوجتي المخلصة فاطمة الطاهري. لقد قضت شهورا في تنضيده. كما أشكر أساتذتي وزملائي الذين قوموا خطأي أو تداركوا زلتي، وهم كثيرون، لا يكاثره إلا فضلهم علي.

مقدمة التحقيق

الإفراني وكتابه المسلك السهل

ا- التعريف بالإفراني[1]

هو محمد الصغير بن محمد الإفراني المراكشي. ذهب أبو الربيع سليمان الحوات إلى أنه ولد في حدود الثمانين والألف هجرية[2]. تلقى تعليمه الأول في مراكش، ثم انتقل إلى فاس حيث نلتقي بخبره لأول مرة في المدرسة الرشيدية سنة 1118هـ(1706م). بقي بفاس طالبا للعلم إلى حدود سنة 1130هـ/1718م ثم عاد إلى مراكش وتصدر لتدريس التفسير والحديث بجامع ابن يوسف. وهناك اصطدم بفقهاء مراكش الذين كانوا يرون أن شروط تفسير القرآن لم تعد متوفرة.

كان ذلك الاختلاف، في الواقع، اختلافا بين اتجاهين فكريين: اتجاه متفتح يميل إلى الاجتهاد ويأخذ بالرأي، وهو الاتجاه الذي شرعه أبو علي اليوسي وسار فيه تلاميذه وتلاميذ تلاميذه ومنهم الإفراني، واتجاه محافظ قنع بحفظ ما انتهى إليه من تفصيلات وتقنينات فقهية من وضع الفقهاء المتأخرين، وهذا الاتجاه كان يرى أن باب الاجتهاد قد سُد. وقد مُيِّز بهما منذ ذلك العصر فاعتُبر اتجاه اليوسي اتجاهَ الدراية، والاتجاه المخالف له اتجاه الرواية[3].

استطاع الإفراني بعد معاناة أن يتغلب على هذه الأزمة ويفرض نفسه علَماً متميزاً في مراكش، بل في المغرب كله، تشهد لذلك أخباره ومؤلفاته الكثيرة المتنوعة.

مؤلفات الإفراني

يُستفاد من سجل الإعارة بخزانة ابن يوسف بمراكش أن الإفراني كان يستعير 'كتب اللغة، والتاريخ والأدب والرياضيات والفلك، ولا سيما كتب الحديث والتصوف والإلهيات واللغة

---

[1] ـ انظر ترجمة الإفراني في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17، 18.ط الدار العالمية للكتاب. الدار البيضاء 1992.

[2] ـ انظر المرجع السابق.

[3] ـ انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق.

والنحــو..."[1]

لقد تجلى هذا التنوع في القراءة في تنوع مؤلفات الرجل، وتنوع محتويات المؤلَّف الواحد وغناهُ، كما نلاحظ في المسلك السهل مثلا. وعموما فقد ألف الإفراني في التاريخ والأدب والفقه.

1- التاريخ والتراجم.

هذا هو المجال الذي اشتهر به في العصر الحديث في أوساط المستشرقين والباحثين الجامعيين المغاربة الذين خصوه بعناية كبيرة. وأعماله في هذا المجال هي:

1-1 - نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي.

طبع على الحجر بفاس بدون تاريخ. وبباريس على الحروف مع ترجمة إلى الفرنسية سنة 1888. وطبع جزء منه تحت عنوان: جملة من أخبار الدولة السجلماسية في باريس 1903. وصورت طبعة ثانية من طبعة 1888 بالرباط بدون تاريخ (في السبعينات).

قال ليفي بروفانسال في حق هذا الكتاب:" نزهة الحادي كافية لتُحِلَّ مؤلفَها الإفراني محلا مرموقاً من بين رجال الأدب المغاربة"[2].

1- 2- صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر.

طبع على الحجر بفاس بدون تاريخ. واختصرهُ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التادلي الرباطي[3].

تمتاز الصفوة بترجمة رجال من الأرياف لم تتلهم عناية المترجمين من أهل الحاضرة.

1- 3 - روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، أو الظل الوريف في التعريف

---

[1] - HESPERIS.1944.P.59

[2] - مؤرخو الشرفاء 217.

[3] - انظر دليل المؤرخ 1/277-278.

بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف.

طبع بالمطبعة الملكية بعناية عبد الوهاب بنمنصور سنة 1960م.

1ـ 4 ـ **درة الحجال في مناقب سبعة رجال**، أو زبدة الأوطاب في مناقب الأحباب. وقف العباس ابن إبراهيم على جزء منه بخط المؤلف[1].

1 ـ 5 ـ المُغرب في أخبار ملوك المَغرب.

ذكره ابن سودة في الدليل[2].

1 ـ 6 ـ طلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري.

تقييد، ذكره في المسلك[3]. وأورده أبو الربيع في ترجمة الإفراني بعنوان: طلعة المشتري في ثبوت توبة الزمخشري" في ورقات لطيفة"[4].

1 ـ 7 ـ الوشي العبقري في ضبط لفظ المقري.

ذكره الكتاني في فهرس الفهارس[5].

1 ـ 8 ـ **تقديم** أو خطبة واسطة العقدين (تلخيص وتقديم كناشتي الملك إسماعيل)

2 ـ الأدب

2 ـ 1 ـ المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل.

---

[1] ـ الإعلام 57/5.
[2] ـ دليل المؤرخ 164/1.
[3] ـ المسلك السهل 71.
[4] ـ الإعلام 54/5.
[5] ـ فهرس الفهارس 15/2.

طبع طبعة حجرية (وسيأتي الحديث عنه).

2 ـ 2 ـ **تعليق** على أرجوزته المسماة ياقوتة البيان.

شرحٌ لأرجوزةٍ للمؤلف في الاستعارة والمجاز عامة. عدد أبيات الأرجوزة ثلاثة وثلاثون بيتاً. (مخطوط)[1].

2 ـ 3 ـ الإفادات والإنشادات

ذكره أبو الربيع سليمان الحوات، وقال فيه: "وهو تأليف لا كِفاء له في الحسن"[2].

3 ـ الفقـــه

3 ـ 1 ـ فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث [3]

سماه الإفراني "ثَبَتاً". وعلى صغر هذا المؤلَّف(أو الرسالة) فإن الإفراني اعتمد فيه على أكثر من عشرين مصدراً. وهو يعتبر إنتاجاً أصيلا بالقياس إلى تآليف هذا العصر التي لا تخرج عن نطاق الشروح والحواشي.

3 ـ 3 ـ و للإفراني **أجوبة فقهية** وفتاوى كان لها صيت وقبول حسن في عصره[4].

---

[1] – مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 4294.

[2] – الإعلام. 54/5.

[3] – مخطوط الخزانة العامة بالرباط: ع 88 ج.

[4] – رحلة الوافد 197، وفهرس العميري. 81.

ب ـ التعريف بالمسلك السهل

ملابسات التأليف

ألف الإفراني كتابه المسلك السهل لشرح الموشح المشهور الذي مطلعه:

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى   قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِسِ

للشاعر الإشبيلي إبراهيم بن سهل، وأنهى تأليفه في أول رجب من سنة 1128هـ بالمدرسة الرشيدية[1] بفاس، وهذا ما سجله بخطه في حاشية الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل المخطوطة: "كان فراغي من تبييضه أوائل رجب من عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، بالمدرسة الرشيدية من مدينة فاس. قاله مؤلفه محمد"[2]. وكان ما يزال ـ على ما نعلم ـ طالب علم يسكن المدرسة المذكورة.

وهو باكورة إنتاجه، وثمرة من ثمرات الشباب. يقول في مقدمته: "..وهو أول مجموع أبرزته في قالب التصنيف، وأفرغت جهدي فيما يحصل به لأذن سامعه التقريط والتشنيف، مع كوني في إبان الحداثة"[3]. ويقول في الخاتمة: "ولا يخفى على قريني أنها، كما يقول الناس، من الرأي العشريني"[4].

وتسعفنا خطبة المسلك السهل وبقية مباحثه في التعرف على الدافع الذي دفع الإفراني إلى الاهتمام بهذا الموشح، وهو دافع أدبي خالص، فبالأدب تتهذب النفس، وتكمل إنسانية[5] الإنسان. وليس

---

[1] ـ هي مدرسة الشراطين، أسسها الملك رشيد العلوي. انظر كتابنا الإفراني ص87-88.

[2] ـ مخطوطة الأصل ص294.

[3] ـ المسلك السهل57.

[4] ـ المسلك السهل 434. من مخطوطة الأصل 293.

[5] ـ خطبة المسلك53.

أدخل في الأدب وأقدر على تحقيق هذه المهمة من موشح حاز رضا أرباب الأدب والموسيقى وإعجابهم.

وليس في حديث الإفراني ما يشير إلى دافع ديني أو تعليمي ولا سيما أن الموضوع لا يسمح بذلك، وهذا مما يميزه عن أغلبية شراح النصوص ممن يَنشُدون أجراً أو قربى من عملهم كما يميز شرحه عن الشروح الهادفة إلى خدمة الدين بخدمة اللغة التي هي وسيلةٌ لفهم الكتاب والحديث كما جاء في مقدمة ابن زاكور لشرح لامية العرب: "... فإن معرفة كلامهم (يعني العرب) وسيلة إلى معرفة كلامه (يعني الرسول) وما أنزل وسبب، فكانت لذلك من أعظم الوسائل وأجل القرب، فلذلك شرحت لامية العرب"[1].

بل نظر الإفراني في الملابسات الدينية المحيطة بشرحه، فرأى أن يحتاط للتهم التي يحتمل أن تصوب إليه، فسعى لعقد تصالح بين المفاهيم الدينية الإسلامية والمفاهيم الأدبية التي يلتبس وجه براءتها على "قوم لا يشعرون"[2].

وجماعُ رأي الإفراني أن الاعتبار في الدين بما في السرائر، إذ لا يضير شيٌّ مع صفائها. والأدب مبني على المسامحة. وقد جد الإفراني في التراث الإسلامي، ومنه حديث الرسول وسلوك الصحابة وفتاوى الأئمة وأكابر الفقهاء ما يبرر وجهة نظره المتسامحة.

ولاشك أن قوة الدفاع وعنفَ الاتهام في عبارة الإفراني ناتجان عن وُجود منكرين متشددين، يقول: "كأني بمتعسِّف ممتلئ الصدر بالأضغان والإحن ينكر إكبابي على إيضاح مغفل هذه الموشحة، ويحتج بأنها مشتملة على وصف الخدود والقدود، والمبالغة في وصف الراح، وكل ذلك مما هو حرام في الشريعة"[3]. ولهذا الكلام ارتباطٌ بالصراع الذي صورناه في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة بين اتجاهين فكريين ودينيين في عصره.

---

[1] ـ مخطوطة الخزانة العامة رقم 157 د ورقة 59 و.

[2] ـ انظر المسلك السهل143.

[3] ـ نفسه.

ونجعل دفاع الإفراني عن الأدب والمفاهيم الأدبية التي طرحها عليه شرح مُوشح ابن سهل في النقط التالية:

1 ـ **التنويه بالأدب عامة**. وخصصَ له الإفراني جزءاً من خطبة الكتاب مستشهداً بسلوك الصحابة، موردا تنويه الرسول بالبيان في الحديث المشهور، مبيناً أثر الأدب في تكوين شخصية الإنسان وتمييزه عن الحيوان بقوله: "ولعمري إن كل من لا يتعاطى الأدب، ولا ينْسُل لاجتلاء غرره، واجتلابِ درره من كل حَدب، ما هو إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مرسلة"[1]. ويعود لهذا الموضوع من حين لآخر عازيا التفاوت في الأدب إلى التفاوت في البلاغة. وهذه الانطلاقة في التأليف، وما فيها من هجوم على خصوم الأدب تعبِّر عن ذكاء الإفراني، فبعد أن أحلَّ الأدبَ المكان اللائق به من الاحترام انتقل إلى التنويه بموشح ابن سهل، وتفضيله على غيره، تبريرا للاشتغال به.

2 ـ **تبرير شرح نص غزلي**. وذلك في مبحث (الزهر الغض في الرد على من عاتب في التوشيح أو غض). عرض الإفراني هنا موقف الدين من الغزل معتمداً على فتوى مفصلة لِواحد من أشهر فقهاء المغرب وهو ابن رشيد الفهري السبتي. كما عمم الحديث فناقش بالمناسبة موقف الدين من الرثاء مبينا الحد الفاصل بين الجائز منه و الممنوع، وأثرَ الأدب في تخفيف ألم أهل الفقيد.

3 ـ **دفع الالتباس العالق ببعض التعابير المجازية**. إذ كثيرا ما أدى التمسك بظاهر النصوص الدينية إلى تأثيم بعض التعابير. فمن ذلك انتقادهم شكوى الشعراء من الدهر، واعتبار ذلك خروجا عن هدي الحديث النبوي: "لا يقل أحدُكم يا خيْبة الدهر، فإن الله هو الدهر"[2]. ومن المشددين في هذه المسألة بعض شيوخ الإفراني الذين أنكروا قول سعد الدين التفتازاني في طالعة المطول: "فلقد جرد الدهر على أهلها سيفَ العدوان"[3]. ويحسم الإفراني الأمر لصالح التعبير الأدبي مستعينا ببحث موسع

---

[1] ـ المسلك السهل ص53.

[2] ـ نفسه269.

[3] ـ نفسه.

"الحافظ المغرب والمشرق، أبي عمر ابن عبد البر"[1] في استشهاده بسلوك الصحابة والتابعين. والذي ينبغي تسجيله، بكثير من الاهتمام، استقلالُ الإفراني عن رأي شيوخه في هذه السن المبكرة.

ومن التعابير التي أثارت ضجةَ أدباء فاس منذ العصر المريني قول محمد الربيب في سيف إدريس المنصوب بمنار جامع القرويين[2]:

وما خصَّ إدريسُ المنارَ بسيفه لغمٍّ، ولكن كي يعُمَّ نداؤُه
مشيرا: أجيبوا داعيَ الله تأمنوا، ومن لم يجب داعيهِ هذا جزاؤُه

وكان ابن الأحمر قد انتقد قول هذا الشاعر في كتابه نثير الجمان ذاهبا إلى أن تارك الصلاة لا يقتل، فرد عليه أستاذُ الإفراني أحمدُ بنُ عبد الحي الحلبي، وعلى ما كتب بطرة كتابه المذكور، من أنه يُقتل بقوله: "قلت: وهذا كله تعسف بلا فائدة، وإنما جرى هذا الكلام مجرى المبالغة"[3]. لقد التبس على الإفراني رأي شيخه في هذه المسألة فنسب إليه نقيضه، وقد بينا ذلك في مكانه.

ويدل على اهتمام الإفراني بهذا الموضوع أنه جرد كراسة في حكم الاقتباس في وقت مبكر من حياته ذكرها في المسلك السهل[4]. كما تدل مناقشته لهذه القضية ولغيرها في المسلك السهل بروح متفتحة على ما يمكن أن يطبع موقفه من مرونة في هذه الكراسة. وهي مرونة تطبع موقف الإفراني في كتابه فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث بطابعها، كما تطبع الاتجاه الذي ينتمي إليه هو وجميع الأدباء المتأثرين بأبي علي اليوسي، الميالين إلى التصوف؛ إذ يرون أن الحكم في ذلك لصفاء سريرة

---

[1] ـ المسلك السهل 269.

[2] نفسه 413 .

[3] ـ الدر النفيس 377، والمسلك السهل ص415 والحاشية 1.

[4] ـالمسلك السهل 87.

الإنسان. ولهذا الموقف علاقة برواج ديوان ابن الفارض في هذا العصر، وهو من الدواوين القليلة التي ذكرها الإفراني ضمن مصادره في المسلك السهل إلى جانب كتب الأدب واللغة[1].

ولا يبعد أن يكون المحتوى الأدبي للمسلك السهل من ضمن مواد طعن فقهاء مراكش في أهلية الإفراني عندما تصدى لتدريس التفسير والحديث بجامع ابن يوسف.

موقع المسلك السهل

اهتم المغاربة بشرح النصوص الشعرية، لا سيما في العصر المريني والسعدي وما بعدهما. ويمكن تقسيم ما خلفوه من شروح، حسب موضوع النص والغرض المتوخى من الشرح، إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ شرحُ نصوص دينية تتعلق في الغالب بمدح الرسول[2].وتثير قضايا تصوفية، مثل شرح البردة لسعيد بن سليمان السملالي المتوفى سنة 382هـ[3]. وشرحها لمحمد بن عبد السلام بناني المتوفى سنة 1163هـ. وشرحها لأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني المتوفى سنة 1146هـ. ومن أحسن الشروح منهجا ومادة شرح ابن مرزوق: إظهار صدق المودة في شرح البردة. ومن ذلك أيضا شرح الهمزية فقد شرحها محمد بن عبد الرحمن الصومعي[4] والحضيكي[5] المتوفى سنة 1185هـ، وبنيس[6]، ومحمد بن زكري المتوفى سنة 1144هـ، وشرَح بانت سعاد كلٌّ من أبي الحسن بناني والحضيكي السالفِ الذكر.

---

[1] ـ وهو الديوان الوحيد المسجل في سجل الاستعارة بمكتبة ابن يوسف في أول القرن الثاني عشر الهجري .HESPERIS 1944 P 57

[2] ـ انظر محاضرة للدكتور عباس الجراري بعنوان الأدب المغربي في المولد النبوي، في كتابه الأدب المغربي 1/ 150 وما بعدها.

[3] ـ مخطوطة خ. ع. ضمن مجموع رقمه 1372 د.

[4] ـ مخطوطة خ.ع. 895 ج.

[5] ـ مخطوطة خ. ع. 527 ج.

[6] ـ مخطوطة خ.ع 534 ج، 1135 ج.

وهذه الشروح تجمع من المادة التاريخية واللغوية والبلاغية والفوائد الأدبية قدراً وافرا، كما أنها مفعمة بالخوارق والخرافات.

2 ـ شروح تستهدف غاية لغوية تعليمية لتيسير فهم النص لمن يريد تناوله من الطلبة، ومن هذا النوع الفريدُ في تقييد الشريد لأبي القاسم الفكيكي[1]، ونيل الأماني في شرح التهاني لأبي علي اليوسي المتوفى سنة 1102هـ[2].

وقد يكون هدف الشارح خدمة اللغة العربية التي بدونها لا يمكن فهم "كتاب الله وسنة رسوله". وهذا الغرض كثيرا ما يُنص عليه لدفع تهمة العبث وضياع الوقت.

3 ـ شروح تتجه إلى القيمة الأدبية للنص المشروح، وتعتبر الشرح اللغوي والإعراب والتخريجات البلاغية وسيلة لاجتلاء درر المعاني، وهذا هو الاتجاه الذي يسير فيه الإفراني. ومن الشروح التي سبقت شرح الإفراني في هذا الاتجاه إتحاف ذوي الأرب في مقاصد لامية العرب لسعيد المغوسي[3].

ومن الملاحظ أن معاصري الإفراني قد ساهموا في هذه الاتجاهات الثلاثة.

أما الظاهرة البارزة التي تنتظم أغلب العصور فهي اتجاه الشراح إلى نصوص بعينها، وعلى رأسها البردة والهمزية وبانت سعاد ولامية العرب وديوان الشعراء الستة وديوان الحماسة.. وذلك ما يجعل هذه الشروح مكرورة وغير مجدية أحيانا، إذ يصعب التعرف على ما هو أصيل فيها وما هو منقول، وقَلَّ من تناول موضوعاً بكراً بعمق وإجادة، وخصوصا في العصور اللاحقة لعصر الإفراني، وهذا ما يُعطي المسلك السهل قيمة كبيرة في نظرنا.

ليس فيما وصل إلى أيدينا من أخبار الإفراني تعليق على قيمة كتابه المسلك السهل غير قول

---

[1] ـ مخطوطة خ.م 4198، 4260.

[2] ـ انظر كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة.

[3] ـ توجد نسخ منه عديدة بالخزانة العامة بالرباط منها 142 ج، 877 ج الخ.

أبي الربيع سليمان الحوات: "وله تآليف عديدة، جامعة لفرائد الفوائد المفيدة، ومنها، وهو أول ما ألف، المسلك السهل في توشيح ابن سهل، وهو وحده يدل على قوة عارضته وامتداد باعه"[1]. وفي العصر الحاضر قال ليفي بروفنسال في حق المسلك السهل كذلك: "وهو كتاب متداول اليوم عند الأدباء المغاربة"[2].

وبعد ذلك نجد الحديث عن الإفراني الأديب البياني. وهذه مجموعة من الأقوال في التنويه به، قال محمد المكي بن موسى الناصري في الرياحين الوردية، وهو معاصر للإفراني وله به اتصال: "أديب زمانه، وفريد أوانه"[3]. وقال في الدرر المرصعة: "الأديب النحوي اللغوي البياني.."[4]. وقال فيه محمد القادري، وهو معاصر له كذلك: "العالم الأديب الإخباري النجيب"[5]. ومن الأجيال اللاحقة قال أبو الربيع سليمان الحوات: ".. النقادة النحوي البياني الأديب البليغ الفصيح الخطيب"[6]. ومن المعاصرين قال ليفي بروفانسال: "إن الإفراني يتمتع اليوم بسمعة طيبة في الأوساط الأدبية، ويحظى بكامل التقدير"[7]. ومن المعاصرين كذلك عبد الله كنون: "العلامة المؤرخ الأديب صاحب المنن على التاريخ المغربي والأدب"[8].

---

[1] ـ الإعلام للمراكشي 54/5. وولد أبو الربيع سليمان الحوات بعد ثلاث أو أربع سنوات من موت الإفراني أي سنة 1747/1160، وتوفي سنة 1231/ 1816. (مؤرخو الشرفاء 242).

[2] ـ مؤرخو الشرفاء 89، وقد عاش ليفي بروفنسال في النصف الأول من هذا القرن (1894 – 1956م). انظر ترجمته في أول الترجمة العربية لكتابه مؤرخو الشرفاء نقلا عن مجلة (أرابيكا 1956 فصلة 2).

[3] ـ الرياحين الوردية 67.

[4] ـ الدرر المرصعة 91.

[5] ـ التقاط الدرر 2 / 415.

[6] ـ الإعلام المراكشي 5 / 53.

[7] ـ مؤرخو الشرفاء 93.

[8] ـ النبوغ المغربي 1 / 298.

فهذه الشهادات المأخوذة من عصر الإفراني إلى اليوم تنوه كلها بصفة الأديب. ويهتم أقدمها بصفة (البياني)، و (النقادة) و(البليغ). فعلامَ يقوم هذا الحكم إن لم يقم على كتاب المسلك السهل؟ صحيح أن الإفراني كان خطيبا بليغا، ومدرّسًا، وناظماً متوسط النظم، أما أن يكون نقادةً وبيانيا فهذه الصفة لا يخولّها له إلا المسلك السهل. هذا الكتاب الذي أخذ زملاءُ المؤلف بنسخه بعد انتهائه من تبييضه مباشرة إذ لم يفرغ المؤلف من تبييض الكتاب حتى كان صاحبُ نسخة (الأصل) قد فرغ هو الآخر من نسخَتِهِ في مدة لا تتجاوز خمسة عشر يوما.

ويدل عدد النسخ المتوفرة في الخزانة الملكية والخزانة العامة بالرباط وحدها وهو ثلاثة وعشرون نسخة مخطوطة، على ما كان للكتاب من رواج. ولقد أصبحت النسخ المطبوعة منه أندر من المخطوطة، على أن طبع الكتاب في حد ذاته له دلالة خاصة في عصر اتجه فيه الاهتمام إلى الكتب الدينية واللغوية.

ولم نعثر بين الشروح التي ظهرت بعد المسلك السهل في المغرب على ما يسمو إلى مستواه، أو يدانيه في قيمته. ومنها: فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان لمحمد العربي المشرفي، وشروح البردة والهمزية التي أصبحت عبارة عن تلخيصات وتقاييد هزيلة. ويَظَلُّ المسلك السهل من أبرز المعالم في اتجاه النقد التطبيقي في المغرب الأقصى لما توفر فيه من تصور منهجي وتذوق فني بلاغي للنص المشروح. وهو بعدُ مصدرٌ للتعرف على ثقافة الأديب في عصر الإفراني بمصادرها الشرقية والأندلسية والمغربية.

* * *

أما الطريقة التي اتبعها الإفراني في الشرح والخطوات التي سار عليها فهي ليست مما ابتدعه أو انفرد به، وإن تميز بالتزامه بصرامة. بل نسج فيه على منوال غيره من الشراح الذين سبقوه من مغاربة ومشارقة، ممن ساروا في هذا الدرب، ومهدوا هذا الطريق، مع اختلافهم في التزام هذه الخطوات كلها أو بعضها أو الزيادة عليها. وبعد استعراض عدد وافر من الشروح الأدبية برزت لنا حلقات السلسلة التي ينتظم فيها المسلك السهل. ونقف الآن وقفة قصيرة عند أربعة شروح لعلماء من

دعائم هذا الاتجاه أو هذه المدرسة لنعرف بالطرائق التي اتبعوها في شروحهم وهم: الصفدي في الغيث المسجم في شرح لامية العجم، وابن مرزوق في إظهار صدق المودة في شرح البردة، والمغوسي في إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب. والأليوري في شرح البردة.

1 ـ نعرض في إيجاز خطةَ كتاب (إظهار صدق المودة) لمطابقتها لخطة المسلك السهل في خطواته الست مع إضافة ابن مرزوق مطلباً سابعا عنوانه "الإشارات التصوفية"، وهذا، بطبيعة الحال، مما أملاه الموضوع، واقتضاه النص المشروح، وهو البردة في المديح النبوي. يقول ابن مرزوق في مقدمة شرحه محددا منهجه: "... وجعلت الكلام، على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم:

الأولى، **الغريب** في شرح لغة الألفاظ المفردة، وما يتعلق بها من التصريف.

الثانية، **التفسير** في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل.

الثالثة، **المعاني** في ذكر خواص الكلمة المستعملة في ذلك التركيب وغيرها إفرادا وتركيبا.

الرابعة، **البيان** في ذكر وجوه ذلك التركيب مع وضوح دلالته على المعنى المراد وبيان الحقيقة منه والمجاز، وما ينخرط في سلك ذلك من ذلك الفن.

الخامسة، **البديع** في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية.

السادسة، **الإعراب**، فأذكر منه الوجوه الظاهرة القوية دون غيرها، وهي ترجمة معينة على فهم معاني الأبيات.

السابعة، **الإشارات التصوفية**، فأذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة إلى المعنى المذكور"[1].

---

[1] ـ إظهار صدق المودة مخ. خ. ع رقم 1713 د ورقة 10 ب. الجزء الأول.

2 ـ أما الأليوري فقد سار في شرحه في "أربعة فنون" حسب تعبيره: "الفن الأول اللغة، إذ بها تنتظم الألفاظ وتبين المعاني. الفن الثاني الشرح وبيان المعنى، وما أمكن استحضاره من الشواهد الشعرية. الفن الثالث الإعراب على اختصار إذ لم يقصد به ذلك المجموع. الفن الرابع ما يعرض في الأبيات من البيان وعلم البديع"[1].

3 ـ ولم يلتزم المغوسي بهذه الخطوات، وإن كان عمله يحقق مجمل ما تنتهي إليه، فهو يبدأ بقوله: "أقول" ليشرح الألفاظ ويناقش صيغها الصرفية، ثم يتجه لتلخيص المعنى بقوله: "يقول" ثم يبسط المسائل البلاغية التي يتوقف عليها تذوق النص، "مع رد كل فرع إلى أصله، ووصل كل معنى بما يناسبه من فصله"[2]. وينهي كلامه بالإعراب متوسعا فيه كثيراً.

4 ـ ويتناول الصفدي أبيات لامية العجم فيشرح الألفاظ شرحا لغويا ثم يعربها متوسعا في الإعراب كثيرا، ويستخرج معنى البيت ويرفع النقاب عن تعابيره وصوره. ومنهجُه أكثرُ مرونة من غيره. وهو أميل إلى الاستطراد لأنه يرى الانتقال من نوع إلى نوع أنشط للمطالعة وأبسط، فيقول "فلا تجدني في هذا الشرح واقفا مع ضيق المقام، ولا فارا من مشق القواضب ولا رشق الحسام، بل أشرف على كل مكان فأسقط وأتوخى الحب الكبار فألتقط، فمهما استطرد الكلام إليه وفيته حقه"[3].

وقد وجد الإفراني في هذا الشرح المادة الأدبية من المناسبة لشرحه من شعر وأخبار مناسبة للغزل فعوض بذلك نقصها في الشروح الأخرى.

هذه بعضُ حلقات سلسلة الشروح الأدبية التي تتبع خطةً محكمة، وتحاول أن تحيط بالجوانب اللغوية (المعجمية والصرفية)، والتركيبية (النحو)، والبلاغية (المعاني والبيان والبديع)، مع إثارة مختلف المسائل المتعلقة بمعاني النص وظروفه، على اختلاف في الأهمية التي يوليها هؤلاء الشراح كلَّ مطلب من هذه المطالب تبعاً لثقافة كل واحد منهم، والغرض الذي رصد له شرحه، فالإفراني

---

[1] ـ شرح البردة مخ. خ. ع رقم 530 ج.ص4.

[2] ـ إتحاف ذوي الأرب مخ. خ.ع رقم 877 ج ص7.

[3] ـ الغيث المسجم 3/1.

المؤرخ خصص أكثر من ربع الكتاب للظروف التاريخية والفنية للموشح المشروح. والمغوسي، الشيخ اللغوي، اهتم أكثر من غيره باللغة والنحو والصرف. بينما اقتضى الموضوع ابن مرزوق أن يخصص (ترجمةً) للإشارات التصوفية. والتقى الإفراني بالصفدي في مفهوم الأدب ووظيفته: "الأدب كله فكاهة، وأحسنه الغريب الحلو المساق"[1]، فاشتركا في كمية وافرة من مادتي كتابيهما، وفي جو الطرافة والغرابة السائد فيهما. أما الأليوري فإن التقاء الإفراني به أعمق وأجدى، وذلك في ميل كل منهما نحو تذوق جمال النص والاهتمام بـِ "المعاني" والعزوف عن التقسيمات والتعليلات النحوية.

الإطار العام للشرح: التاريخ، الفن، الدين

قبل أن يتناول الإفراني أبيات الموشح بيتا بيتا عقد مقدمة طويلة للتعريف بابن سهل صاحب الموشح، والتعريف بفن التوشيح وبيان نشأته وتطوره. وتحدث عن الموسيقى والعروض والقافية، كما تناول موقف الدين من الأدب والغزل خاصة.

وكما اهتم بالإطار العام للموشح اهتم كذلك بالمجال الخاص بالمعاني والصور الشعرية، فأورد الشواهد والأخبار والمعارف المختلفة التي تساعد على وضع المعاني والصور في إطارها العام ضمن الأدب العربي عامة، وأدب العصور المتأخرة خاصة.

وكان الإفراني واعيا بالهدف من مقدمته، فهي، حسب عبارته، علَم منشورٌ على طلائع رايات الموشح، يهدي إليه وينبئ عنه، يقول: "وعَنَّ لي أن أقدم قبل الخوض في لجج معاني التوشيح مقدمةً تكون كالرعيل لجيش أبياته، وعلما منشوراً على طلائع راياته، أضمنُها التعريف بناحت دُرره المزخرفة.. وذكر نبذ في صناعة التوشيح، واختراعها ومخترعها، وما يكون كالذيل لذلك"[2].

---

[1] ـ المسلك السهل ص146. وانظر حديثنا عن الطرافة ومفهوم الأدب في هذه المقدمة.

[2] ـ نفسه 61.

وهو لا يعتبر هذه المقدمة غاية، فيقول في آخرها: "ولنمسك الزمام، فإن المطلوب بالذات أمام"[1]؛ أي فيما يأتي من الشرح، ولكنها داخلة عنده، في الأدب، وليست مقحمة عليه. ولذلك يبرر الإطالة فيها بحاجة كتب الأدب إلى ما توشح به من نوادر، فيقول:" والعذر في الإطالة أنا رأينا كتب الأدب إذا لم توشح بنوادر وأخبارٍ لم تقع في العقول موقع القبول"[2].

ثم نرى الإفراني يتتبع تطور الموشحات بدون كلل حتى يبلغها قمة نموها، وتسلم رايتها لابن سَهل، فتكون موشحتُه لذلك ثمرة ناضجة لجهود سابقيه، وهذه عبارته التي أنهى بها الحديث عن تاريخ الموشحات وأخبار أصحابها: "وانتهت الرئاسة في التوشيح لابن سهل، وبذهاب عينه اندثرت آثارها، وغربت شموسها، وتقلصت أفياؤها. ولا شك أن شأوه في ذلك لا يُلحق، كما لا يخفى على من اتصف بالإنصاف وتقلد بالحق. وكفى شاهدا على ذلك موشحته هذه، فإنها حالقة اللِّحى، لمن انتحل معارضتها وانتحى. وقد تصدى لمعارضتها أقوامٌ، فكانوا كمن تطلب رجوع ما مضى من الأعوام"[3]. وهذا مما يكسب اختياره قيمة كبيرة.

أولى الإفراني بيئة الشاعر أهمية كبيرة فتناولها من جميع جوانبها التي أثرت في ابن سهل وجعلت منه شاعرا رقيقا، ووشاحا غزلا، ومنها طيب هواء مدينة إشبيلية، ودماثة أخلاق أهلها، وميلهم إلى الموسيقى والطرب. وأضاف إلى ذلك تأثر ابن سهل بانتمائه اليهودي في بيئة إسلامية، حتى رد بعض المغاربة رقةَ شعره إلى اجتماع ذلين فيه: ذلّ العشق، وذل اليهودية[4].

ولسنا في حاجة إلى تأكيد العلاقة بين اهتمام الإفراني بجانب الرقة والشاعرية في شخصية ابن سهل وبين الموشح المشروح وموضوعه الغزل، ويقوي ذلك أن الإفراني شرح هذا النص في ظروف ازدهرت فيها الموسيقى بالمغرب، وزاد نتيجة ذلك الاهتمام بالموشحات.

---

[1] ـ المسلك السهل 146.

[2] ـ نفسه 146

[3] ـ نفسه 117.

[4] ـ نفسه 73.

وتنسجم النصوص التي انتقاها الإفراني من ديوان ابن سهل وألحقها بترجمته في المسلك السهل مع موضوع الموشح المشروح، فكُلها في الغزل تبرزُ فيها الصناعة البديعية، ولاسيما التوجيه.

وغلبة طابع الرواية على المؤلف في هذه المقدمة كثيراً ما جعله ينتقل من مادة إلى ما يشابهها أو يقترب منها، فحديثه عن الموشحات يؤدي إلى الحديث عن الزجل والدُّوبيت والمواليا. وترجمة ابن سهل اليهودي تذيل بالتعريف بستة من اليهود النابغين في البيئة الإسلامية.

والاستطرادات كثيرة في هذه المقدمة تبعد القارئ عن إدراك هدف المؤلف من المادة الغنية التي يحشرها فيها، فيأخذ بعضها برقاب بعض برباط قوي أو ضعيف. غير أنه إذا رجعَ إلى مفهوم الأدب في عصر الإفراني، كما سنحدده في مبحث لاحق، وجد للمؤلف عذرا.

وتعتبر هذه المقدمة التاريخية، مضافة إلى الميل إلى الرواية والحديث عن الظروف المحيطة بالنص ومعانيه في مجمل الكتاب، علامةً مبكرة على ميل المؤلف إلى التاريخ الذي سيغلب عليه بعد عودته من فاس.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو مدى تأثر الإفراني بمن سبقه من الشراح الذين قدموا لشروحهم بالتعريف بالشعراء، وعلى رأس هذه الشروح الغيث المسجم، في شرح لامية العجم لصلاح الدين الصفدي، الذي تعرض في مقدمة شرحه لأخبار الطغرائي. واعتنى المغوسي من المغاربة بترجمة الشنفرى مورداً ما تيسر من أخباره، مشيرا إلى أهمية قصيدته، وذلك في مقدمة شرحه للامية العرب المسمى إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب. وليس لدينا ما يدل على استفادة الإفراني من هذا الشرح، أو إطلاعه عليه عند تأليف المسلك السهل، وإن كنا لا نستبعد ذلك.

ونرى أن مقدمات كل من الغيث المسجم للصفدي، وإتحاف ذوي الأرب للمغوسي، وشرح البردة للأليوري، وغيرها من الشروح التي تيسر لنا الاطلاع عليها، ليس فيها من التنوع والغنى والتوجه نحو تعليل شاعرية الشاعر أو تفوقه ما يجعلها في مستوى المسلك السهل. وإذا كانت الخطة التي اتبعها الصفدي في حديثه عن الطغرائي، ثم عن العروض والقافية، قريبةً من خطة الإفراني، فهي مختصرة وغير هادفة إلى غاية معينة.

كما أن مقدمات أغلب الشروح قبل الإفراني وبعده، ولا سيما شروح البردة و الهمزية، تميل إلى المبررات الغيبية في بيان فضل النص المشروح، فتنسب لصاحبه من الكرامات ما يضيق به المنطق والذوق. وهذا ما جعلني أبحث عن مصادر أخرى تأثر بها المؤلف واستفاد منها في الإطار العام التاريخي والفني لهذا النص.

فإلى جانب ميل المؤلف إلى التاريخ نرى أنه تأثر في المسلك السهل خاصة بأحمد المقري في كتابه نفح الطيب وأزهار الرياض، وذلك في اهتمام هذا الأخير بالظروف المحيطة بحياة ابن الخطيب في النفح، وبحياة القاضي عياض في الأزهار، وذلك ما أعطى كتابيه طابعا موسوعيا في تاريخ الأدب الأندلسي والمغربي. ويزكي ما ذهبنا إليه اعتماد المؤلف عليهما، ولا سيما نفح الطيب، في معظم المادة التاريخية والأدبية في مُقدمة المسلك السهل. وكان من نتيجة إعجاب الإفراني بالمقري أن خصه بترجمة عنوانها: الوشي العبقري في ضبط لفظ المقري، كما اطلع الإفراني على مقدمة ابن خلدون ونقل منها في المقدمة والشرح ناعتا صاحبها بـ "الشيخ الرئيس أعجوبة المؤرخين"[1]. وقد بينا أثناء الحديث عن الطابع الثقافي للعصر في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة أن الميل إلى الأدب والتاريخ يميز الأدباء الشبان في عصر المؤلف عن شيوخهم الذين يميلون أكثر إلى اللغة والتصوف والأمثال والحكم.

* * *

وفي تحديد الإطار الأدبي والفني للموشح لاحظ الإفراني باستغراب الإهمال الذي لحق الموشحات فقال: "والعجب أنه مع كونه من شدة الحاجة إليه بهذه المرتبة لم يتنزلوا لضبط قواعده كل التنزيل، ولم يسهلوا من أمره ما هو في غاية الحاجة إلى التسهيل، ويبسطوا من مسائله ما يصعب"[2].

---

[1] ـ المسلك السهل ص99.

[2] ـ نفسه49.

فهناك إذن الحاجة إلى الموشحات، وهناك الدعوة إلى ضبط مسائلها، وتسهيل ما صعب منها.

غير أنه لم يكن بوسع الإفراني أن يقوم بهذا العبء وحده، فله فضل تصور المشكل والإحساس بالحاجة إلى معالجته. أما ما قدمه في أول السمط الثاني من تعريف التوشيح لغة وعرفا، مع ذكر عدد محدود من أسماء أجزاء الموشح كما نقلها ابن خلدون عن ابن سعيد، فليس كافيا للتعرف على تركيب الموشح وتقنيات بنائه.

وفي المبحثين الخاصين بالموسيقى والعروض والقافية، وهما: زهرة الريحان، في ذكر الطبوع والألحان و جملة كافية فيما يتعلق بالتوشيح من العروض والقافية، اكتفى الإفراني بالتنويه بالموسيقى والحديث عن الطبوع وعلاقتها بالطبائع، وأثر زرياب في تطوير الموسيقى بالأندلس، مؤكدا ضرورة العروض للشعر، ومحددا معنى القافية وما ثار حولها من خلاف بين القدماء، وغير ذلك من القضايا المعروفة المتداولة، معوضا التحليل والتنظير اللذين تقتضيهما المناسبة بإيراد الأخبار والنكت وغريب القوافي... ولم يزد فيما يخص الموشح على تقطيع البيت الأول منه، وذكر الدائرة التي ينتسب إليها، والنغمة التي يجري عليها، وما كان له من شهرة واستحسان عند أرباب الموسيقى...

وقد سهل مُهمة الإفراني في هذا المجال كون موشح ابن سهل يجري على بحر من البحور الخليلية وهو الرمل. ولم يشر الإفراني إلى تنوع قافية الموشح.

منحى الإفراني في الشرح: الذوق والبلاغة

إذا نظرنا إلى عمل الإفراني في المسلك السهل بكامله، معتبرين الغاية التي يتوخاها من كل خطوة من خطوات التأليف وجدناه يهتم بثلاثة جوانب أساسية، يشكل كل جانب منها خطوة من خطوات الشرح ومرحلة من مراحله.

1- **وأولى** هذه الخطوات وضع النص المشروح في إطاره التاريخي والفني، وتبرير الاشتغال به دينيا، واستغرق هذا الجانب، كما تقدم، ربع الكتاب.

2- والخطوة **الثانية** فهمُ معاني الألفاظ وفحوى التراكيب في مطلبي اللغة والإعراب، وفي جانب من مطلب المعنى. وقد برر الإفراني تقديم مطلب اللغة بكونه سبيلا لفهم ما بعده، ولم يبرر تأخير الإعراب وهو يؤدي المهمة نفسها. والظاهر أنه خضع في ذلك لتأثير أغلب الشراح في تأخيرهم لمطلب الإعراب ولتأثير ابن مرزوق مباشرة. وكان حَريا به أن يسلك سبيل الصفدي الذي جعل الإعراب بعد اللغة مباشرة، والأليوري الذي قدم مطلب الإعراب على المطلب البلاغي. والخطوتان الأولى والثانية تمهدان لتذوق جمال النص المدروس.

3- وفي الخطوة **الثالثة** التي نحللها هنا تناول المؤلف الجانب الفني في النص باذلاً قصارى جهده لإظهار جماله وتعليل هذا الجمال بلاغيا. ويشترك مطلب المعنى والمطلب البلاغي (المعاني، البيان، البديع) في تحقيق هذه الغاية؛ فيتم، في مطلب المعنى، "رفعُ القناع عن معنى التركيب، وتنزيلُ المعنى على الألفاظ، ونسق بعضها ببعض، حتى تصبح من حيث المعنى كأنها سبيكة إبريز، تشهد لصائغها بالتقدم في الصناعة والتبريز"[1].

فالهدف من (المعنى) إذن ليس تيسير الفهم فحسب، وإنما سبك المعاني حتى يظهر جمالها وتفوق صائغها.

ويعتبر المؤلف المطلب البلاغي ألطف المطالب وأعلاها، إذ به تتم المفاضلة والتقديم، فيقول: "ثالثها[2]: وَشيُ حلل البيت بسلك المعاني، ثم بجواهر البيان ثم بيواقيت البديع، وهذا ألطف المطالب وأعلاها وأغلاها، إذ هو مضمار ما يقع به التفاضل، وينعقد بين الأماثل في شأنه التسابق و التناضل"[3].

---

[1] ـ المسلك السهل ص56

[2] ـ يقصد الخطوة الثالثة من خطوات الشرح.

[3] ـ المسلك السهل ص56.

ولهذا كله تكون الخطوة الثالثة محطَّ رحال الشارح والهدف الأسمى للشرح.

ونشرع الآن في تلمس هذه الحقيقة من الشرح مباشرة فنضع بين يدي القارئ نموذجا من النماذج الموفقة في سبك معاني الأبيات، نقتطفه من شرح البيت الثالث، وهو: "كان في البيتين[1] قبله في مقام الغيبة، فتضاعف وجده، إلى أن استغرق في أوصاف جمال محبوبه، وفني في مشاهدة حسنه، فصار حاضراً لديه، مخاطبا له، فهو يحاوره، ويطارحه بما قاساه من هواه، ويقول: يا أيها القمر الذي كان طالعا في فلك القرب، حاضرا في سماء القلب، أنظر إليه، ثم غاب عني، وتحجب بالبعد والفراق، فسلك لهجرانه سبيلا عرض فيه عاشقيه للتهلكة، إذ بغيبة سواده عن سوادهم تغيب أرواحهم عن أجسادهم، فتهلك نفوسهم، ويقوى بوسهم، ويعيل صبرهم، فإن الفراق، عذاب لا يطاق"[2].

وهكذا يرتفع الإفراني بمطلب المعنى عن المفهوم المتداول بين الشراح، وهو نثر البيت وإعادة ترتيب كلماته ترتيبا (معقولا) يُفرغها من جمالها الفني، ويجرهم إلى كثير من الحشو والفضول، فقد جعل "المعنى" تركيبا للجهد البلاغي في علاقته بالحالة النفسية، فنراه هنا يبحث عن الدوافع النفسية الكامنة وراء تغير اتجاه الكلام من "مقام الغيبة" إلى "مقام المشاهدة"، مستعينا بثقافته البلاغية في الالتفات، محاولا الاستغراق في النص ومشاركة ابن سهل في تجربته، فبقدر ما كان هذا الأخير "يستغرق في أوصاف محبوبه" و "يفنى في مشاهدة جماله"، كان الإفراني يستعيد التجربة ويستلذها في عملية نقد تأثري. وعندي أن الإفراني متأثر هنا بتجربة الغربة التي عبر عنها في أول المسلك، واعتبرها عائقا من عوائق التجويد في التأليف، تلك الغربة التي دامت عشر سنوات على الأقل. وهذه المعاناة والصدق جعلا الشارح ينظر إلى النص في وحدته، ويربط البيت بما قبله، وذلك نادر في الشروح التي تعتبر البيت وحدة مستقلة. وتقتضي هذه الطريقة في الشرح أول ما تقتضي، أن يكون

---

[1] ـ الأبيات المحال عليها هي:

هل درى ظبي الحِمى أن قد حمى	قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما	لعبت ريح الصبا بالقبس
يا بدورا أفلت يوم النوى	غررا تسلك في نهج الغرر

[2] ـ المسلك السهل ص184 ـ 185.

الشارح مبدعا، قادرا على إعادة الخلق، وهو ما برهن عنه الإفراني هنا، سواء في تصور اللحظة والتأثر بها أو في أسلوبه الذي رفع التجربة إلى أجواء السمو الصوفي، مستعملا كلمات من نوع المقام والاستغراق، والفناء، والحضور، والأرواح، والأجساد، والنفوس.

ولا غرابة في ذلك، فالإفراني واحد من كتاب العصر وخطبائه المرموقين. وتجويد الأسلوب سِمة غالبة على هذا المطلب الذي يشيع فيه المجاز وانتقاء الكلمات المتجانسة، والمزاوجة بين السجع والاسترسال.

وقد يكون "المعنى" عبارة عن تخريج صورة مجازية على نحو ما نقرأ في البيت الثاني: "المعنى أن قلبه بسبب حمية الحبيب له، وإيقاده به نار الصبابة، هو في حرارة واحتراق، وأنه يضطرب ويحترق، فالنار مستعرة بحركته، لأنه كالنافخ لها. فحالته في ذلك كحالة المقباس إذا صادفته ريح فهي تقلبه ذات اليمين وذات الشمال. فأخبر أن قلبه يكابد غصص أمرين: الحرارة والخفوق"[1].

فمن السهل التمييز بين الشقين المكونين لهذا "المعنى"، ففي الأول يحاول الشارح تحديد طرفي الصورة، والكشف عن العلاقة بينهما، وفي الثاني، الذي يبتدئ من قوله: "فأخبر.."، يلخصُ المعنى على طريقة أغلب الشراح الذين يهدفون إلى الإفهام لا إلى التذوق.

غير أن تذوق الصور الشعرية، وربطها بالحالة النفسية للشاعر لا يتحقق إلا في الأبيات التي تصور حالة نفسية، أما الأبيات التي لا تحتوي على أكثر من أوصاف مرصوفة فهي لا تستحق، في نظر الإفراني إلا أن يقال فيها كما قال المتنبي[2]:

أساميــاً لــم تــزده معرفــة   وإنمــا لــذة ذكرنــاهــا

وشأنها شأن الأبيات التي تقوم على أحكام عقلية جافة، كالبيت الثاني والعشرين الذي يُحتج فيه على خرق مبدأ قانوني:

---

[1] ـ المسلك السهل ص167.

[2] ـ نفسه 346.

ليـــت شعــــري أي شــــيء حرمــــا ذلك الـــورد علــــى المغتــــرس

إذ لم يزد في "المعنى" على قوله: "لما أبان في البيت قبله أنه الغارسُ للورد في رياض الوجنات، ومن غرس شيئا فهو له، عجب من كونه لا يجد سبيلا لقطف ما غرسه، ولم يدر السبب الموجب لهذا الإبعاد"[1]، واقتصر في (البيان) على الإحالة على ما سبق: "تقدم ما يتعلق بالورد والغرس وما فيها من المجاز"[2]، ثم استطرد بشرح (التوجيه). ومِثْلُ ذلك صنيعه في (المعاني).

بعد فهم البيت وتذوق جماله على نحو ما سبق في مطلب (المعنى)، يتجه المؤلف لاستخراج ما فيه من صور بلاغية على ضوء علوم البلاغة الثلاثة، فيذكر ما فيه من نكت ومحسنات بلاغية. وكان الأمر يتعلق بمستويين لقضية واحدة: المستوى الأول تذوق مباشر، يتلقى فيه الشارح التأثير مباشرة من النص على طريقة النقاد التأثريين، وكأنه أعزل من علوم البلاغة ومبادئ النقد. والمستوى الثاني محاولة تعليل ذلك التأثير بلاغيا، بذكر القاعدة التي تحكمه، والشواهد التي تؤيده. فلا يكاد يذكر المحسن حتى ينطلق إلى بسط القواعد البلاغية، وإيراد الشواهد الشعرية والنثرية مبتعداً هذه المرة عن النص سابحاً في أجواء البلاغة والشعر، وهذا جلي في مطلب (البديع) أكثر من غيره، بينما يجنح في مطلب (المعاني) إلى التحليل والإحالة على الذوق، حاثا على التأمل.

ويتجاذب الإفراني قطبان: الأول قطب المعاني، والثاني قطب البديع. أما البيان فإن عمله فيه عادي جدا. فهو يهتم في جانب المعاني بقيمة الكلمة في موقعها من التركيب فناقش دلالة أدوات العطف، والاستفهام، وأل، وأن، وإذا، والفرق بين صفة اسم الفاعل واسم المفعول، كما ناقش التقديم والتأخير، والإضافة والإظهار، والإضمار، والفرق بين الأزمنة، والتعريف و التنكير، والنداء، وصيغ الجمع، والاستئناف، والحال، ونكتاً بلاغية أخرى يستفيدها من الكتب التطبيقية كالكشاف للزمخشري.

---

[1] ـ المسلك السهل ص389.

[2] ـ نفسه 393

إلى جانب القيمة التي تكسبها الكلمة من موقعها في التركيب، يهتم المؤلف بالملابسات التاريخية والاجتماعية التي تكسب الكلمة إيحاءً خاصا، وتجعلها متقدمة على غيرها في موضعها، فكلمة "الصبا" في البيت الثاني تكسب قيمتها من ارتباطها باليُمن، واستدل لذلك بقول الرسول: "نُصرت بالصبا"[1]، ومن إرسال الشعراء لها، وانتشاقهم لأريجِ هبوبها لأنها غالبا ما تكون في الأسحار[2].

كما أن كلمة "الحمى" تميز الظبيَ الذي أضيف إليها فتجعله أحسن الظباء لما توفره له من نعومة العيش وهناء البال، ويؤيد ذلك قولهم: "آمن من ظبي الحرم"[3].

ويقف الشارح عند تعبير الشاعر: "بأبي أفديه.." فيرى أن استعمال الأب صان الكلام من الاستهجان الذي يلحق به من ذكر الأم، وقد كان عبد الملك بن مروان يستهجن ذكر النساء والطعام في مجالسه[4].

وانتبه الإفراني كذلك إلى ما تفقده التعابير المجازية من قوة إيحائها نتيجة كثرة الاستعمال حين تتحول دلالة الكلمات من المجاز لتصبح "حقائق عرفية"، نجد ذلك عند تعليقه عن الصور البيانية في البيت الأول:

هل درى ظبي الحِمى أن قد حمى   قلب صب حله عن مكنس

بقوله: "وهذه الألفاظ صارت عند الشعراء حقائق عرفية وإن كانت في الأصل مجازا"[5].

وينجذب الإفراني بقوة التقليد وذوق العصر نحو البديع كما سلف. ولا نجد في هذا المطلب تحليلا لقيمة المحسن في النص المشروح. إذ يكتفي المؤلف بذكر المحسن ثم ينطلق إلى شروح

---

[1] ـ المسلك السهل ص173.

[2] نفسه .

[3] نفسه 157.

[4] ـ نفسه 310.

[5] ـ نفسه 157.

البديعيات يستقي منها مادة غنية من شواهد الشعر والنثر، والتقنينات ذات الطابع التعليمي حتى لكأن الأمر يتعلق بدرس في البديع، وكأن المؤلف لا يثق في ثقافة القراء. وهذا ما يقرب هذا المطلب من شروح "البديعيات"، التي تنطلق من أمثلة مصنوعة في البيت المشروح لتفصيل القواعد البديعية، وكان مجموع المحسنات التي تعرض لها المؤلف في هذا الشرح حوالي سبعٍ وعشرين محسنا، منها ما تكرر الحديث عنه عدة مرات كالطباق والجناس والاقتباس. ونذكر هنا هذه المحسنات حسب ورودها أول مرة في المسلك السهل، وهي: الجناس، والمواساة، والتمثيل، والطباق، ومراعاة النظير، والجمع والتفريق، والتفسير، والإدماج، والمبالغة، والانسجام، والتكرار، وحسن البيان، و السهولة، والتعديد، والتورية، و الإرصاد، وحسن الاتباع، والتتميم، والتوجيه، والتنكيت، والتجريد، والاعتراض، وحسن الانتهاء. أدخل الإفراني ضمن البديع كلاما على التشبيه والتشبيه المركب[1].

وقد يجنح المؤلف إلى الاختصار في الحديث عن القواعد البديعية ويرتبط بالنص أكثر، ففي شرح البيت الثامن، اقتصر على مثال واحد في تعريف المحسن، ثم عاد إلى البيت يشرح موقع المحسن منه [2].، وهذا النحو قليل في مطلب "البديع".

* * *

[1] ـ المسلك السهل ص222.

[2] ـ نفسه 249.

نرى بعد هذا أن الإفراني جمع في شرحه بين اتجاهين طالما اعتبرا مختلفين أو متباينين وهما اتجاه "المعاني" واتجاه "البديع"، فتركيزه على التراكيب والعلاقة بين الكلمات والقيمة التي تكتسبها اللفظة من موقعها مما يرجع إلى علم المعاني الذي تحددت معالمه من خلال جهود عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) فيما سماه بالنظم. وأغنى الزمخشري هذه الجهود بتطبيقها على آيات القرآن في (الكشاف)[1] وهذا الكتاب هو، في تقديري، المدرسة التي تخرج منها الإفراني في القدرة على التمييز بين التراكيب وإدراك قيمتها. يقول في شرح البيت الثاني: "..فإن قلت: ما وجه العدول للإتيان بالظروف في قوله: فهو في حر وخفق؟ وهلا قال: حار وخافق؟ قلت: وجهه مراعاة الأبلغية، ولا خفاء أن قولك: فلان في حزن أبلغ من حازن، وفي سرور، أبلغ من مسرور، وسبَبُها واضح، فتأمل. وهذه لطيفة استفدتها من الكشاف في غير ما موضع"[2].

ولم يذكر الإفراني كتاب الكشاف من بين مصادره في أول المسلك السهل، وإن أحال عليه أثناء الشرح. وسبب ذلك، فيما نرى، أنه لم ينقل منه نصوصا. على أن اهتمام الإفراني بالزمخشري يظهر من تلخيص أخباره في تقييد سماه: طلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري، عدا حديثه عنه في المسلك السهل. وفي أزهار الرياض من الأخبار والشعر وما يبرز اهتمام المغاربة وغيرهم بالجانب البلاغي من كتاب الكشاف، برغم ازورارهم عن آراء الزمخشري الاعتزالية[3].

أما المصدر الذي استفاد الإفراني منه في الاهتمام بقيمة الكلمة فهو شرح البردة للأليوري. وهو من مصادره المسطرة في أول الكتاب، فهذا الشارح يهتم اهتماما ملحوظا بقيمة الكلمة في موقعها على نحو ما نورده هنا في شرحه للبيت الأول:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

---

[1] ـ البلاغة تطور وتاريخ 219 وما بعدها.

[2] ـ المسلك السهل ص174.

[3] ـ أزهار الرياض 3/282-325.

قال: استعمل لفظ "جيران، ولم يقل لفظ أحباب، والوزن يساعده، فراراً من اللفظ المبتذل، لأن الأحباب لفظ مبتذل، لا يستعمله إلا ضعفة الشعراء. والقوي العارضة منهم، يجتنب الألفاظ المبتذلة، ويتحامى مَا يكثر ترداده على ألسنة العامة من الألفاظ"[1].

ويهتم الأليوري، مثل الإفراني، بالجانب النفسي، يحاول إبرازه من خلال تعابير الشاعر[2]، كما يهتم بالقيمة الموسيقية للكلمة أو التركيب، وفي هذا يرى أن "ذي سلم" في البيت اختيرت للمحافظة على الترصيع الذي يزيد به النظم حُسناً، زيادة على ما فيها من كناية[3].

وهذان المصدران، أي كتاب الكشاف وشرح البردة للأليوري، وربما غيرهما، ساعدا الإفراني على الإفلات من سيطرة التيار البديعي في عصره، وأقاما توازنا بين المعاني والبديع في كتابه، بل إن أصالة الإفراني في هذا الشرح ظاهرة في جانب المعاني أكثر منها في البديع، بينما كان عمله في البيان يسيرا ومكملا للمعنى والمعاني كما سبق.

واعتمد الإفراني فيما أورده من تعريفات علم البديع وشواهده على مصدرين أساسين، هما خزانة الأدب لابن حجة، وهو شرح لبديعية من نظم المؤلف. وأنوار التجلي لعبيد الثعالبي، وهو شرح لبديعية صفي الدين الحلي. وضعهما الإفراني على رأس مصادره في البديع فقال في الأول: "بديعية ابن حجة وشرحها له، وما رأيت مثل شرحها في الأدب"، وقال في الثاني: "بديعية الصفي الحلي، وشرحها للثعالبي في مجلدة، وهو شرح حفيل".

وكانت البديعيات غاية ما انتهى إليه الاهتمام بالبديع. ظهرت في النصف الأول من القرن السابع من الهجرة، إذ يعتبر الإربلي المتوفى سنة 670هـ أول من نظم قصيدة حَرص على إيداع كل منها محسنا بديعيا. ثم نظم صفي الدين الحلي المتوفى سنة 750هـ مدحية نبوية ضمنها عدداً وافراً من المحسنات البديعية، واشتهرت لسلاستها وعذوبة ألفاظها. ومن أهم شروحها أنوار التجلي على ما

---

[1] ـ شرح البردة مخطوطة خ. ع. برقم 530 ج، ص 7.

[2] ـ المصدر السابق 7.

[3] ـ المصدر السابق 8.

تضمنته بديعية الحلي لعُبيد الثعالبي، وهو في جزأين، وما يزال مخطوطا. كما نظم ابن جابر الأندلسي المتوفى سنة 750هـ بديعية، شرحها رفيقه أبو جعفر الرعيني. وقد تردد ذكرها في المسلك السهل. "غير أن بديعيته لم تظفر بالشهرة كما ظفرت بديعية ابن حجة الحموي المتوفى سنة 837هـ، وقد جعلها في مائة واثنين وأربعين بيتا"[1]. وعليها أقام شرحه خزانة الأدب المذكور، وحشد فيه من شواهد الشعر والنثر ما جعله خزانة أدب بحق. واعتمد الإفراني على هذا الشرح في المقام الأول، كما تقدم، فأخذ منه أغلب مادته في قواعد البديع وشواهده، وتبنى آراء ابن حجة في قضايا أدبية مثل الإعجاب بالمبالغة والتورية، وحملَ مثله على تشدُّد الصلاح الصفدي في محاسبة الشعراء وتتبع معانيهم بالنقد، وإغارته على معاني غيره.

واستمرت سيطرة البديع على الأدب والبلاغة طوال العصور التالية لعصر ابن حجة. فنظم فيه جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، وعائشة البعونية (ت922هـ)، وصدر الدين بن معصوم الحسيني(ت1117هـ)، وعبد المغني النابلسي(-1143هـ). وهذان الأخيران معاصران للإفراني[2]. فكان من الطبيعي أن يتأثر الإفراني بهذه الثقافة التي تعتبر زينةَ العصر، ويبحث لها عن مكان في الكتاب. وكان النص المشروح مُسعفا، فخرج مطلب البديع شبيها بشرح بديعية من سبعة وعشرين محسنـــا.

وقد أشرنا في مناسبة سابقة إلى تداخل مباحث علوم البلاغة أحيانا عند الإفراني، من ذلك حديثه عن التشبيه، والتشبيه المركب في البديع والبيان في الوقت نفسه. ويرجع ذلك فيما نرى إلى أن اتساع البحث في البديع جعله يبتلع بعض المباحث التي اعتبرت من علم المعاني، ومن ذلك الإطناب والتكرار والتفصيل والتذييل والاستقصاء والإيجاز والبسط[3]. وهكذا تضخم البديع "ليشمل الصور

---

[1] ـ البلاغة تطور وتاريخ 362.

[2] ـ المرجع السابق 363 – 366. انظر كذلك تظهور البديعيات وتطورها في كتاب علم البديع 46 – 64 لعبد العزيز عتيق.واستمر البديعيون في نظم البديعيات وشرحها إلى العقود الأولى من القرن العشرين ومنهم محمود صفوت الساعاتي (1298هـ) والشيخ طاهر الجزائري (ت1341/1922).

[3] ـ البلاغة تطور وتاريخ 359.

البيانية، وكثيرا من صور علم المعاني"[1].

أما البيان فكان قد انكمش في تلخيصات المفتاح للسكاكي وشروحها، وأهمها المطول لسعد الدين التفتازاني الذي يعتبر من أهم مراجع الإفراني ومعاصريه. ولم يكن علم المعاني بموضوعاته المحدودة على أهميتها، ميدانا مسعفا لبسط القواعد وجلب الشواهد.

* * *

وينطلق الإفراني في شرحه لهذا الموشح من الإعجاب به، فيهتم بإظهار جماله، وتعليل ذلك الجمال. غير أن هذا لم يدفعه إلى التنويه بما لا يستحق التنويه من كلام ابن سهل، ولا إلى غض الطرف عما بدا له من مآخذ. فأخذ عن ابن سهل بعض تعابيرِه، فرد عليه استعمال الواو في قوله: "وفؤادي" مرجحا عليها الفاء لإيذانها بالسببية، كما رجحها بعض أصحابه. فقال الإفراني: "المعاني: عبر بالواو في قوله: "وفؤادي". وقال بعض أصحابنا: إن التعبير بالفاء أحسنُ. وهو ظاهر لما فيها من الترتب على ما قبلها، أي فبسبب سكر جفونه وعربدته لا ينتبه فؤادي من رقدة سكره، وأما الواو فلا تخلُص في هذا المحل من قلق"[2].

وقدم الإفراني عبارةَ ابن الخطيب: "جال في النفس" على عبارة ابن سهل: "حل من نفسي"، فقال: "وعندي أن تعبير لسان الدين بن الخطيب في معارضته السالفة بالمجال ألطف من تعبير ابن سهل بالمحل، وإن كان لسان الدين أخذ منه"[3].

على أن عدم احتفال الإفراني ببعض أبيات الموشح والاقتصار في شرحها على ما سبق، أو اعتبارها "أساميا لم تزده معرفة" على نحو ما سبق، يعتبر، في حد ذاته، مأخذا عاما مهذبا.

---

[1] ـ البلاغة تطور وتاريخ 366.

[2] ـ المسلك السهل ص333.

[3] نفسه 303.

ونرى، في الختام، أن موازنة الإفراني بين المعاني والبيان، من جهة، والبديع، من جهة أخرى، جدير بأن يثير الشك حول نظرية ابن خلدون في أن المغاربة أميل إلى البديع لسهولته على حساب البيان والمعاني الدقيقي المطلب والصعبي المأخذ[1]، كما يقلل من أهميته استثمار الدكتور بدوي طبانة لهذه النظرية لتجريد المغاربة من القدرة على الابتكار، والاكتفاء بالنقل عن المشارقة[2].

[1] ـ مقدمة ابن خلدون

[2] ـ البيان العربي 137 - 138.

ج ـ تحقيق الكتاب

المخطوطات المعتمدة

لقي كتاب المسلك السهل قبولا لدى الأدباء المغاربة جعل عدد النسخ المخطوطة منه تعد بالعشرات (عدا الطبعة الحجرية التي صدرت بفاس). يوجد بالمكتبتين الملكية والعامة بالرباط وحدهما ثلاث وعشرون نسخة. بعد المقارنة بين هذه النسخ تبين أن أحسنها وأصحها هي نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم 1761، تليها نسخة أخرى في الخزانة نفسها برقم 9918، وتليها نسخة الخزانة العامة رقم 171 ج. فاعتبرنا أن النسخة الأولى الأصل الأول المعتمد في التحقيق، والنسخة الثانية أصلا ثانيا مكملا للأولى، واعتبرنا نسخة الخزانة العامة نسخة مساعدة. ورمزنا للأصل الأول بكلمة (الأصل)، وللأصل الثاني بحرف (ب)، وللنسخة الثالثة المساعدة بحرف (ج).

1 ـ نسخة الأصل.

عدد أوراق هذه المخطوطة مائة وعشر ورقات. في كل صفحة منها اثنان وعشرون سطرا. وهي بخط مغربي معتاد جميل، يسير على وثيرة واحدة من أول الكتاب إلى آخره. ويستدرك الناسخ ما فاته من كلمات أو عبارات في الحواشي مع حرف (ط)، ويكتب الكلمات غير الواضحة في المتن مع إشارة التصحيح "صح". كما استدرك في الورقة 77 ظ سهوا حين انتقل من مطلب "المعنى" في البيت الثالث عشر إلى البيت الرابع عشر، ثم عاد فشطب ذلك وكتب "المعنى".

وفي أول الورقة 25 ظ بياض استدرك المؤلف فيه بعض ما فاته حين تبييض الكتاب.

وعادة الناسخ أن يكتب أبيات الشعر في سطر مستقل إلا في حالات قليلة. ويكتب أبيات الموشح بالأحمر وكذا بعض العناوين.

وتوجد في أول هذه المخطوطة لائحة بمصادر التأليف بخط المؤلف. كما توجد بين البسملة والحمد في أول الكتاب العبارة التالية: "يقول العبد الحقير، المخطئ الفقير، المرتجي عفو مولاه محمد

الملقب بالصغير، بن محمد بن عبد الله الإفراني نجاراً، المراكشي داراً، تاب الله عليه، ووجه قلبه إليه". ونعتقد أنها (أي العبارة) من خط المؤلف، أو خط صاحبه محمد صالح الشرقي صاحب هذه المخطوطة. كما يوجد خط المؤلِّف بطرة الكتاب في أوله وآخره، ففي الورقة 2 ظ يعلق على عبارته: "وحقيقة تزري بشقائق ابن الشقيقة" بقوله: "ط ابن الشقيقة هو النعمان بن المنذر ". وفي طرة الورقة 4 ط تعليق على قول الشاعر:

خرجنا على أن المقام ثلاثةٌ فطاب لنا حتى أقمنا به شهرا

بقوله: "ط هذا البيت رأيته في منطق الطير غير معزو، ثم وقفت عليه في مقطعة ذكرها الشريشي الكبير، ونسبها للحسن، ولعله ابن هاني، إلا أنه قال: حتى أقمنا بها عشرا". وفي طرة الورقة 5 و بقايا كلامٍ من خط المؤلف نستعين في نقله هنا بالنسخة (ب) وهو يتعلق بنسبة بيتين في المتن جاء فيه: "البيتان لأبي روح الجزيري، إلا أنه قال أحنُّ إلى الخضراء، يعني جزيرة الأندلس". وفي طرة الورقة 8 و، تعليق على رأي أحد مشايخه في المتن جاء فيه: "ط هذا الذي قاله هذا الشيخ هو الذي كنت أقول به ولم أزل، قا...".

وفي الورقة الأخيرة من هذه النسخة في الزاوية اليمنى السفلى كتب المؤلف بخطه: "كان فراغي من تبييضه أوائل رجب من عام ثمانية وعشرين ومائة وألف بالمدرسة الرشيدية من مدينة فاس، قاله مؤلفه محمد....".

وقد أثبتنا هذه التعليقات في حواشي المسلك السهل حيث التحقيق، وهي تدل على أن المؤلف راجع هذه المخطوطة كلها أو بعضها، أو قرئت عليه، أو استشير في بعض قضاياها فعلق عليها بخطه.

وناسخ هذه المخطوطة من أصحاب الإفراني نسخها من مبيضة المؤلف، لقوله في آخرها: "وكان الفراغ منه من مبيضة جامعه ومؤلفه صاحبنا الفقيه النبيه السيد الصغير المراكشي حفظه الله ورعاه في النصف من رجب المبارك عام ثمانية وعشرين ومائة وألف....".

ويدل انتهاء الناسخ من النسخ في أقل من خمسة عشر يوما على أنه ربما كان يساير المؤلف في نسخ الكتاب فصلا فصلا، ويستعين به على ما يجده من صعوبات، ولا يبعد أن يكون هو الآخر من طلبة المدرسة الرشيدية التي أنهى فيها الإفراني تأليف المسلك السهل.

وكانت هذه النسخة في ملك محمد صالح الشرقي، ثم آلت إلى ابنه المعطي، ولا يبعد أن يكون هو ناسخها، ففي الزاوية اليمنى العليا من الورقة 1و منها العبارة التالية: "عارية من عواري الدهر بيد (....) وكاتبه (.......) بخط يده الفانية محمد المدعو بالصالح بن محمد الملقب بالمعطي الشرقي التادلي العمري الفاروقي، عفا الله عنه"[1]. وفي المكان نفسه من الورقة 2 و "..المعطي بن الصالح بن محمد (.....) بن محمد الشرقي (.....) نسبا التادلي داراً (.....) تاب الله عليه، وعامله (.....) خير هو لديه هـ "[2].

ولكل المزايا السابقة اعتبرنا هذه النسخة الأصلَ الأولَ المعتمد في تحقيق الكتاب. وهي تكاد تغني عن غيرها لولا أن الأرضة عبثت بأطرافها فأتلفت كلمات وحروفا كثيرة، وما زالت تعيث فيها فساداً كما فقدت منها الورقة 40 ظ فاقتضى الأمر أن نبحث عن نسخة مكملة لهذه النسخة، فاخترنا مخطوطة الخزانة الملكية رقم 9918.

2 ـ مخطوطة الخزانة الملكية رقم 9918:(ب).

وهي مخطوطة عارية من تاريخ النسخ. عدد أوراقها مائة وورقتان، في كل صفحة منها واحد وعشرون سطراً. وهي بخط مغربي معتاد واضح. وصفحاتها مؤطرة بخطين أزرقين يحيط بهما خط أحمر. يميز كاتبُها بين النثر والشعر في الكتابة. كما يبرز الأبيات والعناوين بالألوان. وهو ناسخ متمرس، أمين، لا يتدخل في تغيير ما غمض عليه. وليس على هذه المخطوطة خطوط أخرى غير خط الناسخ، وهي كاملة وسليمة. نقل صاحبها بعض تعليقات الإفراني التي كتبها بخطه في أول نسخة (الأصل) مع النص حينا على أنها "من خط المؤلف". ونعتقد أنها نسخت من (الأصل)

---

[1] ـ مابين قوسين أكل، أرضة.

[2] ـ ما بين قوسين أكل أرضة.

مباشرة قبل أن تعبث به الأرضة، وذلك يجعلها أقدم النسخ بعد (الأصل) بقطع النظر عن تاريخ نسخها، كما يجعلها أحسنَ مكمّل لهُ. فاعتبرناها لذلك أصلا ثانيا ورمزنا إليها بحرف (ب).

ولكثرة ما استدركناه منها من خروم في (الأصل) اكتفينا بحصر ما نقل منها بين معقوفين بدون إحالة. أما حين يكون التكميل من غيرها فإننا نحصرهُ بين معقوفين ونحيل على الأصل المنقول منه.

3 ـ مخطوطة الخزانة العامة رقم 171 ج:(ج).

وإذا كانت المخطوطتان السابقتان تفصحان عن نفسيهما لمزاياهما الظاهرة، فإن اختيار النسخة الثالثة كلفني مقارنات مضنية بين النسخ الثلاث والعشرين.

عدد أوراق هذه النسخة مائة وثماني وعشرون ورقة، في كل صفحة منها ثمانية عشر سطرا. وهي بخط مغربي معتاد جميل وواضح. وصفحاتها مؤطرة بخطين أزرقين. انتهى منها الناسخ سنة 1265هـ، وقد كتب العناوين والتنبيهات بالأزرق. وليس عليها شيء من التعاليق المنقولة من خط الإفراني، فنعتقد أنها منقولة عن أصل آخر. وفيها بترُ حوالي ستّ عشرة صفحة، يبتدئ من الصفحة السابعة والعشرين، ذهب بآخر السمط الأول من المقدمة، وحوالي صفحتين من أول السمط الثاني منها. وميزة هذه النسخة في سلامتها سلامة تامة من أخطاء النسخ المستفحلة في النسخ الأخرى، بل تتعدى ذلك لاقتراح حلولٍ لبعض الإشكالات الموجودة في الأصل، فيظهر أن صاحبها محمد الغماري الزجلي، الذي نسخها بخط يده لنفسه، كان عالما أديبا مُطلعاً على قضايا الشعر، ملما بالعروض، ولذلك اخترناها نسخة ثالثة مساعدة في التحقيق، ورمزنا إليها بحرف (ج)، كما تقدم.

ولم نتردد في الاستعانة بباقي المخطوطات كلما دعت الضرورة لذلك، غير أن قصارى ما استفدناه منها هو تسهيل قراءة بعض الكلمات الملتبسة في (الأصل). وأحسن النسخ بعد المخطوطات الثلاث السابقة هي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 1692 ك، وهي منقولة لاشك عن نسخة (الأصل)، ففيها تلك البداية التي امتاز بها الأصل و(ب) وهي قول الإفراني:" يقول العبد الحقير..". ونقل ناسخها بعضَ تعليقات الإفراني على نسخة (الأصل) ونص على أنها من خط المؤلف.

أما مطبوعة الكتاب، فقد طبعت بمطبعة البادسي بفاس سنة 1324 هـ طبعة حجرية على نفقة محمد بن القاسم البادسي، وتصحيح الفقيه أحمد بن العباس كما هو مبين في آخر هذه الطبعة. وعدد صفحات المطبوع مئتان. وليس فيه ما يمتاز به عن سائر المخطوطات، ولا يسمو بحال إلى كمال (الأصل) المخطوط المعتمد عندنا. وقد نظرنا في النسخة المطبوعة مرارا فلم نجد فيها ما يشفي الغليل في بعض الإشكالات التي استعصت على نسخ المخطوطة المعتمدة عندنا. وهي إلى ذلك مليئة بأغلاط الطبع.

والواقع أن المصادر التي نقل عنها الإفراني شواهد الشعر ونصوص الأخبار كانت الأصل الثالث الذي اعتمدنا عليه في التحقيق بعد نسخة (الأصل) والنسخة (ب)، فهي وحدها التي أسعفتنا في الوصول إلى حلول لكثير من الإشكالات الناتجة عن أخطاء النسخ في نسخة (الأصل) ونسخة (ب) حينا، وعن تصرف الإفراني في بعض النصوص حينا آخر.

وإلى جانب ما تقدم كانت قراءتي المستمرة والدائمة لمؤلفات الإفراني الأخرى، والتمرس بأسلوبه، وكذا التعمق في ثقافة العصر من جملة ما ساعدني على فهم الكتاب وحل إشكالات النسخ فيه.

طريقتنا في تحقيق الكتاب

انصب عملنا في المرحلة الأولى على استخراج نسخة قريبة من نص الكتاب كما وضعه مؤلفه اعتماداً على المقارنة بين المخطوطات. ثم اتجهنا بعد ذلك إلى تخريج نصوص الشعر والنثر التي نقلها المؤلف من مصادر مختلفة ومتنوعة جدا اعتماداً على فهارس أولية لمادة الكتاب.

ثم سارت عملية التحقيق في خطوات وئيدة (أكثر من خمس سنوات موصولة) لتحقيق المطالب التالية:

1 ـ نسبنا النصوص المنقولة في المسلك السهل إلى مصادرها، لاسيما نصوص الأدب واللغة والبلاغة إلا ما ندَر، مع حصر ما نقله الإفراني منها بالنص بين أقواس مزدوجة، و الإشارة إلى الفروق التي توجه المعنى. وبالاستعانة بالمصادر الأصلية للنصوص المنقولة، وبمخطوطات المسلك السهل الأخرى، أمكن تصحيح الأخطاء الناتجة عن النسخ[1]، وتصحيح بعض الأسماء التي وقع فيها تحريف في المسلك السهل وفي بعض المصادر التي نقل عنها كذلك[2]، وكذا أسماء بعض الكتب[3].

2 ـ ذكرنا في الحاشية تتمة بعض النصوص المنقولة في المسلك السهل وبينا ما وقع في بعضها من تحريف أدى إلى تغيير المعنى، وذلك حتى يسهل على القارئ فهمها في سياقها الأصلي ويرتفع عنها اللبس[4].

3 ـ أضفنا إلى متن الكتاب كلمات وعبارات يسيرة حذفها الإفراني من النصوص التي نقلها، وكان حذفها مخلا بالمعنى، الأمر الذي ساهم في حل كثير من الإشكالات المتبقية بعد النسخ والمقابلة[5] .

4 ـ رأينا في الكتاب أبياتا من الشعر مضطربة الوزن فاجتهدنا لتقويمها بالاستعانة بمصادرها الأصلية في دواوين الشعراء أو كتب الأدب، أو بالنظر إلى ما في النسخ الأخرى، وقد امتازت النسخة (ج) بتقديم حلول لبعض هذه الإشكالات[6].

---

[1] ـ انظر مثالا لذلك في الصفحة 323 الحاشية 3 والصفحة 135 الحاشية4. والصفحة 136 الحاشية1.

[2] ـ انظر أمثلة لذلك في الصفحة 236 الحاشية1، والصفحة 324 الحاشية 3، والصفحة 328 الحاشية 1، والصفحة 417 الحاشية3 والصفحة 423 الحاشية 5..الخ.

[3] ـ على نمط ما في الصفحة87 الحاشية 8.

[4] ـ انظر مثال ذلك في الصفحة 88 الحاشية 2، والصفحة 163 الحاشية 2 ، والصفحة 264 الحاشية 1، 2،3. والصفحة 116 الحاشية 1، والصفحة 415 الحاشية1.

[5] ـ من ذلك إسقاط عجز بيت من الشعر وصدر الذي يليه، وتكوين بيت كامل من صدر الأول وعجز الثاني في الصفحة83 الحاشية 4، والصفحة 115 الحاشية 2 وَ 4.

[6] ـ انظر مثالا لذلك في الصفحة 353 الحاشية 2، والصفحة 185 الحاشية1.

5 ـ صححنا نسبة بعض الأبيات الشعرية التي وهِم الإفراني في نسبتها[1]. ونسبنا بعض ما لم ينسبه منها.

6 ـ شرحنا بعض الألفاظ الغريبة في الشواهد التي أوردها الإفراني، مع تجنب إثقال الحواشي. وقد رجعنا في ذلك إلى القاموس المحيط للفيروزابادي، وهو مصدر الإفراني الأول في اللغة، والصحاح للجوهري، والأساس للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي وغيرها. كما رجعنا إلى المعاجم الخاصة، مثل الروض المعطار ومعجم البلدان ومعجم دوزي، مع إثبات المعجم المعتمد في الحاشية في غالب الأحيان.

7 ـ شرحنا بعض النكت البلاغية التي قد تستغلق على بعض القراء، كـَ (التوجيه) بأسماء الكتب ومصطلحات العلوم. ولشيوع هذه الظاهرة البلاغية في الكتاب اقتصرنا على شرح المستغلق منها ليكون وسيلة لفهم ما دونه.

8 ـ عرّفنا بحوالي مائة علم من أعلام الأدب من عصور مختلفة، وصححنا ما وقع في أسماء بعضهم من تحريف على نحو ما سبق[2]، مع الاهتمام بالمغاربة والأندلسيين وأهل العصور المتأخرة، وذلك لما لهم من مساهمة في الثقافة التي يمثلها المسلك السهل، مع تحاشي التفاصيل غير المفيدة، وأشرنا إلى أهم مصادر ترجمتهم.

9 ـ عرفنا ببعض الكتب والمؤلفات التي لها صيت ومكانة في عصر المؤلف وتردد ذكرها في المسلك السهل، لاسيما ما ليس مطبوعا أو متداولا منها.

10 ـ ضبطنا بالشكل آيات القرآن والأحاديث النبوية ونصوص الشعر وأواسط بعض الكلمات وأواخرها.

---

[1] ـ انظر الصفحة 399 الحاشية 3 وَ 4 الصفحة 319 الحاشية 1 وَ 3.

[2] ـ انظر الصفحة 136 ح: 2،3 ، 4 ، 5 وَ ص137 ح 1، والصفحة 196ح4. والصفحة197 ح5 و 358ح3.

هذه نظرة موجزة عن عملنا في التحقيق، هدفنا منها إلى تصحيح النص وتقريبه من الصورة التي أخرجه عليها المؤلف أو تمناها له، مع تصحيح ما فاته أو التبس عليه. والكمال لله وحده.

مقدمة الشارح

التعريف بالوشّاح والمُوشحات

باسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

يقول العبد الحقيرُ، المخطئُ الفقيرُ، المرتجي عفوَ مولاهُ، محمدٌ الملقبُ بالصغير ابنُ محمدِ بنِ عبد الله الإفرانيُّ نجاراً، المراكشيُّ داراً، تاب الله عليه، ووجه قلبَهُ إليه:

الحمد لله الذي وشَّح جيدَ أهلِ الأدبِ بعقود البيان التي [هي] على الشرف عنوانٌ، وسرَّح عيون أفكارهم في حدائقِ كلامِ العربِ فقطفوا أزهارَ المعاني من أكْمامِ الألفاظِ "صِنْوانٌ وغيْرُ صِنْوانٍ"[1]، وتَوَّجَ مفارقَهم بإكليلِ التبيانِ، وحلَّى لبَّاتِهم في المقاماتِ بعِقيانِ القلائدِ، وقلائدِ العِقيانِ[2]، وأطلعَ في سماءِ عقولِهم من مُلَحِ البديعِ شُموسَها، وراضَ لهم جموحَ التراكيبِ، فذلَّلَ من لطائفِ الأساليبِ شَموسَها، فسَبَحوا في بَحْرَيِ المديحِ والهجاءِ بأجملِ إشارةٍ وأكملِ احتجاجٍ، فـ "هذا عَذْبٌ فراتٌ سائِغٌ شَرَابُهُ، وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ"[3]. وتَلَفَّعُوا بثوبِ الافتنانِ في فنونِ الأغراضِ، ورَمَوا بسهمِ الإصابةِ مُستهدَفَ الأغراضِ[4]، وغاصوا في قاموسِ اللغةِ[5] على صِحاحِ الجَوهَرِ[6]، واقْتَعَدُوا سفينةَ الغَزلِ في تيارِ المعاني

---

[1] – اقتباس من الآية: " وَفي الأرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وَزَرْعٍ وَنَخيلٍ صِنْوانٌ وغَيْرُ صِنْوانٍ تُسقَى بِماءٍ واحِدٍ".) سورة الرعد 4/13).

[2] – يشير إلى كتاب قلائدِ العِقيانِ للفتح بن خاقان، وهو من الكتب التي راجت في هذا العصر.

[3] –اقتباس من الآية: "ومَا يَسْتَوِي الْبَحْرانِ، هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ". سورة فاطر 12/35.

[4] – الأغراض الأولى يريد بها أغراض الشعر، والثانية الأهداف يُرمى فيها، مفردها غَرَض.

[5] – يشير إلى معجم القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزبادي، والقاموس في أصل اللغة هو البحر، ولهذا قال: "غاصوا".

[6] – إشارة إلى معجم صحاحِ اللغة وجواهرِ العربية للجوهري.

فَغَنِموا كلَّ معنى أزْهر[1]، وتلوَّنوا في حُلَلِ الكلام تلونَ الحِربا، وتخيَّروا من بدائع المحسناتِ كلَّ مقْصَدٍ سَما وأرْبَى، فمِن مَجاز للفصاحة مَجاز، وحقيقةٍ تُزري بشقائقِ ابن الشقيقة[2]، وإيجاز تقلَّد بدلائل الإعجاز[3]، وتشبيهٍ بلا شَبيه، وتقسيمٍ وسيم، وتلميح مليح، وغُلُو في غاية العُلو، وجناسٍ موصولٍ بالإيناس، وتمثيلٍ بلا مثيل، وإبهامٍ يحيِّر الأ[فهـا]م، و[تفـ]ـريقٍ في الحسن عَريق، وحُسن خِتام، كشف عن وجوهِ البدائعِ اللِّثام، فسُبحان من آتاهم الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب[4]، وجعلَ ألسنتَهم لِزَبد البلاغة أحسنَ وِطابْ، وحسَّن بهم خمائلَ القَريض، فكأنهم في فَم الأشعار ابتسام. وخص كلمتهم برُقْية النفوس، فلو رَقَوا بها مريضا ما طَرق ساحتَه السَّام، وأدارَ عليهم راح المُلَح، في حان الخَلاعة فأصبحوا حَيَارى، "وتَرَى النَّاسَ سُكارى ومَا هم بِسُكَارى"[5]؛

هُمُ الْقَومُ فَاْجْهَدْ في اتِّبَاعِ سَبِيلِهِمْ ... وإنْ لَمْ تَكُنْ شِبْهاً لَهُمْ فَتَشَبَّهِ

اللهُم كما رفعتهم من سماءِ الشرف مكانا عَليا، وألبستَهم من بُرودِ السعد والقَبول حُليا، فاجعلنا من التابعين لهم بإحسان، المتمسكين بما كان لجَموحِ المعاني في أيديهم من مُحكَم الأرْسان، بِجاهِ مَن إذا خُتِم الدعاءُ بالصلاةِ عليه أسرعتَ بالإجابة، مولانا محمد بنِ عبد الله، الذي ظَهرتْ على أسِرَّة وجهه، وهو في المَهد، مَخاييل النجابة، أفضَلِ الأنبياء والأملاك، فغيرُهم أولى وأحرى، القائلُ، "ومَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى"[6]: "إنَّ مِنَ الْبَيَانِ

---

[1] – قد يكون هذا إيماءةً من المؤلفِ إلى أبي منصور الأزهري صاحب معجم تهذيب اللغة.

[2] – في حاشية الأصل، بخط المؤلف:"ابن الشقيقة هو النعمان بن المنذر".

[3] – دلائل الإعجاز هي علاماته يشير إلى كتاب عبد القاهر الجرجلني: دلائل الإعجاز.

[4] – اقتباس من الآية "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطابِ" (سورة صاد 20/38).

[5] – سورة الحج 2/22.

[6] ـ اقتباس من الآية: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهوَى". (سورة النجم 3/53).

لَسِحْرا[1]"، والآخِذُ من البراعةِ بالتَّرائب، حين أخذ الناس بالعَراقيب والأعْضاد، الناطقُ بجوامِعِ الكلِمِ، ولا غروَ فهو أفصحُ من نطقَ بالضاد. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِه الذين هم براعةُ استهلالِ هذه الشريعة، المعتنون[2] بنقد جواهر كلامِ العرب في الجِد والهزلِ، مع عظيمِ حِرصِهم على سدِّ الذَّريعةِ، والرضا عن كل من كَمُلَ نوعُ إنسانيتِه بخاصَّة الأدب، ففُضِّل بها عن أبناء جنسه، وبذَل في افتضاضِ أبكارِ القصائدِ وعرائسِ مُخدَّراتِ الأراجيزِ حشاشةَ نفسه، علماً منه بأن الأدبَ به تتفاوتُ المقاماتُ [في المشاهدِ]، ويستحقُّ الغائبُ التقدمَ على الشاهد. ولعمري إن كل من لا يتعاطى الأدب، ولا ينسُلُ لاجتلاءِ غُرَرِهِ، واجتلابِ دُرره من كل حَدَب، ما هو إلا صورةٌ ممثَّلة، أو بهيمةٌ مُرسلَة.

ولما كان توشيحُ إبراهيم بن سهل رَيْحانَةَ كل من له إلى الأدب انتساب، ونَخ[يرة] أهلِ الجزيرةِ التي هي من أجلِّ الذخائرِ وأفضلِ الاكتساب، فقد أ[جمعتْ] كلمةُ أربابِ البلاغةِ، واتفقَ رأيُ مَن نهضَ لتصفية إبريز المعاني من الصَّاغة، على أنه عَنْقاءُ مَغرب، الذي لا يُؤْتى بسورة من مثله في مَشرق ولا في مَغرب،

وَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقُ وَغَرَّبَ حتىَّ لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ

فلو تصدَّى لمعارضتِه النابغة، لأقرَّ بإعجاز محاسنِه السا[بغة]،أو أَلْحَدَ في آياتِه شاعرُ بني أسد[3]، لشدَّ لسانَه بحبلٍ من مَسد[4] ولو بصُر به حبيبُ بن أوس، لم يمكنْه للمناضلةِ إنضاءُ قوس، أو المتنبي، كانت معجزتُه مقرونةَ بالتَّحدي، أو أبو العلاء، أقرَّ على نفسِه

---

[1] ـ الموطأ 698 وفيه: "قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله(ص): "إنَّ مِنَ الْبَيانِ لَسِحْرا" أو قال: "إنَّ بَعْضَ البَيَانِ لَسِحْرٌ"، (انظرمجمع الأمثال وزهر الآداب.6/1).

[2] – في الأصل: "المعتنين"، ولم نر له وجها، إلا أن يكون وصفا لِـ "آله وأصحابه".

[3] – شاعر بني أسد هو: عبيد بن الأبرص الأسدي وهو من قدامى الجاهليين.

[4] – اقتباس من الآية "وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ" (المسد 5/111).

بما لم تستطعْه الأوائلُ بالتّعدّي[1]، أو ابنُ بسام، لما سامَ في مِضمار المساجلةِ سلَّ حسامُ. فيا لهُ من توشيح ردَّ عيونَ أعيانِ هذه الصّناعة من الحياء مُطرقة، تاليةً آياتِه على من قاسَها بامرئِ القيس، "فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ[2]". وفيه و فيه، مما لا أعدُّه ولا استوفيه.

طلبَ منّي بعضُ من اتخذَ تردادَه وِرْدا، وارتوى من زلالِ معانيهِ المُترقرقةِ على صفا ألفاظِه وِرْدا، وجعلَه في ساعةِ الفرحِ، تميمةً من التّرحِ، أن أكتبَ عليهِ ما يوضّح غامضَ مَعانيه، ويأخذُ بمجامعِ قلبِ مُعانيه، ويُسفرُ عن وُجوه لطائفِه مُسدلَ الحِجاب، ويُديرُ على حفاظِه من سلافِه كؤوسَ الإعجاب، فقلتُ: يا هؤلاء؟ "لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا"[3]، وسألتُم ما سجّل عليه قاضي العَجزِ و[أدّى]، وتطلّبتم ما هو "أبْعَدُ مِنْ بَيْضِ الأَنُوقِ"،[4] و"أَغْرَبُ مِنَ الأَبْلَقِ الْعَقُوقِ"[5]، من أينَ للزّمِنِ أن يُجاريَ الراكِب، ومتى ساوتِ العراقيبُ المناكِب؟ ومن أجهلُ ممن يعارضُ البحرَ بالوَشَل[6]؟ أو يُقاوِمُ النشاطَ بالفشل؟ أو يُساوي الجوهرَ الفردَ بالحَصا؟ أو يجمعُ في غِمدِ القراطيسِ[7] بين السيفِ والعَصا؟ على أني لو لبيتُ النِّدا، وسقطت على

---

[1] – إشارة إلى قول المعري:

وإنّي وإنْ كُنْتُ الأخيرَ زَمَانُهُ   لآتٍ بِمَا لَمْ تَستَطِعْهُ الأوَائِلُ.

(شرح سقط الزند، القسم الثاني 525)

[2] – سورة النساء 129/4.

[3] – اقتباس من سورة مريم 89/19.

[4] – من أمثال العرب "أعَزُّ مِنْ بَيْضِ الأَنُوقِ". والأنوق: الرَّخَمُ. ويُضربُ المثلُ ببيضها للأمر العسير، لأنها تبيض في رؤوس الجبال. وقيل: "الأنوق ذكر الرخم، ولابيض له". (أفعل من كذا 40.)

[5] ـ يقال: "سَأَلْتَنِي الأَبْلَقَ العَقُوقَ" وهو الذكر من الخيل، "ويقال:فرس عَقوق،إذا حملتْ فامتلأ بطنُها، فالأبلقُ العقوق محالٌ"، (الكامل للمبرد 271/2، ولسان العرب: عق) وقد تمثل معاوية ببيت جمع فيه صاحبهُ المثلين:

طَلَبَ الأَبْلَقَ العَقُوقَ، فَلَمَّا   لَمْ يَنَلْهُ، أَرَادَ بَيْضَ الأَنُوقِ

[6] ـ الوشلُ: الماءُ القليل يرشَح من صخر أو جبل.

[7] – القرطاس هنا، على ما يبدو، أديمٌ ينصب للنصال، ويسمى الغرض قرطاسا،(لسان العرب: قرطس.)

شرحه سقوط النَّدا، لقيلَ لي: ليس هـذا بعشّك فـادرُجْ،[1] ومـا النـادي بِنـادي أمثـالك فـاخرجْ، فَلْتَقِيلُوا، ولا تَقُولُـوا[2]:

قَـدْ يُـدْرِكُ الْمَجْـدَ الْفَتَـى ولِبَاسُـهُ خَلَـقٌ وَجَيْـبُ قَمِيصِـهِ مَرَقُـوعُ

فما زادَهم تحذيري إلا إغراءً وإلحاحا، ورأَوا أحاديثَ اعتذاري ضعيفةً، وأحاديثَ سؤالهم صِحاحا، وتَمالأَ على التَّصميمِ سرُّهم ونَجواهُم، و "مَازَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ"[3]. ولم يكن في عُذري لهم من مَقْنَع، وأحبّ شيءٍ إلى الإنسان ما امْتَنَع. فلما رأيتُ أنه لابُدَّ من صَنعا[4]، أجبتُهم وإن كنتُ لا أحسنُ صُنعا، ففوّقتُ للشروعِ سَهم العَزْم، وأَطَرْتُ عن زنده شررَ الحَزْم، وأدخلتُ على مُعتلِّ التَّواني حرفَ الجَزْم. ونهضتُ وأَنا "أَحْيَرُ مِنْ ضَبٍّ"[5]، وأشغلُ من صَب. فرسمتُه في صحائفِ الوهمِ، وصقَلتُ لمناولتِه صَدأَ الفَهم، وحُبِّبَ لي أن أجعلَه أَمَماً: نزح عنهُ تقصيراتُ الشروحِ وإفراطُها، تمسُّكاً بقول المُصطفى: "خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا"[6]. وجعلتُ الكلامَ على كلِّ بيتٍ منهُ منحصراً في مَطالب:

أولها: **تفسيرُ ألفاظه** اللغويةِ، وقدمتُه لأن ذلك طريقٌ إلى تحصيلِ ما بعدَه.

---

[1] – هذا مثل عربي أصله: "لَيْسَ هذا بِعُشّكِ فادرُجِي" (مجمع الأمثال 130/2).

[2] – ورد البيت في الموشى 159.

[3] – اقتباس من سورة الأنبياء 15/21.

[4] – اقتباس من الرجز:

لاَ بُدَّ مِنْ صَنْعَا وإِنْ طَالَ السَّفَـرْ
وَإِنْ تَحَنَّـى كُـلُّ عَـوْدٍ وَدَبِـرْ

يوجد الشطر الأول منه في لسان العرب (صنع).

[5] – قال في مجمع الأمثال 1/ 237: "لأنه (أي الضب) إذا فارقَ جُحره لم يهتدِ للرجوع إليه".

[6]– لم يرد هذا الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ولا في كتب الحديث التي تيسّر الاطلاع عليها، ومنها الفائق للزمخشري. وفي الكامل 243/1: "ومن كلامهم: خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا". وصنَّفه المحقق مع الأمثال.

ثانيها: **رفعُ القناعِ عن معنى التركيبِ**، وتنزيلُ المعاني على الألفاظِ، ونسقُ بعضِها ببعض، حتى تكونَ من حيث المعنَى كأنها سبيكةُ إبريز، تشهدُ لصائغِها بالتقدّم في الصناعةِ والتَّبْريز.

ثالثها: وشْيُ حُلَلِ البيتِ بسلكِ **المَعاني** ثم بجوهرِ **البيانِ**، ثم بيواقيتِ **البديعِ**، وهذا ألطفُ المطالبِ وأعلاهَا، وأغلاها، إذ هو مضمارُ ما يقعُ به التَّفاضُل، وينعقدُ بين الأماثِل في شأنِه التسابقُ و التَّناضُل.

رابعها: **الإعرابُ**، الذي هو سببٌ لفهم فَحوى الكلامِ وظهورِ لحنِ الخِطاب.

وربَّما أُلْمِعُ في خلالِ هذه المَطالبِ بما رأيتُ له مَماسةً بالمقَام، مما تُثيرُه المناسبةُ وتقتضيه، وتميلُ إليه الفِطرُ السليمةُ وتَرتضيه، من النظمِ الجَزل،[في] الجد والهزل، ومستظرف الحكايات التي يحصُل بها للناظرِ الإمتاع، ولا يعدُّها من سَقَطِ المتاع المُبتاع. وقد قيل: إن الحكاياتِ عروسٌ، والمُتكلِّم ماشِطتُها، والأخبارُ عُقودٌ، والأدبُ واسطتُها. وما كان في ظنّي أن أنكرَ من تِلكَ المطالب، إلا مالا مَنْدُوحَةَ عَنْه للطالِّب، فتشابكتِ المَسائل، وخرجَ الأمرُ كما قال القائل[1]:

خَرَجْنَا عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ ثَلاَثَةً   فَطَابَ لَنَا حَتَّى أَقَمْنَا بِهِ شَهْرًا.

---

[1] – في الحاشية بخط المؤلف: "هذا البيت رأيتُه في منطق الطير غيرَ معزوٍ، ووقفت عليه في مقطعة ذكرها الشريشي في الكبير ونسبها للحسن، ولعله ابن هاني، إلا أنه قال: "حتى أقمنا بها عشرا".وكما توقع المؤلفُ فالبيتُ للحسن بن هانئ، أبي نواس، من قصيدةٍ خمرية في ديوانه 244، مطلعها:

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفْتُ مَطِيَّهُمْ   إِلَى بَيْتِ خَمَّارٍ، نَزَلْنَا بِهِ ظُهْرَا

ثم أقول كما قال الحريري: "يَا رُواةَ القريضِ، وأساةَ القولِ المَريضِ، إن خلاصةَ الذهبِ تظهرُ بالسبكِ، ويدَ الحق تصدعُ رداءَ الشك. و ها أنا قد عرضتُ خبيئتي للاختبار"[1]، وعرضتُ حقيقتي على الاعتبار، فمن وجدَ فيه عِثاراً فليقلْ: لَعَا[2]، أو اطلعَ على سهو فليُسدل عليهِ من حُسن تأويلاتِه بُرقُعا. وإن لم يُبلغني الناظرُ من إنصافه ما أَرجوه، فعُذري بادٍ للعيونِ من وجوه.

أحدُها أن هذا أولُ مجموعٍ أبرزتُه في قالبِ التَّصنيف، وأفرغتُ جُهدي فيما يحصُلُ به لأذنِ سامِعه التقريطُ والتَّشْنيف، مَع كوني في إبان الحَداثَة[3]، التي الغالبُ على صاحبِها ألاَّ يميِّز الاثنينِ من الثلاثةِ، لم أبلُغ من البلاغةِ أشُدِّي، ولا ثبتَ عند قضاةِ الأدبِ رُشدي، فلا يجعلِ الزَّلَلَ ذريعةً للوقيعةِ والسِّباب، وليتذكَّر[4]:

فَإِنْ يَكُ قَدْ أَسَاءَ الْقَولَ عَمْرو فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

ثانيها: إقراري بِجُرأتي على تَعاطي هذا الفنِّ، بل وسائرِ [الفنـ]ـونِ، فهيهاتَ أن أغوصَ في بحارِ البلاغةِ على دُرِّها المكنون. ومن أقرَّ على نفسِهِ بأَنَّ بضاعتَه مُزجاة[5]، فهو عندَ الإنصافِ من الاعتراضِ بِمنْجاة.

بَيْنَ تَأْ[لِيـ]ـفِي وتَأْلِيفِ الْورَى قَدْرُ مَا بَيْنَ الثُّريَّا والثَّرَى

---

[1] – انظر المقامة الحلوانية بحاشية الشريشي الكبير 1/35–39.

[2] – يقال للعاثر: لَعاً لَكَ: أيْ أقامكَ اللهُ من عثرتك.

[3] – أنظر الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.

[4] – البيت للنابغة في ديوانه 19 من مقطوعة ردَّ بها على عامر بن الطفيل، وفيه:

فإنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ جَاءَ جَهْلاً...

[5] – بضاعة مُزجاة: قليلةٌ ورديئةٌ. وفي سورة يوسف 88/12: "يَا أَيُّها الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ".

ثالثُها: عدمُ [تَيـ]سيرِ الآلاتِ، التي يُكَلِّلُ منها قمرُ التوشيحِ ببدائعِ الهالاتِ، وتَنوَّر بها [في] حلِّ المشكلاتِ المقالاتِ. وإنما يوجدُ من ذلكَ مالا يُغني شيئا، ولا يمدُّ على الطالبِ في هَواجرِ المُعضلاتِ ظِلاًّ ولاَ فيْئا.

رابعها: تقسيم الخاطرِ بأشجانِ الغربةِ[1]، الجالبةِ للمرءِ غايةَ الكُربة، وفي شُغل شاغلٍ مَن تصرَّفت فيه أيْدي الدَّهرِ بالإبعادِ والنأيِ، وفرَّقت مجموعَ شملِه، فهو يترجَّى أن تُصلح ما أفسدتْ وإن بعد لأيٍ. وكيفَ يلفِّق بين كِلْمتين من تمهَّدت ذاتُه بيْتا، أو حُشر من قبْر حرْب[2]، واستوتْ على عرشِ صدرِه عروضُ الخُطوب فأصيبَ من الحوادث بكل ضرب، أو كيف يتألَّقُ مع أشجانِ الوحشةِ عارضُ فكر، أو تتعلَّق بالذهنِ مسألةٌ أو تبقَى لهُ على ذِكر،

يَقُولُ النَّاسُ فِي مَثَلِ ... تَذَكَّرْ غَائِباً تَرَهْ[3]
فَمَا لِي لاَ أَرَى بَلَدِي ... وَلاَ أَنْسَى تَذَكُّرَهْ

وكيفَ أنسَى تِذكارَ بلدِي، التي خانني على مفارقتِها جَلَدِي. بِلادي التي لا يَزيدُها طولُ المديحِ الصادقِ رفعةَ قَدر، فهي كما قال الأعرابِي الذي[4] ضلَّت ناقتُه في مدحِ البدر[5].

---

[1] – انظر :الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.

[2] – اقتباس من البيت المشهور:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

[3]– البيتان في نفح الطيب 4/ 113، 160، 323. لأبي الطاهر إسماعيل الخُشني الجياني المعروف بابن أبي ركب.

[4] – في الأصل: التي، والمثبت عن (ب).

[5] – كأن الناسخ أخطأ قول الأعرابي، وإن كان اطلاع المؤلف على النسخة وتعليقه على الأبيات بعده يقلل من أهمية هذا الغموض.

أحِـنُّ إلَـى الْحَمْـرَاءِ فِـي كُـلِّ سَاعَـةٍ حَنِيـنَ مَشُـوقٍ لِلْعِنَـاقِ ولِلضَّـمِّ[1]
وَمَـاذَاكَ إلاَّ أنَّ جِسْمِـي رَضِيـعُهَـا وَلاَبُـدَّ مِـنْ شَـوقِ الرَّضِيـعِ إلَـى الأُمِّ

نسأله سبحانَه، أن يقلِّص ذيْلَ الغربة فقد طَال، ويعطف علينا قلبَ الدَّهر فقد دان بالمِطال.

وإنما ذكرتُ هذه الأسباب، ليعذِر الواقفُ على الخَطَأ، ويعلمَ السبب في عدم نومِ القَطا[2]. على أنِّي لَوْ أرخصتُ دررَ نوادرِ القالي، لم أخلصْ من عدوٍّ قالٍ، ولو أبخستُ شذورَ الأمالِي، لَم أخلُ من حقودٍ يعكسُ آمالِي. فجديرٌ بي أن أصعِّد أنفاسِي وأتمثل بقولِ العلامةِ الفاسي:

مَـا شَانَهَـا شَـيْءٌ سِـوَى أنْ لَـمْ تَكُـنْ مِمَّـنْ تَقَـادَمَ عَهْـدُهُ أوْ مَشْـرِقِ

والنفسُ مسرفةٌ غاية السَّرف، [في تنقيـ]ـص الجديدِ ومدحِ القديمِ كما قال ابن شرف:[3]

أُغْـرِيَ النَّـاسُ بِامْتِـدَاحِ الْقَدِيـمِ وَبِـذَمِّ الْحَدِيـثِ غَيْـرِ الذَّمِيـمِ
لَيْـسَ إلاَّ أنَّهُـمْ حَسَـدُوا الحَيْـ ـيَ وَرَقُّـوا عَلَـى الْعِظَـامِ الرَّمِيـمِ

آخَـرُ:

قُـلْ لِمَـنْ لاَ يَـرَى الْمُعَـاصِرَ شَـيْئاً وَيَـرَى لِلأَوَائِـلِ التَّقْدِيمَـا

---

[1] – في الحاشية بخط المؤلف: "[البيتان] لأبي روح [الجز]يري [إلا أنه] قال: أحن إلى الخضراء، [يعني جزيرة الأنـ]ـدلس". وما بين المعقوفين أكل أرضة.
وورد البيتان في نفح الطيب 93/2، وفيه: "ومنهم ابن أبي روح الجزيري، ومن شعره لما تغرب بالمشرق....." البيتان.

[2] – مثل عربي أصله من مجمع الأمثال 123/2. "لو تُرك القطا ليلا لنام".

[3] – ورد البيتان غير معزوين في المرقصات والمطربات 6. وفي الأصل: ذميم، بدون تعريف والمثبت عن المصدر السابق.

إِنَّ ذَاكَ الْقَــدِيــمَ كَــانَ جَدِيــدَا   وَسَيَغْــدُو هَــذَا الْجَدِيــدُ قَدِيمَــا

آخَــرُ:

إِنْ كَـانَ أَخرَنِي دَهْــرِي فَــلاَ عَجَــبُ   فَوَائِــدُ الْعِلْـمِ يُسْتَلْحَقـنَ فــي الطُّــرَرِ

و الناسُ يُعامِلون فِعْلَ الْقَرِيبِ بالجزمِ، ويَرفعون أمرَ البعيدِ كما قال ابنُ حزم:

لاَ تَــرَى عَالِمــاً يَحُــلُّ بِقَــوْمٍ   فَيُحِلُّــوهُ غَــيْرَ دَارِ الْهَــوَانِ
هَــذِهِ مكَّــةُ الْمَنِيعَــةُ بَيْــتُ الْـــ   ـلَــهِ يَسْــعَى لِحَجِّهَــا الثَّقَــلاَنِ
وتَرَى أَزْهَــدَ الْبَرِيَّــةِ فِي الْحَـجْــ   ـجِ بِهَــا أَهْلَهَــا لِقُــرْبِ مكَــانِ

وقال ابن الجوزي:

عَذِيــرِيَ مِــنْ فِتيَــةٍ بِــالْعِرَاقِ   قُلُوبُهُــمُ بِالْجَفَــا قُلَّــبُ
يَــرَوْنَ الْعَجِيــبَ كَــلاَمَ الْغَرِيــبِ   وقَــولُ الْقَرِيــبِ فَــلاَ يُعْجِــبُ
وَعُــذْرُهُــمْ عِنْــدَ تَوْبِيخِــهِــمْ:   مُـغَـنِّيَــةُ الْـحَــيِّ لاَ تُـطْــرِبُ

وهذه سجية لنفوسِ الأوائلِ من لزومِ العَرضِ للجوهرِ أَلْزَم، "شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْـزَمَ"[1].

[1] – شطر رجز لأبي أخزم الطائي وهو:

إِنَّ بَنِــيَّ زَمَّلُونِــي بِالــدَّمِ
شنشِنَــة أعرفُهــا مِــن أَخْــزَمِ
مَــنْ يَلْــقَ آسَــدَ الرجـالِ يَكلَــمِ

والشنشنة: الطبيعة والسجية، ويضرب هذا المثل لمن أتى شيئا يُتوقع من مثله
(انظر لسان العرب:شنن، ومجمع الأمثال 361/1).

واعلمْ أيها الناظرُ، أن كتابي هذا ألَّفتُه، كما يقولُ الناسُ،" شَحمةٌ بِفَحْمةٍ، وتَمْرةٌ بِجمرة". ولعلَّ ما تستخشِنُه، غيرُك يستحسنُه، وما تَستقبحُه، غيرك يستملِحُه، فلا تغيِّر منه ما سَامَكَ بالارتياب، وإلاَّ فأنتَ أجرأُ من مُجلَّحةِ الذئَاب[1]، وأنا قد جعلتُه مباحاً لمن طلبَه من الطَّلبة، ومتاحاً لمن أرادَه من الرَّادة، واللهُ يُحسنُ النيِّة، ويخلِّص من كادوراتِ الرياء خالصَ الطَّوية، ويعصمُنا من الخطَل في القولْ، فبيدِه القوةُ والحَوْلْ.

وترْجمتُه لما أسرجتُ طِرْفَه[2] لفارسِ النظرِ وألجمتُه: **المسلك السهل في شرحِ توشيح ابن سهل.** وعنَّ لي أن أقدِّم قبل الخوضِ في لُجَجِ مَعاني التوشيح مقدمة تكون كالرعيل لجيش أبياتِه، وعلماً منشوراً على طلائعِ راياتِه، أضمِّنُها التعريفَ بناحتِ دُرَرِهِ المُزخرفة، والمُجري مياهَ الفصاحةِ خلالَ أزهارِ روضتِه المفوَّفَة، مع إضافةِ ما هو أوقعُ في نفوسِ الأبناءِ من الولدِ في قلوب العقيم، والشفاءِ في وَجَعِ السَّقيم، وذكرِ نُبَذٍ في صناعة التواشيح، واختراعِها، ومُخترعها، وما يكون كالذيلِ لذلك مما تقفُ عليه في حالِه، وتَقْتَضي من دَيْنِه جَنَى مؤجّلِه وحالِّه، فانحصرَ القولُ في ذلك في سمطين.

---

[1] – مَن بيت لامرئ القيس في ديوانه (ط دار المعارف ص 97):

عَصَافِيـرٌ وَذِبـانٌ وَدُودٌ وَ أَجْرَأُ مِن مُجَلَّحَةِ الذِّئَابِ

أي المصممة على الشيء، التي لا ترجع عما تريد" (نفسه)

[2] – الطِّرف: الكريم من الخيل (القاموس المحيط: طرف).

السمط الأول

في التعريف بابن سهل

هو إبراهيمُ بنُ أبـي العيشِ بـن سـهلٍ[1] الإشـبيلي، نسبةً لإشـبيلية مدينـةٌ مـن أعظـم مـدن الأندلس. قيلَ لأحد من رأى مصرَ والشام: أهما أحسنُ أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية: "غابتُها غابةٌ بلا أسد، ونهرُها نيلٌ بلا تمساح". وفي نهرِها المذكورِ يقول ابن سَفَر[2]:

شَـقَّ النَّسِيـمُ عَلَيْـهِ جَيْـبَ قَمِيصِـهِ فَانْسَـابَ مِـنْ شَطَّيْـهِ يَطْلُـبُ ثَـارَهُ
فَتَضَاحَكَـتْ وُرْقُ الْحَمَـائِـمِ فَوقَـهُ عَجَبـاً، فَضَـمَّ مِـنَ الْحَيَـاءِ إِزَارَهُ

وقال ابنُ سعيد[3]:

كَأَنَّمَـا النَّهْـرُ صَفْحَـةُ كُتِبَـتْ أَسْـطُرُهَا، وَالنَّسِيـمُ يُنْشِئُـهَـا

---

[1] – اسم والد ابن سهل في كل المصادر: سهل، وانفرد الإفراني بنسبتِه إلى أبي العيش وجعل (سهل) جداً له، ويرجح الدكتور إحسان عباس'أن كلمة (بن) الثانية دخيلة هنا، وأن (أبا العيش) هي الكنية التي عرف بها أبوه، بحيث نقرأ: إبراهيم بن أبي العيش سهل، وبذلك يتفق الإفراني مع سائر المصادر" (مقدمة ديوان ابن سهل 13).

وقد ترجم الدكتور إحسان عباس لابن سهل ترجمةً وافية قدم بها طبعة بيروت 1967 لديوانالشاعر، ذكرأهم مصادر ترجمته.

[2] – في الأصل: ابن سنقر، والصواب ما أثبتناه، فهو أبو عبد الله محمد بن سَفَر، ويكتب بالصاد كذلك، أديـب من ناحية المرية، يسكن إشبيلية (انظر المغـرب 212/2، والوافي 114/3 ونفح الطيـب 157/. وفي الوافي: "قال في المد والجزر بوادي إشبيلية وأبدع فيه" البيتان. وورد البيتان مع ثالث قبلهما في رايات المبرزين 7. ورواية الثاني فيه:

فتضاحكـت ورق الحمـام بدوحـه هـزءا فضـم مـن الحيـاء إزاره

[3] – البيتان في نفح الطيب 271/2. وسيتحدث الإفراني عن ابن سعيد في الصفحة 32 من هذا الكتاب.

لَمَّـــا أَبَانَـتْ عَـــنْ حُسْــنِ مَنْظَرِهَـــــا مَـالَـتْ عَلَيْهَـــا الْغُصُـــونُ تَقْرَؤُهَـــــا

وقال صاحبُ مباهجِ الفِكَر[1]: "هذه المدينةُ من أحسنِ مُدن الدنيا، بأهلِها يُضربُ المثلُ في الخلاعةِ وانتهازِ الفُرص[2] الساعةَ بعدَ الساعة. ويعينُهم على ذلك واديها الفَرج، وناديها البَهج، وهذا الوادي يأتيها من قُرطبة"، انتهى. وأخبارُها طويلةٌ استوفّاها الحِجاري وابنُ سعيد وغيرُهما من مَشْيَخَةِ مُؤرخي الأندلس. وذَكَرَ في نفح الطيب[3] أنه وقعتْ مناظرةٌ بين يدي ملكِ المغربِ يعقوبِ المنصورِ، بين الفقيهِ القاضي أبي الوليدِ بنِ رشدٍ، وبين أبي بكرِ بن زهرٍ في تفضيلِ إشبيليةَ على قُرطبة، فقال ابنُ رُشد لابنِ زُهر: ما أدري ما تقولُ إلاَّ أنهُ إذا ماتَ عالمٌ بإشبيليةَ فأُريدَ بَيْعُ كُتُبِه، حُملتْ إلى قُرطبةَ حتى تباعَ فيها، وإن ماتَ مُطربٌ بقرطبةَ فأُريدَ بيعُ آلاتِه، حُملتْ إلى إشبيليةَ، انتهى. وإشبيليةُ تسمَّى حِمصاً لنزول جندِ حمصٍ بها. وفيها يقولُ ابن سهل[4]:

بَكَيْتُ عَلَى النَّهْرِ أُخْفِي الدُّمُوعَ فَعَرَّضَهَا لَوْنُهَا لَلظُّهُورِ
إِذَا مَا سَرَى نَفَسِي فِي الشِّرَاعِ أَعَادَهُمُ نَحْوَ حِمْصٍ زَفِيرِي

---

[1] - في كشف الظنون كتاب بهذا الاسم منسوب لمحمد بن عبد الله الأنصاري، وفي حرف النون منه أن الاسم الحقيقي له هو مناهج الفكر، بالنون، لجمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (ت718هـ)، وفي الأعلام للزركلي 187/6-188 أنه في الطبيعة والكمياء وأنه من ست مجلدات.

قلت: ويوجد الجزآن الثالث والرابع منه بالخزانة العامة بالرباط برقم: 115ق. وهما في النبات والحيوان، وهذه النسخة بخط المؤلف، ما عدا الجزء الأول، كما في الجزء 1/3 منها. وقد اعتمد الإفراني في النص الذي أورده على نفح الطيب 159/1.

[2] - في نفح الطيب: فرص الزمن.

[3] ـ نقل المقري هذه القصة في نفح الطيب 155/1 عن أبي الفضل التيفاشي، وفي ص 63/1 منهُ عن ابن سعيد مع بعض الاختصار.

[4]- ديوان ابن سهل 46.

وفيها الزيتونُ العجيب، وفيه يقولُ الإمامُ الخطيب، أبو محمد بنُ عبد الوهابِ المَنشِي[1] مُذيلاً على بيتي الشيخ أبي الحجاجِ يوسفِ بنِ الشيخِ البَلوي المالقي وهما[2]:

مَالَقَــةٌ ! حُيِّيــتَ يَــا تِينَـهَــا   الفُلْــكُ مِــنْ أجْلِــكَ يَــا تِينَـهَــا
نَهَــى طَبِيبِــي عَنْــهُ فِــي عِلَّتِــي   مَــا لِطَبِيبِــي عَـنْ حَيَـاتِـي نَهَــى

فقال أبو محمد:

وَحِمْــصُ لاَ تَنْــسَ لَهَــا تِينَهَــا   وَ اذْكُــرْ مَــعَ التِّيــنِ زَيَاتِينَهَــا

وأبو الحجاج[3]، صاحبُ البيتينِ، هو صاحبُ كتابِ ألف باء[4]. وقفتُ عليه ورأيتُ البيتين فيه. وهو كتابٌ عجيبُ الاصطلاحِ غريبُ النسجِ، لا يكادُ مُطالعه يُحيطُ علماً باصطلاحِه. قال في ديباجَته إنه ألفَه لولدِه عبدِ الرحيم[5]، وإنه وقعَ في نفسِه احتقارُ الألفِ والباءِ، فألف هذا الكتابَ في تكفِرة ذلك. وذكرَ فيه أنه قرأ على أبي القاسمِ السُّهَيلي[6]، وعلى الحافظ أبي

---

[1] – الأصل: المنسي، وفي نفح الطيب 1/ 151: "الإمامُ الخطيبُ أبو محمدٍ عبدُ الوهاب المَنشي".

[2] – البيتان له في في أنوار التجلي 9/1، وفي نفح الطيب 151/1 مع تذييل أبي محمد بن عبد الوهاب المنشي عليهما.

[3] –هو يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى أبو الحجاج البلوي المالقي، ويقال له ابن الشيخ، أديب لغوي اشتهر بالزهد والمشاركة في الغزوات، توفي سنة 1207/604 (انظر أخباره في ألف باء).

[4] – وألف باء، كتاب في الأدب واللغة يدور حول قصيدة من ثمانية وعشرين بيتا مرتبة على حروف المعجم، متضمنة جملةً من الغرائب اللغوية. يشرحها كلمةً كلمةً مع مقلوبها، ويثير خلالَ ذلك حكايات وأخباراً وقضايا أدبية. وهو مكون من جزأين في(553+592 صفحة)، (انظر منهجه في الصفحة 5/1 منه وما بعدها، وفهرس المخطوطات لعلوش والركراكي 54/2).

[5] – انظر ألف باء 3/1، 9، 63، 64.

[6] – هو عبد الرحمن بن عبد الله أبو زيد السهيلي، عالم باللغة والسير ضرير، وُلد في مالقة وتوفي بمراكش سنة 581هـ، وقبرُه من مزارات مراكش (المطرب 230 وما بعدها).

الطاهرِ السّلفي[1]، قال: ومن فوائد أبي الطاهر أني قرأتُ عليهِ يوماً بسندِه عن أشياخِه، عن الشافعي، قال: الفولُ يزيدُ في الدماغ، والدماغ يزيدُ في العقلِ. فقلتُ له: كيفَ هذا ونحنُ نقولُ في بلادِنا خلافَ هذا؟ فقال: سألت عن هذا شيخنا فلاناً، فقلتُ له: كيف هذا وَطَبَرِستّانُ أكثرُ بلادِ اللهِ فولاً وأهلُها أخفُّ النَّاسِ عقولاً؟ فقال: لولا الفولُ لَطاروا. قال أبو الطاهر: ويُقوّي قول الشافعي قولُ بعضِ الأطباءِ، إن الصبيَّ يولدُ بغيرِ دماغٍ، ولذا لا يقدرُ على القعودِ فضلاً عن غيرِه، فبمقدار ما يشتدُّ دماغُه يقوى، كالمركبِ في الماءِ لا يستتم استقرارُه حتَّى يتِمَّ وسقُه، قال أبو الحجاج: فقلتُ له هذا بخلافِ الرأسِ، هذا أسفلُ وذاكَ فوقُ، فقال: وحكمةُ اللهِ لا تجري على قياسٍ واحدٍ، ألا ترى الألْيَتَيْنِ هما في أسفلِ الإنْسِ وبهما تُمسكُ اللحيةُ في الوجهِ، ولهذا كان الخَصِيُّ لا لحيةَ لهُ، انتهى.

ومن نظم أبي الحجاج للحديث المشهور[2]:

النَّاسُ هُمْ ثَلاَثَةٌ فَوَاحِدٌ ذُو دَرَقَهْ
وَذو عُلُومٍ دَارِسٌ كُتُبَهُ وَ وِرَقَهْ
وَ مُنْفِقٌ فِي وَاجِبِ ذَهَبَهُ وَ وِرَقَهْ
وَمَنْ سِوَاهُمْ هَمَجٌ لاَ وَذَكٌ لاَ مَرَقَهْ

وابنُ سهل هو شاعرُ إشبيليةَ ووشَّاحُها. قرأ على جماعةٍ، منهم أبو علي الشّلوبيني[3] وابن الدباجِ[4] وغيرِهما. ومقطَّعاته تدلُّ على أن لهُ خبرةً بفن العربية، كقوله[5]:

---

[1] – ذكر السّلفي في ص 39/1 من الكتاب المذكور، ولم يورد قصةَ الفولِ وعلاقته بالزيادة في الدماغ.

[2] – الأبيات في المحاضرات 48 غيرمنسوبة.

[3] – هو أبو علي عمر الشلوبيني أو الشلوبين نسبةً إلى شلوبينية، إنه سمي بذلك لأن أحد أجداده كان أبيض أشقَ، اشتهر بعلم النحو في إشبيلية، وتلمذ له كثير من أشهر الأدباء. (نفح الطيب 491/3، 523 وحاشيته، ومواضع أخرى منه).

[4] – هو أبو الحسن علي بن جابر الدباج الإشبيلي، اشتهر بإقراء كتابِ الكاملِ ونوادرِ القالي وكتابِ سيبويه، (انظر نفح الطيب 87/3، 47، 523، ومواضع متفرقة).

[5] – البيتان الثالث والرابع من مقطوعة في خمسة أبيات في ديوان ابن سهل 227.

أَمُوسَــى أَيَــا كُلِّــي وبَعْضِــي حَقِيقَــةً،   ولَيْـسَ مَجَـازاً قَوْلِـيَ الْكُــلَ والْبَعْضَــا
خَفَضْـتَ مَقَامِــي إِذْ جَزَمْـتَ وَسَائِلِــــي،   فَكَيْـفَ جَمَعْتَ الْجَزْمَ عِنْــدِيَ وَالْخَفْضَــا؟

فإنه نكَّت على أبي القاسم الزجاجي[1] حيثُ قال في جُمله: وإنَّما قلنا بدلَ الكُل والبعضِ مجازاً. ولابنِ الفخارِ وغيرِه من شروحِه كلامٌ في معنى ما أشارَ إليه أبو القاسم، فراجع حاشيةَ ابنِ القاضي على الجَرُّومية. قال في عُنوانِ الإفادةِ[2]، بعدَ أن ذكرَ هذا التنكيتَ البديعَ: "وفي هذا دليلٌ على أنَّ يهودَ الأندلسِ كانوا يشْتَغِلون بعلم العربيةِ، فإنَّ ابنَ سهلٍ قال هذين البيتين قبلَ إسلامِه، واللــهُ أعلم"[3].

وكان إبراهيمُ في أولِ أمرِه يهودياً، ثم منَّ الله عليه بالدخولِ في المِلة الحنيفيةِ فأسلمَ، وحسن إسلامُه. ويقال إنه أنشدَ هذين البيتينِ بعد إسلامِه. واستَدلَّ بهما بعضُهم على حسن سريرته[4]:

تَسَــلَّيْتُ عَــنْ مُوسَــى بِحُــبِّ مُحَمَّــدِ   هُدِيتُ، ولَـوْلاَ اللَّـهُ مَـا كُنْـتُ أَهْتَــدِي
ومَـا عَـنْ قِلًــى قَــدْ كَـانَ ذَاكَ وَإِنَّمَــا   شَرِيعَــةُ مُوسَــى عُطِّلَـتْ بِمُحَمَّــدِ

---

[1] – في الأصل الزجاج والصواب ما أثبتناه، انظر موضوع التنكيت في الجمل 37.

[2] –رجعت إلى عنوان الإفادة لإخوان الاستفادة، مخطوطة خ.ع.1652د لشمس الدين محمد ابن إسماعيل الراعي الأندلسي الغرناطي (782–853هـ) فلم أعثر في باب البدل بالخصوص على ما ذكره الإفراني. وربما يكون الإفراني اعتمد على نفح الطيب 525/3 حيث ورد التعليق على البيتين والتعقيب عليه منسوبا للراعي (انظر ترجمته في نفح الطيب 2/ 694 –689).

[3] – انظر هذا الكلام في نفح الطيب 3/ 523 وفيه: إبراهيم بدل ابن سهل.

[4] – قال ابن القاضي في درة الحجال 34/1: "ولابن سهل ما يدل على إسلامه"، ثم أورد البيتين. انظر كذلك نفح الطيب 524/3. والبيتان في ديوان ابن سهل 1116.

"وحدث أبو حَيانَ عن قاضي القضاةِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ أبي[نصـ]ـرِ الفتحِ بن علي الأنصاري الإشبيلي بغرناطة، أن إبراهيم بنَ سهلٍ الشاعرَ، كان يهودياً ثم أسلمَ، ومدحَ رسولَ الله، صلى الله عليه وسلم، بقصيدةٍ طويلة بارعةٍ. قال أبو حيان: وقفتُ عليها وهي من أبدع ما نظم في معناها"[1]، انتهى. وقال العزفي في حقه ما صورته: "كان يتظاهر بالإسلام، ولا يخلو مع ذلك من قدحٍ واتهام، انتهى"[2]. "وذكر الحافظُ أبو عبد الله محمدُ بن عمرَ بنِ رُشَيْدٍ الفِهري، في رحلته الكبيرةِ القدر والجِرم، المسماة بـِ مَلءُ العَيْبَة، فيما جُمع بطولِ الغَيْبة، في الوِجهة الوَجيهة إلى الحَرميْن، مكةَ وطيْبَة، خلافاً [في] إسلام ابن سهلٍ باطناً"، انتهى[3]. وكَتَبَ على هامشِ هذا الكلامِ الخطيبُ العلامةُ، سيدي أبو عبد الله بنُ مرزوقٍ ما نصُّه: صحَّح لنا من أدركناه من أشياخِنا أنه مات على دينِ الإسلام". وقال العلامةُ أبو العباسِ المقَّري في النَّفح: "رأيتُ في بعضِ كُتُبِ الأدبِ بالمغربِ أنه اجتمعَ جماعةٌ مع ابنِ سهلٍ في مجلسِ أُنْسٍ، فسألوه لما أَخذتْ منه الراحُ عن إسلامِه، هل هُو في الظاهرِ والباطنِ أم لا؟ فأجابهم بقوله: للناسِ ما ظَهر، و لله ما استَتَر، انتهى"[4]. ثم رأيتُ في القِدح المُعلَّى، في التاريخ المُحلَّى، للأديبِ أبي الحسنِ علي ابن سعيدٍ القَيسي ما نصه: كتبتُ إلى أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن سهل أستدعيه إلى الأنس بثلاثة أبياتٍ، فبلغتْه، وأجابَ مُسرعا بأبياتٍ آخرُها، وذكر الخمر:

سَآلَفُهَا إِلْفَ الْعَتِيقِ كِتَابَهُ، وَلاَ أَشْتَهِي وِرْداً سِوَاهَا لَدَى الْحَشْرِ[5]

---

[1] –نفح الطيب 526/3، وتوجد هذه القصيدة في ديوان ابن سهل: 232–234، ويرى إحسان عباس أنها لاتحمل دلالة على إسلام ابن سهل. (انظر مقدمة الديوان ص: 35 وحاشية الصفحة 232 منه).

[2] – نفح الطيب 523/3.

[3] – في نفح الطيب 523/3، مصدر هذا النص، وضعت كلمة(انتهى) في كلام ابن مرزوق اللاحق.

[4] – نفح الطيب 523/3.

[5] – في الأصل: الخمر والمثبت على القدح المعلى 73.

فَـ "لَمَّا وصلَ أظهرتُ استحسانَ خِطابِه، مع سُرعةِ جوابِه. ثم أنكرتُ عليهِ مَنزَعَ بيْتِه الأخيرِ، ولدغتُه من الملامِ بيسير، فقال: أليْس في [الجنــ]ــةِ نهرُ الخمرِ؟ فقلت: بلى. فقال: ذلك حسبي، لا أبغي بَدَلا، ولا أريدُ لبناً ولا عَسلا. قلتُ: بحرمةِ ما بيننا إلاَّ ما أزلتَ عني شكَّ الناسِ فيكَ، وصدَ[قتني]، هل أنتَ على دينِ أسلافكَ أو دينِ المسلمين؟ قال: "للناس ما ظهر، ولله ما استتر"[1]،

وَإِنِّـــي لأَرْجُـــو أَنْ تَكُـــونَ وَفَاتُــــهُ عَلَـى ملــة الإســلامِ كَيْمَـــا يُسَلَّمَــا
وَأَلْقَـــاهُ فِـي جَنَّـــاتِ عَـــدْنٍ مُنَعَّـــا، فَلَيْـــسَ بِأَهْــلٍ أَنْ يَحُــلَّ جَهَنَّمَــــا

انتهـــى.

وقال في عنوان الدِّراية[2]: سمعتُ شيخَنا أبا الحسنِ بنَ سِمْعت الأندلسي، رحمه الله، يقول: شيئانِ لا يصحانِ، إسلامُ ابن سهلٍ وتوبة الزمخشري من الاعتزال. قال الراعي: وهما في مروياتي، أما إسلامُ ابن سهلٍ فيغلبُ على ظني صحتُه لعلمي بروايتِه، وأما الثاني، وهو توبة الزمخشري من الاعْتزال، فقد ذكر بعضُهم أنه رأى رسماً بالبلاد المشرقيةِ محكوماً فيه [بصحة] توبة الزمخشري، فقوى جانب الروايةِ، انتهى باختصار. وما صحَّحه من توبة الزمخشري عن اعتقادِ الاعتزالِ نَحَا مَنْحاهُ أبو عبدِ الله المامونُ الحَفصي، نسبةً إلى بني حفصٍ، ملوكِ إفريقية، كما رأيتُه بخطه، فقال عقِب الأبياتِ التي تنسبُ للزمخشري،

---

[1] – ما بين الحاصرتين نص كلام القدح المعلى 74 مع زيادة بعض الحروف مثل: فقال بدل قال.

[2] – لعل قول الإفراني: "عنوان الدراية" سهوٌ، إذ الكلامُ منسوب في نفح الطيب 524/3 للراعي صاحب عنوان الإفادة (انظر الصفحة66 الحاشية 2).

وهـــي[1]:

يَا مَـنْ يَرَى مَـدَّ الْبَعُـوضِ جَنَاحَهـــا

إلى آخرها: وبهذه الأبياتِ اُستُدِلَّ على توبته من بدعتِه المشهورة. انتهى.

ولَهَجَ المدرِّسون بهـذا الاستدلالِ، وكـان بعضُ مَشَـايِخي يُبَـالغُ فـي إنكـارِه، وهـو جديرٌ بالإنكارِ[2]، فإن الزَمخشري نفسَه أنشدَ الأبياتَ لغيرِه في قوله تعـالى: "إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَـلاً مَـا بَعُوضَـةً"[3]، فقـال، علـى مـا يوجدُ فـي نُسخِهِ [العتـ]ـيقة[4]: وأنشدَ لبعـضِ العلويين، فنِسبتُها له، مع ذلك غلطٌ فاحشٌ وقصـورٌ واضـحٌ. ولـو سلَّمنا أنهـا لـهُ فليسَ فيهـا دليل، إذ الوَرْطاتُ وما كان منه زَمَنَ العُنفوانِ يُحتمَل أنها غيرُ اعتقـادِ الاعتزال، فإنـه ليسَ عندَه ذنباً حتَّى يستعفيَ منهُ ويَستغفِر. ولو قُلنا: إن التوبةَ إنما كـانتْ منـهُ، أبطـلَ ذلك مجيئُـه بعدَ إ[نشا]دِ الأبياتِ بالتُّرهاتِ والأوهامِ الزائغةِ خلالَ الكتـابِ. ويكفيكَ أنـه تجـرَّأَ علـى أهل السنةِ في مواضع عديدة، وسمَّاهم المُجَبِّرة. قال الشيخُ الإمـامُ أبـو عبدِ اللـهِ بـنُ غـازي[5] فـي

---

[1] – في أزهار الرياض 297/3: "وأنشد في كتابه الكشاف لبعضهم:

يَـا مَـنْ يَـرَى مَـدَّ البعـوض جَنَاحَهـا	فـي ظلمـةِ الليـل البهيـمِ الأليـل
ويَـرَى عُـرُوقَ نِيَاطِهـا فـي نَحْرِهـا	والمُـخَّ فـي تلـك العِظـامِ النُحَّـل
اغْفِـرْ لِعَبْـدٍ تـابَ عـن فَـرَطاتِـه	مـا كـان منـهُ فـي الزَّمـانِ الأوَّلِ

[2] – في الحاشية: "هذا الذي قاله الشيخ، هو الذي كنت أقول به ولم أزل، قا[له] (خرم)"، ما بين المعقوفين أكل أرضة والزيادة مني.

[3] – سورة البقرة 25/2.

[4] – غير واضحة في الأصل وهي هكذا في (ب)، (ج).

[5] – هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي أبو عبد الله فقيـه، مؤرخ مشـارك في شتى المعارف، له تآليف عديدة منها فهرس بعنوان: "التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد". اشتهر كأستاذ لأجيال من الفقهاء والأدباء والمؤرخين، كما يظهر جليا في فهرس المنجـور وغيره.

تقييدٍ لهُ خاطبَ به الإمامَ أبا العباس الونْشَرِيسي[1]، وسمَّاه بالإشاراتِ الحِسان، المرفوعةِ إلى حَبرِ فاسٍ وتلمسان[2]: "وإنَّما سمَّى الزمَخشري[3] أهل السنةِ مجبِّرةً لاعتقادِ قربِ مذهبِهم من مذهبِ الجَبْرية، سيَما وقد قال بعضُ أئمة السُّنة: وبا[لجَبْرِ] أقُول[4]. وقد حدَّثنا شيخُنا الأستاذُ سيدي أبو عبد الله الكبيرُ، عن شيخِه أبي عبدِ الله العِكْرَمِي، وكان لَسِناً، أنه كان كثيراً ما يقول: إمامانِ عَظِيمانِ قالاَ بالجبر من أئِمَّتنا: القاضي أبو بكر بنُ العربي، والفَخرُ بن الخطيبِ الرازي[5]، كما أن إمامين عظيمين من أئمتنا، نُسب إليهما القولُ بالجِهة، وهُما أبو محمدٍ بنُ أبي زيدٍ، وأبو عُمرَ بنُ عبدِ البَرِّ، وجَنَحَ لذلك ابنُ المُرابط في تفسيرِ البُخاري"[6] انتهى

لطيفة

أفادَني بعضُ أصحابنا أن الفقيهَ الدراكةَ أبا العباسِ سيدي أحمدُ بنُ الحاج الفاسي[7] كان

= ولد بمكناسة سنة 858هـ ومات بفاس سنة 919هـ (انظر ترجمته في مواضع مختلفة من فهرس المنجور، وجدوة الاقتباس 20/1 320/1 ودوحة الناشر (45- 46).

[1] – هو أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي أبو العباس، فقيه مالكي من أهل تلمسان، هاجر إلى فاس، واستقر بها، واشتغل، على الخصوص، بتدريس الفقه حتى مات سنة 914هـ. من كتبه المعيار المغرب، عن فتاوي إفريقيا والمغرب. وسنعرض له حين ذكره، (انظر ترجمته في جدوة الاقتباس 156/1-157، ودوحة الناشر 47 وأخباره متفرقة في فهرس المنجور).

[2] – وردت هذه الرسالة في كتاب أزهار الرياض 66/3 وما بعدها، وهي رد على مجموعة من الأسئلة وجهها الونشريسي إلى ابن غازي، ومن بينها: هل ألف أحد في التعريف برجال أهل السنة والمعتزلة؟

[3] – "الزمخشري" زيادة في المسلك.

[4] –في الإشارات الحسان، زيادة قوله: "واللَّهُ المُستَعانُ".

[5] – "الرازي" زيادة في المسلك السهل.

[6] – أزهار الرياض 85/3.

[7] – هو أحمدُ بن العَرْبي بن محمد بن الحاج الفاسي أبو العباس، فقيه ذو شهرة، أسندت إليه كراسي علمية بالقرويين، ثم تولى القضاء بفاس. وممن درسوا عليه عبد السلام جسوس وابن زاكور وابن المسناوي

يَستدل على توبة الزَّمخشري من الأبياتِ بقوله:

وَيَــرَى نِيَــاطَ عُرُوقِهــا... [1] الخ.

لأنَّ المُعتزلةَ على أن علمَه، تعالَى، لا يتعلّق بالجُزئيات، وهذا صريح فــي خلافِه. وهو مَعْتَقَدُ الأشاعِرةِ. وفي الاستدلالِ وقْفة، لأنه لا يلزم من رجوعه في هذه المسألة رُجوعُه فـي سائر المسائِل الاعتزالية، وإن كان ذلك هو الغـالبَ. وإنْ رُمْتَ استيفاءَ الكـلامِ فـي ترجمـة الزمخشـري فتَطلبـه مـن تَقييدنـا المقتطـفِ مـن كتـابِ أزهـارِ الريـاضِ فـي منـاقب عيــاض، المترجم بطَلْعة المُشتري في التعريفِ بمحمود الزمخشري[2]. ورأيتُ في كتابِ طـرازِ أعـلامِ الزَّمنِ، في طَبقات أعيانِ اليمن للشمس أبي الحسنِ الخَزْرجي، وهـو كتـابٌ لا نظـيرَ لـه فـي تواريخ الإسلام، ما نصه: "إبراهيم بن سهل اليهودي الإشبيلي، وكانَ شاعرَ زمانِه، أسلمَ بعد يهوديتِهِ، ومدحَ النَّبي، صلى اللـه عليـه وسلم، بقصيدةٍ بديعـة. مـاتَ فـي البحـرِ غريقـاً سـنة 659هـ"[3] ذَكر هذا فـي مقدمـة الكتـابِ المذكورِ، وهـي فـي مجلَّدةٍ ضَخمـةٍ، ضمَّنهـا وفــاةَ الأعيانِ، ثم أخذَ في التعريفِ بأعلامِ اليمنِ على حُروف المُعجم. وما ذُكر من أنه غرِق فـي البحرِ، قال في نفح الطيب: كان ذلك وهو من نحو أربعينَ سنة. وقيلَ إنه جاوزَ الأربعين[4].

= وابن عبد السلام بناني. مات بفاس سنة 1109هـ/1697م (التقاط الـدرر 263/2، والصفـوة 223، ونشـر المثاني 161/2، وفهرس الفهارس 79/1-80.

[1] -في أزهار الرياض 297/3: عروق نياطها. ولعله الصواب، إذ النياط هو الفؤاد، أو عِـرق غليـظ نيـط به القلب إلى الوتين..

[2] - لاندري ما مصير هذا التقييد، وفي أزهار الرياض 282/3-302 كثـير مـن الأخبـار والأشـعار التـي أثارتها أفكـار الزمخشـري الاعتزاليـة وتحليلاتُـه البلاغيـة فـي كتابـه الكشـاف إذ أُعجِـبَ الفقهـاءُ بالثانيــة واشمأزوا من الأولى، واعتبروها ترهاتٍ وضلالاً، يقول المقرّي في ترجمته له: "ولابد من الإلمام ببعض أحوال هذا الرجل، اختلفت في أمره الآراء وآنس بجانب البيان والنحو نارا، وأنكر الحق وقد وضح نهارا" (أزهار الرياض 282/3).

[3] - تضاربت الآراء في تحديد سنة وفاة ابن سهل. (انظر هذه القضية في مقدمة الديوان 28-42).3

[4] - انظر نفح الطيب 526/3.

ولما غرق قال فيه بعضُ الأكابرِ، عاد الدرُّ إلى وطنِه. قلتُ: وكانَ هذا البعضُ من الأكابر اقتبسَ من قول صاعدٍ لما غَرِقَ كتابُه الفُصوص، فقال فيه بعضُ الحسدة[1]:

قَدْ غَاصَ فِي النَّهْـرِ[2] كِتَابُ الفُصُـــوصِ   وَهَـكَـــذَا كُـــلُّ ثَقِيـــلٍ يَـغُـــوصْ

فأجابَه صاعد:

عَـــادَ إِلَـــى مَعْدِنِـــهِ، إِنَّـمَـــــا   تُوْخَـذُ مِنْ قَعْـرِ البِحَـارِ الفُصُـــوصْ

وسبب تغريق كتابِ الفُصوصِ شهيرٌ لا داعي للتطويلِ به.

ثم وقفتُ على تاجِ المَفرقِ، فـي تَحْلِيَـةِ علماء المَشرق لأبـي البقـاء بـن عيسـى البلـوي[3]، فرأيتُ فيه ما صورتُه: أخبرني الشيخُ الأديبُ أبو العباس الأنصاري المعروفُ بالرُّصـافي، قـال: أخـبرني بمدينـةَ سـبتةَ شَـيخي أبـو الحكـمِ مـالكُ بـن المُرَحَّـل[4]، قـال: كـان

---

[1] – البيتان والقصة في نفح الطيب 77/3-78، وملخصها أن صاعداً كان كثيرَ الادعاء، فأوعز خصومه إلى المنصور بن أبي عامر"بتجريد كراريس بيض تزال جدتها حتى توهم القِدم" ونسبتها لأحد الأقدمين، فما كاد صاعد يرى الكراريس حتى أخذ يقبلها مدعيا أنه قرأها على أحد الشيوخ،فسأله المنصور عن محتواها قبل فتحها، فقال: إنها تحتوي على لغة منثورة لايشوبها شعر ولا خبر، فغضب المنصور وأمر أن يقذَف كتاب الفصوص بالنهر. وكان صاعد أراد أن يتحدى به'النوادر" لأبي علي القالي.

[2] –في الأصل: البحر، والصواب، عن نفح الطيب: النهر.

[3] – خالد بن عيسى البلوي الأندلسي المتوفى سنة 765هـ/1364م تولى القضاء بالأندلس ورحل حاجا إلى الشرق، فألف رحلته'تاج المفرق.." وقد طبعت هذه الرحلة مؤخرا بتحقيق وتقديم الحسن السايح. (ترجمته في جدوة الاقتباس 186/1-192 ونفح الطيب 532/2-534 ومقدمة محقق تاج المفرق".

[4] – مالكُ بنُ عبد الرحمان أبو الحكم وأبو المجد، المعروف بابن المرحل السبتي الدار، المالقي النجار، سكن سبتة طويلا ثم انتقل إلى فاس. قال فيه ابن القاضي في درة الحجال 327/1: "شاعر رقيق مطبوع، سريع البديهة، رشيق الألفاظ، ذاكر للآداب واللغة.. ولي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها، كان حسن الكتابة، والشعرُ أغلب عليه". وله ديوان شعر متنوع. توفي سنة 699هـ/1300م. (جدوة الاقتباس 327/1-333 درة الحجال 327/1، سلوة الأنفاس 99/3، النبوغ المغربي 235/1-236).

معنا أبو إسحق إبراهيمُ بنُ سهلٍ، وقد حسنَ إسلامه، ولازمتِ الجماعةَ صلواتُه، ولزِم القراءةَ، واشتغلَ بها، ونظرَ في الأدبِ فنبغ في الشِّعر. وكان من جُملة كتاب أبي علي بن خلاصٍ، صاحب سَبتةَ، إلى أن عيَّن ابن خلاصٍ ولدَه رسولاً إلى المستنصرِ ملكِ تونُس، ووجَّه ابنَ سهلٍ معه، فركِبا في البحرِ، في غُرابٍ، وسارَ إلى أن هاج البحرُ[1]، فَغَرِقَا معاً، هُما وكلُّ من ركبَ معهما. ولم يخرُج منهم أحدٌ. ولما بلغتِ المستنصرَ وفاةُ ابنِ سهلٍ في البحرِ قال: عادَ الدرُّ إلى وطنِه"[2]، انتهى. ثم رأيتُ هذا الكلامَ المنقولَ عن الرُّصافي في ترجمتِه من درةِ الحجالِ لأبي العباس بنِ القاضي[3].

وكان ابن سهل ممن انتحلَ صِناعة القريضَ فافتنَّ فيها وتصرَّف، وعُنِيَ بعلم الأدبِ فوعى ورَصَفَ، إلى أن بلغَ الغايةَ في الشعرِ، وصار فيه أوْحَد، لا يُنعتُ ولا يُحَد، فهو فارس المضمار، وحامي ذلك الذِّمار. وبطلُ الرَّعِيل، وأسدُ ذلك الغِيل، نسَّقَ المُعجزات، وسبَقَ في المُعْضِلاتِ المُوجَزات. تَحلَّت بنظْمِه الصَّحائفُ والمَهارِق، وما تخلتْ عنه المغاربُ ولا المَشارِق. وقد سُئِل بعضُ المغاربة عن السببِ في رقَّة نظمِ ابن سهلٍ فقال: "لأنه اجتمعَ فيه ذلَّانِ: ذلُّ العِشقِ، وذلُّ اليَهوديةِ"[4].

وله ديوانُ شعرٍ مشهورٌ، وقفتُ عليهِ، في غاية الجودةِ. يتناولُه العمومُ والخصوص، وتَتَعاضد على تقديمِه، على سائرِ الدواوين، الأقيسةُ والنُّصوص. وقد أثبَتُّ من شِعره

---

[1] – في الأصل وتاج المفرق 97/2: مال، وقدمنا ما في درة الحجال 33/1.

[2] – تاج المفرق 97/2–98 بتصرف قليل.

[3]– درة الحجال 33/1 –34، وفيها النص بتمامه.

[4] – نص كلام نفح الطيب 523/3.

ما يرخِّص الدُّرر، ويكونُ في سوادِ هذه الأسطرِ بمثابة الغُرر، فمن ذلك قوله[1]:

مَضَى الوَصْلُ إلاَّ مُنْيَةً تَبْعَثُ الأسَى، أُدَارِي بِهَا هَمِّي إذا اللَّيْلُ عَسْعَسَا

أَتَانِي حَدِيثُ الوَصْلِ زُوراً عَلَى النَّوَى، أُعِدْ ذَلِكَ الزُّورَ اللَّذِيذَ المُؤْ[نِسَ]ا

وَيَا أَيُّهَا الشَّوقُ الَّذِي جَاءَ زَائِراً، أَصَبْتَ الأَمَانِي، خُذْ قُلُوباً وَ أَنْفُسَا

كَسَانِيَ مُوسَى مِنْ سَقَامِ جُفُونِهِ، رِدَاءً، وَسَقَّانِي مِنَ الحُبِّ أَكْؤُسَا

وموسى هذا، كان أبو إسحاق يشبِّب به في أشعاره. ويَحتمِل أن يكونَ معشوقاً له كانَ بإشبيلية أو غيرِها، ويَحتمل أن يكونَ نبيَّ اللهِ موسى بنَ عمرانَ، على نبينا وعليه الصلاةُ والسلام[2]. وهذا ما تدُلُّ عليه التَّسْليةُ السالفةُ في البيْتين[3]. وقد وقع نحوُه لجماعةٍ من عظماء علماءِ الإسلام، واللهُ أعلم. ذكرتُ هنا قول الجمالِ بن نُباتة في مليحٍ اسمُه موسى[4]:

رَأَيْتُ فِي جِلَّقٍ غَزالاً تَحَارُ فِي حُسْنِهِ الْعُيُونُ

فَقُلْتُ: مَا الاسْمُ؟ قَالَ: مُوسَى قُلْتُ: هُنَا تُحْلَقُ الذُّقُونُ

وفيه الترويةُ بالموسى آلةِ الحلقِ. وأذكرتني لفظةُ الموسى ما ذكرهُ ابنُ [الأ]بّار في تُحفة القادم، أن أبا المُطَرِّف بن عُمَيرةَ حضَرَ بقصرِ الإمارةِ من بلنسيةَ في صبيحةِ بعضِ الجُمَع، فأعطى أميرُها السيدُ أبو زيدٍ[5] حجاماً، وحرمَ شاعراً، فقال أبو المُطَرِّفِ

---

[1] – ديوان ابن سهل 261 من قصيدة لم ترد في أصول الديوان، ووردتْ الأبياتُ الأربعةُ منها في نفح الطيب 523/3.

[2] – يبدو الاحتمال الثاني ضعيفا، والباعث عليه هو استغلال ابن سهل قصة موسى النبي في تصوير غرامه بمحبوب له معروف، (انظر مقدمة ديوان ابن سهل للدكتور إحسان عباس ص: 37،46).

[3] –انظر البيتين في الصفحة 13 من هذا الكتاب، والمقصود قوله: "تسليت عن موسى.."

[4] – البيتان في ديوان ابن نباتة 531–532.

[5] – وردت هذه القصة في نفح الطيب 316/1 نقلا عن تحفة القادم، وفيه: أن ابن الأبار كان حاضراً، وأن المحلوقَ أحدُ أصحابِه، وذلك بقصرِ الإمارة من بلنسية، وفي النفح 487/3 –488، أن المحلوقَ هو

ارتجالا:

أَرَى مَـــنْ جَـــاءَ بِالْمُوسَـــى مُواسًـــى وَرَاحَـــةَ ذِي الْقَرِيـــضِ تَـــرُوحُ صِفْـــرا
فهَـذَا مُنْجِـــحٌ أَنْ قَـــصَّ شَـعْـــــرَا وَهَـذَا مُخْفِـــقٌ أَنْ نَـــصَّ شِـعْـــــرَا

وقال ابنُ سهل من موشحةٍ[1]:

يَـــا لَحَظَـــاتٍ لِلْفِتَـــــنْ ! فِـــي كَرِّهَـــا أَوْفَـــى نَصِيـــبْ
تَرْمِـــي وكُلِّـــي مَقْتَـــــلٌ، وكُـلُّهَـا سَـهْـــمٌ مُـصِيـــبْ

وأخذه من قول ابن الرومي[2]:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ عُضْواً وَاحِـــدًا هُوَ مِنْكَ سَهْمٌ، وَهْـــوَ مِـنِّي مَقْتَـــلُ

إلاَّ أنه أفرغَه في قالبٍ بديع. فهوَ كما قال ابن المَرْزُبان: "سَرَقَ ساجاً، وردَّ عاجاً، ونَقَلَ قطيفةً، وردَّ ديباجاً". فإنَّ بيتَ ابنِ الرومي لا يخْلو من مُسامَحةٍ. وقد دارَ بين الصلاح الصفدي والجمالِ ابن نباتةَ فيه كلامٌ أوجبَ أن قال الصلاح[3]: ما تعجبُ منه ليسَ من العجبِ في شيءٍ، إذ هو بمثابة قولك: يا عجباً من إنسان كيف يقتُلُ إنساناً؟ ولو

"ملك شرق الأندلس زيان ابن مردنيش" وكان ابن الأبار كتب للسيد أبي زيد ثم لابن مردنيش قبل أن يرتحل إلى تونس. (انظر كذلك المغرب 364/2 وفيه البيتان مع خلاف في الرواية".

[1] – قفل موشح في الديوان 292.

[2] – ورد هذا البيت منسوبا لابن الرومي في الغيث المسجم، ولم نجده في الطبعة المعتمدة لدينا من الديوان.

[3] – خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب ومترجم، كثير التأليف، ولد في صفد بفلسطين، وتعلم بدمشق. تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب. مات بدمشق سنة 864/ 1363م مخلفا زهاء مائتي مؤلف، من أشهرها الغيث المسجم في شرح لامية العجم، والوافي بالوفيات (انظر الدرر الكامنة 186/2 والنقد في القرن الثامن").

كانَ العُضوُ الواحدُ سَهماً ومَقْتَلاً في حالةٍ واحدةٍ، جاء[1] العَجَبُ إلا أنه لا يصحُّ ذلك، فلا بد من فتحِ بابِ المجازِ وسدِّ بابِ الحقيقةِ. أي هو منكَ سهمٌ وهو منّي سببُ مقتلي[2]. ويضارعُ قول ابنِ سهلٍ قولُ ابن سناءِ الملك[3]:

مَا لَحْظُهُ سَهْمٌ وقَلْبِي مَـقْـتَـلٌ، بَلْ كُلُّهَا سَهْـمٌ وكُلِي مَـقْـتَـلُ

ومن رقيقِ غزلِ ابن سهل[4] قوله:

نظـرٌ جَـرَى قَلْبِـي عَلَـى آثَارِهِ، خَلَـعَ الْعِـذَارَ، فَـلاَ لَعـاً لِعِـثَارِهِ
يَـا وَجْـدُ! شَـأْنَكَ وَالْفُـؤَادَ وَخَلِّنِـي، مَـا الْمَـرْءُ مَـأْخُوذٌ[5] بِزَلَّـةِ جَـارِهِ
دَنِـفٌ يَغِيـبُ عَـنِ الطَّبِيـبِ مكَانُـهُ، لَـوْلاَ نُبَـالٌ شُـبَّ مِـنْ أَفْكَـارِهِ
لِلدَّمْـعِ خَـطٌّ فَـوْقَ صُفْـرَةِ وَجْهِـهِ، فَتَـرَاهُ مِثْـلَ النَّقْـشِ فِـي[دِينَـارِهِ]
هَيْهَـاتَ عَـاقَ عَـنِ الضُّلُـوعِ[6] فُـؤَادَهُ سَـبَبٌ يَعُـوقُ الطَّـيْرَ عَـنْ أَوْكَـارِهِ
مَـنْ لِـي بِـهِ، يَرْضَـى وَيَغْضَـبُ مِثْلَمَـا أَنِـسَ الـرَّشَا، ثُـمَّ انْثَنَـى لِنِفَـارِهِ
نَـشْوَانُ يَعْثُـرُ فِـي الْـحَدِيثِ لِسَانُـهُ عَثَـرَاتِ سَـاقٍ فِـي كُـؤُوسِ عُقَـارِهِ
وَالْخَـالُ يَعْبَـقُ فِـي صَحِيفَةِخَـدِّهِ مِسْـكاً، خَلَعْـتُ النُّسْـكَ مِـنْ عَطَّـارِهِ
قَالُـوا: سَيُسْلِيـكَ الْعِـذَارُ سَفَاهَـةً، وَحَـصَادُ عُمْـرِي فِـي نَبَـاتِ عِـذَارِهِ
إِنْ لَـمْ أَمُـتْ قَبْـلَ الْعِـذَارِ، فَعِنْدَمَـا يَبْـدُو، أَيَسْلَـمُ عَاشِـقٌ بِفِـرَارِهِ!

[1] – هكذا في الأصل، والأولى: جاز العجب.

[2] – أورد الصفدي هذه القصة في كتابه الغيث المسجم: 13/2 وبعكس ما يقوله الإفراني فإن الصفدي يرى أن الأمر واضحٌ إذ أبقي على ظاهره ولم يفتح باب المجاز.

[3] – من قصيدة غزلية في ديوان ابن سناء الملك. 571. وفيه: لحظه، كله.

[4] – من قصيدة في ديوان ابن سهل: 154–155 ترتيبها فيها: 1،5،9،12،6،8،13،18.

[5] – في الديوان 154: مأخوذاً ، وهذا لايساير المعنى الذي يقتضي النفي، لا التساؤل والاستفهام.

[6] – في الديوان 154: السلو، وعلى رواية الأصل يكون فؤاده كالطائر الذي منع من العودة إلى وكره .

مِثْلُ الْغَرِيقِ نَجَا فَوَافَى سَاحِلاً ... فَإذا الأَسُودُ رَوَابِضاً[1] بِجِوَارِهِ
إِنَّ الْعِذَارَ صَفِيحَةٌ تَتْلُو لنا ... مَاكَنَ صَانَ الْحُسْنُ مِنْ أَسْرَارِهِ
مُوسَى تَنَبَّأَ بِالْجَمَالِ، وإِنَّمَا ... هَارُوتُ لا هَارُونُ مِنْ أَنْصَارِهِ
إِنْ قُلْتَ فِيهِ: هُوَ الْكَلِيمُ فَخَدُّهُ ... يُهْدِيكَ مُعْجِزَةَ الْخَلِيلِ بِنَارِهِ
رَوْضٌ حُرِمْتُ ثِمَارَهُ، وَقَصَائِدِي ... مِنْ وُرْقِهِ، وَالآسُ نَبْتُ عِذَارِهِ
يَا مَشْرِقِياً غَرَّنِي بِفِرِنْدِهِ! ... وَنَسِيتُ مَا فِي خَدِّهِ وَ غِرَارِهِ
أَنِسَتْ بِنَارِ الشَّوْقِ فِيكَ جَوَانِحِي، ... وَالزَّنْدُ لاَ يَشْكُو بِحَرِّ شَرَارِهِ
أَحْرَقْتَ قَلْبِي فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْمُنَى، ... كَمْ مِنْ رِضىً فِي طَيِّ كُرْهِ الْكَارِهِ

وقال أيضاً، ونسبَها الشريفُ الغرناطي لصفوان ابن إدريس:[2]

بِتْنَا نُشَعْشِعُ، وَالعَفَافُ نَدِيمُنَا، ... خَمْرَيْنِ مِنْ غَزَلِي وَمِنْ كَلِمَاتِهِ
صَافَحْتُهُ، واللَّيْلُ يُذْكِي تَحْتَنَا ... نَارَيْنِ مِنْ نَفَسِي وَمِنْ وَجَنَاتِهِ
وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ البَخِيلِ لِمَالِهِ، ... يَحْنُو عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ
أَوْثَقْتُهُ فِي سَاعِدِيَّ، لأَنَّهُ ... ظَبْيٌ خَشِيتُ عَلَيْهِ مِنْ نَفَرَاتِهِ
وَالْقَلْبُ يَرْغَبُ أَنْ يصير ساعداً ... لِيَفُوزَ بِالآمَالِ مِنْ ضَمَّاتِهِ
عَزَمَ الْغَرَامُ عَلَيَّ فِي تَقْبِيلِهِ ... فَخَلَعْتُ أَيْدِي الطَّوْعِ عن عَزَمَاتِهِ[3]
وأَبَى عَفَافِي أَنْ أُقَبِّلَ ثَغْرَهُ، ... وَالْقَلْبُ مَطْوِيٌّ عَلَى جَمَرَاتِهِ
فاعْجَبْ لِمُلْتَهِبِ الجَوَانِحِ غُلَّةً، ... يَشْكُو الظَّمَا، وَالْمَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ!

---

1 - في الديوان 154: روابض.

2 - قال في الديوان 339: «وأورد له صاحب المسلك السهل: 18، ونسبها الشريف الغرناطي في شرح المقصورة 99/1 لأبي البحر صفوان بن إدريس».

3 - في الديوان 349: "فجعلت أبدي الطوع"، وهو نقيض ما في المسلك السهل.

وقال أيضا[1]:

رُدُّوا عَلَى طَرْفِيَ النَّومَ الذي سُلِبَا ... وَخَبِّرُونِي بِقَلْبِي أَيَّةً ذَهَبَا
عَلِمْتُ، لَمَّا رَضِيتُ الحُبَّ مَنْزِلَةً، ... أَنَّ المَنَامَ عَلَى عَيْنِيَّ قَدْ غَضِبَا
فَقُلْتُ: وَاحَرَبَا، وَ الصَّمْتُ أَجْدَرُ بِي، ... قَدْ يَغْضَبُ الْحُسْنُ، إِنْ نَادَيْتُ وَاحَرَبَا
وَلَيْسَ ثَأْرِي عَلَى مُوسَى، وَحُرْمَتِهِ، ... بِوَاجِبٍ، وَهْوَ فِي حِلٍّ إِذَا وَجَبَا
إِنِّي لَهُ عَنْ دَمِي المَسْفُوكِ مُعْتَذِرٌ، ... أَقُولُ: حَمَّلْتُهُ فِي سَفْكِهِ تَعَبَا
مَنْ صَاغَهُ اللَّهُ مِنْ مَاءِ الحَيَاةِ فَقَدْ ... جَرَتْ بَقِيَّتُهُ فِي ثَغْرِهِ شَنَبَا
نَفْسِي تَلَذُّ الأَسَى فِيهِ وَتَأْلَفُهُ، ... هَلْ تَعْلَمُونَ لِنِفْسِي بِالأَسَى نَسَبَا
قَالُوا: عَهِدْنَاكَ مِنْ أَهْلِ الرشَادِ، فَمَا ... أَغْوَاكَ؟ قُلْتُ: اطْلُبُوا فِي لَحْظِهِ السَّبَبَا
يَاغَائِباً، مُقْلَتِي تَهْمِي لِفُرْقَتِهِ ... وَالمُزْنُ إِنْ حُجِبَتْ شَمْسُ الضُّحَى انْسَكَبَا
أَلْقَى بِمِرْآةِ فِكْرِي شَمْسَ صُورَتِهِ ... فَعَكْسُهَا شَبَّ فِي أَحْشَائِيَ اللَّهَبَا
كَمْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا، وَالنَّجْمُ يَشْهَدُ لِي ... صَرِيعَ شَوْقٍ، إِذَا غَالَبْتُهُ غَلَبَا
مُرَدِّداً فِي الدُّجَى: لَهْفِي! وَلَوْنَطَقَتْ ... نُجُومُهَا، رَدَّدَتْ مِنْ حَالَتِي: عَجَبَا!
هَلْ تَشْتَفِي مِنكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاظِرُهَا؟ ... قَدْ نَالَ مِنْهَا سَوَادُ اللَّيْلِ مَا طَلَبَا
مَاذَا تَرَى فِي مُحِبٍّ! مَا ذُكِرْتَ لَهُ ... إِلاَّ بَكَى أَوْ شَكَا أَوْ حَنَّ أَوْ طَرِبَا
يَرَى خَيَالَكَ فِي المَاءِ الزُّلاَلِ إِذَا ... رَامَ الشَّرَابَ، فَيَرْوَى وَهْوَ مَا شَرِبَا

وقال أيضا [2]:

خَضَعْتُ وَأَمْرُكَ الأَمْرُ المُطَاعُ، ... وَذَاعَ السِّرُّ وَانْكَشَفَ الْقِنَاعُ

---

[1] – في الديوان 74–76: "وقال يتغزل في معشوقه موسى، وكان شابا وسيما قد أهب الله على محياه من الحسن نسيما".

[2] – الديوان 230–231.

وَهَلْ يَخْفَى لِذِي وَجْدٍ حَدِيثٌ ... أَتَخْفَى النَّارُ يَحْمِلُهَا اليَفَاعُ[1]
أَشَاعُوا أَنَّنِي عَبْدٌ لِمُوسَى ... نَعَمْ، صَدَقُوا عَلَيَّ بِمَا أَشَاعُوا
وَقَدْ سَكَتَ الْوُشَاةُ الْيَوْمَ عَنِّي، ... أَقَرَّ الْخَصْمُ فَارْتَفَعَ النِّزَاعُ
عَبَدْتُ هَوَاكَ فَاسْتَهْوَى عَفَافِي، ... كَأَنَّ الْوُدَّ وُدّاً أَوْ سُوَاعُ[2]
بَعَثْتُ وَسِيلَةً لَكَ مِنْ وِدَادِي ... فَصَافَحَ وَفْدَهَا مِنْكَ الضَّيَاعُ
هَلَكْتُ بِمَا رَجَوْتُ بِهِ خَلاَصِي، ... وَقَدْ يُرْدِي سَفِينَتَهُ الشِّرَاعُ
نَفَى سُهْدِي الْخَيَالَ، فَهَلْ رُقَادٌ ... يُعَارُ لِطَيْفِ وَصْلِكَ أَوْ يُبَاعُ!
لَقَدْ أَرْبَى هَوَاكَ عَنْ عَذَابِي ... كَمَا أَرْبَى[3] عَنِ الأَدَبِ الطِّبَاعُ
أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ أَشْكُوكَ بَثِّي ... مُشَافَهَةً فَيُخْجِلُكَ السَّمَاعُ
وَإِنْ عَبَّرْتُ عَنْ شَوْقِي بِكَتْبٍ ... تَلَهَّبَ فِي أَنَامِلِيَ الْيَرَاعُ

وقال أيضاً:[4]

ظُلْماً خَصَمْتُ شَهِيدَ الْحُبِّ عَنْ دَمِهِ ... وَذَاكَ خَدُّكَ مَصْبُوغاً بِعَنْدَمِهِ
يَصْبُو لأَلْحَاظِ موسى القلبُ، وَاعَجَبَا! ... رَامٍ غَزَا مُقْلَتَيْ صَبٍّ بِأَسْهُمِهِ
نَصِيبُ عَاشِقِهِ مِنْ حُبِّهِ نَصَبٌ ... وَحَظُّ مُغْرَمِهِ، إِرْجَاءُ مَغْرَمِهِ
عَلَّمْتُهُ الْفَتْكَ فِي قَلْبِي بِنَاظِرِهِ، ... لَوْ يَقْبَلُ الْوَصْلَ رَأْياً مِنْ مُعَلِّمِهِ

وقال أيضاً:[5]

---

1 – اليفاع: التل المشرف، أوكل ما ارتفع من الأرض.

2 – ود وسواع: صنمان. وفي القرآن: "وقالُوا لاَ تَذَرُنَّ وَدّاً ولاَ سُوَاعاً..." سورة نوح 23/71.

3 – في الأصل: أربى، وفي الديوان: أربت.

4 – ديوان ابن سهل 196.

5 - ديوان ابن سهل 228–229، وفي حاشيته: "لم ترد في نسخة الديوان، ووردت في المسلك السهل...".

صَــرِّحْ بِمَــا عِنْــدِي ولَــوْ مــلأ الْفَضَــا ... مَــالِي ولِلتَّعْرِيــضِ فِيمَـــنْ عَرَّضَـــا

لِــي شَــادِنٌ صَـــادَ الأُسُــودَ بِمُقْلَــــةٍ، ... أَلْقَــى الْكَمِــيُّ لَهَــا النَّوَابِــلَ مُعْرِضَــا

غُـــصْنٌ مَنَابِتُــهُ الْقُلُــوبُ وكَوكَــــبٌ ... مَــا نَــوْءُهُ إلاَّ الْمَدَامِــــعُ فُيَّضَـــا

مَـا طَــالَ لَــيْلِي بَعْـدَهُ، بَــلْ نَـاظِـــرِي ... يَــأْتِي[1] الصَّبَــاحُ فَــلاَ يَــرَاهُ أَبْيَضَــا

أَبْكِــي ويَضْحَــكُ رَاضِيــاً بِصَبَابَتِـــي ... وَالصَّبُّ يَجْنِــي السُّخْطَ مِـنْ ذَاكَ الرِّضَـا

لاَ تَلْــقَ أَنْفَاسِــي بِثَغْــرِكَ، إِنَّـــــهُ ... بَـرَدٌ، أَخَـافُ عَلَيْـهِ مِـنْ جَمْـرِ الْغَضَـا

طَـارَ الْكَـرَى لَكِـنَّ وَجْـدِي قَـصَّ فِــي ... وكْــرِ الضُّلُــوعِ، فَلَـمْ يُطِـقْ أَنْ يَنْهَضَـا

يَصْبُو[2] إِلَـــى قِصَــصِ الْكَلِيــمِ وقَوْمِـــهِ، ... قَصْــداً لِذِكْــرِكَ عِنْدَهَــا، وتَعَرُّضَـــا

أَشْكُو إِلَـــى الْحَـدَقِ الْمِـرَاضِ، وَضَلَــةَ ... أَنْ يَشْتَــكِي هَـدَفٌ إِلَـى سَهْــمٍ مَضَــى

بَلْــوَى عَلَـى الْقَلْــبِ الْمُعَـذَّبِ جَرَّهَــا ... لَحْظُ الظَّلُــومِ، ولَحْـظُ مُوسَـــى وَالْقَضَــا

وقال أيضا[3]:

أَمُوسَــى مَتَــى أَحْظَــى لَدَيْـكَ وَمُبْعِـدِي ... وِدَادِي، وَأَعْــذَارِي إِلَيْــكَ ذُنُوبِــــي

نَبَــذْتُ لِصَبْــرِي فِيــكَ أَكْــرَمَ عُــــدَّةٍ ... وَقَــاطَعْتُ مِــنْ قَوْمِــي أَعَــزَّ حَبِيـــبِ

وَهَبْــتُ، وَلاَ مَــنٌّ عَلَــى الْحُسْنِ، مُهْجَتِـي ... ولُبِّــي وَسُلْوانِــي لِغَيْــرِ مُثِيــبِ

فَضَـــاعَتْ، وَلاَ رَدٌّ عَلَيْهَــا، وَسَائِلِـــي، ... وَخَــابَ، وَلاَ عَتْــبٌ عَلَيْــكَ[4]، نَصِيبِـــي

وَقَـالُوا: لَبِيبٌ لَـوْ أَرَادَ عَصَــى الْهَـــوَى، ... تَنَاقَــضَ وَصْـــفَا عَاشِــقٍ ولَبِيــبِ

وَمَــا بِاخْتِيَـارِي فَــارَقَ الْقَلْــبَ صَبْـــرُهُ، ... ولَكِنْ فِــرَاقَ السَّيْــفِ كَــفَّ شَبِيــبِ[5]

---

[1] - في الأصل و (ب): مات، وفي الديوان: يأتي، مع الإشارة في الحاشية إلى مافي الأصل.

[2] – في الديوان228: أصبو.

[3] – ديوان ابن سهل 77.

[4] ـ في الديوان: عليه.

[5] –إشارة إلى قول المتنبي:

وقال أيضا[1]:

يَقُولُونَ: لَوْ قَبَّلْتَهُ لاَشْتَفَى الْجَوَى، أَيَطْمَعُ فِي التَّقْبِيلِ مَنْ يَعْشَقُ الْبَدْرَا؟
وَلَوْ غفَلَ الوَاشِي لَقَبَّلْتُ نعْلَهُ، أُنَزِّهُهُ أَنْ أَنْكُرَ النَّحْرَ وَالثَّغْرَا
وَمَنْ لِي بِوَعْدٍ منه أَشْكُو بِخُلْفِهِ وَمَنْ لِي بِوَعْدٍ[2] مِنْهُ أَشْكُو بِهِ الْغَدْرَا
وما أنا ممّن تحمِلُ الرِّيحُ شوقَه[3]، أَغَارُ حِفَاظاً نْ أَبُوحَ لَهُ سِرَّا
يَقُولُ لِيَّ اللاَّحِي، وَقَدْ جَدَّ بِي الهَوَى لِيُلْهِمَنِي فِي سُوءِ تَخْيِيلِهِ الصَّبْرَا:
أَلَمْ تَرْوِ قَطُّ: اصْبِرْ لِكُلِّ مُلِمَّةٍ؟ فَقُلْتُ: أَمَا تَرْوِي: لَعَلَّ لَهُ عُذْرَا
إِذَا جَاءَتِ الْعُذالُ فيهِ بِسِحْرِهَا فَفِي لَحْظِ مُوسَى آيَةٌ تُبْطِلُ السِّحْرَا

وقال أيضا[4]:

سَلِ النَّوْمَ يَا مُوسَى، وَهُنِّئْتَ طِيبَهُ، مَتَى عَهْدُهُ مِنْ عَيْنِ مَهْجُورِك الشَّقِي؟
وَطَالَ اتِّقَائِي أَنْ أُصَابَ بِفِتْنَةٍ، لَقَدْ جَلَبَتْ عَيْنَاكَ مَا كُنْتُ أَتَّقِي
نَظَرْتَ بِتِلْكَ الْعَيْنِ نَظْرَةَ قَاتِلٍ، فَهَلْ عِنْدَهَا، إِذْ[6] مِتُّ، نَظْرَةُ مُشْفِقِ!
أَيَا مُعْرِضاً أَعْلَقْتُ مِنْ حُبِّهِ يَدِي بِمِثْلِ شُعَاعِ الْبَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ
أُبَرْهِنُ عِنْدَ النَّفْسِ بَاطِلَ عُذْرِهِ، وَأَقْنَعُ مِنْهُ بِالْوِدَادِ الْمُلَفَّقِ
أَأَعْرَيْتَنِي مِنْ ثَوْبِ وَصْلِكَ بَعْدَمَا كَسَوْتَ الضَّنَى[7] عِطْفَيَّ وَالشَّيْبَ مَفْرِقِي

= بِرَغْمِ شَبِيبٍ فارَقَ السَّيْفُ كفَّه وكانا على العِلاَّتِ يَلْتَقِيَانِ

(شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمان البرقوقي 473/4)، وفي حاشيته أن شبيبا هذا هو شبيب بن جرير العقيلي، من قوم من القرامطة كانوا مع سيف الدولة. ولي معرة النعمان طويلاً ثم ثار مع قوم من الأعراب، وانتهى نهاية مأساوية.

[1] – ديوان ابن سهل 159.

[2] – في ديوان ابن سهل بعهد، وهو أنسب.

[3] – في ديوان ابن سهل: سره، وفيه أبيح، بدل أبوح، وهما أنسب في نظرنا.

[4] – ديوان ابن سهل 256.

وَيَـا سَـلْوَتِي، لاَ أعْـرِفُ الْغَدْرَ[1]، إنّنِـي أَخَذْتُ مَـعَ الأَشْجَـانِ أَكْـرَمَ مَـوثِّـقِ
وَيَـا صَـاحِ، إنْ لَـمْ تَـدْرِ أَنَّ شَـقَــاوَةً تَلَذُّ وَهُوناً يُشْبِـهُ الْعِـزَّ فَـاعْـشَـقِ

وقال أيضاً:[2]

سَأُلْـزِمُ نَفْسِـي فِيكَ ذَنْـبَ غَرَامِــي، فَمَـنْ بِدَمِـي إنْ حُـمَّ فِيـكَ حِمَامِـي!
وَنَفْسِـي دَعَتْنِـي لِلشَّقَـاءِ كَمَـا دَعَـتْ عِصَامـاً إلَـى العَلْيَـاءِ نَفْسُ عِصَـامِ[3]

وقال يهجو ابن القصير:[4]

أَيَـا مُتَطَفِّـلاً فِـي الشِّعْـرِ يَبْـدُو عَلَـى وَجَنَاتِـهِ طَفَـلُ الْمَسَـاءِ
إذَا الضِّلِّيـلُ[5] يَـوْمَ الحَشْـرِ وَافَـى فَلَسْـتَ بِدَاخِـلٍ تَحْـتَ اللِّـوَاءِ[6]

وقال في أرمـد[5]:

---

[1] في الديوان: العذر. وفي بعض مصادره: الغدر.

[2] –ديوان ابن سهل: 201.

[3] – إشارة إلى قول الشاعر(عن لسان العرب:عصم):

نفسُ عِصامٍ سوّدتْ عِصامـا
وصيَّـرتـه ملكـاً هُمامـا
وَعَلّمتـه الكَـرَّ وَالإقـدامـا

[4] في الأصل: ابن القصي، والمثبت عن ديوان ابن سهل 65. وابن القصير من كبار فقهاء الأندلس في القرن السادس الهجري. (أزهار الرياض 3/14-16 وأماكن أخرى من هذا الجزء والجزء الرابع).

[5] - الضليل: امرؤ القيس، وفي البيت إشارة إلى الحديث "امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار". (مسند أحمد 2/228).

[6] _ في الأصل: الثنا، والصواب ما أثبتناه عن ديوان ابن سهل.

[7] – ديوان ابن سهل 279 وفي الحاشية: "لم ترد في نسخ الديوان ونقلناها عن المسلك السهل:22".

مـا عـابَ سَاحِرَ طَرْفِهِ رَمَـدٌ بِـهِ، كـلاَّ، ولاَ أَضْحَـى بِـذَاكَ كَلِيـلاَ
لاَ تَأْمَنَـنْ فَتَكَـاتِ لَحْـظٍ أَرْمَـدٍ فَالْعَضْـبُ يُقْطَـعُ صَادِيـاً وَصقِيـلاَ

وقال[1]:

كَـأَنَّ السُّقْـمَ وَالسُّلْـوَانَ ذِهـنٌ، يَحُـومُ عَلَيْـهِ مَعْنًـى مُسْتَحِيـلُ

وقال، مهنئا بمولود[2]:

هِـيَ طَلْعَـةُ السَّـعْدِ الأَغَـرِّ فَمَرْحَبَـا، وَسَنَـا الرِّيَاسَـةِ قَـدْ أَضَـاءَ فَـلاَ خَبَـا
فَـرْعٌ أَزَاهِـرُهُ الْمَنَـاقِـبُ ثَـابِـتٌ فِـي الْمَعْلُـوَاتِ الشُّـمِّ، لاَ شُـمِّ الرُّبَـى
اللَّـهُ خَـوَّلَ مِنْـهُ آجَـامَ الـرُّبَـى[3] لَيْثـاً، وآفَـاقَ الرِّيَاسَـةِ كَوكَـبَـا
هَشَّـتْ لِمَطْلَـعِـهِ الأَسِـرَّةُ وَالأَسِنَّـ ـةُ وَالمَحَـافِلَ وَالجَحَافِـلُ وَالظُّبَـى
لاَ تَحْمِلُـوهُ عَلَـى الْمُهُـودِ فَـإِنَّـهُ [لَـيَرَى ظُهُـورَ الخَيْـلِ أَوطَـأَ مَرْكَبَـا[4]]
[وَلْتَفْطِمُـوهُ عَـنِ اللِّبَـانِ فَـإِنَّـهُ] لَيَـرَى دَمَ الأَبْطَـالِ أَحْلَـى مَشْرَبَـا

ومن قصيدته المشهورة التي أولها[5]:

رُعْ بِجَيْشِ اللَّـذاتِ سِـرْبَ الشُّجُـونِ وَخُـذِ الْكَـأْسَ رَايَـةً بِالْـيَمِيـنِ
لاَ تَـرُدَّنَّ بِالتَّنَصُّـلِ نَصْـلَ اللَّـ ـومِ، وَاقْلِـبْ لَـهُ مِجَـنَّ الْمُجُـونِ

---

[1] - البيت 15 من قصيدة في 19 بيتا في ديوان ابن سهل 173-174. وفيه: كأن القلب.

[2] - ديوان ابن سهل 85.

[3] - في الديوان: العلا.

[4] - زيادة من الديوان 75. سها الإفراني بسبب وجود كلمة (ليرى) في أول الشطرين.انظر ص25ح9.

[5] - الأبيات 1،2،9،20 من قصيدة في 22 بيتا في ديوان ابن سهل 211-213.

كَمْ نَهَانِي عَنْ حُبِّ مُوسَى أُنَاسٌ، عَذَلُونِي، فَإِذْ بَدَا حَسَدُونِي
أَكْبَرُوهُ وَلَمْ تُقَطَّعْ أَكُفٌّ[1] بِمُدًى، بَلْ قُلُوبُهُمْ بِجُفُونِ

وقال ابن سهل في أصفر:[2]

كَانَ مُحَيَّاكَ لَهُ بَهْجَةٌ حَتَّى إِذَا جَاءَكَ مَاحِي الْجَمَالْ
أَصْبَحْتَ كَالشُّمْعَةِ لَمَّا خَبَا مِنْهَا الضِّيَاءُ، اسْوَدَّ مِنْهَا الذُّبَالْ

وأما نظمُه في التوجيه: باصطلاح النُّحاة، فقال الثعالبي في الأنوار[3]: ابن سهلٍ أكثرُ الناس استعمالاً للقواعدِ العربية في شعره. وسيأتي بيان معنى التّوْجِيهِ في مواضع من

---

1 -يشير إلى الآية:

"فلما رأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ".

(سورة يوسف 31/12).

2 - ديوان ابن سهل 179.

3 - الثعالبي هو: أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم الثعالبي الفاسي الجزائري، ترجم له ابن القاضي في جذوة الاقتباس، وسماه عبد الله بن أبي القاسم بن محمد التغلبي الفاسي، وجعل وفاته سنة 987هـ، وهو خطأ صححه محقق المنزع البديع، وجعل وفاته حوالي سنة 789هـ.

أخذ عن منديل ابن آجروم، والأستاذ ابن حياتي، وأبي علي الحسن الونشريسي، وكان مؤلفا وشاعرا.

وكتابه أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي، شرح مستفيض لقصيدة الحلي البديعية المشهورة، اعتمده الإفراني في كتابه المسلك السهل في الدرجة الثانية بعد خزانة الأدب لابن حجة.

(جذوة الاقتباس 626/2 وأنور التجلي 242/2 -397 ومواضع أخرى منه، ونفح الطيب 279/7. والمنزع البديع: مقدمة المحقق 49/1-50).

التوشيح، إنْ شاء ربنا الكريمُ، عندَ شُروعنا في اقتناصِ ظَبَياتِ ذلك الصَّريمِ[1]. فمن قوله في التَّوجيهِ[2]:

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُواصِلِي | فَأَسْقَيْتَنِي بِالْبُعْدِ فاتِحَةَ الرَّعْدِ[3]
فباللَّهِ بَرِّدْ مَا بِقَلْبِي مِنَ الجَوَى | بِفَاتِحَةِ الأَعْرَافِ[4] مِنْ رِيقِكَ الشَّهْدِي

ولَــه[5]:

إِذَا كَانَ نَصْرُ اللَّهِ وقْفاً عَلَيْكُمُ، | فإنَّ العِدَا التَّنْوِينُ، يَحْذِفُهُ الْوَقْفُ

ولــه[6]:

وقَرأْنَا بَابَ المُضَافِ عِنَاقاً | وَحَذَفْنَا الرَّقِيبَ كَالتَّنْوِينِ

ولــه[7]:

إِذَا الْيَأْسُ نَاجَى النَّفْسَ مِنْكَ بِلَنْ ولا | أَجَابَتْ ظُنُونِي: رُبَّمَا وعَسَانِي

ولــه[8]:

---

[1] - الصَّريمُ: القطعةُ من مُعظم الرملِ.(القاموس المحيط: صرم).

[2] - ديوان ابن سهل 117.

[3] - فاتحة الرعد هي: "ألف، لام، ميم، راء". (سورة الرعد 1/3). وهي تؤلف كلمة: المُرّ.

[4] - فاتحة سورة الأعراف هي: "ألف، لام، ميم، صاد" (الأعراف 1/7). وهي تؤلف كلمة: المصّ.

[5] - بيت مفرد في ديوان ابن سهل نقلا عنْ المسلك.

[6] - البيت 22 والأخيرُ من قصيدة في الخمر والغزل في ديوان ابن سهل 213.

[7] - البيت 8 من قصيدة في عشرين بيتا، في ديوان ابن سنهل 214.

[8] ـ البيت الأخير من مقطوعة في ديوان ابن سهل 82.

صَحَّحْتُ يَأْسِي مِنْ وِصَالِك مِثْلَمَا ... قدْ صَحّ يَأْسُ الحَرْفِ مِنْ إعْرَابِهِ

قال الثعالبي: وهذه القواعدُ التي أشار لها ابنُ سهلٍ معروفةٌ في العربيةِ، تدلُّ على قوةِ باعِه فيها[1].

وقال ابن سهل[2]:

مَهْ لائِمِي عَنْ مَلامِي ... مَهْلاً بِقَلْبِي مَهْلا
تُبْ، لاَ تَلُمْ ذَا غَرَامٍ ... إنْ لَمْ تَتُبْ سَوْفَ تُبْلَى

وقَال[3]:

قَدْ كَتَبَ الْحُسْنُ عَلَى خَدِّهِ، ... إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِين[4]
يَا قَلْبُ، إنْ ملتَ إلَى غَيْرِهِ ... مَا أنْتَ إلاَّ فِي ضَلالٍ مُبِين[5]

قلت وهذا الذي ارتكبهُ من محرَّم الاقتباسِ. قال ابن حجةَ في بَديعِيَّتِهِ[6]: الاقتباسُ ثلاثةُ أقسامٍ؛ مقبولٌ، ومباحٌ، ومردودٌ. فالأولُ ما كان في الخُطب والمواعِظِ [والعُهودِ][7]،

---

[1] – انظر أنور التجلي 129/1.

[2] – في ديوان ابن سهل 279 نقلا عن المسلك السهل.

[3] – ديوان ابن سهل 225، نقلا عن المسلك.

[4] – اقتباس من الآية: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ.." (سورة الفتح 1/48).

[5] ـ اقتباس من الآية: "إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ". (يس 47/36). وتكرر هنا التعبير في آيات أخرى.

[6] – ابن حجة، هو أبو بكر بن علي الحموي المتوفى سنة 1433/837م. شاعرٌ ومنشئ، كان له اتصال واسع بعلماء عصره في الشام ومصر. جمع الكثير من شعر العصور المتأخرة في كتابه خزانة الأدب، الذي هو بالأساس شرح لبديعية له. اعتمد عليه الإفراني كثيرًا في القضايا البديعية وشواهدها (ترجمته في الضوء اللامع 53/11، وشذرات الذهب 219/7). والنص المنقول هنا عن خزانة الأدب 539 مع بعض التصرف. وهو أكثر مطابقة لنص عقود الجمان 168 التي يشير إليها المؤلف في هذه الصفحة.

[7] – زيادة من خزانة الأدب وعقود الجمان.

والثاني ما كان في الغزلِ والرسائلِ والقِصص، والثالث على ضربين: أحدُهما ما نسبهُ اللهُ إلى نفسه، نعوذُ بالله ممن نسبَه إلى نفسِه، كما قيلَ عن أحدِ بني مروان أنه وقّع على مَظْلَمةٍ[1] فيها شكايةٌ [من][2] عماله: "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ"[3] ثانيهما، تَضمينَ آيةٍ في معنى هزلٍ، انتهى.

قال في عُقود الجُمان وهذا التقسيمُ حسنٌ جدا[4]، وقد كنتُ جرَّدتُ في حُكم الاقتباسِ كُراسةً لطيفةً[5] يطلبُ تحريرُ هذا المَطلبِ منها.

وقال ابن سهل[6]:

أَبُو طَالِبٍ فِي كَفِّهِ، وَبِخَدِّهِ أَبُو لَهَبٍ، وَالْقَلْبُ مِنْهُ أَبُو جَهْلِ
وَبِنْتَا شُعَيْبٍ مُقْلَتَاهُ، وَخَالُهُ إلى الصُّدْغِ، مُوسَى قَدْ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ[7]

وفي هذين البيتين الجناسُ المَعنوي، وهو من لطائف الأدب التي لا يجوسُ حولها إلا فحولُ الرِّجال. وقولُ الصفدي في الغيثِ، وفي جِنانِ[8] الجناسِ: هذا النوعُ عندي باطلٌ،

---

[1] - في المصدرين السابقين: مظلمة.

[2] - زيادة من خزانة الأدب 539.

[3] - سورة الغاشية 26/88.

[4] - انظر عقود الجمان 168.

[5] - لم يحصل لنا علم بمصير هذه الكراسة.

[6]. الديوان 181 نقلا عن المسلك السهل. قلت: ووردا، كذلك، في تزيين الأسواق 473 غير معزوين.

[7] - اقتباس من سورة القصص 24/23/28: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ، وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ، قالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا: لانَسقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ".

[8] - في الأصل جناس الجناس وهو، خطأ.انظر الرأي المشار إليه في جنان الجناس للصفدي ط القسطنطينية 1299هـ ص 34-35.

دليلٌ على أنه عجزٍ عن نظمِه. واستدلالُه بعد ببيت المتنبي[1] شاهدٌ على أنه لم يفهمْه، فكيف ينظُمه؟! نَعَمْ، الجناسُ من حيثُ هو، قال في العمدة[2]: "من أنواع الفراغِ وقلة الفائدةِ، ومما لاَ يُشَكُّ في تكلُّفِه. وقد كثَّر منه هؤلاء الساقةُ المُتعقِّبونَ في نَظْمِهم ونثْرِهم حتى بَرُدَ وَ رَكَّ".

وقال أبو بكر الحَمَوي[3]: لم يجنحْ لهُ إلا مَنْ قصرتْ همتُه عن اختراعِ المعاني التي هي كالنجومِ الزاهرةِ في أُفقِ الألفاظِ، وإذا خلتْ بيوتُ الألفاظِ من سكانِ المَعاني تَنَزَّلَتْ منزلةَ الأطْلالِ الباليةِ. وما أحلَى قولَ الفاضِلِ[4]:

إِنَّمَا الدَّارُ، قبلُ بِالسُّكَّانِ، ... ثُمَّ بعدَ السُّكَّانِ بالجِيرانِ
فَإِذَا مَا الأرْواحُ شَرَّدَهَا الحَتْـ ... ـفُ، فَمَاذَا يُرادُ بالأبْدَانِ

ابن الوردي[5]:

إذا أَحْبَبْتَ نَظْمَ الشِّعرِ فَاخْتَرْ ... لِنَظْمِكَ كُلَّ سَهلٍ ذا امْتِنَاعِ
وَلاَ تَقْصِدْ مُجَانَسَةً ومَكِّنْ ... قَوَافِيهِ وكِلْهُ إِلَى الطِّبَاعِ

---

[1] - المقصود قول المتنبي في ديوانه 99:

حَاولنَ تَقريبي وخفْن مُراقِيا ... فوضعْن أيْدِيهنَّ فوقَ تَرائِبا

وفي الرواية المعتمدة عند الصفدي: "تفديتي" بدل "تقريبي"، فهو يفترض أن الكلمة الغائبة هي "الأفئدة"، حيث استبدلها الشاعر بـ "ترائبا" للضرورة.

وما ذكره الإفراني هو رأي ابن حجة في خزانة الأدب 52 واستشهد ببيت المتنبي.

[2] - النص في العمدة 328/1 مع بعض التصرف أيضا. وهو مطابقٌ لنص خزانة الأدب 25 المنقول عن العمدة. وقد عمم الإفراني هذا الحكم على الجناس "من حيث هو"، بينما أصدرهُ صاحب العمدة على ما أحدثه المولدون من تجانس منفصل يظهر في الخط.

[3] - في خزانة الأدب 25 بتصرف.

[4] - البيتان في خزانة الأدب 25.

[5] - البيتان في المصدر السابق 27.

ابنُ مَمَّـــاتِي[1]:

طَبْـعُ الْمُجَنِّـسِ فيـــهِ نَـــوعُ قِيـــــادَةٍ أَوَ مَـــا تَـــراهُ مُؤلِّفــــاً للأَحْــــــرُفِ

والصفدي ممن تهافتَ على الجناسِ. ونُكِرَ أنَّـه لمَّا وقفَ الجمالُ بن نباتَـةَ علـى تأليفِهِ المُسمَّى بجنان[2] الجناسِ قرأهُ: جِناسُ الخناسِ[3]. وجرَى بينهما بسَبَبِ ذلك ما يطولُ شرحه.

ومن أحسنِ الجناس المعنوي قولُ ابن عَبْدون، وقد اصطَبَح بخمرةٍ فترك بعضَها إلى الليلِ فصارَ خَلاًّ:

أَلاَ فـي سَبيـلِ اللَّهْـوِ كَـأسُ مُـدَامَـةٍ أَتَتْنَـا بطعْـمِ عهْـدُه غيْـرُ ثـابـتِ
حكَتْ بِنْتَ بِسْطَامِ بـنِ قَيْـسٍ صَبيحَـةً وأَمْسَتْ كجِسْمِ الشَّنْفَـرى بعـدَ ثابِـتِ

بنتُ بسطامٍ: اسمُها الصَّهباءُ. وثابتٌ: اسمُ تأبط شرّاً، ولما قتَلَه بنو هذيلٍ قال الشنفري:

فَـاسقِنِيهـا أيـا سَـوَادَ بـنَ عَمْـرٍو، إِنَّ جِسْمِـي مِـنْ بَعْـدِ خالـي لَخَـلُّ

والخلُّ كناية عن الجسم النحيلِ المهزولِ، واختلفَ في قوله: خالي، فقيلَ: بعد قتْلِ خالي، وقيلَ: اختيالي، والحال: الهوى. وتروى الأبيات لخلف الأحمر[4].

والذي يظهرُ في بيتي ابن سهلٍ أنهُ أراد بـأبي طـالبٍ مـا فـي كفهِ من الرطوبـةِ والليونـةِ الطالبة للسالي أن يعشقَ، أو ما يُطلبُ منـه، وهـو الوصـلُ طـوعَ يديـه، كنايـة عن كونـه أن

---

[1] – البيت في خزانة الأدب 27. وفيه: الأسعد بن مماتي. (انظر ترجمته في الوفيات 1/189- 192، طبعة 1948م. والأدب العربي في مصر 307).
[2] – في الأصل: جناس، وهو خطأ كما تقدم.
[3] – في الأصل جنان الجنان.
[4] – انظر هذه القصة وما يتعلق بها من شعر في أنوار التجلي 1/24-25.

أرادَه وقَــع.

وأبو لهبٍ: حمرةُ الخدودِ، فكأنها جَذوةُ نارٍ. وأبو جهْل: قساوةُ قلبِه عن سماعِ الحقّ، ولم يُرِد أسماءهم، فإن أبا طالبٍ اسمُه عبدُ منافِ على المشهورِ، وأكثر المتقدّمين، كما قال الحاكمُ، على أن اسمَه كنيتُه. ذكرَه ابن حجرٍ في الإصابةِ. وأبو لهبٍ: عبدُ العُزّى، ولهذا عُدِلَ في القرآن لِكُنْيَتِه. وأبو جهلٍ: الحكَم. وبنتا شعيب، أشار إلى قوله تعالى: "تَذُودَانِ"[1]. والخالُ من تحتِ [ظلّ] العذارِ، كموسى في فَيْءِ الجدار.

ورأيت بخط الإمام أبي العباس المقري ما نصه[2]: حضر إبراهيم بن سهل يوما مع الأديب الشهير أبي الحسن علي بن سعيد بموضع بإشبيلية، فاتفق جواز وزير الوالي عليهما، وكان أفلحَ، أي مشقوق الشفةِ، فقال ابنُ سهلٍ مُعرِّضاً:

وَزِيرُ والِينَــا الرِّضَى أَفْلَـــــحُ[3]

فقال ابنُ سعيد:

فهلْ تَرانــا بَعــدَه نُفْلِـــحُ!

فقالَ ابنُ سهل:

يَقْــرأُ راجِيــهِ على فِيــهِ: لا

فقالَ ابنُ سعيد:

---

[1] - انظر الحاشية 87 في الصفحة 7.

[2] - انظر هذه القصة في اختصار القدح المعلى: 140-141.

[3] - في اختصار القدح 140:

وَزِيرُنَــا، يــا وَيْحَنَــا، افْلَــحُ

فَحَاجَــةُ الْمِسكِيــنِ لا تَنْجَـــحُ

وقال ابنُ سعيدٍ في ديوانِ شعرِه الذي ألفَه على حروفِ المُعجمِ ما نَصُّهُ: خرجتُ مرةً مع أبي إسْحقَ إبراهيم بن سهلٍ الإسرائيلي إلى مرجِ الفِضةِ بنهرِ إشبيلية، فتَشاركنا في هذا الشعر [1]:

غَـيْرِي يَمِيـلُ إلـى كَـلامِ الـلاَّحِـي ... ويَـمُـدُّ رَاحَـتَـهُ لِـغَـيْـرِ الـرَّاحِ
لاَسِـيَمَا وَالغُصْـنُ يُزْهِـرُ زَهْـرُهُ ... وَيُمِيـلُ عِطْـفَ الشَّـارِبِ المُـرْتَـاحِ
وَقَـدِ اسْـتَطَارَ الْقَلْـبَ سَـاجِعُ أَيْكَـةٍ ... مِـنْ كُـلِّ مَـا أَشْكُـوهُ لَيْـسَ بِصَـاحِ
قَـدْ بَـانَ عَنْـهُ جَنَاحُـهُ [2]، عَجَبـاً لَـهُ ... مِـنْ جَـانِحٍ لِلْعَجْـزِ [5] حِلْـفِ جُـنَـاحِ
بيْـنَ الرِّيَـاضِ وقَـدْ غَـدَا فـي مَأْتَـمٍ، ... وتَـخَـالُـهُ قَـدْ ظَـلَّ فِـي أَفْـرَاحِ
وَالغُصْـنُ يَمْـرَحُ تَحْتَـهُ وَالنَّهْـرُ فـي ... قَـصْـفٍ تُـزَجِّـيـهِ يَـدُ الأَرْوَاحِ
وكَأَنَّمَـا الأَنْشَـامُ [3] فَـوْقَ جَنَابِـهِ [4] ... أَعْـلاَمُ خَـزٍّ فَـوْقَ سُـمْـرِ رِمَـاحِ
لاَغَـرْوَ أَنْ قَـامَتْ عَلَيْـهِ أَسْـطُـراً ... لَمَّـا رَأَتْـهُ مُـدَرَّعـاً لِـكِـفَـاحِ
فَـإِذَا تَتَابَـعَ مَـوْجُـهُ لِدِفَـاعِـهِ ... مَـالَتْ عَلَيْهِ فَظَـلَّ حِلْـفَ صُـيَـاحِ

وابنُ سعيد، هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ موسى بن سعيد من ذُريـةِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ، رضـي

---

[1] – انظر نص هذا الكلام والقصيدة في نفح الطيب 2/307-308، والقصيدة في ديوان ابن سهل 92.

[2] – في ديوان ابن سهل: قرينه.

[3] – الأنشام: شجر للقسي، مفردها نشم محركة.

[4] – هكذا في المسلك وديوان ابن سهل، وفي نفح الطيب: جنانه.

الله عنه، ذكره في الإحاطة، وأطالَ في نفح الطيب في ترجمته[1]. ارتحل للمشرق، ولما خلَ القاهرةَ صنَعَ له أدباؤُها فُرْجَةً في ظاهرها، فكان فيهم أبو الحسنِ الجزارُ يدوسُ النرجسَ برجلِه، فقال أبو الحسنِ:

يـا واطـئَ النَّرْجِسِ، مَـا تستَحِـي أَنْ تَطَـأَ الأعْيُـنَ بالأَرْجُـلِ!

فتهافتوا على إجازتِه، فقال ابنُ أبي الإصْبَع:

دَعْنِـي فإنِّـي لَـمْ أَزَلْ مُحْنَقـاً عَلَـى لِحَـاظِ الرَّشَـأِ الأَكْحَـلِ

ثم طلبوا أبا الحسن أن يُجيرَ فقال:

قَابِـلْ جُفُونـاً بِجُفُـونٍ، ولاَ تَبْتَـذِلِ الأَرْفَـعَ بِالأَسْفَـلِ

" ثم استدعاهُ سيفُ الدينِ بنُ سابقٍ إلى مجلسٍ بضفةِ النيلِ مفروشٍ بالوردِ، وقد قامتْ حولهُ شمَّاماتٌ، فقال:

مَـنْ فَضَّـلَ النَّرْجِسَ فَهْـوَ الـذِي يَرْضَـى بِحُكْـمِ الـوَرْدِ إِذْ يَـرْأَسُ
أَمَـا تَـرَى الـوَرْدَ غَـدَا قَاعِـدَا وقَـامَ فـي خِدْمَتِـهِ النَّرْجِـسُ

ووافق ذلك مماليكَ التركِ وقوفاً في الخدمة، فطربَ لها الحاضرون"[2]. ومُلَحُ ابنِ سعيدٍ كثيرةٌ.

---

[1] – نفح الطيب 2/262-350.

[2]– تصرف الإفراني في الجزء الأول من نص نفح الطيب 2/271-272، واحتفظ بما حصرناه منه.

مسكُ ختام

يسفر عن وجوه مخدرات البدائع اللثام.

لمَّا جَرى ذِكر إبراهيمَ بنِ سهلٍ، وأجْرَينا من سوابقِ محاسنِه التي تناقلوها الرُّكبانُ في الحَزْنِ والسهلِ، ورَصَّعْنا لَبَّاتِ الألفاظِ بجواهرِ أَغْرَاضِهِ الثَّمينةِ، ورَصَفْنا دُرَرَ قصائِدِهِ التي هي مِن الرُّخْصِ في أسواقِ الأدبِ أمينة، مع كونِه نَشأ في أمةٍ لاَ ينطقُ من ثِقافِ العُجمةِ لِسانُها، ولا تُمسكُ إلا بيَدِ الهُجْنَةِ أَرْسانُها، حسُن أن نُذَيِّلَهُ بمَنْ كان على شاكِلتِهِ من اليهودِ، وارتوى من عُيونِ القريضِ الغزيرة، وطلَعَ كالسُّهى الخَفيِّ بين كواكبِ أدباءِ الإسلامِ من أهلِ الجزيرةِ. لأنَّ ذلكَ مما رأيتُه ملْقَحَةً للفِكَرِ، والشيءُ بالشيءِ يُذْكَر.

فمِنهم[1]: **إبراهيمُ بن الفخارِ**، و "كان قد تمكنَ عند الأذْفُنْشْ ملكِ طُليطلة النَّصراني، وصيَّره سفيراً بينه وبينَ ملوكِ المغربِ. وكان عارفاً بالمنطقِ والشعرِ. قال ابنُ سعيد: أنشَدني لنفسِه يخاطبُ أديباً مُسلماً كان يعرفُه قبلَ أن تعلوَ رتبتُه"[2]، ويعودَ سفيراً بينَ الملوكِ، ولم يزِدْهُ، بعدَ ما حصلَ لهُ من الرِّئاسةِ على ما كانَ يعاملُهُ بهِ منَ الإذْلالِ والصَّغارِ، فضاقَ ذَرْعُ ابنِ الفَخَّارِ، وكتبَ إليه:

أَيا جَاعِلاً أَمْرَيْنِ شِبْهَيْنِ ما لَهُ ... منَ العَقْلِ إحْسَاسٌ بهِ يَتَفَقَّدُ
جَعَلْتَ الغِنَى والفقْرَ والذُّلَّ والعُلا ... سواءً فَما تَنْفَكُّ تَشْقَى وتَجْهَدُ
وهَلْ يَسْتَوي في الأرْضِ نَجْدٌ وتَلْعَةٌ؟ ... فتَطَلَّبْ تَسْهيلاً وسَيْرُكَ مُصْعِدُ
وما كُنْتَ ذَا مَيْزٍ لِمَنْ كُنْتَ طَالِباً ... بِما كُنْتَ في حَالِ الْفَراغِ تُعَوَّدُ

---

[1] - اعتمد الإفراني فيما أورده عن الشعراء اليهود على نفح الطيب 3/522-530. وانظر ترجمة ابن الفخار في المغرب في حلى المغرب 2/32.

[2] - تصرف الإفراني في باقي نص نفح الطيب 3/527، ولذلك لم نحصره كله.

وقـدْ حـالَ مـا بيْنِـي وَبِينَـكِ شـاغِـلٌ، فـلاَ تَطْلُبَنِّـي بـالَّذي كُـنْـتَ تَـعْـهَـدُ
فـإنْ كُنْـتَ تـأْبَى غَيْـرَ إِقْـدَامِ جاهِـلِ، فَإِنَّـكَ لاَ تَـنْـفَـكُ تُلْـحَى وتُـطْـرَدُ
أَلاَ فَـأْتِ فِـي أَبْوابِـهِ كلَّ مَـسْلَـكٍ، ولاَ تَـكُ كَـلاًّ[1] حيثُمَـا قُمْـتَ تَقْعُـدُ

قال ابنُ سعيد: وأنشَدني لنفسِه:

ولَمَّـا دَجَـا لَيْـلُ العِـذَارِ بِـخَـدِّهِ، تيَقَّنْـتُ أنَّ اللَّيْـلَ أَخفَـى وأَسْتَـرُ
وأَصبَـحَ عُـذَّالِـي يَقُولـونَ: صاحِـبٌ، فأَخْلُـو بـهِ جَهْـراً ولا أَتَسَـتَّـرُ

وقال يمدحُ الأَنْفُنْش، لعنه الله:

حَضْـرَةُ الأَنْفُنْـشِ لا بَرِحَـتْ غـادَةً، أَيَّامُـهَـا عُـرْسُ
فَـاخْلَـعِ النَّعْلَيْـنِ تَكْـرِمَـةً فِـي ثَرَاهَـا، إنَّهـا قُـدْسُ

"قال: وأَدخلوني إلى بُستانِ الخليفةِ المستنصرِ، فوجَدتُه في غايةِ الحُسْنِ، كأنهُ الجنةُ، ورأيتُ على بابهِ بواباً في غايةِ القُبْحِ، فلما سألني الوزيرُ عن حالِ فَرحتِي، قلتُ: رأيتُ الجنَّةَ إلاّ أنّي سمعتُ أنَّ الجنة يكونُ بوابها رضوانُ، وهذه بوابُها[2] مالكٌ، فضحك الوزير وأخبر الخليفةَ المستنصر[3] بذلك، فقال له: إنا قصدنا ذلك، فلو كان رضوانُ عليها بواباً لخشينا أن يردّه عنها، ويقولَ لهُ: ليس هذا موضعك، ولمّا كان مالكاً أدخله لها وهو لا يدري ما وراءه ويتخيل أنها جهنّم. قال: فلما أعلمني الوزير بذلك قلت[4] «اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ

[1] – في نفح الطيب 528/3: فحلا، والأحسن ما في المسلك السهل، إذ في الكلمة إشارة إلى الآية "وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبْكَمُ لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ على مَوْلاهُ".(سورة النحل 76/16).

[2] – في نفح الطيب 528/3، مصدر النص: على بابها.

[3] – نفح الطيب: فضحك وأخبر الخليفة بما جرى.

[4] – في نفح الطيب: قلت له.

رِسَالاتِــهِ"[1]، انتهى.

ذَكرتُ بهذه الواقعةِ النادرَةِ، التي تنشِّط لاقتناءِ المفاخرِ الأفكارَ السادرة، ما رأيتُه فـي نفـح الطيب، أن الخليلي "لمَّا قدِم من الأندلسِ رسولاً إلى سلطانِ المغربِ أبي عنـانٍ فـارسِ ابـنِ السلطانِ أبي الحسنِ المريني أنشدَ بحضرةِ السلطانِ المذكورِ كالمُفتخرِ ببلادِ الأندلسِ أبياتَ ابن خفاجَةَ"[2]؛ وهي[3]:

يَــا أَهْــلَ أَنْدَلُــسٍ لِلَّــــهِ دَرُّكُــــمُ   مـــاءٌ وَظِــلٌّ وَأَنْــهَـــارٌ وأَشْـجَـــارُ
مــا جَنَّـــةُ الْخُلْــدِ إلاَّ فـــي دِيَارِكُـــمُ   وَهــذِهِ كُنْــتُ، لَــوْ خُيِّــرْتُ، أَخْـتَــارُ
لا تَحْسِبُوا فـي غَدٍ أنْ تَدْخُلُــوا سَقَـــراً   فليْـسَ تُدْخَــلُ بَعْــدَ الجَنَّـــةِ النَّـــارُ

فقال أبو عنانٍ: كَذَبَ هذا الشاعرُ! يشيرُ إلى أنــه جعلهـا جَنَّـةَ الخُلد، ولـو خـيِّر لاختارهـا على ما في الآخرَةِ. وهذه خروجٌ عن رِبقةِ الدينِ ولا أقل من الكذبِ والإغراقِ، وإن جـرتْ عادةُ الشعراءِ بذلك. فقال الخليليُّ: يا مولانا، بل صدَقَ الشاعرُ، لأنها موطنُ جهاد، ومقارعةٍ للعدوِّ وجلاد، والنبي، صلى اللـه عليـه وسلم، الرحيـمُ الـرؤوفُ، يقـول: الجنـةُ تحـت ظـلالِ السيوفِ[4]. فاستحسنَ منهُ هذا الكلام، ورفـع عـن قـائلِ هذه الأبيـاتِ المَـلام، وأَجْزلَ صِلَتَـه، ورفعَ منزلتَه. ولَعَمْري إنَّ هذا الجوابَ جديرٌ بالصَّواب. وهكذا ينبغي أن يكونَ رسلُ الملوكِ في الافتتانِ. رَوَّحَ اللهُ أرواحَ الجَميع في الجِنانِ[5].

ومنهم: **إلياسُ مُدورِ الطبيب**[6]، ذكرهُ في نفح الطيبِ، قال: وكان في زمانِه طبيبٌ آخرُ،

---

[1] - سورة الأنعام 124/6.
[2] - نص نفح الطيب 681/1.
[3] - الأبيات في ديوان ابن خفاجة 301، ونفح الطيب 680/1.
[4] - صحيح البخاري 22/4 (ط1314).
[5] - نفح الطيب 681/1، بتصرف.
[6] ـ اسمه عند ابن سعيد في المغرب 336/1:"إليس بن صدود اليهودي الطبيب"

كان يجري بينهما من المُحاسدَة ما يجري بين مشتركين في صَنعة، فأصلحَ الناس بينهما مراراً، ثم ظهر لإلياسَ ما ينفرُ الناس منه[1]، فكتبَ إلياسُ إليه:

لاَ تُخْدَعَــنَّ فَمَـا تَكُــونُ مَــوَدَّةٌ ... مـا بيــنَ مُشْتَرِكَيْــنِ أَمْــراً واحِــدَا
أُنْظُـرْ إِلَـى القَمَرَيْــنِ حيــنَ تَشَارَكَـا ... بِسَنَـاهُمَـا كـانَ التَّلاَقِـي وَاحِــدَا

وكانَ إلياسُ طبيباً ماهراً. له خبرةٌ بمسائلِ العلاجِ. وهو من رندةَ بالراء المُهملةِ. وهي في مُتوسطِ بلادِ الأندلسِ.

ومنهم: **بَسَّلم بنُ شَمْعُونَ**، ذكرهُ في النَّفح أيضا، وأثبتَ له رسالةً وجهَ بها إليه أيوبُ بنُ سليمانَ المرواني، رأيتُ رقمَها هُنا لا يسُر الناظرين[2].

ومنهم **حُنَين الإسرائيلي**، وكانتْ له مشاركةٌ في الهندسةِ، ومن عجائبه أنه نقلَ حمَامَ الأندلسِ كلِّها إلى طُليطلةَ في يومٍ واحدٍ. وهو الذي احتالَ في قَلْعِ إحْدَى البيلَتيْنِ[3] فاختلَّت حكمتُهُمَا. والبيلتانِ من غرائبِ الدنيا، وكانتا بطُليطلةَ، صنعَهُما عبدُ الرحمنِ الناصرُ، لما سمعَ بخبَرِ الطِّلَّسْمِ الذي بمدينةِ أرينَ من أرضِ الهِند، وقد ذكرهُ المَسعودي، وأنهُ يدورُ بإصبَعِهِ من طلوعِ الفجرِ إلى غروبِ الشمسِ. فصنَعَ هو هاتينِ البيلتينِ خارجَ طُليطلةَ في بيتٍ مُجَوَّفٍ[4] في جوفِ النهرِ الأعظم، في الموضعِ المعروفِ ببابِ الدَّبَّاغين. ومِنْ عجبِهما أنهما تَمْتَلِئانِ وتَنْحَسِرانِ مع زيادةِ القمرِ ونُقصانِه، وذلك أن أولَ الهلالِ يخرجُ

---

[1] – في نفح الطيب 528/3: من ذلك الرجل الطبيب.

[2] – هذه الرسالة في نفح الطيب 529/3: دعوة إلى جلسة لهو.

[3] – في الأصل: أحد، وتتراوح بقية النص بين التذكير والتأنيث، والذي في نفح الطيب 206/1-207، مصدرِ النص، هوالتأنيث، فوحَّدنا الضمائرَ على هذا الأساس. ولم يلتزم الإفراني النص حرفيا.
والبيلتان، مفردهما بيلة، وهي حوض النافورة، وقد تعني "خصة" وهي بالإسبانية والإيطالية PILA كما قال الدكتور إحسان عباس في حاشية نفح الطيب.

[4] – في الأصل: بجوف، وأثبتنا ما في نفح الطيب 206/1.

فيهما[1] سبُعُهما من الماءِ، فإذا كان آخرُ النهارِ كمُلَ فيهما نصفُ سُبُعٍ، ولا يزالُ كذلك بينَ اليومِ والليلةِ[2] حتى يكملَ امتلاؤُهما بكمالِ القمرِ. فإذا كان في ليلةِ خمسةَ عشرَ، وأخذَ القمرُ في النقصانِ نقصتا بنقصانِ القمرِ كلَّ ليلةٍ ويومٍ نصفَ سبعٍ حتى يُتِمَّ القمرُ واحداً وعشرينَ يوماً، فينقصُ منهما نصفُهما، ولا يزال كذلك ينقصُ في كل يومٍ وليلةٍ نصفَ سُبعٍ، فإذا كان تسعةٌ وعشرون من الشهرِ لا يبقى فيهما شيءٌ من الماء. وإذا تكلَّفَ أحدٌ حين تنقصانِ أن يملأَهُما وجلبَ ماءَ الدنيا ابتلعتا ذلكَ من جانبٍ بهما[3] حتى لاَ يَبقَى فيهما إلا ما كان في تلك الساعةِ. وكذا لو تكلَّفَ عند امتلائهما إفراغهما ولم يُبْقِ فيهما شيئاً ثم رفعَ يدَه عنهما، خرجَ فيهما من الماءِ ما يملؤُهما في الحينِ وهما أعظمُ من طِلَّسْمِ الهِندِ. لأن ذلك في نقطةِ الاعتدالِ، حيث لا يزيدُ الليلُ على النهارِ، أما هاتان فليستا في مكان الاعتدالِ. ولم تزالا في بيتٍ واحدٍ حتى ملك النصارى، دمَّرَهُم الله، طُلَيطلةَ، فأرادَ أَذْفُنْشُ أن يكشفَ عن حركةِ البيلتينِ، فقال له حُنينُ: أنا أَقْلَعُهما وأردُّهما أحسنَ مما كانتا. فلما قُلعتْ لم يَقدِرْ على ردِّها[4]. وقيلَ إنه قَلَعَ واحدةً يسرقُ منها النظرَ والصنعةَ فبطلتْ، ولم تزلِ الأخرى تُعطي حركتَها. وحُنينُ هو الذي أعلمَ الفُنْشَ أنه سيدخلُ قرطبةَ ويملكُها.

ومنهم: **قَسْمونَةُ** الشاعرةُ بنتُ إسماعيلَ الإسرائيلي[5]. وكان أبوها شاعراً فاعتنى بتأديبها، وربَّما صنعَ من المُوشحةِ قسماً فتأتي هي بالقسمِ الآخر. قال أبوها يوماً: أجيزي:

لِي صَاحِبٌ ذُو بَهْجَةٍ[6] قَدْ بَدَّلَتْ   صُنْعاً بِظُلْمٍ، واستَحَلَّتْ جُرْمَهَا

---

[1]- في نفح الطيب 206/1 زيادة: "يسير ماء فإذا أصبح كان فيهما ربع...".

[2] - في نفح الطيب زيادة: "نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما، ولاتزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة".

[3] - في نفح الطيب: من حينهما.

[4] - هكذا في الأصل وفي نفح الطيب.

[5] - عن نفح الطيب 530/3 بتصرف.

[6] - في نفح الطيب "ذو مهجة، وأشار في الحاشية إلى أنها في الأصول: ذو بهجة".

ففكرتْ غيرَ كثيرٍ وقالتْ:

كَالشَّمْسِ مِنْهَا البَدْرُ يَقْبِسُ نُورَهُ   أَبَداً، وَيُكْسِفُ، بَعْدَ ذلِكَ، جِرْمَهَا

فقامَ كالمُختبَلِ، وضمَّها إليه، وجعلَ يقبلُ رأسَها ويقولُ: أنتِ والعَشرِ كلماتٍ أشعرُ مني[1].
ونظرتْ يوماً في المرآةِ فرأتْ جمالَها، وقد بلغتْ أوانَ التزويجِ ولم تتزوجْ، فقالتْ:

أَرَى رَوْضَةً قَدْ حَانَ مِنْهَا قِطَافُهَا   وَلَسْتُ أَرَى جَانٍ يَمُدُّ لَهَا يَدَا
فَوَا أَسَفَا! يَمْضِي الشَّبَابُ مُضَيَّعَا   وَيَبْقَى الَّذي مَا إِنْ أُسَمِّيهِ مُفْرَدَا

فسمعَ أبوها فنظرَ في تزويجها، فتزوجتْ سريعاً. وقالت في ظبيةٍ عندها:

يا ظبيةً تَرْعَى بِرَوْضٍ دَائِمَا،   إِنِّي حكَيْتُكِ في التَّوَحُّشِ والحَوَرْ
أَمْسَى كِلانَا مُفْرَداً مِنْ صَاحِبٍ   فَلْنَصْطَبِرْ أَبَداً عَلَى حُكْمِ القَدَرْ

ومنهم: **نسيِّمُ** ، ذكرَه الحجاري في المُسهب. ومن شعرِهِ:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ طَيْراً   أَطِيرُ حَتَّى أَرَاكَ
بِمَنْ[2] تَبدَّلْتَ غَيْرِي   أَوْ لَمْ تحُلْ عَنْ هَوَاكَ

---

[1] ـ لعله يريد بها الوصايا العشر عند النصارى، وهي في نفس الوقت عدد كلمات البيت عدا الحروف والضمائر.

[2] ـ في الأصل: لمن. والمثبت عن نفح الطيب 522/3.

السمط الثانــي

في معنى التوشيح لغةً وعرفا، وذِكرِ أولِ من ابتكرَهُ

وانتشقَ من أزهارِه عَرَقاً، وجلْبِ مـا يكونُ لذلـك

مُوَالِيا من رقيقِ الأزجالِ والدُّوبيتِ والمَوالِيَا.

لا يخفى على فُرسانِ البراعةِ أنَّ هذا الصنفَ مما يحسُنُ إدراجُه في سفَـطِ[1] شرحِ هذا التوشيحِ، ويعذُبُ إيرادُه فـي هذا المقَام. وهو من الأمور التي ينبغي للمتـأدِّبِ أن يودِعَها تامُورَه[2]، ويوسِعَها جِرابَ قلبِه. والعَجب أنه مع كونه من شدةِ الحاجةِ إليه بهذه المرتبة لم يتنزّلوا لضبطِ قواعدِه كلَّ التنزيل، ولم يُسهِّلوا من أمرِه ما هو في غايةِ الحاجة للتسهيل، ويبسُطُوا من مسائلِه ما يَصعُب.

ولم أرَ من تعرَّض لشيءٍ من ذلك وألمَّ به إلاّ الشيخَ الحافظَ أُعجوبةَ المؤرخين وليَّ الدينِ عبدَ الرحمانِ بنَ خلدونٍ الحَضرمي[3]، رحمه الله، فإنهُ عقَدَ للموشحاتِ ترجمةً ختَمَ بها مقدمتَه العجيبةَ، وعليه جُلُّ اعتمادي في هذا السِّمطِ.

فأقول: التوشيحُ لغة مأخوذ من الوِشاحِ، قال في الأَنْوارِ: و"الوِشاحُ خرزٌ ينظم بجواهرَ وأحجارٍ نفيسةٍ، نَظمينِ مُختلفينِ، تتَقلَّدُ بهما المرأةُ، يلتقيانِ عند صدرِها، وبينَ كتفَيْها كحمائلِ السيفِ. ومنهُ التوشيحُ الذي في الحديث، وهو أن يخالفَ الرجلُ بينَ طرفيْ الثوبِ، آخذاً لهُما

---

[1] ـ السفط: وعاءٌ كالقفة تضع فيه المرأة أدواتها.

[2] ـ التامور: القلب.

[3] ـ اعتمد ابن خلدون على ابن سعيد في كتابه: المقتطف من أزاهير الطرف. طبع هذا الكتاب بعد تحقيق المسلك السهل من طرف الهيئة المصرية 1984. وقد نقل عنه ابن خلدون بأمانة ثم نقل المقري عن ابن خلدون أغلب ما أورده في هذا الباب في نفح الطيب 5/7 وما بعدها، وأزهار الرياض 208/2 وما بعدها.

من تحتِ إبطيه، عاقداً لهُما على رقبتِه"[1]، انتهى. ومن هذا التوشيحُ عندَ أهلِ البديع، ومخترعُه قدامةُ [2] وهو:" أن يكونَ معنى أولِ الكلامِ دالاً على لفظِ آخره[3]، ولهذا سموْه توشيحاً، فإنه يَتَنزَّلُ المعنى فيه بمنزلةِ الوِشاحِ، ويتنزلُ [أولُ[4]] الكلامِ وآخرُه منزلةَ [الوِشاحِ من[5]] العاتقِ والكَشْحِ اللذيْن يجولُ عليهما الوشاحُ". ومن غريبِ التوشيحِ البَديعي، ما ذُكر أن عَديَّ [بنَ[6]] الرقاعِ أنشدَ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ بحَضْرةِ جريرٍ والفرزدقِ قصيدتَه التي أولُها:

عَرَفَ الدِّيَــارَ تَوَهُّمَــا فَاعْتَادَهَــا

حتى انتهى إلى قوله:

تُزْجِي أَغَنَّ كَـأَنَّ إِبْـرَةَ رَوْقِـــهِ

ثم شُغِلَ الوليدُ عن الاستماعِ، فقطعَ عدي الإنشادَ، فقال الفرزدقُ: إنهُ سيقولُ:

قَلَــمٌ أَصَــابَ مِـنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَــا

فلما عاد الوليدُ للاستماعِ، وعادَ عدي للإنشادِ، قال:

---

[1] ـ أنوار التجلي 36/1.

[2] ـ في خزانة الأدب 126، وعليها اعتماد الإفراني: "وهذا النوع مما فرعه قدامة". وعرف قدامة التوشيح بقوله: "وهوأن يكون أولُ البيتِ شاهداً بقافيته، ومعناها متعلقاً به، حتى إن الذي يعرف قافية القصيدةِ التي البيتُ منها إذا سمع أول البيت عرف آخره، وبانت له قافيتُه". (نقد الشعر 99. و ص 191.ط 1963).

[3] ـ هذه الزيادات من خزانة الأدب 126.

[4] ـ من المصدر السابق 36/1.

[5] ـ نفسه.

[6] ـ سقطت (ابن) من الأصل.

قَلَمٌ أَصَــابَ مِـنَ الـدَّواةِ مِدَادَهَــا

فقالَ الفرزدقُ: واللـهِ لما سمعتُ صدرَ بيتـهِ رَحِمتُـه، فلمَا أنشدَ عجُزه انقلبتِ الرحمـةُ حسداً[1]. وقال الشريفُ الغرناطِي في شرح المقصورةِ لمَّا أنشدَ أبياتَ ابن الزّقّاقِ، ومنها[2]:

عَلَـى عَاتِقِـي مِـنْ ساعِدَيْهَــا حَمَائِــلُ　　　وَفي خَصْرِهَا مِنْ ساعِــدَيَّ وِشَــاحُ:

استعملَ ابنُ الزقاق الوشاحَ في معنى النِّطاقِ، وهو ما تُديرُه المرأةُ على خَصْرِها. والوِشاحُ ما تتقلدُه على عاتِقِها، " فيكونُ منها في موضعِ حمائلِ السيفِ من الرجلِ، وقد خُطِئَ أبو تمامٍ في قولهِ[3]:

مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاخِلَ صُــوِّرَتْ　　　لَهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَــا الخَلاخِــلُ

استعملَ الوشاحَ في الحِقابِ. وإنما وصفوا الوشاحَ بالقَلقِ والحركةِ لأنَّ ذلك يدلُّ على رِقةِ الخَصرِ وضُمورِ البطنِ"[4].

وسُمي التوشيحُ توشيحاً أَخْذاً من وشَّحَ بمعنى زيَّن. قال الثعالبي على قولِ الحِلي:

ما رَوْضَةٌ وشَّحَ الوسمِيُّ بُرْدَتَهَــا

---

[1] ـ وردت هذه القصة في خزانة الأدب 126-127، وبرواية مغايرة في الشريشي الكبير 224/2.

[2] ـ البيت له ضمن أربعة أبيات في المطرب 104.

[3] ـ شرح ديوان أبي تمام ص469. وَفيه: وشماً

[4] ـ رفع الحجب 58/1. وقد اختصر الإفراني أول الكلام، وساق آخرَه بنصه فحصرناه بين حاصرتين.

ما نصُّه: وشحَ هو من التوشيحِ وهو التزيينُ. يقال: وشحتَ الشيءَ إذا زينتَه، ومنه الوشاحُ، انتهى.

وأما التوشيحُ عُرفاً، فقال ابن خلدون: "إنَّ أهلَ الأندلسِ لمَّا كثُر الشعرُ في قطرهِم وتهذَّبتْ مناحيهِ وفنونُه، وبلغَ التميقُ فيه الغايةَ، استحدثَ المتأخرون منهم فناً منه سموهُ بالموشح، ينظُمونه أَسْماطاً أسماطاً، وأَغْصاناً أغصاناً، يُكثِرون منها ومن أعاريضِها المختلفةِ، ويُسمُّون المُتعدِّدَ منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عددَ قوافي تلك الأغصانِ وأوزانَها متتالياً فيما بعدُ، إلى آخرِ القطعةِ. وأكثرُ ما يَنتهي عندهم إلى سبعةِ أبياتٍ، ويشتملُ كلُّ بيتٍ على أغصانٍ عددُها بحسبِ الأغراضِ والمذاهبِ. ويَنْسُبونَ فيها ويمدحونَ، كما يُفعلُ في القصائد"[1]. انتهى. ولم يلتزموا في أوزانه بحراً من البحورِ الخمسةَ عشرَ، بل صنعوا على كل بحرٍ منها. وربما استعملوهُ في الألحانِ المولدةِ، والطبوعِ المخترعَةِ، والنغماتِ المستحدثَةِ الخارجةِ عن أوزانِ العرب رأساً. وهذا الاستعمالُ أَغْلَبُ عليهم.

ثم قال ابن خلدون: "وأولُ من اخترعَ التواشيحَ في جزيرةِ الأندلسِ مُقَدَّمُ بن مُعافى القبري[2] من شعراء الأمير عبدِ الله بن محمدٍ المرواني[3]، وأخذَ عنهُ ذلك ابن عبدِ ربِّه[4]، صاحبُ كتابِ العِقدِ. ولم يظهرْ لهُما مع المتأخِّرينَ ذِكر، وكسَدت موشحاتُهما، فكانَ أولَ

---

[1] ـ مقدمة ابن خلدون 1137–1138.

[2] ـ الأصل: معافر التبريزي. وفي بعض نسخ مقدمة ابن خلدون: معافر القبري. وأثبتنا ما قدمه محققو أزهار الرياض 207/2، ونفح الطيب 6/7.(انظر موشحات مغربية 47،ح 82، وموسيقى الشعر220).

[3] ـ في أزهار الرياض 2/ 207 الحاشية 2: "وهو شاعر معروف في أيام عبد الرحمان الناصر أيضا".

[4] ـ في الأصل عبد الله بن عبد ربه، وفي مقدمة ابن خلدون: أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه. وفي أزهار الرياض ونفح الطيب: ابن عبد ربه.

وابن عبد ربه صاحب العقد هو أحمد بن محمد أبو عمر. (وفيات الأعيان 92/1 ـ 94 ط 1984 م).

منبرعَ في هذا الشأنِ بعدَهُما عبادَةُ القزازُ[1] شاعرُ المعتصمِ بنِ صُمادح صاحبِ المَريةِ، وقد نكرَ الأعلمُ البَطَلْيَوْسِي أنهُ سمعَ أبا بكرٍ بنَ زهرٍ يقول: الوشاحون كلُّهم عِيالٌ على عبادةَ فيما اتَّفقَ له من قولهِ:

بَدْرُ تَمْ | شَمْسُ ضُحَى | غُصْنُ نَقَا | مِسْكُ شَمْ
مَا أَتَمْ | مَا أَوْضَحَا | مَا أَوْرَقَا | مَا انَمْ
لاَجَرَمْ | مَنْ لَمَحَا | قَدْ عَشِقَا | قَدْ حُرِمْ

وزَعموا أنه لم يسبق عبادةَ وشاحٌ من مُعاصريه الذينَ كانوا في زمنِ الطوائفِ. وجاءَ من بعدِه جماعة[2] منهم ابنُ ارفعْ رأسَه[3]، شاعرُ المامونِ بنِ ذي النونِ صاحبِ طُلَيْطِلَةَ. قالوا: وقد أحسنَ في ابتداءِ موشحته التي طارتْ له حيث يقول:

العُودُ قَدْ تَرَنَّمْ | بِأَبْدَعِ تَلْحِينْ | وَشَقَّتِ[4] المَذَانِبْ | رِيَاضَ البَسَاتِينْ

وفي انتهائها حيثُ يقول:

تَخْطِرْ وَلاَ تُسَلِّمْ | عَسَاكَ المَامُونْ | مُرَوِّعُ الكتائِبْ | يَحْيَى بَنْ ذِي النُّونْ

---

[1] - في أزهار الرياض 207/2 نقلا عن ابن خلدون: عبادة القزاز، وفي ص 252/2 منها نقلا عن ابن خاتمة في "مزية المرية" : محمد بن عبادة، يكنى أبا بكر، ويعرف بالقزاز. وفي ص253/2 نقلا عن ابن سعيد في (المقتطف): عبادة بن القزاز. (انظر الذخيرة القسم الأول من المجلد الثاني 299، والمغرب 134/2-137 ونفح الطيب، وفي أماكن متعددة).

[2] - في المقدمة والأزهار والنفح: وجاء مصليا خلفه منهم..

[3] - أبو بكر بن ارفع رأسه، وفي مقدمة ابن خلدون 1138: رافع راسُ هو وشاح من أهل طليطلة، قال في المغرب: "له موشحات مشهورة يغنى بها في في بلاد المغرب". وسماه في توشيع التوشيح: أبو عبد الله محمد بن رافع رأسه. (انظر المغرب 18/2، وتوشيع التوشيح31).

[4] - في المقدمة والأزهار: سقت، بالمهملة.

ثم جاءتِ الحلبةُ التي كانتْ في مدةِ[1] الملثمين، فظهرتْ لهم البدائعُ. ومن فرسانِ حلبتِهم الأعمى التُّطَيْلِي، ويَحْيى بن بَقِي، ومن موشحاتِ الأعمى[2]:

كَيْفَ السَّبِيلُ إلى   صَبْرِي وَفِي المَعَالِمْ   أَشْجَانُ
والرَّكْبُ وَسْطَ الفَلاَ   بِالخُرَّدِ النَّوَاعِمْ   قَدْ بَانُوا

وذكر غيرُ واحد من المشايخِ أن أهلَ هذا الشأنِ بالأندلسِ يذكرونَ أن جماعةً من الوشاحينَ اجتمعوا بمجلسٍ في اشبيلية، وكان كل واحدٍ منهم قد صنعَ موشحةً وتأنَّقَ فيها، فتقدمَ الأعمى التُّطيلي[3]، فلما افتتحَ مُوشحتَه المشهورةَ بقوله:

ضَاحِكٌ عَنْ جُمَانْ   سَافِرٌ عَنْ بَدْرِ
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانْ   وَحَوَاهُ صَدْرِي

خرَّقَ ابنُ بقِي مُوشحتَهُ، وتبعَه الباقونَ.

وذكرَ الأعْلَمُ البَطَلْيَوْسي أنه سمعَ ابنَ زهرٍ يقول: ماحسدتُ قطُّ وشاحاً على قولٍ إلا ابنَ بقِي حين وقع له[4]:

اَمَا تَرَى اَحْمَدْ   فِي مَجْدِهِ الْعَالِي   لاَ يُلْحَقْ
أَطْلَعَهُ المَغْرِبْ[5]   فَأَرِنَا مِثْلَهُ   يا مَشْرِقْ

---

[1] ـ في المقدمة: دولة الملثمين، وهي الدولة المرابطية بالمغرب.

[2] ـ في المقدمة والأزهار والنفح: وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله: إلخ. انظر هذا الموشح في ديوان الأعمى التطيلي 272.

[3] ـ في المصادر السابقة زيادة: للإنشاد. والموشحة المنشودة في ديوان التطيلي 253.

[4] ـ نسب هذا الموشح للأعمى التطيلي في ديوانه 270-272، والراجح أنه لابن بقي يمدح فيه بني القاسم قضاة سلا الذين تخصص في مدحهم (انظر دار الطراز 86 الحاشية 17).

[5] ـ في الأصل ودار الطراز وأزهار الرياض: الغرب، وفي نفح الطيب 7/7: المغرب، وهو أنسب لتحقيق توازن بين المقاطع (6-6) وملاءمة كلمة مشرق بعده.

وكان في عصرِهما من الوشاحينَ المطبوعينَ أبو بكرٍ الأبيضِ، وكان في عصرِهما[1] أيضاً الحكيمُ أبو بكرِ ابنُ بَاجَّةَ صاحبُ التلاحينِ المعروفةِ.

ومن الحكاياتِ المشهورةِ أنه حضرَ مجلسَ مخدومِه ابنِ تيفلويتْ صاحبِ سَراقُسْطَةَ فألقى على بعضِ قَيْناتِه مُوشحتَهُ:

جَـــرِّرِ الذَّيْــلَ أَيَّمَـا جَــــرِّ وَصِـلِ السُّكْـرَ مِنْــكَ بِالسُّكْـــرِ

فطربَ الممدوحُ لذلك، فلما ختمَها بقولِه:

عَقَــدَ اللَّـــهُ رايَـــةَ النَّصْــــرِ لأميــرِ العُـلاَ أبِـــي بكْــــرِ

فلما[2] طَرَقَ ذلك التلحينُ سمعَ ابنِ تيفلويتْ، صَاحَ: واطرباه! وشقَّ ثيابَه، وقال: ما أحسنَ ما بدأتَ، وما ختمتَ، وحلف بالأيْمانِ المُغلظةِ لا يمشى ابنُ باجةَ إلى دارِه إلاَّ على الذهبِ. فخافَ الحكيمُ سوءَ العاقبةِ، فاحتالَ بأنْ جعلَ ذهباً في نعله ومشى عليه.

وذكرَ أبو الخطابِ بن زُهرٍ أنـه جرى فـي مجلسِ أبـي بكرِ بنِ زهرٍ ذكرُ أبـي بكرٍ الأبيضِ الوشّاحِ المتقدّمِ الذكرِ، فغض منه أحد الحاضرين، فقال: كيف تَغُضُّ ممن يقولُ:

مَـــــا لَــــــذَّ شُـــــرْبُ راحْ عَلـــــى رِيَــــاضِ الأَقَـــــاحْ
لَــــوْلاَ هضيــــمُ الوِشَــــاحْ إذا انْثَنَـــى فــــي الصَّبَـــــاحْ

---

[1] - في الأصل: عصرهم، والتصويب من المقدمة.

[2] - فلما: زيادة في المسلك وهي حشو. وفي مقدمة ابن خلدون: وطرق، عَطفاً على (لَمَّا) السابقة في قوله: "فلما ختمها بقوله".

أَوْ فـي الأَصيـلْ أَضْحَـى يقـولْ مَـا للشَّمُـولْ لَطَمَـتْ خَـدِّي
ولـلشمـالْ هبَّـتْ فمَـالْ غُصْنُ اعْتِـدَالْ ضَمَّـهُ بُـرْدِي

مِمَّـا أَبَـادَ الـقُـلـوبَـا يمْشِـي لَنَـا مُسْتَرِيبَـا
يَـا لَحْظَـهُ رُدْ نُنُوبَـا[1] ويَـا لَمَـاهُ الشَّنِيبَـا

بَـرِّدْ غَليـلْ صَـبٍّ عَلِيـلْ لا يسـتحيلْ فِيـهِ عَـنْ عَهْدِي
وَلاَ يَـزالْ فِي كُـلِّ حَـالْ يرْجُـو الوِصَـالْ وهـوَ فِـي الصدِّ

واشـتهرَ بعـد هـؤلاء فـي صـدرِ دولـةِ الـموحِّدين، محمـدُ بـنُ أبي الفضلِ بنُ شرف[2]. قـال الحسنُ بنُ دُرَيْدِيره:[3] رأيتُ حاتمَ بن سعيد على هذا الافتتاح:

شَمْسٌ قَـارَنَـتْ بَـدْرَا رَاحٌ ونَـدِيـمْ

وابن هردوس[4] الذي له:

يَا لَيْلَـةَ الوَصْلِ والسُّعُـودِ بِـاللَّـهِ عُـودِي

---

[1] ـ هكذا في الأصل، وفي المقدمة: يالحظه رد نوبا.

[2] ـ هو أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل جعفر بن شرف، شاعر فيلسوف من أحفاد ابن شرف القيرواني، اغتبط شابا. (المغرب 2/ 232 ـ234).

[3] ـ في المقدمة: دُوَيْرِيدَةَ.

[4] ـ هو أبو الحكم أحمد بن هردوس، وفي بعض المصادر: ابن هَرودس من أهل الأندلس. توفـي بمراكش سنة 572هـ. قال في المطرب 240: "لقيت الوزير الأعلى أحمدَ بنَ هردوس مُوشِّي حُلَل الموشحاتِ وموشِّع حبر القصائدِ المستملحات، وهو القائل في السيد أبي السعيد:

يَا لَيْلَةَ الوَصْلِ والسُّعُـودِ باللـهِ عـودِي".

انظر مناقشة اسمه ونسبه في نفح الطيب 8/7 الحاشية 2 و201/4 الحاشية1. وأزهار الرياض 209/2 الحاشية 4، وفي المغرب 215/2 موشحةٌ له في عثمان بن عبد المؤمن.

وابنُ مؤهل[1] الذي لهُ:

مَـا العيـدُ فـي حُلَّـةٍ وطـاقِ وَشَـــــمٍّ طِيـــــبِ
إنَّمَا العيـدُ فـي التَّلاقِـــي مَـعَ الحَـبِـيــــبِ

وأبو إسحق الدويني[2].

قال ابنُ سعيد: سمعتُ أبا الحسنِ سهلَ بن مالكٍ يقول: إنـه دخل علـى ابـن زُهـر، وقد أسنَّ، وعليه زي البادية، إذ كان يسكنُ بحِصْن اسْتَبةَ[3]، فلم يعرفْه، فجلسَ حيثُ انتهى به المجلسُ وجرَّتِ المحاضرةُ أن أنشدَ لنفسه موشحةً وقع فيها:

كُحْـلُ الدُّجَـى يَجْـري مِـنْ مُقْلَـةِ الفَجْـرِ عَلَـى الصَّبَـــاحْ
ومِعْصَـمُ الـنَّهْـــرِ في حُـلَلٍ خُضْـــرِ مِـنَ البِطَــــاحْ

فتَحَرَّك ابنُ زهرٍ، وقال: أنت تقولُ هذا؟ قـال: اختـبِرْ، قـال: ومـن تكـون؟ فعرَّفَـه، فقـال: ارتَفِعْ، فوالله ما عرفتُك.

قال ابنُ سعيد: وسابقُ الحلْبَةِ التي أدركَتْ هؤلاء[4] هو أبو بكرِ بنُ زهرٍ، وقد شرَّقت موشحاتُه وغرَّبتْ. قال: سمعتُ أبا الحسنِ سهلَ بنَ مالكٍ يقول: قيل لابنِ زهرٍ لو قيل لك: ما أبدعُ ما وقعَ لك في التوشيحِ؟ قال كنتُ أقولُ:

---

[1] ـ ذكره في المغرب 390/2 باسم: موهَد الشاطبي. سكن مُرسية ومدح ابن مردنيش. وأورد له موشحة.

[2] ـ هكذا في الأصل وفي أزهار الرياض 210/2. وأثبت المحقق في نفح الطيب 8/7: الزويلي، نقلا عن المقتطف. وفي المقدمة: الرديني.

[3] ـ كذا في أزهار الرياض 210/2، وهي من أعمال إشبيليةَ. وفي المقدمة: أستَبَةُ، وفي نفح الطيب 9/7 سبتة، وهو تحريف.

[4] ـ هكذا في الأصل والمقدمة وأزهار الرياض 210/2، وفي نفح الطيب 9/7: "وسابق الحلبة التي أدركتُ هو أبو بكر..".

مَـــا للمُولَّــــــــــهِ   مِنْ سُكْرِهِ لا يُفيـــــقْ   يَـا لـــهُ سكْــــرَانْ "[1]

قال في نفح الطيب: "هذا مطلعُ موشَّحٍ يستعملُه أهلُ المغربِ إلى الآنَ، ويرون أنه من أحسن الموشحاتِ"[2]. قلتُ: وأبو بكرِ بنُ زهرٍ، هو أولُ من عصرَ سلافةَ التواشيحِ لأهلِ عصرِه، ولذلك قال فيه تلميذُه أبو الخطابِ بنُ دحيةَ في كتابه: المُطربُ من أشعار أهلِ المَغرب: والذي انفردَ به شيخنا الموشحاتُ، وهي زبدةُ الشعر وخُلاصتُه وهي[3] من الفنون التي أغربَ فيها أهلُ المَغربِ على أهلِ المشرقِ. وكان شيخُنا الوزيرُ أبو بكرٍ من اللغةِ بمكانٍ مكينٍ، ومَوردٍ من الطلبِ عذبٍ مَعينٍ، مع سُمُوِّ النسبِ، وكثرةِ النَّشَبِ. ومن شعرهِ:

وَمُسَـــنَدِّينَ[4] علـــى الأَكُــفِّ خُدُودَهُـــمْ   قَـدْ غَـالَهُمْ نَـوْمُ الصَّبَــاحِ وَغَالَنِـــي
مَــازِلْتُ أَسْـــقِيهِمْ وأَشْــرَبُ فَضْلَـهُــمْ   حَتَّــى سَـكِرْتُ، وَنَــالَهُمْ مَــا نَـالَنِـــي
وَالخَمْـرُ تَعْلَمُ كَيْـفَ تَأْخُـــذُ ثَأرَهـــا،   إِنِّـــي أَمَلْــتُ إِناءَهـــا فَأَمـالَـنِـــي

أخذهُ من قولِ الزبيرِ بن أبي غالبٍ عبدِ الله بن هِبةِ [اللهِ][5]:

عاقَرْتُهُـــمْ مَشْمُولــــةً لَـــوْ سَـــالَمَتْ   شُرَّابَهـــا مـــا سُمِّيَـــتْ بِعُقَـــــارِ

---

[1] ـ مقدمة ابن خلدون: 1138-1143. وهنا انتهى كلام ابن خلدون الذي ابتدأ في الصفحة40، ومطلع موشحة ابن زهر في المغرب 271/1.

[2] ـ نفح الطيب 250/2.

[3] ـ زيادة من المطرب 204 ونفح الطيب 250/2 نقلا عنه.

[4] ـ في المطرب 206، ونفح الطيب 247/2: وموسدين. ونُسب البيتان الأولان من هذه القصيدة في فوات الوفيات 161/1 لإدريس بن عبد الله العبدري.

[5] ـ زيادة من نفح الطيب 248/2، وفي حاشيته: "عبيد الله بن هبة الله بن صاعد، وفي بعض النسخ: الاصباعي".

نَكَـرَتْ حقَائِدَهـا القديمَـة إذْ غَـدَتْ صَرْعَـى تُـداسُ بـأرْجُلِ العصَّـار
لانَتْ لَهُمْ حَتّى انتَشَـوْا وتَمَكَّنَـتْ مِنْهُـمْ، وصَاحَـتْ فِيهـمُ بالثَّـارِ

ومن شعره يتشوقُ ولدا لهُ صغيراً بإشبيلية، وهو بمراكش:

ولِـي وَاحِـدٌ مِثْـلُ فَـرْخِ القَطَـاةِ صَغِـيرٌ، تَخَلَّفْـتُ قَلْبِـي لَدَيْـهِ
وَأُفْـرِدْتُ عَنْـهُ فَيَـا وَحْشَتِـي لِـذاكَ الشُّخَيْصِ وذَاكَ الوُجَيْـهِ
تَشَـوَّقَـنِـي وتَـشَـوَّقْـتُـهُ فيَبْكِـي عَلَـيَّ وأَبْكِـي عَـلَـيْـهِ
وقَـدْ تَعِـبَ الشَّـوْقُ مـا بَيْنَنـا فَمنـهُ إلَـيَّ ومِنِّـي إلَـيْـهِ

ولمَّا سمعَ أميرُ المؤمنينَ يعقوبُ المنصورُ الأبياتَ أرسلَ المهندسينَ إلى إشبيليةَ، وأمرهُم أن يُحيطوا علماً ببيوتِ ابنِ زهرٍ وحارته، ثم يبنُوا مثلها بمراكشَ. ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدةٍ، وفرشها بمثلِ فرْشها. ثم أمرَ بنقلِ عِيالِ ابن زهر وأولادِه وحشمِه إلى تلك الدار. ثم احتالَ عليهِ حتى جاءَ ذلك الموضعَ، فرآه أشبهَ شيءٍ ببيتِه وحارتِه، فحارَ لذلك، وظنَّ أنه نائمٌ، وأن ذلك أحلامٌ. فدخلَ فإذا ولدُه الذي تشوقَ إليه يلعبُ في البيتِ، فحصَلَ له من السرورِ مالا يعبَّرُ عنهُ[1]. ومن شعره:

إنِّـي نَظَـرْتُ إلَـى المِـرْآةِ قَـدْ جُلِيَـتْ فَأَنْكَـرَتْ مقلتـايَ كُـلَّ مَـا رَأَتَـا
رَأَيْـتُ فِيهـا شُـوَيْخاً لَسْـتُ أَعْرِفُـهُ وكُنْـتُ أَعْهَـدُهُ مِـنْ قَبْـلِ ذَاكَ الفَتَـى
فَقُـلْتُ: أَيْـنَ الـذِي بِـالأَمْسِ كَـانَ هُنَـا؟ مَتَـى تَرَحَّـلَ مِـنْ هَـذَا المَكَـانِ؟ مَتَـى؟
فَاسْتَضْحكَتْ ثُـمَّ قَـالَتْ، وَهْـيَ مُعْجَبَـةٌ: إنَّ الـذِي أَنْكَرْتَـهُ مُقْلَتَـاكَ أَتَـى
كَانَـتْ سُلَيْمَـى تُنَـادِي: يَـا أُخَـيَّ، وقَـدْ صَارَتْ سُلَيْمَى تُنَادِي اليَـوْمَ: يَـا أَبَتَـا

[1] ـ انظر هذه القصة والأبيات اللاحقة في نفح الطيب2/294.

ولد سنةَ سبعٍ وخمسمائةٍ، وتوفي..[1]

قال ابن خلدون: واشتهرَ بعدَ ابنِ زهرٍ ابن حيُّون[2]، والمُهرُ بنُ الفرسِ[3] بغرناطة.

"قال ابنُ سعيدٍ: ولما سمِع ابنُ زهرٍ قولَه:

لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ بَهِيجْ بِنَهْرِ حِمْصٍ على تِلْكَ المُرُوجْ

ثُمَّ انْعَطَفْنَا على فَمِ الخَلِيجْ

نَفُضُّ مِسْكَ الخِتَامْ عَنْ عَسْجَدِيِّ المُدَامْ

وَرِدَاءُ الأَصِيلْ تَطْوِيهِ كَفُّ الظَّلامْ[4]

قال: أيْنَ كُنَّا عنْ هذا الرِّداءِ؟ وكانَ معهُ في بلدِه مُطَرِّف[5]. أخبرَ ابنُ سعيد عن والدِه أنَّ مُطَرِّفاً هذا دخلَ على ابن الفرسِ، فقام له وأكرمَه، فقال: لا تَفْعَلْ، فقال ابنُ الفرسِ: كيفَ لا أقومُ لِمن يقولُ:

---

[1] ـ بياض بالأصل، وفي المطرب: "وبلغتني وفاته آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة".

[2] ـ أسقط الإفراني بعضَ شعرِ ابن حيون الوارد في المقدمة 1144.

[3] ـ عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن الفرس. من علماء الأندلس. ويعرف بالمُهر. خرج على الدولة المرابطية بمراكش، وأعلن دعوته بكزُولَةَ، فقُتل وحُمل رأسُه إلى مراكش.من شعره:

قُولُوا لأبناءِ عبدِ المؤمنِ بنِ علي تأهَّبوا لوقوعِ الحادثِ الجَلَلِ
قد جاء سيدُ قَحطانَ وعالمُها ومُنتهى القولِ والقلابُ للدولِ

(المغرب 111/2، تاريخ ابن خلدون المجلد السادس 250 بدون ذكر تاريخ ومكان الطبع).

[4] ـ الأرجحُ أن ما ورد هنا هو جزء من موشح له في المغرب 122/2. والبيتُ الأخير وحده في نفح الطيب 204/3.

[5] ـ في المغرب120/2: مطرِّف بن مطرِّف.

قُلُــوبٌ تَصَابَـــتْ بِأَلْحَـاظٍ تُصِيـبُ فَقُلْ: كَيْـفَ نَبْقَـى بِــلا وَجْـــدِ؟

وبعدَ هؤلاءِ ابنُ حَزْمون[1] بمُرسيةَ. ذكرَ ابن الرئيسِ أن يحيى الخَزرجي دخلَ عليه في مجلسٍ، فأنشدَه موشحة لنفسِه، فقال له ابنُ حَزْمون: ما الموشحُ بموشحٍ حتى يكونَ عارياً عن التكلفِ قال: على مثلِ ماذا؟ قال: على مثلِ قولي:

يــا هــاجري هَــلْ إلــى الوِصـــالِ مِـنْـــكَ سَـبِـيـلْ
أَوْ هَلْ يُـرى عَـنْ هَــواكَ سَالِـــي قَـلْـبُ العَلِـيـلْ

وأبو الحسنِ سهلُ بنُ مالكٍ بغرناطةَ، قال ابن سعيدٍ: كانَ والدي يُعجبُ بقوله:

إنَّ سَـــيْلَ الصَّبَـــاحِ بِالشَّـــرْقِ عَـادَ سَـيْلاً فـي أَجْمَـعِ الأُفُـقِ
فَتَدَاعَـــتْ نَـوَادِبُ الـــوُرْقِ أَتُرَاهَا خَافَـتْ مِـنَ الغَـــرَقِ

فَبَكَـــتْ سُحْـــرَةً عَلَـى الــوَرَقِ

واشتهرَ بإشبيليةَ لذلك العهدِ أبو الحسنِ ابنُ الفضلِ. قال ابنُ سعيدٍ عن والدِه: سمعتُ سهلَ بنَ مالكٍ يقول: يا ابنَ الفضلِ، لكَ على الوشاحينَ الفضلُ بقولك:

أوَا حَسْرَتَـــا لِزَمَـــانٍ مَضَـــى! عَشِيَّـةَ بَـانَ الهَـوَى وانْقَضَـــى
وَأُفْــرِدْتُ بِـــالرَّغْمِ لاَ بِالرِّضَـــى، وَبِـتُّ عَلَـى حَـرِّ جَمْــرِ الْغَضَـــا
أُمَيِّـزُ[2] بِالْفِكْـرِ تِـلْكَ الطُّلُـــولْ وَأَلْـثُمُ بِالْوَهْـمِ تِـلْكَ الرُّسُـــومْ

---

[1] ـ أبو الحسن علي بن حزمون، شاعر هجاء من مُرسية (انظر المغرب 214/2، والحاشية، وله موشحات في الصفحات 147، 217-219 منه، ونفح الطيب 465/2-466).

[2] ـ في مقدمة ابن خلدون 1145/1 وأزهار الرياض 211/2 ونفح الطيب 10/7: أعانق.

قال: سمعتُ أبا بكرٍ بنَ الصابوني يُنشدُ الأستاذَ أبا الحسنِ الدباجَ موشحاتِه غيرَ مـا مـرةٍ، فما سمعتُه[1] يقولُ: لِلَّهِ درُّكَ! إلاّ في قولِه:

قَسَمَـــا بِالهَـــوَى لِـــذِي حِجْــــــرِ   مَا لِلَيْـلِ المَشُـــوقِ مِـــنْ فَجْــــــرِ

جَمَدَ الصُّبْحُ لَيْـس يَطَّـــرِدْ

مَا لِلَيْلِـي، فِيمَــا أَظُنُّ، غَــدْ

صَحَّ يَا لَيْـلُ أَنَّـكَ الأَبَـــدْ

أَوْ فَقُصَّــــتْ قَـــوَادِمُ النَّسْــــــرِ   فَنُجُـــومُ اللَّيْـــــلِ لاَ تَسْــــــرِي

ومن [2] موشحاتِ ابنِ الصابوني:

مَـــا حَـــالُ صَـــبٌّ ذي ضَنًـــى واكْتِئَـــابْ   أَمْرَضَـــــهُ، يَـــا وَيْلَتَـــاهُ! الطَّبِـيــــب
عَـامَلَـــــهُ مَحْبُوبُــــــهُ بِاجْتِنَـــــابْ   ثُـــمَّ اقْتَـــدَى فِيـــهِ الكَـــرَى بِالحَبِيـــب
جَفَـــا جُفُونِـــــيَّ النَّـــوْمُ لَكِنَّنِـــي   لَـــمْ أَبْكِـــهِ إلاَّ لِفَقْـــدِ الخَيَـــال
وَذَا الْوِصَـــالُ اليَـــوْمَ قَـــدْ غَرَّنِـــي   مِنْـــهُ كَمَـــا شَـــاءَ وَشَـــاءَ الوِصَـــال
فَلَسْـــتُ بِاللاَّئِـــمِ مَـــنْ صَدَّنِـــي   بِصُـــورَةِ الحَـــقِّ وَلاَ بِـــالمُحَـــال

واشتهرَ ببَرِّ العَدْوَةِ ابنُ خلفٍ الجزائري صاحبُ الموشحةِ المشهورةِ:

يَــدُ الإصْبَـــــاح   قَـدْ قَـــدَحَــــتْ   زِنَـادَ الأَنْـــوَارْ   بِمَجَامِرِ الزَّهْـــرِ

---

[1] ـ في الأصل: سمعه، وأثبتنا ما في المصادر السابقة. وزاد في المقدمة: له(يقول له).

[2] ـ في المقدمة: ومن مَحاسِنِ.

وابنُ خَزَرَ البِجائي"[1].

قال ابنُ خلدون: موشحة ابن سهل شاعر إشبيليةَ من أحسن الموشحات[2]، وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات، ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء المُلْك المِصرِي [التي] اشتهر[ت][3] شرقاً وغرباً، وَ أولها:

[يـا] حَبِيبِـي[4] ارْفَـعْ حِجَـابَ النُّـورْ   عَـنِ العِـذَارْ
تَنْظُـرْ لَمِسـكَ عَلَـى كَافُـورْ   فِـي جُلَّنَـارْ

كَلِّلِـي   يـا سُحُبْ تِيجَـانَ الرُّبَـى   بِـالحُلِي
واجْعَلِـي   سِـوَارَهَـا مُنْعَطَـفَ   الْجَـدْوَلِ"[5]

ومن أحسنِ موشحاتِ المشارقةِ، موشحةُ عبدِ العزيزِ بنِ سَرَايَا الحِلي وهو[6]:

شُقَّ جَيْبُ اللَّيْـلِ عَـنْ نَحـرِ الصَّبَـاحْ   أَيُّهَـا السَّاقُـونْ

ولـه:

جَـرَّدَ الأُفْـقُ صَـارِمَ الفَجْـرِ   مِـنْ جُفُـونِ الـغَسَـقْ

"ولما شاعَ فنُّ التوشيحِ في أهل الأندلسِ وأُعجِب بـه الجمهورُ لسَلاستِه وتمْيقِ كلامِـه

---

[1] ـ المصدر السابق: 1144-1146.
[2] ـ المصدر السابق: 1174 بتصرف.
[3]ـ [التي] و[ت] زيادة من المصدر السابق.
[4] ـ في نفح الطيب 14/7.: يا حبيبي.
[5] ـ مقدمة ابن خلدون 1153.
[6] ـ مطلع موشح في ديوان صفي الدين الحلي(ط.دار صادر)ص125. ولم يرد فيه البيت اللاحق.

وترصيعِ أجزائِه، نسجَتِ العامةُ من أهلِ الأمصارِ على منوالِه، بلغتِهم الحضريةِ، من غيرِ أن يلتزموا فيه إعراباً. واستحدثوا فنّاً سَموه بالزَّجلِ، فجاءوا فيه بالغرائبِ"[1]. وأولُ من اخترعَها[2] أبو بكر بن قُزمان، وإنْ كانتْ قيلتْ قبله بالأندلسِ، إلا أنه أظهرَ حلاوتَها. وكان على عهدِ الملثَّمين

"قال ابنُ سعيدٍ: رأيتُ أزجالَه مرويةً ببغدادَ أكثرَ مما رأيتُها بحواضرِ المغرب"[3]. ومن أزجالِ ابنِ قزمان قولُه، وقد "جلسوا تحتَ عَريشٍ وأمامَهم تمثالُ أسدٍ من رُخام، يصبُّ الماءَ من فِيهِ على صفائحَ من الحجرِ مُتدرجةٍ:

وَعَرِيشْ قَدْ قَامْ عَلَى دُكَّانْ ... بِحالْ رِوَاقْ
وأسَدْ قَدِ ابْتَلَعْ ثُعْبَانْ ... مِنْ غَلْظِ سَاقْ
وَفَتَحْ فَمُو بْحَالْ إِنْسَانْ ... بِهِ الفُوَاقْ
وَانْطَلَقْ مِنْ ثَمَّ عَلَى الصِّفَاحْ ... وَالْقَى الصِّيَاحْ[4]

ولم تزلْ هذه الطريقةُ في عامة الأندلسِ ينظمونَ فيها في سائرِ البحورِ الخمسةَ عشرَ، بلغتِهمُ العاميةِ، ويسمُّونه الشعرَ الزَّجلي[5].

ثم استحدثَ أهلُ[6] الأمصارِ بالمغربِ فناً آخر من الشعر، في أعاريضَ مزدوجةٍ كالموشحِ فَنظموا فيه بلغتِهم الحضريةِ أيضاً، وسموهُ عروضَ البلدِ، وكانَ أولَ من

---

[1] ـ مقدمة ابن خلدون 1153-1154.

[2] ـ في المصدر السابق ونفح الطيب: "أبدعَ في هذه الطريقة" بدَلَ اخترعها، وهو أنسبُ.

[3] ـ مقدمة ابن خلدون 1153.

[4] ـ مقدمة ابن خلدون 1154.

[5] ـ المصدر السابق 1157.

[6] ـ زيادة من المصدر السابق: 1160.

استحدثَه رجلٌ من أهلِ الأندلسِ، نزلَ بفاسٍ يُعرف بابنِ عُميرٍ"[1] فاستحسنَه أهلُ فاس وولعوا به، وتركوا الإعرابَ الذي ليسَ من شأنهم، ونوعُوه إلى المزدوج، والكازي، والملْعَبَة، واختلفتْ أسماؤها باختلافِ [أزواجها وملاحظاتهم فيها][2]. ومن المزدوجِ قولُ أبي شُجاعٍ:

المَالُ زِينَةُ الدُّنْيَا وَعِزُّ النُّفُوسْ ... يبْهِي وُجوهْ لَيْسَ هِيَ بَاهْيَا

فَهَا[3] مَنْ هُوَ كَثِيرْ الفْلُوس ... أَلُّوهْ الكَلامْ والرتْبَا العَالْيَا

"وأما أهلُ تونس، فاستحدثوا [فنَّ الملْعَبَة][4] على لغتِهم الحضريةِ، إلا أن أكثرَهُ رديءٌ، ولمْ يتعلقْ بِمحفوظي منهُ شيءٌ لرداءَتِه"[5].

وكان لعامةِ بغداد أيضاً من الشعرِ، يسمونَه المَواليَا، وتحتَه فُنونٌ كثيرةٌ، وغالبُها مزدوجٌ من أربعةِ أغصانٍ، وتبِعهم في ذلك المِصريون، فأتوا بالغرائبِ[6]. ومنه الكَان وكان[7]، "وهو على قافيةٍ واحدةٍ، وأوزانٍ مُختلفة في أشطارِه، والشطرُ الأولُ من البيتِ أطولُ من الشطر الثاني، ولا تكون قافيتُه إلا مردَفَةَ بحرفِ العِلة"[8]. وذكرَ صفي الدينِ الحِلي في ديوانِه[9] أن المَواليا من بحرِ البسيط. وأنهُ من مخترعاتِ أهلِ واسطِ. قالَ وهو ذو أربعة أغصانٍ، وأربعِ قوافٍ. ومنه:

---

[1] ـ المصدر السابق.

[2] ـ زيادة من المصدر السابق: 1162 وأزهار الرياض 221/2 تصرف الإفراني في هذا النص بالحذف.

[3] ـ في الأصل: منها، والمثبت عن المصدرين السابقين.

[4] ـ زيادة من المصدرين السابقين.

[5] ـ مقدمة ابن خلدون 1166.

[6] ـ المصدر السابق بتصرف.

[7] ـ إضافة من المصدر السابق.

[8] ـ المصدر السابق وأزهار الرياض 225/2-226.

[9] ـ ورد ماذكره ابن خلدون هنا (المقدمة1166) في العاطل الحالي للصفي الحلي ص105.

يَا خَادِيَ العِيسِ يَزْجُرُ بالمَطَايَا زَجْرْ أَوْقِفْ عَلَى مَنْزِلِ أَحْبَابِي قُبَيْلَ الفَجْرْ
وَصِحْ فِي حَيِّهِمْ: يَا مَنْ يُرِيدُ الأَجْرْ يَنْهَضْ يُصَلِّي عَلَى مَيْتٍ قَتِيلِ الهَجْرْ

وأمَّا الدُّوْبيت فلم يذكرهُ ابن خلدون[1]. قال ابنُ غازي في الإمْدَادِ: "أبو عذرِهِ هو شيخُ الجماعةِ أبو الحكمِ مالكُ بن المرحلِ"[2]، انتهى. قلتُ، عبارةُ ابن مرزوق[3]: "وقد اخترعَ المُحدثونَ نوعاً من الشعرِ، يُسمَّى الدُّوبيتَ، وأكثروا منه لعُذوبتِه، حتى أَخلُّوا فيه بالوزنِ، ووضعَ له ابنُ المرحلِ السَّبتيُّ ميزاناً يُرجع إليه، وذكرَ أنه مُثَمَّنٌ مِنْ:

فعْلن (بإسكان العين)، متفاعلن، فعولن، فعَلن (بتحريك العين)، على هذا الترتيبِ، [ومثلِها]، وجعلَ له خمسَ أعاريض وسبعةَ ضُروبٍ"، انتهى. فكلامُهُ يقتضي أن ابنَ المُرَحَّلِ إنما اخترعَ له أوزاناً يضبطُ بها[4] لا أنه أولُ من اخترعَه، خلافَ ما قالَهُ ابنُ غازي. واللهُ أعلم.

---

[1] ـ بل ذكره في تفصيل أنواع المَواليا فقال: "وكان لعامةِ بغداد أيضاً فَنٌّ من الشعرِ يسمونه المَواليا، وتحتَه فنون كثيرةٌ يسمونَ منها: القوما، وكان وكان، ومنه مفرد ومنه في بيتين، ويسمونه دوبيت". (المقدمة 1166).

[2] ـ الإمداد: 105ظ. و"يقال فلان أبو عذر فلانة، إذا كان افترعها وافتضها، وأبوعذرتها".(لسان العرب:عذر).

[3] ـ المفاتيح المرزوقية 169 ظ: "ومثلها" : زيادة منه.

[4] ـ في الأصل: به، ولا يطابق (أوزاناً) التي يعود عليها.

خاتمـــة

قد ذَكرنا ما سمحَ به الوقتُ، وناسبَ إيرادُه، من رقيقِ الموشَّحاتِ، ورائقِ المقطوعاتِ، وأَتَينا من رجالِ هذا الشأنِ بفئة أعاظم، حازوا السَّبْقَ في مِضمارِ البلاغةِ بشهادةِ كل ناثرٍ وناظِم. وتركْنا أناساً آخرينَ لم يصِلوا إلى تِلك الطبقةِ، ميْلاً إلى الاختصارِ.

وقد ألَّف أبو الحسن علي البَلَنسي كتاباً في رجالِ التوشيحِ بالأندلسِ، قال في اختصارِ القرطاسِ: وعِدَّةُ ما ذُكر في هذا الكتابِ عشرون رجلا[1]، وانتهتِ الرئاسة في التوشيحِ لابنِ سهلٍ، وبذَهاب عيْنه انْدَثَرَ[ت][2] آثارُها، وغَرَبَتْ شموسُها، وتقلَّصتْ أفياؤُها. ولا شكَّ أن شأْوَه في ذلك لا يلحقْ، كما لا يخفى على من اتصفَ بالإنصافِ، وتقنع بالحقِّ، وكفى شاهداً على ذلك موشحتُه هذه، فإنها حالقةُ اللِّحَى، لمن انتحلَ معارضتَها وانتحَى. وقد تصدَّى لمعارضتِها أقوامٌ، فكانوا كمن تطلَّب رُجوعَ ما مَضى من أعوام. وممن نسجَ على مِنوالها ذو الوزارتينِ لسانُ الدين ابنُ الخطيبِ، رحمه الله، حيث يقول[3]:

---

[1] ـ وفي حاشية الورقة 18 ظ من الأصل: "والمشتهرون بصناعة التوشيحِ في الجزيرة كثيرون، وذكرَ صاحب اختصار الأنيس المطرب القرطاس أن أبا الحسن البلنسي ألفَ في الوشاحين من أهل الأندلس، فكانوا عشرين رجلا".

أقول: رجعتُ إلى الأنيس المطرب بروض القرطاس المنسوب لابن أبي زرع، ورجعت إلى المعرب المبين، عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين لابن زاكور، وهو اختصار للأنيس المطرب وروضة النسرين، فلم أعثر على ذكر لأبي الحسن البلنسي.

وهو أبو الحسن علي بن سعيد الخير البلنسي، كان متصدراً للتدريس ببَلنسية أيامَ المنصور. وكتابه المقصود هو: نزهة الأنفس، وروضة التأنس في توشيح الأندلس، ضَمَّنه عشرين وشاحا، (انظر المغرب 317/2 وأزهار الرياض 253/2 وموشحات مغربية 122 الحاشية 296).

[2] ـ في الأصل وب: اندثر، وأضفنا التاء لمطابقة الفعل للفاعل "آثارها" في التأنيث.

[3] ـ انظرها في الديوان بتحقيق محمد مفتاح 792/2 و نفح الطيب 7/11-14.

جَادَكَ الغَيْثُ إِذَا الغَيْثُ هَمَى ... يَا زَمَانَ الأُنْسِ بِالأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ أُنْسُكَ إلاَّ حُلُمَا، ... فِي الكَرَى، أَوْ خِلْسَةَ المُخْتَلِسِ
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ المُنَى ... يَنْقُلُ الخَطْوَ عَلَى مَا يُرْسَمُ
زُمَراً بَيْنَ فُرَادَى وثُنَى، ... مِثْلَ ما يَدْعُو الوُفُودَ المَوْسِمُ
وَالحَيَا قَدْ جَلَّلَ الأَرْضَ سَنَى ... وَثُغُورُ الزَّهْرِ مِنْهَا[1] تَبْسِمُ
وَرَوَى النُّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَا، ... كَيْفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسِ
وكَسَاهُ القَطْرُ ثَوْباً مُعْلَمَا ... يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي لَيَالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الهَوَى ... فِي الدُّجَى لَوْلا شُمُوسُ الغُرَرِ
مَالَ نَجْمُ الكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى ... مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ
زَمَنٌ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى ... أَنَّهُ مَرَّ كَلَمْحِ البَصَرِ
حَيْثُ لَذَّ الأُنْسُ فيهِ أَوْ كَمَا ... هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الحَرَسِ
غَارَتِ الشُّهْبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا ... أَثَّرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّرْجِسِ
أَيُّ شَيْءٍ لامْرِئٍ قَدْ خَلَصَا ... فَيَكُونُ الرَّوْضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهْ
تَنْهَبُ الأَزْهَارُ فِيهِ الفُرَصَا، ... أَمِنَتْ مِنْ مكرهِ مَا تَتَّقِيهْ
وَإِذَا المَاءُ تَنَاجَى والحَصَى ... وَخَلاَ كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهْ
تُبْصِرُ الوَرْدَ غَيُوراً بَرِمَا ... يكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يكْتَسِي
وَتَرَى الآسَ لَبِيباً فَهِمَا ... يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذْنَيْ فَرَسِ
يَا أُهَيْلَ الحَيِّ مِنْ وَادِي الغَضَا، ... وَبِقَلْبِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ
ضَاقَ مِنْ شَوْقِي لَكُمْ رَحْبُ الفَضَا ... لاَ أُحاشِي[2] شَرْقَهُ عَنْ غَرْبِهِ

---

[1] ـ في نفح الطيب: الروض ..فثغور ..منه.

[2] ـ في نفح الطيب: أبالي.

فَأَعِيدُوا عَهْدَ أُنْسٍ قَدْ مَضَى ... تُنْقِذُوا عَانِيكُمْ مِنْ كُرْبِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمَا ... يَتَلاَشَى نَفَساً فِي نَفَسِ
حَبَّسَ القَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمَا ... أَفَتَرْضَوْنَ خَرَابَ الحُبُسِ
وَبِقَلْبِي مِنْكُمُ مُقْتَرِبٌ ... بِأَحَادِيثِ المُنَى وَهْوَ بَعِيدْ
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ المَغْرِبُ ... شِقْوَةَ المُضْنَى بِهِ، وَهْوَ سَعِيدْ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبٌ ... فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدْ
سَاحِرُ المُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى ... جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالَ النَّفَسِ
فَوَّقَ السَّهْمَ فَسَمَّى وَرَمَى ... فَفُؤَادِي نُهْبَةُ المُفْتَرِسِ
إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الأَمَلُ ... وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبْ
فَهْوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ ... لَيْسَ فِي الحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبْ
أَمْرُهُ مُعْتَمَدٌ مُمْتَثَلُ ... فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبْ
حَكَّمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا ... لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الأَنْفُسِ
مُنْصِفُ المَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَا ... وَمُجَازِي البَرِّ مِنْهَا وَالمُسِي
مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا ... عَادَهُ عِيدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدْ
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا ... قَوْلُهُ: "إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدْ"
جَلَبَ الهَمَّ لَهُ وَالوَصَبَا، ... فَهْوَ لِلأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهِيدْ
لاَعِجٌ فِي أَضْلُعِي قَدْ أُضْرِمَا[1] ... فَهْوَ نَارٌ فِي هَشِيمٍ يَبَسِ
لَمْ يَدَعْ مِنْ مُهْجَتِي إِلاَّ نَمَا ... كَنَمَاءِ[2] اللَّيْلِ بَعْدَ الغَلَسِ[3]
سَلِّمِي يَا نَفْسُ فِي حُكْمِ القَضَا ... وَاعْمُرِي الوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَاب

---

1 ـ في أزهار الرياض ونفح الطيب: اليبس.

2 ـ النماء: البقية (في القاموس المحيط (نم) "النمامة: البقية"، وفي أزهار الرياض ونفح الطيب: كبقاء.

3 ـ الغلس: ظلمة آخر الليل.

دَعْكِ مِنْ ذِكْرَى زَمَانٍ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُتْبَى قَدْ تَقَضَّتْ وَعِتَابْ
واصْرِفِي القَوْلَ إلى المَوْلَى الرِّضَا مُلْهَمِ التَّوْفِيقِ في أُمِّ الكِتَابْ
الكَرِيمِ المُنْتَهَى والمُنْتَمَى أسَدِ السَّرْحِ[1] وبَدْرِ المَجْلِسِ
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا يَنْزِلُ الوَحْيُ بِرُوحِ القُدُسِ
مُصْطَفَى المُلْكِ[2] صَفِيُّ المُصْطَفَى الغَنِي باللَّهِ عَنْ كُلِّ أحَدْ
مَنْ إذا ما عَقَدَ العَقْدَ وَفَى وإذَا مَا أخْصَبَ الفَتْحُ عَقَدْ[3]
مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وكَفَى حَيْثُ بَيْتُ المَجْدِ مَرْفُوعُ العَمَدْ
حَيْثُ بَيْتُ المَجْدِ مَحْمِيُّ الحِمَى وجَنَى الفَضْلِ زَكِيُّ الغَرَسِ
والهَوَى ظِلٌّ ظَلِيلٌ خيمَا، والنَّدَى هَبَّ إلى المُغْتَرِسِ[4]
هَاكَهَا يَا بَدْرَ آفَاقِ العُلاَ والذِي إنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أقَالْ
غَادَةً ألْبَسَهَا الحُسْنُ حُلَى تَبْهَرُ العَيْنَ جَلاءً وَصِقَالْ
عَارَضَتْ لَفْظاً ومَعْنًى وحُلَى قَوْلَ مَنْ أنْطَقَهُ الحُبُّ فَقَالْ:
هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِسِ
فَهْوَ فِي حَرٍّ وخَفْقٍ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بالقَبَسِ

وقد وقفتُ على أزيدَ من اثْنَيْ عشرَ موشحاً مما عُورضَ به توشيحُ ابنِ سهلٍ، وأحسنُها معارضةُ ابنِ الخطيبِ، ولذلك أثْبتناها ونبذْنا غيرَها مخافةَ التَّطْويلِ.

---

1 ـ السرح: شجر عظام، أو كل شجرٍ لا شوك له، وفي نفح الطيب: السرج، ولم نر له وجها.

2 ـ في نفح الطيب: الله

3 ـ في نفح الطيب:

مَن إذا عَقَدَ العَهْدَ وَفَى وإذا مَا فتَحَ الخَطب عقَد

4 ـ في الأصل:

والمنى ظل ظليل مثلما والندى نهب إلى المختلس

وقدَّ مْنا ما في نفح الطيب.8

نفحةُ الريحان

في ذِكْر الطُّبــوع والألحَـــان

لمَّا كان لهذا التوشيحِ، عند أصحابِ التلاحينِ، وأهلِ الصنـائعِ، ومَهَرةِ الموسيقى، سوقٌ نافذٌ، وسابقُ استحسانٍ واختيارٍ، كثُر نشيدُهم له، وترنُّمهم بمطربِ ألفاظه، فاستحدَثوا له من النغماتِ والطُّبوعِ طرائقَ ازدادَ بها حلاوةً. وإذا كانتِ الألحانُ يعذُب بها ما هو غيرُ مُستعذَب، ويُطرب بها ما ليس بمُطرب، فما بالكَ بما كان مُستعذباً قبلَها. وقد جعلَ اللهُ تعالى، في النفوسِ انفعالاً غريباً بالغناء، وتأثيراً عجيبا، وانتعاشاً للأرواحِ الآدميةِ، وغيرها من الحيواناتِ العُجْمِ. وما أحسنَ ما قال كُشاجم:

إن كُنْـتَ تُنْكِـرُ أنَّ فِـي الْــ ... ـأَلْحَـانِ فـائِـدَةً ونَـفْـعَـا
فَانْظُـرْ إلـى الإبـلِ الَّتـي ... لاشَـكَّ أغْلَـظُ مِنْـكَ طَبْعَـا
تُصْغِـي لأصْـواتِ الحُـدَاةِ ... فَتَقْطَـعُ الفَلَـوَاتِ قَطْـعَـا

وقال مجيرُ الدينِ ابنُ تَميمٍ:

قـالُوا: رَأَيْنَـاكَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... تَهيـمُ بِالشُّـرْبِ والغِنَـاءِ
فَقُلْـتُ: إنِّـي فتًـى مَنُـوعٌ ... أَعِيشُ بِالمَـاءِ والهَـوَاءِ

وقال آخر[1]:

زِيَـادَةُ حُسْـنِ الصَّوْتِ فـي الخَلْقِ زينَـةٌ ... يَـروقُ بِـهَا لَحْـنُ القَرِيـضِ المُحَبَّـرِ
وَمَـنْ لَـمْ يُـحَرِّكْهُ السَّمـاعُ بِطيبِـهِ، ... فَذلِكَ أعْمَـى القَلْـبِ أعْمَـى التَّصَوُّرِ

---

[1] ـ وردت تسعة أبيات من هذه القصيدة في الحائك 16 منسوبة "لأبي محمد الصباغ".

تُصيخُ إلى الحَادِي الجِمالُ لَوَاغِياً | فَتُوضِعُ في بَيْدَائِها غَيْرَ حُسَّرِ
وَلِلَّهِ في الأرْواحِ عِنْدَ ارتِيَاحِها | إلى اللَّحْنِ سِرٌّ لِلوَرَى غَيْرُ مُظْهَرِ
وكُلُّ امرِئٍ عابَ السَّمَاعَ فَإنَّهُ | مِنَ الجَهْلِ في عَشْوَائِهِ غَيْرُ مُبْصِرِ
وَأَهْلُ الحِجَا أَهْلُ الحِجَازِ وكُلُّهُمْ | رَأَوْهُ مُبَاحاً عِنْدَهُمْ، غَيْرَ مُنْكَرِ
وَهَامَ بِهِ أَهْلُ التَّصَوُّفِ، رَغْبَةً | لِتَهْيِيجِ شَوْقٍ، نَارُهُ لَمْ تَسَعَّرْ
وَإنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَالَ: زَيِّنُوا | بِأَصْوَاتِكُمْ آيَ الكِتَابِ المُطَهَّرِ
وَزَانَتْ لِدَاوُدَ النَّبِيِّ زَبُورَهُ | مَزَامِيرُهَا، بِالنَّوْحِ في كُلِّ مَحْضَرِ
وَفي الخُلْدِ إسْرَافِيلُ يُسْمِعُ أَهْلَهُ | فَيُسْلِيهِمُ المَسْمُوعُ عَنْ كُلِّ مَنْظَرِ
فَإنْ أَكُ مُغْرًى بِالسَّمَاعِ وحُسْنِهِ | فَحَسْبِي اقْتِدَاءً بِالكَرِيمِ ابنِ جَعْفَرِ

ومن بدائعِ عزِّ الدينِ الموصليِّ قولُه مُضمِّناً:

نَادَمْتُ قَوْماً لاَ خَلاقَ لَهُمْ وَلاَ | مَيْلٌ إلى طَرَبٍ وَلاَ أَسْمَارِ
يَسْتَيْقِظُونَ إلى نَهِيقِ حِمَارِهِمْ | وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الأَوْتَارِ

آخر[1]:

وَغِنَاءٍ أَرَقُّ مِنْ دَمْعَةِ الصَّـ | ـبِّ وَشَكْوَى المُحِبِّ وَالمَهْجُورِ
صَافَحَ السَّمْعَ بِالذي يَشْتَهِيهِ | وَأَذَاقَ النُّفُوسَ طَعْمَ السُّرُورِ

ومِمَّا يَنخرطُ في سِلكِ ما ذكرناهُ من أن الألحانَ تزيدُ القريضَ تحبيراً ما كتبَه ابنُ جابرٍ للصَّفَدي من قصيدةٍ[2]:

[1] ـ البيتان هما الأول والثالث من أربعة أبيات في زهر الآداب 610/2 منسوبة لأبي بكر الصولي.

[2] ـ قال في نفح الطيب 684/2: وهي طويلة. وأعاد العبارة نفسها في جواب الصفدي.

إِنَّ البَرَاعَـةَ لَـفْظٌ أَنْـتَ مَعْنَـاهُ، وَكُـلُّ شَـيْءٍ بَدِيـعٍ أَنْـتَ مَغْنَـاهُ
إِنْشَادُ نَظْمِـكَ أَشْهَـى عِنْـدَ سَامِعِـهِ مِـنْ نَظْـمِ غَيْـرِكَ لَـوْ إِسْحَـاقُ غَنَّـاهُ

فأجابهُ الصَّقدي:

يَـا فَـاضِلاً كَرُمَـتْ فِينَـا سَجَايَـاهُ، وَخَصَّنَـا بِـالَّلآلِـي فـي هَدَايَـاهُ
خَصَصْتَنِـي بِقَرِيـضٍ شَـبَّ جَوْهَـرُهُ لَمَّـا تَأَلَّـقَ مِنْـهُ نُـورُ مَعْنَـاهُ
مِـنْ كُـلِّ بَيْـتٍ مَبَانِيـهِ مُشَيَّـدَةٌ، كَمْ مِنْ خَبَايَـا مَعَـانٍ فِـي زَوَايَـاهُ

ونحنُ نذكرُ أسماءَ الطُّبوعِ وألقابَها، عند أربابِ هذه الصناعةِ[1]، ونرجعُ لما يستعملُ عليه التوشيحُ منها، فنقول: ذَكروا أن سائرَ التلاحينِ والنغماتِ، على اختلافِها وتباينِ أشكالِها راجعٌ إلى خمسةِ أصولٍ، عنها تتفرعُ الطبوعُ الأربعةُ والعشرونَ، الدائرةُ اليومَ بين أهلِ الموسيقى. فأما الأُصولُ فالذَّيلُ، والزَّيدانُ والماية، والمَزمومُ، والغَريبةُ المُحرَّرةُ. فيتفرَّعُ عن الذيلِ ستة وهي: رَمَلُ الذيلِ، وعراقُ عربٍ، وعراقُ العَجَم، ومُجنَّب الذيلِ، ورصدُ الذيلِ، واستهْلالُ الذيلِ. وعن الزَّيدانِ ستةٌ وهي: الحِجازُ الكبيرُ، والحجازُ المشرقي، والعشاقُ، والحَصارُ، والاصبهانُ، والزوركند[2]، وعن المايةِ أربعةٌ وهي: رَمَلُ المايةِ، وانقلابُ الرَّملِ، والحسينُ، والمشرقي، وحمدانُ. فهذه تسعةَ عشرَ. وتصيرُ بزيادةِ الأصولِ الأربعةِ ثلاثةً وعشرينَ، فإذا أضفتَ إليها الأصلَ الخامسَ، قالوا: ولا يتفرعُ عنهُ شيءٌ، بلغَ العددُ أربعةً

---

[1] ـ قلت عند تحقيق الكتاب في السبعينات: "الراجح أن الإفراني اعتمد في جل ما أورده في هذا الفصل على الأنيس المطرب للعلمي (ص174–184) الذي اعتمد على محمد البوعصامي أبي عبد الله وهو صديق الإفراني". و أقول الآن 1997: وقد طبع أخيرا كتاب للبوعصامي بعنوان إيقاد الشموع ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1995، وهو يؤكد ما ذهبنا إليه .

[2] ـ في الأصل الزوكند والمثبت عن الروضة الغناء 3، 4، والحائك ص 27.

وعشرينَ[1]. [وقد نظمَ هذه] الط[بوعَ الإمامُ الأ]ريبُ [أبو]محمد عبد الواحـ[ـد الونشريسـ]ـي في أبياتٍ تركتها [لطولها][2].

فإذا كنتَ على بصيرةٍ في الطُّبوعِ، وأحطْتَ بأصولها وفرُوعِها، فالذي يَجري عليه استعمالُ التوشيحِ المذكورِ بينَ أربابِ الموسيقى، حسبَ ما أخبرني به بعضُ أهلِ الفَنِّ، وإنما يسألُ عن كلِّ فنٍّ أربابهُ، الحسينُ وهو أشهر ما يستعملُ عليه التوشيحُ عندهم. وقد استنْبَط له الإمامُ الشهيرُ أبو زيد عبدُ الرحمن بن عبد القادر الفاسي[3] صنعةً على رَصْد الذيـلِ.

واعلم أن "لهذَه الأصولِ وما تفرعَ منها تَعَلُّقاً تاماً بالطبائعِ الأربع: الناريـةِ، والمائيـةِ، والريحيةِ، والتُّرابيةِ. فالغالبُ على صاحبِ الناريةِ، الصفراءُ، ويحركُها من الطبوعِ المزمومُ وفروعُه، والغَريبةُ المحررةُ، التي هي أصل بلا فرعٍ. والغالبُ على صاحبِ المائيةِ، البَلغَـمُ، وصاحبُه يحركُه الزيدانُ وفروعُه. والغالبُ على صاحبِ الريحيةِ الدمُ، وصاحبُها يتحـرَّكُ بالمائيةِ وفروعِها. والغالبُ على صاحبِ الترابيةِ السوداءُ، وصاحبُها يحركُه الذيـلُ وفروعُـه"[4].

[1] ـ في الحاشية: "زاد بعض أكابر هذا الفن لهذا (خرم) فرعاً آخر سماه صبكة، وهو إسم لمن استنبط طبع العراقي". انظر الحائك وفيه: سبكة، والسبكة (ص 19، 32 منه).

[2] ـ انظر منظومة الونشريسي المذكورة في الروضة الغناء 4، والحائك 18-19.

[3] ـ عبد الرحمان بن عبد القادر، أبوزيد الفاسي الفهري. عالم متنوع الثقافة، كثير التأليف في الفقه والتاريخ والأدب حتى لقب بسيوطي زمانه، توفي سنة 1685/1096م. (انظر ترجمته في التقاط الدرر 222/2 وفهرس الفهارس 133/2-134).

وفي موضع قوله: "الحسين...رصد الذيل" بياض سطرين في الأصل تركه الناسخ، ثم أضيف هذا القول في موضع البياض بخط المؤلف.

[4] ـ نص كلام الأنيس المطرب.174-184.

قال في المُقتبس[1]: جَعلَ أهلُ الموسيقى في العودِ أربعةَ أوتارٍ، وصَبغوه على خلافٍ. وغرضُهم من ذلك مقابلةُ الطبائعِ الأربعِ. فلذلكَ صبَغوا الزّيرَ أصفرَ اللونِ، وجُعِلَ في العودِ بمثابةِ الصَّفراءِ في الجَسدِ. وصُبغَ الوترُ الثاني أحمرَ، وهو مكانَ الدمِ من الجسدِ، وهو من الغِلظِ ضعفُ الزّيرِ، ولذلك سُميَ مُثّنى. وصُبغ الوترُ الرابعُ أسودَ [2]، وجُعلَ ضِعفَ المُثنى في الغِلظِ، فلذلك سمي المثلث. فهذه الأوتارُ الأربعةُ مُقابلةٌ للطبائعِ الأربعِ تقضي[3] طبائِعُها بالاعتدالِ. فالبَمُ حارٌ يابسٌ يقابلُ المُثنى، وهو حارٌ رطبٌ، وعليه تسويتُه[4]. والزيرُ حارٌ يابسٌ يُقابلُ المثلثَ، وهوَ حارٌ رطبٌ. قوبلَ كلُّ طبعٍ بضدِّه، حتى اعتدلَ واستوَى، كاستواءِ الجسمِ بأخلاطِهِ، إلاَّ أنه عُطِّل من النَّفسِ، والنفسُ مقرونةٌ بالدَّمِ. ولمَّا رأى هذا زريابُ، اخْتَرعَ وتراً خاصاً أحمرَ، وأضافَه إلى الوترِ الأوسطِ الدَّمويِّ، ووضعَه تحتَ المثلَّثِ وفوقَ المُثنى، فكمُل في عودِه قُوى الطباعِ الأربعِ. وأقامَ الخامسَ المزيدَ مقامَ النفسِ في الجسدِ. انتهى.

وزريابُ المذكورُ، إمامُ صناعةِ المُغنِّينَ، والمُجتهدُ في فنِّ الموسيقى، والمتقدِّمُ فيه على غيرِه. وكانَ يحفظُ عشرةَ آلافِ مقطوعةٍ بألحانِها، وهذا العددُ من الألحانِ غايةُ ما ذكرَه بَطْلَيْمُوسُ، واضعُ هذه العلومِ ومُبتكِرُها. وذُكرَ أن زرياباً ادَّعى أن الجنَّ تعلِّمُه كلَّ ليلةٍ ما

---

[1] - أصل الكلام التالي موجود في نفح الطيب 196/3 نقلا عن المقتبس، فإن لم يكن الإفراني اعتمد أصلاً على نفح الطيب، فقد اطلعَ عليه، ففي الحاشية بخطه: "...(بياض) الرابع، والله أعلم، وكذا بنفح الطيب".

[2] - في نفح الطيب: "وجُعل من العود مكانَ السوداءِ من الجسد وسمي البم، وهو أعلى أوتارِ العودِ، وهو ضعفُ المثلثِ الذي عطل من الطبعِ، وترك أبيض اللونِ، وهو من العودِ بمنزلة البلغم من الجسد".

[3] - في الأصل: يقتضي، والمثبت عن نفح الطيب.

[4] - في الأصل: سويته، والمثبت عن نفح الطيب.

بين نوبةٍ إلى صوتٍ واحدٍ، فكانَ يهُبُّ من نومِه سريعاً، ويُلقيهِ على قَيْناتِه ويعودُ لمضجَعِه. وحكايتُه في ارتحالِه عن هارون الرشيدِ، واتصالِه بالحكمِ المَرواني، بالجزيرةِ، مشهورةٌ[1].

وفي زريابٍ قال ابنُ حبيبٍ الفقيهُ[2]:

بُلــــوغُ أَمْــــرِي والــــذي أَبْتَغِـــــي ... هَيْـــنٌ علـــى الرَّحمـــانِ فـــي قَبْضَتِـــهْ
أَلْـــفٌ مِـــنَ الحُمْـــرِ وَأَقْلِـــلْ بِهَـــا ... لِعَالِـــمٍ أَرْبَـــى عَلَـــى بُغْيَتِـــهْ
زِرْيَـــابُ قَـــدْ أُعْطِيَهـــا جُمْلَـــةً، ... وَحِرْفَتِـــي أَشْـــرَفُ مِـــنْ حِرْفَتِـــهْ

واسمُه عليٌّ بنُ نافعٍ، ولقِّب زرياباً، لسوادِ لونِـه، وفصاحـةِ لسانِه، ولطافـةِ شمائِلِه، شبِّه بطائرٍ أسودَ غردٍ عندهم، وفيه قالَ عبدُ الرحمَنِ بنُ الشَّمر[3] منجمُ الأميرِ عبدِ الرحمنِ الأمويِّ:

يَـــا عَلِـــيَّ بْـــنَ نَـــافِـــعٍ يَـــا عَلِـــيُّ، ... أَنْـــتَ، أَنْـــتَ الـــمُهَذَّبُ اللَّوْذَعِـــيُّ
أَنْتَ فـــي الأَصْـلِ حِيـنَ يُسْـأَلُ عَنْـــهُ ... هَاشِمِـــيٌّ، وَفِـــي الهَـــوَى عَبْشَمِـــيُّ

وممن أخذَ عن زريابٍ، واشتهرَ بعدهُ مصـابيحُ جاريـةُ الكاتبِ أبـي حَفصٍ عمرَ[بنِ][4] قِلْهيلٍ. ويذكرُ أن ابنَ عبدِ ربِّه، صاحبَ العقدِ، مرَّ بدارِ أبي حفصٍ، والجاريـةُ تُغنِّي، فوقفَ يستمعُ، فأشارَ أبو حفصٍ لها فسكتَتْ، فكتبَ له ابنُ عبدِ ربِّه بهذينِ البيتينِ:

يـا مَـنْ يَضِـنُّ بِصَـوْتِ الطَّـائِرِ الغَـرِدِ ... مَا كُنْتُ أَحْسِبُ هَـذَا الضَّـنَّ مِـنْ أَحَـدِ
لَوْ أَنَّ أَسْمَـاعَ أَهْلِ الأَرْضِ قَـاطِبَـــةً ... أَصْغَتْ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَـزِدِ

---

[1] ـ انظرها في نفح الطيب 3/125-126.

[2] ـ الأبيات في نفح الطيب 7/2 مع اختلاف في الرواية.

[3] ـ في الأصل: السمر، مهلة. والمثبت عن العقد الفريد 2/364، 5/255، ونفح الطيب 3/130.

[4] ـ الزيادة من المطرب 250 ونفح الطيب 3/131، والقصة مفصلة أكثر بالمطرب.

فخرجَ أبو حفصٍ حافياً، وأدخلَه إلى مجلِسِه، وتمتَّعَ من سماعِها.

ولا بأسَ بإيرادِ جُملةٍ ممَّا قيلَ في العود، فقال ابنُ الوردي[1]:

جَـاءَتْ بِعُـودٍ كلَّمَـا لَعِبَــ[تْ] بِــه ... لَعِبَــتْ بِــيَ الأَشْــوَاقُ والتَّبْرِيــحُ
غَنَّــتْ فَجَاوبَهــا، ولَــمْ يَـكُ قَبْلَهَـــا ... شَجَـرُ الأَرَاكِ مَـــعَ الحَمَــامِ يَنُــوحُ

وقال الصفَّدي:

أَتَتْنَــا بِعُــودٍ حَرَكَتُــهُ بِأَنْمُـــلِ ... هِـيَ المَـاءُ لُطْفـاً فـي اتِّـبَاعِ الأَنَاشيـدِ
فَكَـادَتْ، وقَـدْ جَسَّتْ مَثَانِيــهِ، تَكْتَســي ... بِأَوْرَاقِــهِ، لَمَّــا جَـرَى المَاءُ في العُــودِ

ابنُ تميم[2]:

ومَهَـاةٍ قَــدْ رَاضَــتِ العُــودَ حَتَّـــى ... عَـادَ بَعْـدَ الجِمَـاحِ وَهْــوَ ذَلُــولُ
خَـافَ مِنْ عَـرْكِ أُذْنِـهِ إِنْ عَصَـاهَـا ... فَلِهَــذَا كَمَــا تَقُــولُ يَـقُــولُ

آخــر[3]:

ومَلِيحَـــةٍ بَـــاتَتْ تُدَغْــدِغُ عُودَهَـــا ... بِفَصَاحَـــةٍ، حتــى تَغَنَّـــى العُـــودُ
فَكَـأَنَّهَـا أُمٌّ عَلَيْــهِ شَـفِيـقَـــةٌ، ... وكَأَنَّـــهُ فـــي حِجْرِهَــا، مَولُــودُ

آخرُ في مُغنيةٍ:

---

[1] ـ نسبهما في تزيين الأسواق 506 لابن تميم. وقال في الأنيس المطرب 182: "لابن تميم أو ابن الوردي".

[2] ـ البيتان في حلبة الكميت 202، وديوان الصبابة 237.

[3] ـ البيتان في الأنيس المطرب للعلمي 192.

وَنَائِحَةٍ لَهَا وَجْهٌ ... بِهِ فَتَنَتْ بَنِي الدُّنْيَا
فَبَاكِيَةٌ عَلَى المَوْتَى ... وَضَاحِكَةٌ عَلَى الأَحْيَا

آخر[1]:

مَاهِرٌ فِي غِنَائِهِ يَنْشُرُ الدُّ ... رَّ، فَيَمْلا مَسَامِعَ النُّدَمَاءِ
لَوْ تَغَنَّى لِمُدْنَفٍ بَعَثَ اللَّـ ... ـهُ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهِ بِالشِّفَاءِ

القيراطي[2]:

غَنَّى عَلَى العُودِ شَادٍ، سَهْمُ نَاظِرِهِ ... أَمْسَى بِهِ جَسَدِي المُضْنَى عَلَى خَطَرِ
رَنَا إِلَيَّ، وَجَسَّتْ كَفُّهُ وَتَراً ... فَرَاحَتِ الرُّوحُ بَيْنَ الجِسْمِ وَالوَتَرِ

ولهُ في هجوِ مُغنٍّ[3]:

عَوَّادُكُمْ مَنْطِقُهُ خَارِجٌ[4] ... وَضَرْبُهُ ضَرْبٌ مِنَ الحَيْنِ
وَعُودُهُ فِي الكَفِّ، مِنْ قُبْحِهِ ... مَا زَالَ مِثْلَ العُودِ فِي العَيْنِ

وما أحسن قولَ ابنِ الوَرْدي على طريقِ التَّوريةِ[5]:

غَنَّى لَنَا يَوْمَ حَرٍّ ... فَمَاتَ بَرْداً رِفَاقِي

---

[1] ـ المصدر السابق 192.

[2] ـ إبراهيم بن عبد الله الطائي، برهان الدين القيراطي. شاعرٌ وفقيهٌ من أهل القاهرة. له ديوان شعر سماه: مطلع النيرين. توفي سنة 781/1379م. (انظر الدرر الكامنة 32/1 وشذرات الذهب 269/6).

[3] ـ البيتان في الأنيس المطرب 182.

[4] ـ هكذا في الأصل وفي الأنيس المطرب 183، والأولى أن يكون: جارحٌ.

[5] ـ المصدر السابق.

يَـا لَيْتَنَـا فِـي حِجَـازِ   لَمَّـا شَـدَا فـي عِـرَاقِ

آخَـرُ[1]:

مُغَنِّيَـةٌ سُـوءُ أَلْفَـاظِهَـا   يُمِيـتُ السُّـرُورَ وَيُحْيِـي الكُـرَبْ
مُقَبَّحَـةُ الوَجْـهِ مَفْلُـوجَـةٌ   فَـلاَ لِلـزِّنَـاءِ وَلاَ لِلطَّـرَب

آخَـرُ[2]:

رَأَيْـتُ زَيْـداً قَاعِـداً لِلْغِنَـا   فَقُمْـتُ مِـنْ مَجْلِسِـهِ أَهْـرُبُ
لأَنَّـهُ يَنْبَـحُ مِـنْ عُـودِهِ   جَـرْوٌ وَمِـنْ أَوْتَـارِهِ أَكْلُـبُ
وَيَحْسِـبُ النُّدْمَـانُ فـي حَلْقِـهِ   دَجَاجَـةً يَخْنُقُهَـا ثَعْلَـبُ
مَـا عَجَبِـي مِنْـهُ، وَلَكِنَّنِـي   مِـنَ الـذِي يُطْرِبُـهُ أَعْجَـبُ

وأنشدني لنفسِه بعضُ أصحابِنا في ضريرٍ عوّادٍ:

وَأَعْـمَى بَصِيـرٌ بِالمَثَالِـثِ كَفُّـهُ   أَجَلْنَـا بِـهِ لِلأُنْـسِ فـي رَوْضَـةٍ طِرْفَـا[3]
بَـرَاهُ إِلَـهُ الخَلْـقِ سَتْـراً لِعَاشِـقٍ   فَـاطْـرَبَـهُ كَفّـاً، وكَـفَّ لَـهُ طَرْفَـا

---

[1] ـ نفسه.

[2] ـ نفسه.

[3] ـ الطِّرفُ: الكريم من الخيل (القاموس المحيط: طرف).

جُملةٌ كافية

فيما يَتعلقُ بالتوشيح من العروضِ والقافيةِ

لا يخفى على مُعاني صناعةِ القريضِ أن قِوامَ النظامِ واستحكامَ الشعرِ، إنما يكونُ لمنْ أتقنَ هذينِ العلمينِ، وتمهَّرَ فيهما. فقد وقعَ لجماعةٍ كأبي تمامٍ والبُحتري وغيرِهم[1] الخللُ في الوزنِ، والتبستْ عليهمُ البحورُ، وتداخلتْ عليهمُ التفاعيلُ. وما ذلكَ إلآ لعدَمِ الدرايةِ بهذا الفنِّ. وهلْ علمُ العروضِ للشِّعرِ إلا بمثابةِ علمِ الإعرابِ للكلامِ. وكما أن النحوَ وُضعَ ليعصِمَ اللسانَ من اللَّحنِ، فكذلك العروضُ وُضعَ ليُعافى به الشّعرُ من خَلَلِ الوزنِ، فلولاهُ لاخْتلفَتِ الألحانُ، وانحرفتْ عنِ الصوابِ انحرافَ الألسنةِ عنِ الإعرابِ. ولا يُلتفَتُ لما وقعَ لجماعةٍ من استِيرادِهِ والحَطِّ منهُ، وأنَّ الناظم، إنْ كانَ سليقيّاً، فلا حاجةَ له بالعروضِ، كما لم يحتجْ إليهِ من سبقَ الخليلَ من العربِ. وإنْ كانَ غيرَ مَطبوعٍ، فلا يتأتّى له الشعرُ إلاَّ بكُلفةٍ، كما قالَ أبو فراسٍ الحمداني[2]:

تـنَاهَضَ النَّاسُ لِلْمَعَالِي   لَمَّا رَأَوْا نَحْوَهَا نُهُوضِي
تَكَلَّفُوا المكْرُمَاتِ كَدّاً،   تَكَلُّفَ النَّظْمِ بِالعَرُوضِ

وقال بهاءُ الدين السُّبكي:

إِذَا كُنْتَ ذَا فِكْرٍ سَلِيمٍ، فَلاَ تَمِلْ   لِعِلْمِ عَرُوضٍ، يُوقِعُ القَلْبَ في كَرْبِ
فَكُلُّ امْرِئٍ عَانَى العَرُوضَ فَإِنَّمَا   تَعَرَّضَ لِلتَّقْطِيعِ، واشْتَاقَ لِلضَّرْبِ

---

[1] ـ الأولى أن يكون: غيرهما.

[2] ـ ديوان أبي فراس الحمداني 178.

قالوا: وتَقطيعُ الأبياتِ يُخرجُ بديعَ الألفاظِ، ورائقَ السَّبكِ، إلى اسْتِبْرادٍ وركاكَةٍ. وحَدَّثَ الأصْمَعي أن أعرابياً كان يُجالسُ الأدباءَ، ما داموا يتناشدونَ الأبياتَ، فإذا أخذوا في العَروضِ وتقطيعِ الأبياتِ ولّى عنْهم وهو يُنشدُ[1]:

قد كانَ إنْشادُهُمْ للشِّعْرِ يُعْجِبُنِي   حتَّى تَعاطَوْا كَلامَ الزَّنْجِ والبُومِ
ولَّيْتُ مُنْقَلِباً، واللّهُ يَعْصِمُنِي   مِنَ التَّقَحُّمِ في تِلْكَ الجَرائِيمِ

ورُبما أوقعَ التقطيعُ المرءَ في الزَّلَلِ والخَجَلِ، كما في مُداعبةِ أبي نواسٍ وعنانٍ جاريةِ الناطفي[2] حينَ قالتْ لهُ: إنْ كُنتَ تحسنُ النظرَ في العروضِ، فقطِّع هذا البيتَ:

حَوِّلوا عَنَّا كَنِيسَتَكُمْ   يا بَنِي حَمَّالَةِ الحَطَبِ

فخرجَ لهُ: ناكَني، فقالتْ: منْ؟ وضَحكتْ منهُ. فقال لها: قطعي أنتِ قولَه:

أَكَلْتُ الخَرْدَلَ النَّا   مِي[3] في صفحةِ خَبَّازِ

فخرجَ لها: أكلتُ الخَر، فضحكَ مِنها، قال في الغيثِ[4]: وعِندي أن هذِه الحكايةَ موضوعةٌ، وإن ذكرَها صاحبُ العِقدِ[5] وغيرُه.

---

[1] ـ في بهجة المجالس 14: "كان أبو مُسلم، مؤدبُ عبدُ الملكِ بن مروانٍ، قد نظرَ في النحوِ، فلما أحدثَ الناسُ التصريف لم يُحسنْه، فأنكرَه وهَجا أصحابَه، فقال:

قَدْ كَانَ أَخْذُهُمْ لِلنَّحْوِ يُعْجِبُنِي   حتَّى تَعاطَوْا كَلامَ الزَّنْجِ والرُّومِ
لَمَّا سَمِعْتُ كَلاماً لستُ أعْرِفُهُ،   كَأَنَّهُ زَجَلُ الغِرْبانِ والبُومِ،
تَرَكْتُ نَحوَهُمْ، واللهُ يَعصِمُنِي   مِنَ التَّقَحُّمِ في تِلْكَ الجَرائِيمِ

[2] ـ في الأصل: النطفي، والصوابُ من الأغاني 101/10، 76/20، والعقدِ الفريدِ 63/7، 64، 137/8.

[3] ـ هكذا في الأصل، وفي العقدِ الفريد 65/7: الشامي.

[4] ـ الغيث المسجم 31/1 بتصرف.

[5] ـ العقد الفريد 65/7.

وإذا تبينَ شدةُ الحاجةِ لهذِه الصناعةِ تعيَّنَ أن نُلِمَّ بشيءٍ مِنها، على سَبيلِ الإيجازِ، فنقولُ: هذا التوشيحُ من بحرِ الرَّملِ، وذكرَ ابنُ بَري في شرحِ عروضِ ابنِ السَّقاطِ، أقوالاً في تسميتِه بذلكَ، فقال الزجاجُ: من سرعةِ السيرِ، وقال الخليلُ: تشبيهاً له برَمَلِ الحَصيرِ، وقيلَ لأنَّ الرَّمَلَ، الذي هو نوعٌ من الغِناءِ، يخرجُ على هذا الوزنِ، قال الصفاقصي: وهوَ أبعدُها. انتهى. والظا[هرُ] أنهُ أقربُها، فإنَّ أهلَ الموسيقى متهافتونَ على الرَمَلِ تهافتَ الذُّبابِ على العسلِ. ولعلَّهُ لهذا أكبَّ على هذا التوشيحِ كبارُ تلكَ الطبقةِ، لأنهُ "وافقَ شَنٌّ طَبَقَة"[1]. ثم إنه لا يستعملُ إلاَّ محذوفَ العروضِ، والحذفُ عندَهم، هو حذفُ السببِ الخفيفِ، من آخرِ الجزءِ، مثالُه: فعولن، يحذف سببه الخفيف فيبقى: فعو. والرمل له عروضانِ، محذوفةٌ ومجزوءةٌ وستةُ أضربٍ. وهذا التوشيحُ من عروضِهِ الأولَى المحذوفةِ، ومن ضربِها الثالثِ، الذي هو محذوفٌ كالعروضِ، وبيتُه:

قَالَـتِ الخَنْسَـاءُ، لَمَّـا جِئْتُهَـا: شَـابَ بَعْـدِي رَأْسُ هَـذَا واشْتَهَـبْ

والرملُ مُثمنُ الأجزاءِ، يتركَّبُ من:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن، ومثلِها. وهو من الدائرةِ الثالثةِ، وتُسمى دائرةَ المُجتلَبِ، على مذهبِ الجمهورِ، وسمَّاها الخَزرَجي دائرةَ المُشتبِه. ولْنوضِّح ذلكَ ببيتٍ من التوشيحِ، وهو:

هَـلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أَنْ قَـدْ حَمَـى قَلْـبَ صَـبٍّ حَلَّـهُ عَـنْ مَكْنِـسِ

تقطيعُه:

هَلْ دَرَى ظَبْ / يُلْحِمَى أَنْ/ قدْ حَمَـى قَلْبَ صَبْ بِنْ/. حَلْلَهُ عَنْ./ مَكْنِـسِ

---

[1] - مثل عربي مشهور (انظر مجمع الأمثال 359/2).

تفعيلُـــه:

فـاعلاتــــن، فـاعلاتـــن، فـاعلـــــن   فـاعلاتــــن، فاعلاتــــن، فـاعلـــــن

اسمــــه:

سالـــــــم، سالــــــم، محــــــذوف   سالِـــــم، سالـــــم، مَحــــــذوف

وعلى هذا فقِس. وأحرف التقطيعِ يجمعها قولكَ: "لمعتْ سيوفُنا". وما أحسنَ قولَ البرهانِ القَيراطـــي:

وَمَلِيــحٍ، عِلْــمَ الخَلِيـــلِ يُعانـــــي،   لَيْتَــهُ لَوْغَــدَا[1] خَلِيـــلاً خَلِيعِــــي
رُمْـــتُ وَصْـــلاً بِــهِ فقــالَ: لِحَاظِـــي   نَاطِقـــاتٌ بِأَحْـــرُفِ التَّقْطيــــعِ

ويُشبهُه قولُ شهابِ الديــنِ[2]:

وَبِـــي عَرُوضِـــيٌّ سَـــرِيعُ الجَفَـــا[3]   وَجْـدِي بِـــهِ، مِثْـلُ جَفَــاهُ، طَوِيـــلْ
قُلْـتُ لَـــهُ: قَطَّعَـــتَ قَلْـبِي أَسًـــى   فقـــالَ لِـي: التَّقْطِيـــعُ دَأْبُ الخَلِيـــلْ

وتنكَّرْتُ أَيْضاً، هنا، قَولَ أبي جعفرٍ رفيقِ ابنِ جابرٍ، على مذهبِ الخليل[4]:

خَـــلِّ الأَنَـــامَ، وَلاَ تُـلاحِـــظْ مِنْهُـــمُ   أَحَـداً، ولَـوْ أَصْفَـى إِلَيْـكَ ضَمَـائِرَهْ

---

[1] ـ في الأصل: لوعزا، والمثبت عن (جـ).

[2] ـ المقصود شهاب الدين بن صارو البعلي.(انظر نفح الطيب 679/2). وفي معاهد التنصيص 151/3: ابن سارة. وابن صارة ويكتب بالسين، هو أبو محمد عبد الله الشنتريني توفى سنة 517هـ، وسيرد ذكره في الصفحات: 70، 217، 267، 268 من هذا الكتاب. (ترجمته في المغرب 419/1، والمطرب 78).

[3] ـ في الأصل: الحيا، والمثبت عن نفح الطيب، ومعاهد التنصيص، وهوالصواب.

[4] ـ البيتان في نفح الطيب: 678/2، وفيه: ولا تخالط.

إنَّ المُوَفَّــقَ مــنْ يَكُـونُ كَـأنَّـــــهُ مُتَقــاربٌ، فَهْــوَ الـوَحِيــدُ بدائـــرَهْ

ولهُ على مذهب الأخفش[1]:

إنَّ الخَــلاصَ مِـــنَ الأنَـــامِ لَراحَـــةٌ، لَكِنَّـــهُ مَـــا نَـــالَ ذَلـــكَ سالِـــكُ
أَضْحَـــى بِدائِـــرَةٍ لَـهُ مُـتَـقَــــارِبٌ يَرْجُـــو الخَـــلاَصَ، فَعَاقَـــهُ مُتَـــدَارِكُ

ولـــــه[2]:

دَائِـــرَةُ الْحُسْـــنِ قَـــدْ تَنَاهَـــــتْ، فَمَـــا لَهَـــا فـــــي الْهَـــوَا مَزِيــــدُ
فَبَحْـــــرُ شَـــوقِي بِهَـــا طَوِيـــــلٌ، وَبَحْـــــرُ دَمْعِـــي بِهَـــا مَدِيــــدُ
وَإنَّ وَجْـــــدِي بِهَـــا بَسِيــــــطٌ، فَلْـيَفْعَــــلِ الحُسْـــــنُ مَـــا يُرِيــــــدُ

ومن هذا النمطِ قولُ شهابِ الدينِ بنِ صارُ[و][3]:

وَبِـي عَرُوضِـــيٌّ سَرِيـــعُ الجَفَـــا، يَغَـــارُ غُصْـــنُ البَـــانِ مِـــنْ عِطْفِـــهِ
الـــوَرْدُ مِـــنْ وَجْـنَـتِـهِ وَافِـــرٌ، لَـكِنَّـــهُ يَمْنَـــعُ مِـــنْ قَـطْـفِـــــهِ

وتَذكرتُ بالتَّوريةِ بالقطفِ ما وقعَ[لبعضِ] أصحابِنا في أَبيات كَتبَ بها إليَّ يُعاتِبُني وقد تخلفتُ عنْ زيارتِه، وهيَ:

مَـــا لِلْخَلِيــلِ لِوَعْــدِهِ قَـــدْ أَخْـلَـفَـــا وَغَـــدَا لِسَــهْمِ مَلاَمِـــنَا مُسْتَهْدَفَـــا؟
إنْ كَـانَ قَـــدْ صَـــرَفَ العِنَـــانَ وِدَادُهُ، إنَّـــا، وَحَـــقِّ وِدَادِهِ، لَـــنْ نَصْـرِفَـــا

---

[1] ـ البيتان في نفح الطيب: 678/2.
[2] ـ البيتان في المصدر السابق 679/2.
[3] ـ في الأصل: صار، والتصويب من نفح الطيب 679/2. وانظر ص:65 الحاشية:2.

قَدْ كَانَ يَرْوِي وُدَّهُ عَنْ ثَابِتٍ[1] ... والْيَوْمَ قَلَّدَ عَازِباً ومُطَرِّفَا[2]

عَهْدِي بِهِ يَأْتِي لِكُلِّ عَرُوبَةٍ[3] ... وَحَدِيثُهُ يَرْوِي الغَرِيبَ مُصَنَّفَا

فَإِذَا تَنَكَّبَ وَصْلَنَا لِجِنَايَةٍ ... فَالحَرُّ يَحْمِلُ خِلَّهُ إِنْ أَجْحَفَ

وَفَّيْتُهُ مِنِّي صُوَاعَ مَوَدَّةٍ ... وَأَرَاهُ فِي سُوقِ الوَفَاءِ مُطَفِّفَا

وَلَقَدْ عَهِدْتُ جَوَادَهُ فِيمَا مَضَى ... يَطْوِي البَسِيطَ لَنَا، فَكَفَّ وَأَقْطَفَا

تَاللَّهِ إِنْ لَمْ يَشْفِيَنْ كَلِفاً بِهِ، ... لَعَلِمْتُ أَنَّ الوُدَّ كَانَ تَكَلُّفَا

فَإِنِ ادَّعَى إِبْطَالَ مَا أَلْزَمْتُهُ ... يُقْضَى عَلَيْهِ لِتُهْمَةٍ أَنْ يَحْلِفَا

يُقْضَى عَلَيْهِ لِتُهْمَةٍ أَنْ يَحْلِفَـــولابنِ جابرٍ الأعمى:

إِنْ صَدَّ عَنِّي فَإِنِّي لا أُعَاتِبُهُ ... فَمَا التَّنَافُرُ فِي الغِزْلانِ تَنْقِيصُ

شَوْقِي مَدِيدٌ وَوَجْدِي كَامِلٌ أَبَداً[4] ... لأَجْلِ ذَلِكَ قَلْبِي فِيهِ مَوْقُوصُ

ولَهُ:

عَالِمٌ بِالعَرُوضِ يَخْبِنُ[5] قَلْبِي ... فِي مَدِيدِ الهَوَى بِلَحْظٍ سَرِيعِ

عِنْدَهُ وَافِرٌ مِنَ الرِّدْفِ يَبْدُو، ... وَخَفِيفٌ مِنْ خَصْرِهِ المَقْطُوعِ

---

[1] ـ ورَّى بأبي حمزة، ثابتِ بن دينارِ الأزدي. من رجالِ الحديثِ الثقاة عند الإماميةِ، وروى عنه بعض أهل السنة. (الأعلام للزركلي 81/2).

[2] ـ يقصد، على ما يبدو، مُطرِّف بن المغيرة بن شعبة، كان الحجاجُ ولاَّهُ على المَدائنِ لنُبله. ولكنَّ شبيبَ بنَ زيدٍ الخارجي أقنعه بمذهبِه، فخلع عنهُ بيعةَ عبدِ الملكِ والحجاجِ، وقاتلَ الأمويّينَ في صفوفِ الخوارجِ حتى قتل سنة 77هـ/696م.

(الطبري 258/7-263، الكامل لابنِ الأثير 62/4-63).

[3] ـ العَرُوبَةُ: يوم الجمعة. (القاموس المحيط: عرب).

[4] ـ في الأصل معقوص، والمثبت عن نفح الطيب 679/2، والوقص: حذف ثاني التفعلة متى كان متحركاً وثاني سبب، وهو مما يجوز في حشو المديد.

[5] ـ في الأصل: حر، بدون نقط وفي (ج) يحرق، والمثبت عن نفح الطيب 679/2.والخبن حذف الثاني متى كان ساكنا وثاني سبب، وهو مما يجوز في حشو المديد.

ولــــــهُ[1]:

سَــــبَبٌ خَفِيــــفُ خَصْرُهَـــا وَوَرَاءَهُ   مِــنْ رِدْفِهَـا سَـــبَبٌ ثَـــقِيلٌ ظَاهِـــرُ
لَــمْ يُجْمَـــعِ النَّوْعَـانِ فـــي تَرْكِيبِهَـــا   إلاَّ لأَنَّ الحُسْــــنَ فِيهـــا وافِـــرُ

وهذهِ المقطعاتُ، أَنشدَها أَبُو جَعفرٍ الرُّعينِيُّ الأندلسيُّ[2] المتقدِّمُ لابنِ جابرٍ رفيقهِ فِي شـرحِ بديعيتِها المسماةِ بديعيةَ العميانِ، وإليهما ينسب شرحُ الخُلاصةِ المُترجمُ بشرحِ الأعمى والبصيرِ، والأعمى هو ابنُ جابرٍ الهَواري[3]، والبصيرُ أبو جعفرٍ الرُّعيني[4]، وهُما ممن جالَ في مناكبِ الأرضِ، وضربَ أكبادَ الإبلِ في البـلادِ ذاتِ الطولِ والعرضِ. قالَ أبو حَيان: والسَّببُ في خروجِ ابنِ صابرٍ[5] من الأندلسِ أنه كانَ على مذهبِ الظاهريةِ، فكانَ يرفعُ يديْه في الصلاةِ، ما صحَّ في الحديثِ، فبلغَ ذلكَ السلطانَ أبا عبدِ اللـهِ بنَ الأحمرِ، فتوعَّدَه بقطعِ

---

[1] - البيتان في نفح الطيب 680/2.

[2] في الأصل: أبو جعفر ابن الزبير الأندلسي، والصواب ما أثبتناه، فإن رفيق ابن جابر هو: أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي أبو جعفر المتوفى سنة 779هـ/1378م.
وهو أديب، رافق ابن جابر في رحلته إلى الشرق، فعرفا بالأعمى والبصير. وشرح الرعيني بديعية زميله المسماة: الحلة السيرا في مدح خير الورى، أو بديعية العميان. وسمى شرحه طراز الحلة وشفاء الغلة.(انظر ترجمته في الدرر الكامنة 361/1، ودرة الحجال 52/1-53، ونفح الطيب 675/2-690).
أما ابن جابر فهو أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري، مؤلف وناظم، توفي سنة 780هـ/1378م (انظر ترجمته في الدرر الكامنة 339/3، ونفح الطيب 664/2-675). والسبب في خطأ الإفراني هو خلطه بين أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي رفيق أبي جعفر ابن الزبير وبين أحمد بن علي بن جابر الأندلسي المتقدم.(انظر ترجمة ابن صابر في المنهل الصافي 299/1 ونفح الطيب 655/2).

[3] - في الأصل: القيسي وذلك خطأ. كما بينا.

[4] - في الأصل: بن الزبير وهو خطأ كما سلف.

[5] - في الأصل: ابن جابر والصواب ما أثبتناه. وهذا الكلام المنسوب لأبي حيان، وتعليق صاحب النفح عليه، موجود في نفح الطيب 655/2، وهو يتعلق بابن صابر وليس بابن جابر.

يدِه، فَضجَّ من ذلكَ، وقالَ: إقليمٌ تُماتُ فيه السنةُ ويُتوعدُ فاعلُها، جَديرٌ أن يُرحلَ عنه فخرجَ.
ومن شعره:

فَلاَ تَعْجَبَا مِمَّنْ عَوَى خَلْفَ ذِي عُلًى لِكُلِّ عَلِيٍّ فِي الأَنَامِ مُعَاوِيَهْ

قالَ في النفحِ: وفيه مالا يَخفى منْ عَدمِ التأدُّبِ مع الصحابةِ. ولِلّهِ قولُ من قالَ في رجَزٍ:

وَمَنْ يَكُنْ يَقْدَحُ فِي مُعاوِيَهْ
فَذَاكَ كَلْبٌ مِنْ كِلابٍ عَاوِيَهْ

ومِن فوائدِ أبي جعفرٍ الرُّعيني[1] الرفيقِ المذكورِ أنهُ سُئلَ عن معنى قولِ الشاعرِ:

غَزَالٌ قَدْ غَزَا قَلْبِي بِأَلْحَاظٍ وَأَحْدَاقِ
لَهُ الثُّلْثَانِ مِنْ قَلْبِي وَثُلْثَاثُلْثِهِ البَاقِي
وثُلْثَا ثُلْثِ مَا يَبْقَى وبَاقِي الثُّلْثِ لِلسَّاقِي
وَتَبْقَى أَسْهُمٌ سِتٌّ تُقَسَّمُ بَيْنَ عُشَّاقِي

فقالَ: "هذا الشاعرُ قسمَ قلبَه إلى واحدٍ وثمانينَ سهماً، فجعلَ لمحبوبِه منها الثلثينِ: أربعاً وخمسينَ، وبقيَ الثلثُ: سبعٌ وعشرونَ، فزادَه ثُلثيه: ثمانيةَ عشرَ، ليتحصَّلَ له اثنانِ وسبعونَ، يبقَى ثلثُ الثلثِ، وهو تسعةٌ، زادَهُ منها ثُلُثَيْ ثلثِه وهُو اثنانِ، وبقي من الثلثِ

[1] ـ في الأصل: ابن الزبير، والصواب ما أثبتناه.

واحدٌ، أعطاهُ للساقي، فبَقي من التسعةِ ستةٌ، قسمها بين العشاقِ. فاجتمعَ لمحبوبه أربعٌ وسبعونَ، وللساقي سَهمٌ واحدٌ، وللعشاقِ ستةٌ، والجُملةُ واحدٌ وثمانونَ"[1].

وذكرتُ بالدائرةِ أيضاً، قولَ القائل ملغزاً في الساقِية[2]:

يَاأَيُّهَا الحَبْرُ الذِي   عِلْمُ العَرُوضِ بِهِ امْتَزَجْ
أَبِنْ لَنَا دَائِرَةً   فِيهَا بَسِيطٌ وَهَزَجْ

وتذكرتُ، والشيءُ بالشيء يذكرُ، قولَ السِّراجِ الوراقِ على وجهِ التوريةِ العَروضيةِ[3]:

مَالِي وَنَظْمَ الشِّعْرِ، بَانَتْ صَبْوَتِي   وَالنَّاسُ قَدْ رَغِبُوا عَنْ الآدَابِ
أَقُولُهُ عَبَثاً بِلاَ سَبَبٍ لَهُ؟   والشِّعْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى الأَسْبَابِ

ومثلُهُ لابن نباتة[4]:

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ أُنَاسٍ   فِيهِمْ تَحَيَّرَ ذِهْنِي
لاَ دِرْهَماً وَزَنُوهُ   وَحَاوَلُوا الشِّعرَ مِنِّي
وَهَلْ سَمِعْتُمْ بِشِعْرٍ   يَأْتِي عَلَى غَيْرِ وَزْنِ

ويناسبُ هذه الجملةُ قولُ ابنِ صارَة[5]:

---

[1] ـ نص كلام نفح الطيب 681/2.

[2] ـ البيتان في الغيث المسجم 33/1 و قبلهما: "أنشدَ بعضُ الأصحابِ" وهما كذلك في حلبة الكميت 291.

[3] ـ الغيث المسجم 33/1.

[4] ـ في الغيث المسجم 33/1: "أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين بن نباتة.. الأبيات". والأبيات في ديوان ابن نباتة 530.

[5] ـ ورد البيتان غيرَ معزوينِ في الشريشي الكبير 52/2-53.

لَيْلُ البَرَاغِيثِ وَالبَعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلاَ غُمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو[1] بِلاَ سُرُورٍ وَذَا يُغَنِّي بِلاَ عَرُوضِ

كذا أنشدَ هذين البيتينِ أبو جعفرٍ الفِهري في كتابِه المُسمَّى برفعِ التَّلبيسِ في حقيقةِ التَّجنيسِ[2]، وهو كتابٌ وحيدٌ في بابِه، وقفتُ عليهِ واعتمدتُ عليهِ. وأنشدَ بعدَ البيتينِ لابنِ رشيقٍ[3]:

يَا رَبُّ لاَ أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الأَذَى وَبِكَ اسْتَعَنْتُ عَلَى الضَّعِيفِ المُوذِي
مالي بَعَثْتَ إِلَيَّ أَلْفَ بَعُوضَةٍ وَبَعَثْتَ وَاحِدَةً إِلَى النَّمْرُودِ

أما الكلام عن القافية
دامت لنا ولكم العافية

فقالَ الدَّمامِيني صاحبُ العُيونِ الغامِزةِ: عِلمُ القوافي وإن كانَ كالجزءِ من فنِّ العروضِ لكنَّه أدقُّ وألطفُ منهُ[4]. فلِذا لوَّحنا لشيءٍ منهُ. فالقافيةُ لغةً اشتقاقُها من قَفَوْتُ أثرَه: تبعتُه. كأنَّ الشاعرَ يبني عليها قصيدةً فهي فاعلةٌ بمعنى مَفعولةٍ. وتُطلقُ على القصيدةِ وهو كثيرٌ. واصطلاحاً، أحسنُ ما قيلَ فيها، قولُ الخليل: إنها من آخر حرفٍ في البيتِ إلى أولِ ساكنٍ يَليهِ مع حركةِ الحرفِ الذي قبلهُ. وشرحُ ذلك يُطلب من مظانِّهِ. ومن لطيفِ القوافي ما رأيتُه في الراياتِ السّمهريةِ للشيخِ بَركاتٍ القسْطوني أن أبا نواسٍ أنشدَ أبياتاً وجعلَ قافيتَها

[1] ـ في الأصل: ينزي، والتصويب عن الشريشي الكبير. ونزا ينزو نزوا: وثب.
[2] ـ لم يحصل لنا علم بمصير هذا الكتاب.
[3] ـ ديوان ابن رشيق 71.
[4] ـ نسب الدماميني هذا الكلام لابن جني.(العيون الغامزة 91).

إشارةً برأسِه لمعانيها، وهي[1]:

وَلَقَدْ قُلْتُ لِلْمَلِيحَةِ قَوْلاً مِنْ بَعِيدٍ لِمَنْ يُحِبُّكِ(فأشارَ)قُبْلَة
فَأَشَارَتْ بِمِعْصَمٍ ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا العَاشِقُ المُتَيَّمُ، (فأشارَ)لاَ، لاَ
فَتَنَفَّسْتُ سَاعَةً ثُمَّ إِنِّي قُلْتُ لِلنَّعْلِ، عِنْدَكَ ذَاكَ (فأشارَ) اِمْشِ

وأنشدَني من لفظِه لنفسِه صاحبُنا الأديبُ أبو عبدِ اللهِ الطيبُ المَرينيُّ[2]، كَلأَهُ اللَّهُ، بيتاً له خمسُ قَوافٍ، يتفرعُ إلى ثمانيةٍ وثمانينَ، وخمسةٍ وعشرينَ ألفَ نوعٍ، وهو:

يَا شَامِخَ القَدْرِ الجَلِيلِ المَجِيدِ يَا بَاذِخَ الفَخْرِ الأَثِيلِ السَّعِيدِ
المُنِيفِ العَظِيمِ الخَطِيرِ العَجِيبِ

وبيانُ ذلك حَسْبَما أوضَحهُ الفقيهُ الحُجةُ العلامةُ الدَّرَّاكةُ شيخُنا أبو عبدِ اللهِ سيدي محمدُ ابنُ حمدونِ بنَّاني[3]، رعاهُ اللهُ، أن البيتَ له مصراعانِ، أحدهما مبدوءٌ بشامخٍ، والآخرُ بباذخٍ. والأولُ يليهِ إما القدْرُ أو الفخْرُ، وفي كلٍّ منهما إما أن يكونَ ثالثُه الجليلُ أو المجيدُ أو الأثيلُ أو السعيدُ أو المنيفُ أو العظيمُ أو الخطيرُ أو العجيبُ. فهذه الثمانيةُ أنواعٍ مضروبةً في النوعينِ المذكورينِ بستةَ عشرَ، وكُلٌّ منها يتنوعُ إلى سبعةِ أنواعٍ، لأن ثالثَ المصراعِ، مثلاً، إن كانَ لفظَ الجليلِ فرابعُه، الذي هو خِتامُه، إما المَجيدُ أو الأَثيلُ، أو السعيدُ أوالمُنيفُ

---

[1] ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس، وفي اتجاهات الشعر للدكتور مصطفى هدارة 548-549 أنها في العمدة 212/1. ولم أعثر عليها بعد البحث.

[2] ـ في الأنيس المطرب 45، بيتٌ آخر للمريني من الكامل يتفرعُ إلى سبعمائة وعشرين وجها، وهو:

بُشرى لنا، يا سَعدنا، بنَبينا حقَّ الهَنَا، وجَبَ الغَنَا..

مما يدل على شغفه بهذا النوع من التصنيع. (الأنيس المطرب 38-51 والتقاط الدرر 341/2).

[3] ـ محمد بن حمدون بناني (ت1140هـ) أحدُ كبار المدرسين والمفتين الحذاق بفاس. له شرح على خطبة ألفية ابن مالك. (التقاط الدرر 325/2).

أو العظيمُ، أو الخطيرُ، أو العجيبُ. وإن كانَ ثالثُ المصراعِ لفظ المجيدِ فرابعُه: الجليلُ، أو السعيدُ، أو المنيفُ، أو العظيمُ، أو الخطيرُ، أو الأثيلُ. وهكذا مع كلٍّ من الثمانيةِ فإذا ضربتَ سبعة في ستةَ عشر، كان الخارجُ مائةَ نوعٍ، واثنيْ عشرَ نوعاً، ستةٌ وخمسونَ منها أركانُ ثاني البيتِ: القَدْرِ، وستةٌ وخمسونَ أركانُ الفَخْرِ. ومثلُ هذا في المِصراعِ الثاني المبدوءِ بباذخٍ، فإن جعلتَ كلَّ نوعٍ من أنواعِ المصراعِ الأولِ المبدوءِ بشامخٍ مع غيرِه من أنواعِ المِصراعِ الثاني المبدوءِ بباذخٍ، كانَ الخارجُ أربعةً وأربعينَ وخمسمائةٍ واثني عشرَ ألفَ نوعٍ، قامتْ من ضربِ أنواعِ المِصراعِ الأولِ في أنواعِ المصراعِ الثاني، وهي مائةُ نوعٍ واثنا عشرَ نوْعاً المذكورةُ، فإن اعتبرتَ تقديمُ المصراعِ الأولِ على المصراعِ الثاني، والعكسَ، بأنْ جعلتَ الأولَ هو الثاني، والثانيَّ هو الأولَ كانَ الخارجُ ثمانيةً وثمانينَ نوعاً، وخمسةً وعشرينَ ألفاً، قامتْ من ضربِ هاتينِ الحالتينِ في الأنواعِ المذكورةِ.

هذا كلُّه إن كانَ البيتُ من السريعِ، فإن كانَ من مجزوءِ الكاملِ[1] تنوَّعَ إلى أنواعٍ أُخَر، وهي خمسمائةٍ واثنى عشرَ. بيانُها أن كلاً من المِصراعينِ فيه ثلاثةُ ألفاظٍ، فإن كان اللفظُ الأولُ: يا شامخَ، فاللفظُ الذي يليهِ إما القَدرُ، أو الفَخْرُ. فهاتانِ صورتانِ، وكلٌّ منهما إما أن يكونَ بعدَه الجليلُ أو واحدٌ من الألفاظِ الثمانيةِ. فهذه ثمانيةٌ تضربُ في اثنينِ بستةَ عشَرَ، وكذا المِصراعُ الثاني، وإنْ ركّبتْ كلُّ صورةٍ من صُورِ المصراعِ الأولِ، مع كلِّ صورةٍ من صورِ المصراعِ الثاني، تفرَّعَ من ذلك سِتَّة وخمسونَ ومئتان. فإنْ اعتُبرَ تقديمُ أحد

---

[1] ـ في الحاشية: "لايكونُ من البحرِ الكاملِ إلا إذا أسقطْنا الجليلَ والأثيلَ والمجيدَ والسعيدَ، ولعلهُ هو المقصودُ عندهُ، وبعد هذا فمن حقِّه أن يزيد المرفَّل. قاله: (خرم)".

قلتُ وحتى في هذه الحالة لايكون منه.

المصراعين على الآخرِ وتأخيرُه، خرجَ من ذلكَ خمسمائةٍ واثنا عشرَ. وجَعَلَ لهذهِ الصورِ كلِّها جدولاً، انتهى[1].

[1] ـ في نص الأنيس المطرب 46 نقص بالنسبة لما وردَ في المسلك السهل. مما يشكك في اعتمادِ الإفرانـي عليه، ويمكن أن يكون الإفراني نقل عن نسخة أكملَ من المطبوع.

الزَّهرُ الغَض

• فـي الرد على من عاتبَ في التوشيح أوْ غَض

كأني بمتعسِّفٍ، ممتلئِ الصدرِ بالأضغانِ والإحنِ، يُنكرُ إكبابي على إيضاحِ مُغفلِ هذه الموشحةِ، ويحتجُّ بأنها مشتملةٌ على وصفِ الخدودِ والقدودِ، والمبالغةِ في وصفِ الراحِ. وكلُّ ذلك مما هو حرامٌ في الشريعةِ، فكيف تضربُ في أرضِها بقَدَم، أو تقطعُ[1] برهةَ دهرٍ فيما هو كالعَدَم؟! فأقولُ كما قال ابن الوردي، وهو القائلُ المُحقُّ: إنَّ الصحابةَ كانوا ينثُرون ويَشعُرون ونعوذُ بالله من قومٍ لا يشْعُرون[2]. وهذه المسألةُ شهيرةُ النزاعِ بين السلفِ والخلفِ، كثيرةُ الخلافِ بين الأوائلِ والأواخرِ. والحقُّ الذي تلقيناهُ من أفواهِ الشيوخِ، وقيدناهُ عن أهلِ الإتقانِ والرسوخِ، أن التغزُّلَ بذكرِ رشاقةِ القدِّ، واحمرارِ الخدِّ، إنْ كان فيما [يملِـ]كهُ الإنسانُ أو في غيرِ معين فلا وجهَ لحرمةِ ذلك، وإن كانَ فيما لا يَملِكهُ من المعينِ، فوجهُ الحرمة لا يفتقرُ لإيضاحٍ. قال في المعيارِ[3]، نقلاً عن ابنِ رُشيْدٍ

---

[1]ـ في الأصل: يقطع، وأصلحناه لمُلاءمة: تضربُ، قبلَه.

[2] ـ يظهر أن الإفراني نقل كلام ابن الوردي عن النواجي في حلبة الكميت 6، حيث أوردهُ هذا الأخير في تبرير مضمون كتابه.

[3] ـ المعيار المعرب، والجامع المغرب، عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. كتاب ضخم يتكون من اثني عشر جزءاً، مطبوعٌ. ومؤلفه هو أحمد بن يحيى الونشريسي المترجم في الصفحة؟ الحاشية ؟. (انظر ظروف تأليف هذا الكتاب في فهرس أحمد المنجور 51-52).

والكتاب يحتوي على مادةٍ أوليةٍ خصبةٍ لدراسةٍ اجتماعيةٍ عن العصور التي يسجل نوازلها، والحاجة ماسة إلى دراسته.

والفتوى المعنية هنا، توجد في الجزء 11 ص 39.

الفِهري ما نصهُ: اختلفَ العلماءُ [في][1] الرخصةِ للشاعرِ في وصفِ الخدودِ والقدودِ والنهودِ، فمن محرِّمٍ ومبيحٍ. وقال حُجةُ الإسلامِ الطُّوسي: إن التشببَ بوصفِ الخدودِ ونحوها من أوصافِ النساءِ، الصحيح لا يحرُم. وما قالهُ صحيحٌ، إذا كانَ في من يملكُه الإنسانُ، أو غيرِ مُعيَّنٍ، وفي وصفِ النساءِ أجوزُ، وأما[2] في المعينِ الظاهرُ التحريمُ، لأنه يبعثُ الهوى. ولو نَوى به التفنُّنَ في الكلامِ والتمرنِ بالنظمِ، أو الشخصَ الجميلَ من حيثُ هو، لا ذكرٌ ولا أنثى، فإنْ كانَ بلفظِ الذكرِ فالظاهرُ الجواز، ولاَ يخلو من الكراهةِ. وقد سلكهُ الأفاضلُ والأماثلُ، وَعفوُ الله وراء ذلك كلِّه، والأعمالُ بالنياتِ[3]. وقال ابن يونسِ ما نصه، ومن المدونةِ قال ابن القاسم: أكرهُ الإجازةَ على تعليمِ الشِّعرِ والنوحِ، وكتابةِ ذلك، أو إجازةِ كتابٍ فيه. عياض: ومعنى النَّوحِ، أناشيدُ المتصوفةِ، على طريقِ النَّوحِ والبكاءِ. قال ابنُ حبيبٍ: وأكرهُ شعرَ الخمرِ والخَنَى والهجاءِ، انتهى. وقال ابنُ عرفة: كراهةُ شعرِ الخمرِ وما معه على التحريمِ. وانظر هذا، مع ترويةِ كثيرٍ من الأشياخِ كتابَ مقاماتِ الحريري، مع فُحشِ بعضِ ألفاظها. وقد أُخبرْ[نا] أن أبا محمد بن البَرَّا كان يُقرئُ المقاماتِ بدُويرةِ جامعِ الزيتونةِ، فإذا كنَّى القارئُ على ألفاظِ الفُحش قال لهُ: صرِّح، فكذا رويناهُ عن الجدِّ أبي القاسمِ بنِ البرا. وعكسُ هذا، أن بعضَ الفضلاءِ كتبَ كتاباً من الأدبِ، فبيَّضَ فيه مواضعَ، فكُشفَ عنها، فإذا هي ألفاظٌ فُحشيةٌ، انتهى.

وإذِ انْجرَّ بنا القولُ إلى ما يَحرمُ من التشبُّبِ والنسيبِ، فنُتبِعُه الكلامَ على ما يحرُمُ من الرثاءِ وما يجوزُ تكميلاً للفائدةِ.

والمَراثي ذكرُ أوصافِ الميتِ، الباعثةِ على تهييجِ الحزنِ، وتجديدِ اللوعةِ. وهي[4]

---

[1] ـ في الأصل: للرخصة، والزيادة من المعيار و(ج).

[2] ـ في المعيار ص39/11: "وأما في الذكر ففي المعين الظاهر التحريم"، وفي كلامه تحديد ضروري.

[3] ـ نهاية كلام المعيار 39/11، بتصرف.

[4] ـفي الأصل: هو.

أقسامٌ ثلاثة: مباحٌ، ومندوبٌ، ومحرمٌ. قال القُرافي: فالمحرمُ ما تضمنَ التغالي في أوصافِ الميتِ، بجمالِه وشجاعتِه وبراعتِه وإقامته بالضيف، وضربْه بالسيفِ، والذّبَّ عن الحريمِ والجارِ، إلى غيرِ ذلكَ من صفاتِ الميتِ التي تقتضي لمثلِه ألاَّ يموتَ، فإنَّ بموتِه تنقطعُ هذه المصالحُ، والحكمةُ تقتضي بقاءَه وتطويلَ عمرِه ليكثر مثلُ ذلك، انتهى[1]. قال في الأنوار: ومن المحرَّمِ: "ما وقعَ في عصرِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ أن بعضَ الشعراءِ رثى الخليفةَ في بغداد، أيامَ الملكِ الصالحِ، وذلكَ بمحفل غَصَّ بالأكابر، فقالَ من قصيدٍ كبيرٍ:

مَاتَ مَنْ كَانَ بَعْضُ أَجْنَادِهِ الْمَوْ ... تُ، وَمَنْ كَانَ يَخْتَشِيهِ القَضَاءُ

فسمِعه ابنُ عبدِ السلامِ، وكانَ من جُملةِ من حضرَ بالحفلِ، فأمرَ بتأديبِهِ وحبْسه، وغلَّظَ في الإنكارِ عليهِ، وبالغَ في تقبيحِ رثائه. وبقيَ في السجنِ مدةً، ثم استتابَه بعد شفاعةِ الأمراءِ والرؤساءِ، وأمرَه أن ينظمَ قصيدةً ويُثني فيها على اللهِ تعالى، تكونُ مكفرةً لما تضمنهُ شعرُه في التعرُّضِ للقضاءِ"[2]. والمندوبُ كل ما صبَّر و وعظَ. ومنه أنه لما ماتَ العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ، هابَ الناسُ تعزيةَ ولدِه، حتى أتى أعرابيٌّ، فدَلَّ عليهِ فأتاهُ، وسلَّمَ عليهِ وأنشدَه:

اِصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا ... صَبْرُ الرَّعِيَةِ عِنْدَ صَبْرِ الرَّاسِ
خَيْرٌ مِنَ العَبَّاسِ أَجْرُكَ بَعْدَهُ، ... وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلْعَبَّاسِ

فسُرِّيَ عنهُ، واسترسلَ الناسُ في تعزيتِه. والمُباحُ، ما كان خالياً من الألفاظِ المحرَّمةِ، انتهى[3]. ورأيتُ في كتابِ الفضلِ المُبين عند فقدِ البناتِ والبنين، للإمامِ المُحدثِ محمد بنِ يوسفِ الدِّمشقي الصالحي ما نصُّهُ: ما اعتيدَ من إنشادِ المَراثي فأطلقَ الروياني كراهَتَه. وَروى أحمدُ وابنُ ماجَة والحاكمُ، وصحَّحَه عنِ ابنِ أبي أوْفى، قال:" نهى رسولُ الله، صلى

---

[1] ـ أنوار التجلي 100/1 بتصرف.

[2] ـ المصدر السابق.

[3] ـ عن أنوار التجلي 100/1-111 بتصرف.

الله عليه وسلم، عن المراثي"[1]. وصرَّح بعضُ أئمةِ الحَنَابِلَة أن ما يهيجُ المصيبةَ، من وعظٍ وإنشادِ شعرٍ من النياحةِ فيحرمُ. ونحوهما نَقَلَهُ القرافي المالكي عن شيخهِ سلطانِ الـ[ـعلماء] ابن عبدِ السلامِ الشافِعي أنه كانَ يقولُ: إن بعضَ المَراثي كالنّوحِ، لِما فيهِ من التبرُّمِ بالقضاءِ، انتهى.

نُكتة

قالَ الصلاحُ الصفدي: الغزلُ يستعملُ في التشبُّبِ بالنساءِ، والنسيبُ في التشبُّبِ بالذكورِ، انتهى. أقولُ: إن كان ما ذكره اصطلاحاً نشأَ بينَ أربابِ الأدبِ فلا مُشاحَّةَ في الاصطلاحِ، ولكلٍّ أن يصطلحَ على ما شاءَ، وإنْ أراد أنه في اللغةِ كذلكَ ففيهِ نظرٌ، ففي القاموس، نَسَبَ بالمرأة شببَ بها في الشعرِ. وقال في الغزلِ: ومحادثةُ النساء مغازلتهنَّ، والاسمُ الغزلُ، انتهى[2].

ولنُمسكِ الزّمام، فإن المطلوبَ بالذاتِ أمام. ولعلّنا إن أطلْنا، فقد أطبْنا، وإنْ بسَطْنا فقد بسَّطْنا. والعُذرُ في الإطالةِ أنا رأينا كتبَ الأدبِ، إذا لمْ توشّحْ بنوادِرَ وأخبارٍ، لم تقعْ في العقولِ مواقعَ القبولِ، إذ الأدبُ كلُّه فُكاهةٌ، وأحسنُه الغريبُ الحلوُ المساقِ. وما هذا الكتابُ، إن شاءَ اللهُ تمامَه، إلا كما قال ابنُ حَجلة:

هــذَا الكِتَــابُ ذَكَــرْتُ فِيــهِ عَجَائِــبَ ... تُغْنِــي الندامَــى عَــنِ المُدَامَــةِ والطَّــرَبْ
يَهْتَــزُّ سَامِعُهـــا لِطِيـــبِ حَدِيـثِـهَـــا ... إلاَّ حَسُــوداً لَيْــسَ يُعْجِبُـــهُ العَجَــبْ

ولَما كانتْ البَسملةُ فاتحةَ كلِّ كتابٍ مُنْزَل، وطالعةً لكلِّ كلامٍ لهُ بال، كما صحتْ بذلكَ

---

[1] ـ سنن ابن ماجه .كتاب ماجاء في الجنائز رقم 1581. ومسند أحمد . مسند الكوفيين رقم الحديث 18351، 18602.

[2] ـ القاموس المحيط (نسب غزل)، بتصرف.

الآثارُ، حسُن أن نجعلَ البسملةَ **ديباجةً** لهذا التوشيحِ، فإنه من الأمور التي يُهتم بها، لما تضمنَه من رقيقِ الاستعاراتِ والتشبيهاتِ البَليغةِ، التي يستحسنُها الأديبُ، ويتمثَّل بها الأريبُ. وقد نَصَّ في عقودِ الجمانِ، على أن أشعارَ المولدينَ يجوزُ الاستشهادُ بها في علم المعاني، وسبيلُها في ذلك سبيلُ كلامِ العربِ. على أن ابتداءَ الأشعار بالبسملةِ فيه خلافٌ مشهورٌ، ذكرهُ الحافظُ بنُ حجر وغيرُه كما في الحطابِ. والمعتمدُ في ذلك أن حُكمَها على وفْقِ ما ابتدأ بها إن جائزٌ فجائزٌ وإلا فلاَ. وقد أقمنا الحُجةَ آنفاً على جوازِ تعاطي هذا التوشيحِ، وما هو على شاكلتِه. فنقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد كان بعضُ الفضلاءِ من أشياخِي، قدَّسَ الله سرَّهم يقولُ: حَتْم على كل من صنف في فنٍّ من الفنونِ ألاَّ يخلطَ به غيرَه من الأقانيمِ والتعاليمِ، كما هو صنيعُ الأقدمينَ، وإنما اللائقُ مَذاقاً، والأحسنُ مساقاً، أن يتكلَّم في كل علمٍ بما هو من قواعدِه. وذكرُ ما ليسَ منَ[1] العلمِ في[2] العلمِ تشغيبٌ على السامعينَ وجنايةٌ على الناظرينَ. وأنا على رأي هذا الشيخِ، في هذه المسألةِ، فإن تكلمتُ على البسملةِ بفنِّ العربيةِ عدَّ الناظرُ مني ذلك تمشدُقاً، وإنْ أتيتُ بغيرِها من الفنونِ لم يَعذُب موقعُه هنا، فرأيتُ لذلك أن أذكرَ على البسملةِ ما يليقُ بهذا الفنِّ الذي خُضنا في بحارِه، فنقولُ: رأيتُ في كتابِ منطقِ الطيرِ لابنِ أبي حَجَلةَ ما نصُّه: وفي كتابي نشرُ البردة في شرحِ القصيدة البُردة ما نصُّه: قالَ البُوصيري، أبو عبدِ الله محمدُ بنُ سعيدِ الصَّنهاجي[3]: "بَلغني أن بليغاً من النَّصارى انتصرَ لدينِه، وانتزع من البسـ[ملـة]

---

[1] - في الأصل: في. وهو سهو.

[2] - في الأصل من. وهوسهو.

[3] - خصص ابن أبي حجلة فصلا من كتابه منطق الطير، لايرادِ أبرز وأغربِ القضايا والحوادث التي وردت في كتبه الأخرى، فأثبت فيه من كتابه نشر البردة في شرح القصيدة البردة، قضية البسملة هذه، (منطق الطير 50-51).

الشريفةِ دليلاً على تقويةِ اعتقادهِ في المسيحِ، وصحةِ يقينِه فيه، فقلبَ حروفها، ونكّرَ معروفَها، وفرّقَ مألوفَها، وقدَّمَ فيها وأخرَ، و "فَكَّرَ وقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ"[1]. فقال: قدِ انتظمَ من البسملةِ: المسيحُ ابنُ اللهِ المَحَرَّر، وظنَّ أنَّ ذاك سرٌّ في قلبِ البسملةِ مُضمر، وعلى جبينِ الكتابِ العزيزِ مُسطر[2]. فنظرتُ إلى ما عزاهُ للبسملةِ، واستخرجَه من حروفها المُستعملةِ والمُهملةِ، فإذا هو: لا، ما المسيحُ ابنُ الله مُحَرَّرٌ. فسُقط في يديه، ونَكَصَ على عَقِبَيْهِ[3]، وقامتْ حُجتُه من لسانِه عليه. ثم قال: قالتِ البسملةُ بلسانِ حالِها: إنَّما اللهُ ربُّ المسيحِ راحمٌ، وزعمتَ أنه ربُّكَ، فقالتْ: حُرِمَ من لا ربَّ له إلا المسيح، فقلتَ: إنه طعنَ بالحربةِ مُسمراً. فقالتْ: من رأى المسيحَ أَلِمَ الحِرْبَةَ؟ وقلتَ: إنه إله يُحلِّلُ ويُحرِّم، فقالتْ: سلْ ابنَ مريمَ، أحلَّ لهُ الحرامُ! وإن [قُـ]ـلتَ: إنه رسولٌ صَدَّقْتُكَ. وقالتْ: إيلُ أرسلَ الرحمةَ من بلحم، إيلُ: اسمٌ من أسماءِ اللهِ في كتبهم، وبلحم: بيتُ لحم الذي ولد فيه المسيحُ. وقلتَ: إنه ركبَ الحمارةَ فقالتْ: سلِّم أن الربَ لا يحملُه حمارٌ، وقالت: من حُرِمَ الإسلامَ لا ربحَ لهُ. [وقالت: لا راحةَ[4]] لمُحاربِ المُسلمينَ"، انتهى.

قال ابنُ أبي حَجَلَةَ: وفي قولِ النصراني تأمُّلٌ لإسقاطِ الميمِ فلينظرْ، انتهى.

ويُعجبني في الرد على النَّصارى[5] قولُ المَعري[6]:

عَجَبَاً لِلْمَسِيحِ بَيْنَ النَّصَارَى، وَإِلَى أيِّ وَالِدٍ نَسَبُوهْ

---

[1] ـ اقتباس من سورة المدثر 74/18-19.

[2] ـ في الأصل، وفي منطق الطير50: مُضمراً، مُسطراً. ولم نر وجهَ صوابه.

[3] ـ اقتباس من الآيتين: "وَلَما سُقِطَ في أيْدِيهِمْ، وَرَأَوْا أنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا.."الآية. (الأعراف 7/149). و"فلما تَرَاءَتْ الفِئَتَانِ، نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وقالَ إنِّي بَرِيء مِنْكُم". (الأنفال8/48).

[4] ـ زيادة من منطق الطير 51.

[5] ـ في الأصل: النصري.

[6] ـ لم نجد هذه الأبيات في شرح سقط الزند، ولا في لزوم مالا يلزم.

أَسْــلَمُوهُ إلـــى اليَهُــودِ، فَـقَـالُـــوا: إنَّـهُـمْ، بَعْـدَ قَتْلِـــهِ، صَـلَـبُـــوهْ
فَـــإذَا كَـــانَ مَـــا يَقُولُـــونَ حَـقّـــاً فَاسْــأَلُوهُمْ فــي:أيــْنَ كَــانَ أَبُـــوهْ ؟
فَـــإذَا كَـــانَ رَاضِيـــاً بِـقَـضَـاهُـــمْ، فَاسْأَلُوهُـــمْ: لأَجـْلِ مَـــا عَذَّبُـــوهْ؟
وَإذَا كَـــانَ سَـاخِـطَـــاً لأذَاهُـــــمْ، فَاعْـبُـدُوهُـمْ، لأَنَّـهُـــمْ غَلَبُـــوهْ

ثم لِنشرَعْ في التنزُّهِ في روضِ التوشيحِ، ما بينَ اقتطافِ وردٍ ورَنْدٍ، وعرارٍ وشيحٍ.

شرح أبيات الموشح

قال إبراهيمُ بنُ سهلٍ[1]:

- 1 -

هَـلْ دَرَى ظَبْــيُ الْحِمَــى أَنْ قَــدْ حَمَــى   قَلْــبَ صَـبٍّ حَلَّــهُ عَــنْ مَكْنِـــسِ

اللغـــــة.

دَرَى: علِمَ. قـال الجَوْهَري[2]: "دَرَيْتُـهُ ودَرَيْتُ بِـهِ دَرْيـاً ودَرْيَـةً ودِرايَـةً، أيْ عَلِمْتُ بِـهِ، وأدريتهُ: أعْلَمْتُهُ".

و **الظَّبْيُ**: الغزالُ، والجمعُ ظِباءٌ وظبياتٌ وظُبِيٌّ، والأُنثى ظَبْيَةٌ، قال ابنُ سيدةَ[3]: وذكرَ الكمالُ الدَّميرِي[4] أن الظباءَ أصنافٌ ثلاثةٌ: الآرامُ، وهي بيضٌ خالصةُ البياضِ، مساكنُها الرمالُ، ويُقالُ إنها ضَأنُ الظباءِ لأنها أكثر لحوماً وشحوماً. والعُفْرُ وهي مُحمرَّةُ اللونِ، قِصارُ الأعناقِ، أَضعفُ الظباءِ عَدواً، تألفُ الأماكنَ المُرتفعةَ، والمواضعَ الصلبةَ. قـال الكميتُ:

وكُنَّـا إذا جَبَّـارُ قَــوْمٍ أَرَادَنَــــــا[5]   بِكَيْــدٍ، حَمَلْنَـاهُ عَلَــى رَأْسِ أعقَــــرَا

وكانتِ الأسِنَّةُ فيما مضى من القرون. وَ الأُدْمُ، وهي طوالُ الأعناقِ والقوائمِ، بيضُ البطونِ، انتهى.

---

[1] - ديوان ابن سهل 283.

[2] - الصحاح (درى)، مع بعض الحذف.

[3] - لعل الإفراني تصرف في النص فخلّط بين جمعِ الظبي والظبيةِ، فالذي في المخصص ، عن أبي زيد: "والجَمع(أي جمع الظبي) أظب وظباء وَظُبِيٌّ، والأنثى ظبيةٌ، والجَمع ظبياتٌ وَظِباء" (المخصص المجلد 2 السفر 8 ص22).

[4] - حياة الحيوان 102-103.

[5] - في الأصل: أبادنا، وهو تصحيف، والمثبت عن حياة الحيوان 103، وفيه: "يعني نقتلُه ونحملُ رأسَه على السِّنانِ".

قلتُ: ما ذكرَهُ في العُفرِ مُخالِفٌ لقول القاموس: "الأعْفَرُ مِنَ الظِّباءِ ما تَعلُو بَياضَهُ حُمرَةٌ، أوِ الذي في سَرَاتِهِ حُمْرَةٌ"[1]. فتأملْ.

فائـــــدة

رأيتُ في حِليةِ المحاضرةِ للرئيسِ أبي علي بنِ المظفرِ الحاتمي[2]، أنَّ امرأَ القيسِ أولُ من شبَّه النساءَ بالظباءِ والأرامِ والمَهَى والبيضِ، وشبَّه الخيلَ بالعِقبانِ والعصَا، وفرَّق بينَ النسيبِ وما سِواه، وأجاد في الاستعارةِ والتشبيهِ، وتبعَه الناسُ، انتهى. ونقلَ هذا أيضاً الشريفُ الغَرناطي في شرحِ الحازميةِ[3] حكَاهُ عن الأصمَعي[4].

و**الحِمى** بالقصرِ، ويُمَدُّ: ما حُمي من شيءٍ. وأحمى المكانَ: جعله حِمًى لا يقربُ، وكانتِ المُلوكُ تحمي موضعاً فلا يدخلُه أحدٌ. وأولُ من فعلَه، كما قال العسكري[5]، النُّعمان ابن المنذرِ ملكُ الحيرةِ. وحَمِيَ الشيءُ كرَضِيَ أحْمَاهُ: اشْتَدَّ حرُّهُ، وسَخَّنَهُ، حَمْياً وَحُمُيّاً، وحَمًى، وصَريح القاموس[6] أن حَميَ من باب (فَعِلَ) بكسرِ العينِ، لا (فَعَلَ) كما في البيتِ، وسيأتي تمامُ القول في ذلك.

و**القلبُ**: الفؤادُ، أو أَخَصُّ مِنْهُ. والصَّبُّ: من صَبِبَ، كقَنِعَ، يَصَبُّ صَبَابَةً، وهي الشوقُ أو رقَّتُه أو رقةُ الهوى. وحلَّ المكانَ وبهِ: نَزَلَ.

---

[1] ـ القاموس المحيط (عفر).

[2] ـ بعض هذا الكلام في حلية المحاضرة 2/ 243 لأبي علي الحاتمي. تحقيق جعفر الكتاني ط وزارة الثقافة العراقية.

[3] ـ رفع الحجب 125/2.

[4] ـ انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام 55.

[5] ـ لم أجد هذا الخبر في كتاب الأوائل للعسكري تحقيق محمد المصري ووليد قصاب.

[6] ـ انظر القاموس المحيط.(حمى).

والكِناسُ: اسمُ مكانٍ، من كَنَسَ الظَّبْيُ يَكْنَسُ: دخَل في كِناسِهِ، وهو مُستترُه في الشَّجَرِ، لأنهُ يَكْنِسِ الرملَ حتى يصلَ. ومنه "الجواري الكُنَّس"[1]، أي الخُنَّسُ، لأنها تَكْنِسُ في المغيبِ كالظباءِ في الكُنُس.

المعنـــــى

هَل علَم محبوبي الذي هو كالغزالة في حُسن الخِلقةِ، وكمالِ الرَّوْنَقِ، وجمالِ المُحيا، بما فعلَ بقلبي الذي أحرقَه بتجَنِّيهِ عَلَي، وأضرمَه ناراً تلظَّى، وهوَ مع ذلك اتخذَه مسكناً وجعلَه له قراراً؟ وهذا استفهامٌ على أصلِه من طلبِ حُصولِ العلمِ، أو على سبيلِ التوبيخِ، قصدٌ به إنكارَ فعلِه عليهِ، وتقبيحَه لديهِ ليُقلعَ عمَّا هو عليهِ، ويرجعَ إلى الوصالِ. وإيضاحُ محلِّ الإنكارِ منهُ أنهُ لما أَلِفَ فؤادَه، وصيَّرَه مِهادَه، فاللائقُ له أن يُقصِر من إحمائِه، لأنه مسكنُه، ويُبردَ حرارتَه بوصلِه لنزولِه فيهِ، كما قال الشاعرُ:

يَا مُحْرِقاً بِالنَّارِ وَجْهَ مُحِبِّهِ ... مَهْلاً فَإنَّ مَدَامِعِي تُطْفِيهِ
أَحْرِقْ بِها جَسَدِي وكُلَّ جَوَارِحِي، ... وَاحذَرْ عَلَى قَلْبِي لأَنَّكَ فِيهِ

وللبيتِ حكايةٌ مساقُها من مراتعِ الغزلان للشّمس النواجي[2]، أنَّ مُجيرَ الدينِ الخَيَّاطَ الدِّمشقي كان يتعشَّقُ غُلاماً تُركياً، فسكِر في بعضِ الليالي، وخرجَ فوقعَ في الطريقِ، فمرَّ به محبوبُه فرآهُ مطروحاً فعرفَه، ونزلَ على فرسِه، وأوقدَ شمعةً وأقعدَه ومسحَ وجهَه، فنقطتِ الشَّمعةُ على خدِّه، وأَحَسَّ بالحرارةِ ففتحَ عينيهِ فرأى محبوبَه على رأسِه، فاستيقظَ من سكرتِه، وأَنشدَ في الحالِ، البيتينِ، انتهى. وأنه لا يَحسنُ أن يُجازيهُ، وهو يَدينُ بحبِّه

---

[1] ـ سورة التكوير 81/ 16، وصلته: "فلاَ أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ، الجَوَارِي الكُنَّس".

[2] ـ في الأصل الحجازي، ولم نجد كتابا بهذا العنوان للشهاب الحجازي. والمقصود هو كتاب شمس الدين النواجي: مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان. (توجد مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم3402.)

ويُقاسيَ من لواعجِ هواهُ ما يقاسي، بإحراقِ أحشائِه، وتأجيجِها ناراً، فإنَّ هذا فعلُ العدوِّ بالعدوِّ.

وقدْ أفصحَ بهذا المَعنى المظفرُ بنُ عُمر الآمدي في قولِه[1]:

قُلْ لِلَّذِينَ جَفَوْنِي إذْ كَلِفْتُ بِهِمْ ... دُونَ الأَنَامِ، وخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ:
أُحِبُّكُمْ، وتَلافِي في مَحَبَّتِكُمْ، ... كَعَابِدِ النَّارِ يَهْوَاهَا وَهِيَ تُحْرِقُهُ

وقال آخر[2]:

أَأَحْبَابَنَا، لِمْ[3] تَجْرَحُونَ بِهَجْرِكُمْ ... فُؤَاداً يَبِيتُ الدَّهْرَ بِالهَمِّ مُكْمَدَا؟
إذا رُمْتُمْ قَتْلِي، وَأَنْتُمْ أَحِبَّتِي، ... فماذا الذي أَخْشَى إذا كُنْتُمْ عِدَا؟

وفائدةُ الاستفهامِ أنه إنْ حصلَ عندَه علمٌ بما فعَلَ بالعاشقِ المُستهامِ، ورَضِيَ بهِ، فإنَّ العاشقَ يتروَّحُ برضَاهُ، ويصبرُ على ما انطوَى عليهِ كبدُه، لأنهُ قضاهُ، ويقول:

فَما لِجُرحٍ إذا أَرْضَاكُم أَلَمُ[4].

وإنْ لم يرضَ بما يَتَجَرَّعُ حصلَ المقصودُ، وعجَّل بالوِصالِ وأسرعَ، وإنْ لم يكنْ له علمٌ بذلك لازدادَ العاشقُ عذاباً، وفتحَ للأسقامِ والأوجاعِ باباً. وهذا أصعبُ شيءٍ، فإنَّ الحبيبَ لو كانَ لديه علمٌ ببعضِ الحالِ، ربما رجَا عَودَه، وحيثُ كانَ خاليَ الذهنِ ممَّا اعتراهُ، كان دَمُهُ هدراً.

---

[1] ـ البيتان في تزيين الأسواق 487. الشطر الثاني من البيت الثاني مختل، ويستقيم بحذف "ها" من "يهواها".

[2] ـ البيتان 5،6 من قصيدة مدحية للأرجاني في ديوانه 97.

[3] ـ في الأصل: لا. والتصويب عن الديوان.

[4] ـ عجز بيت للمتنبي من قصيدة له في ديوانه 324، وصدره:

إن كان سركم ما قال حاسدنا.

المعانـــــي

نُكتةُ إضافةِ الظبيِ للحِمى التنويهُ بأمرِهِ، وتعظيمُ قدرِه لأنَّ ظباءَ الأحميةِ أجملُ منْ ظباءِ سواها، لما هي عليهِ من الأمنِ في سِربِها، وسكونِ بَالِها من غِليةِ غائلٍ ومكيدةِ صائدٍ، وطيبِ مكانِها ونَضارةِ أدواحِها، وهذه كلُّها أمورٌ موجبةٌ لنعومةِ البَدنِ، فلا جَرَمَ كانتْ ظِباءُ الأحميَةِ أبْهى من غيرِها. وفي المَثَلِ" آمَنُ مِنْ ظَبْيِ الحَرَمِ"[1].

فإنْ قلتَ: "أل" في "الحمى" جنسيةٌ أو عهديةٌ؟ قلتُ: عَهديةٌ، أرادَ به المكانَ الذي ثَوى بهم محبوبه كما يقالُ: ظَبْيُ الحِمى، ويرادُ به ساكِنُ سَلْعٍ[2] أو غيرُه، وذلك على حسبِ القائلِ، والمقولِ فيهِ.

البيـــــان

ظَبْيُ الحِمَى، هو من بابِ الاستعارةِ التصريحيةِ، وضابطُها عند السكاكي "أنْ يكونَ الطرفُ المذكورُ من طرفي التشبيهِ هو المُشبهُ به[3]". فاستعارَ الظبيَ للمحبوبِ بجامعِ الجمالِ الذاتي، والحسنِ الخُلقي، فحذفَ المشبَّهَ وأثبتَ لفظَ المستعارِ تشبيهاً بليغاً. ورشَّح بذكرِ الكِناسِ. والترشيحُ، أن يُذكرَ ما يلائمُ المستعارَ منهُ. والقرينةُ لهذه الاستعارةِ قولُه: "هَلْ دَرَى"؟ كما لا يخفى. والتعبيرُ عمَّا يجدُه الوالهُ في رَوْعهِ من الوجدِ بالحميةِ مجازٌ في المُسندِ، ولكونِه مجازاً عقلياً اغتنى عنِ التصريحِ معهُ بقَرينة. وكذلك التعبيرُ عن انتقاشِه في مرآةِ العقلِ، وتَخييلِ الذِّهنِ لصورتِه، وارتسامِه فيهِ، بالحلولِ مجازٌ كالسَّالِفِ. ونسبةُ الحمايةِ لهُ مجازٌ أيضاً. إلاَّ إنْ حُمِلَ على أنهُ السببُ فيها حقيقةٌ. وهذه الألفاظُ صارتْ عند الشعراءِ حقائقَ عُرفيةً، وإنْ كانتْ في الأصلِ مجازاً. قال الصلاحُ الصَّفَدي: لكثرةِ دورانها في

---

[1] ـ في مجمع الأمثال 90/1: "آمنُ من ظبي الحَرَم، ومن الظبي بالحَرَم".

[2] ـ سلع: جبل بالمدينة. (القاموس المحيط: سلع).

[3] ـ مفتاح العلوم373. وانظر شرح التلخيص 150-151.

كلامِهم وتعاطيهم استعمالَها، فألفوا ذلك من تداولها على مسامِعِهم، كالوردِ إذا أطلقوهُ، فهمُوا منهُ الوجنةَ. والكَثيبُ الرِّدْفُ، والريحانُ العذارُ، والراحُ الرِّيقُ، إلى غيرِ ذلكَ. والشِّعرُ إنما يُستطابُ بهذه اللَّطائفِ، ويستطرفُ لأمثالِ هذه المجازاتِ. فلولا أنهُ جعلَ سُكنى الحبيبِ في خاطرِه، وأن قلبَه ممتلئٌ ناراً وهو ساكنُه، ما هَزَّ للبراعةِ عِطْفاً، ولا هَصَرَ من غُصنِ البلاغةِ قِطْفاً. وعلى قدرِ التفاوتِ في التخيلاتِ تتفاوتُ رُتبُ الكلامِ. وقد بالغَ الشعراءُ في احتراقِ الجوانحِ والتهابِها، حتى إن أنفاسه[1] تُحرقُ ما سامتَها[2]. وما أحسنَ قولَ ابن إسرائيلَ في مليحٍ بوجْهِه كَيٌّ:

لاَ تَحْسِبُوا الكَيَّ علَى زَنْدِهِ أَثَّرَهَا[3] النَّارُ بِقِرْطَاسِهِ
وَإِنَّمَا قَبلَّهَا عَاشِقٌ، فَاحْتَرَقَتْ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِهِ

وألطفُ ما ذكرَهُ النواجي[4] في مراتِعِه، أنَّ أديباً بإفريقيةَ كان يَهوَى غُلاماً، وهو كثيرُ الإعراضِ، فسكِر ذاتَ ليلةٍ، فخَطَر ببالِه أن يأخُذَ قبساً يحرقُ به دارَ الغلامِ، فقامَ وفعلَ. فاتفقَ أن رآهُ بعضُ الجيرانِ، فأطفأ النارَ، وأعلمَ القاضي بالأديبِ. فأمرَ بهِ، فأُحضرَ بينَ يديْهِ وقال: لأيِّ شيءٍ أحرقتَ بابَ الغُلامِ؟ فأنشأَ الأديبُ يقولُ:

لَمَّا تَمَادَى علَى بِعَادِي، وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فُؤَادِي
ولَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بُدّاً، ولاَ مُعِيناً عَلَى السُّهَادِ
حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وُقُوفِي بِبَابِهِ حَمْلَةَ الجَوَادِ
فَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارِ قَلْبِي أَكْثَرُ فِي الوَصْفِ مِنْ زِنَادِ

---

[1] ـ أنفاسه: أي أنفاس العاشق.

[2] ـ سامَته: قابله، وسمَّتَهُ: قصدَ نحوهُ.(القاموس المحيط: سمت).

[3] ـ أثّرها، أنّث الضمير على معنى الكلية.

[4] ـ في الأصل الحجازي. والمقصود النواجي.(انظر الصفحة 155، الحاشية 2). و وردتْ هذه القصة، كذلك، مع ما يتصلُ بها من شعرٍ في خزانة الأدب 225 نقلا عن روضة الجليس.

فاحتـــــرقَ البَـــابُ دُونُ عِلْمِـــــي وَلَـــمْ يَكُـــنْ ذَاكَ مِـــنْ مُـــرَادِي

وما أحلى قولَ ابنِ سرا يا الحلّي[1]:

لاَ غَـــرْوَ أَنْ يُصلَـــى الفُـــؤَادُ بِحُبِّكُـــمْ نـــاراً، تُؤَجِّجُهـــا يَـــدُ الـتَّـذْكَـــارِ
قَلْبِـي إِذَا غِبْتُـمْ يُصَـوِّرُ شَخْصَكُـــمْ فيـهِ، وكُــلُّ مُصَـوِّرٍ فـي الـنَّـــارِ

البديــــع

فيه الجناسُ بين الحِمى وحَمَى. وهو قسمان مُركبٌ ومُطلقٌ[2]. والواقعُ في البيت الثاني. وهو أنواعٌ، منها التام، ومنه التركيبُ. وقد اختلفتْ عباراتُهم في التامِ، فمنهُم من يُسَمِّيه بالمُتماثِل، ومنهُم من يُسميه المُستوفى. قال الأستاذُ أبو محمد بنُ أبي القاسمِ الثعالبي، في أنوار التَّجلي على ما تضمنتْه بديعيةُ الحلي ما نصُّه[3]: الجناسُ المتماثلُ على قِسمين، قسمٌ اتحدتِ الكلماتُ فيهِ بالاسميةِ والفِعليةِ، وقسمٌ اختلفتْ. فمن الأولِ قولُه تعالى: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ: ما لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ"[4]. قال الصَّفيُّ الحِلي: لمْ يقعْ في القرآنِ إلاّ هُنا. ومنهُ قولُ شيخِنا الإمامِ مِنْديلِ ابنِ الأُستاذِ آجَرُّومٍ[5]:

---

1 - ديوان صفي الدين الحلي 317.

2 - انظر تفصيل الكلام على الجناس المركبِ والمُطلق في خزانة الأدب 25-31 وأنوار التجلي 1/17-19.

3 - أنوار التجلي 1/17-18.

4 - سورة الروم 30/55.

5 - مِنديلُ بنَ محمد بن محمد بن داوود بن آجروم الصنهاجي، أبو المكارم، أبوه هو مؤلف المقدمةِ الآجرومية المشهورة في النحو. واشتهر منديلُ بالأستاذيةِ بجامعِ القرويين، تلمذَ لهُ الكثيرُ من النبهاءِ مثلُ اسماعيلِ ابنِ الأحمرِ، الذي قال فيه: "شيخُنا الفقيهُ الأستاذُ النحوي المُقرئ المصنِّف". وترددتْ أخبارُه، وتناثرت أشعارُه في كتابِ أنوار التجلي لتلميذه الثعالبي. وهي تدلُّ على تمكنه من اللغةِ وقدرتِه على النَّظمِ، ومحاكاةِ نماذج الغير، ومن قصائدِه ذاتِ الشهرةِ تلك التي وصف فيها متنزهات باب الفتوح ومطلعها:

أيها العارفون قَدْرَ الصَّبُـوحِ جَدِّدوا أُنسَنا بِبَـابِ الفُتُـوحِ

يَا غائِياً سَلَبَتْنِي الأُنْسَ طَلْعَتُهُ، كَيْفَ اصْطِيَارِي وَقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا؟
دَعْوَاكَ أَنَّكَ فِي قَلْبِي، يُعَارِضُهَا شَوقِي إِلَيْكَ، فَكَيْفَ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟

ومنه[1]:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا، فَلَمْ يَكُنْ إِلى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ

ومِنه[2]:

إِنْ هَزَّ أَقْلاَمَهُ يَوْماً لِيُعْمِلَهَا، أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِيٍ هَزَّ عَامِلَهُ
وَإِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنَامِلَهُ، أَقَرَّ بِالرِّقِّ كُتَّابُ الأَنَامِ لَهُ

ومن الثاني قوله[3]:

أُوَارِي أُوَارِي، والدُّمُوعُ تُبِينُهُ، وَمَنْ يَقْوَ إِطْفَاءَ اللَّهِيبِ وَقَدْ وَقَدْ
فَمَا تَعْذِرُوا مَنْ بَاتَ يَبْكِي حَبِيبَهُ، وَمَنْ فَقَدَ الأَحْبَابَ مِثْلِي فَقَدْ فَقَدْ

وفي البيتِ التشبيهُ كما بيناهُ. وقدِ اختلفَتْ عباراتُهم فيهِ. فمن قائلٍ: هوَ العقْدُ على أنَّ أحدَ

= توفي في الرابع من شهر جمادى الأولى سنة 773هـ أو772هـ. (نثير الجمان453، 456-457، أنوار التجلي 18/1، 138-139. 2/ 242 ومواضع أخرى.

وفيات الونشريسي ولقط الفرائد المطبوعان ضمن ألف سنة من الوفيات 126، 215، ونفح الطيب 123/7-125. 418/5).

[1] - في أنوار التجلي: "ومثال اختلافهما في الاسمية قول الشاعر". وورد البيتُ وآخرُ بعده في خزانة الأدب 37، ونسبه في معاهده التنصيص 208/3 لمحمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي.

[2] - نسب البيتين في معاهد التنصيص 222/3 لأبي الفتح البستي.

[3] - البيتان في أنوار التجلي 19/1، والشاهد فيه لحن (غلط) في قوله: ومن يقو. والصحيح أن تكون يقوى.
وفي قوله: فما تعذروا، والصحيح أن تكون: فما تعذرون، ويضطرب وزن الشعر بتصحيح هذا اللحن.

لمرينِ سدَّ مَسَدَّ الآخرِ، ومن قائلٍ صفةُ الشيءِ بما شاكلَه من جهاتٍ أو جهةٍ، لا من جميعِ الجهاتِ، وإلا كانَ إياهُ.(وله نُكتٌ كثيرةٌ أعرضنا عنها خوفَ السآمةِ). وفيه المساواةُ. وهي، كما قال التِّيفاشي، التوسطُ بين الإيجازِ والإسهابِ. وعرَّفها قُدامةُ مُخترِعُها[1] بأن يكونَ اللَّفظُ مُساوياً للمعنى حتى لايزيدَ ولا ينقصَ. ولا يعسرُ إيضاحها في البيتِ. وفيهِ الاحتراسُ بقولِه: عَنْ مكْنِسٍ. قال في المِصباحِ[2]: وهو أن يأتيَ المتكلمُ بالمدحِ أو غيرِه بكلامٍ فيراهُ مَدْخولاً بعيبٍ، فيُردِفُه بما يصونُه. وذلك أنهُ لو اقتصرَ على "حلَّهُ" فربُما تُوُهِّم أنه لهُ كناسٌ غيرُه، فدفعَهُ بِهِ.فإن قلتَ: مارَفَعَ به الإبهامَ غيرُ رافعٍ لهُ، بل هو معهُ باقٍ. قلتُ: وَجْهُ الرفعِ أنَّ "عَنْ" لِلبدلِ. والمُرادُ أنه استوطنهُ بدلاً عن كناسِه. ومنْ عادةِ الظَّبيِ أنهُ إن تركَ ظِلَه لا يرجعُ إليه أبداً. وفي المثل: "تَرَكَهُ تَرْكَ الظَّبْيِ لِظِلِّهِ". أيْ ما يَستظِلُّ بهِ من الحرِّ. فلوْلا ما زادَه احتَملَ حلولَه فيهِ مع غيرهِ ممَّا لاَ يليقُ بالمقامِ.

الإعـــــراب

هَلْ: كلمةُ استفهامٍ، موضوعةٌ لطلبِ التصديقِ فحسب. وهي بسيطةٌ ومركبةٌ. فإن قلتَ: ومن أيِّهما الواقعةُ في البيتِ؟ قلتُ: ضابطُ البساطةِ الذي هو طلبُ وجودِ شيءٍ أولاَ وجودِه ينطبقُ عليها، فهي منهُ. وينْحلُّ التركيبُ إلى قولنا: هل علِمَ أمْ لمْ يعلَمْ ودَرَى: فعلٌ ماضٍ يُفيدُ في الخبرِ يقيناً، فينصبُ الجزأينِ. والأكثرُ فيه أن يتعدَّى بالباءِ. ويُحتملُ أن يكونَ هنا من الأكثرِ، فحذفتِ الباءُ، لأنه يطَّرد مع (أنْ). ويُحتمل أن لا، فيكونُ على الكثيرِ. ومُرادَه بالعلمِ المَعنى الأخصُّ، مُقابلَ الظَّنِّ وما تحتَه. و ظَبْيُ الحِمَى: فاعلٌ، ومضافٌ إليه. و أنْ: مخففةٌ من الثقيلةِ[3]. اسمُها: ضميرٌ فيها. وقَدْ وما دخلتْ عليه: خبرُها.وجملةُ (أن)وخبرُها

---

[1] ـ انظر نقد الشعر 171-172. وفي خزانة الأدب 561، وأنوار التجلي 474/2: "وهو مما فرعه قدامة..".

[2] ـ انظر كلام صاحب المصباح في أنوار التجلي 466/2، انظر كذلك خزانة الأدب 559.

[3] ـ في الأصل و(ب): من الثقيل، والمثبت عن (ج).

سادَّةُ مَسَدَّ الجُزأينِ لِـ(دَرَى)، نحوُ علمتُ أن زيداً قائمٌ. ولِلرَّضِي في شرحِ الحاجبيةِ قَيْدُ كلامٍ لم يَحضرْني الآن، فراجعْه[1].

وقد تقدَّم في تفسيرِ المفردَاتِ أن "**حَمِيَ**" من بابِ رَضِيَ، وهو في البيتِ على (فَعَلَ) بالفتحِ. والجوابُ عنهُ، أن (فَعِلَ) في لغةِ طَيٍّء تبدلُ الكسرةُ فيه فتحةً والياءُ ألفاً، فتقولُ في خَفِيَ: خَفَى، وفي رَضِيَ: رَضَى. قال في التَّسهيلِ: وفَتْحُ ما قبلَ الياءِ الكائنةِ لاماً مكسوراً ما قبلها وجعلُه ألفاً لغةُ طَيٍء. وقالَ في الكافيةِ:

والكَسْرَ فَتْحاً رُدَّ واليَا أَلِفَا لِطَيٍّءٍ كَخَفِيَ أُرْنُدْهُ خَفَى

وارتكبَه لمناسبةِ (دَرَى).

[1] ـ أفاض الرضى في مناقشة أحوال استعمال أفعال القلوب في شرح الكافية 286/2.

-2-

فَهْـوَ فِـي حَــرٍّ وَخَفَــقٍ مِثْلَـمَــــا لَعِبَـتْ رِيــحُ الصَّبَـــا بالقَبَــــسِ

اللغـــة

الحَرُّ: ضِدُّ البردِ، كالحُرور بالضم والحرارةِ، والحَرورُ بالفتح: النارُ، و[حرارة[1]] الشمسِ، والحرُّ الدائمُ، والريحُ الحارةُ بالليلِ، وقد يكونُ بالنهارِ، كذا في القاموسِ. زادَ العُزيزي في الغريبِ: والسَّمومُ: عكسُ الحَرورِ، تكونُ بالنهارِ وتكونُ بالليلِ. **والخَفْقُ**: الاضطرابُ، يقالُ: خَفَقَتِ الرايةُ تخْفِقُ خفْقاً وخَفقاناً مُحركَةً: اضطربتْ وتحركتْ. وتحريكُ الفاءِ وقعَ لرؤبةَ ضرورةً[2]. **واللَّعبُ**: ضد الجدِّ، ولَعِبُ الريحِ بالغصونِ: عبارةٌ عن إمالتِها إياها. **والرِّيحُ**: معروفٌ، جمعُه أرواحٌ وأرياحٌ ورِياحٌ. وقال الحَريري في دُرة الغواصِ: إنَّ جمْعَه بالياءِ لحن[3]، وذلك لأنَّ المفردَ، وهو الريحُ، أصلُه رِوْحٌ لاشتقاقه منهُ[4]، فوقعتِ الواوُ ساكنةً إثْرَ كسرةٍ، فقُلبتْ ياءً. فكذا في الجمعِ[5]، بخلافِ أرواحٍ في رِوْحٍ فلا وَجْهَ للقلبِ لسُكونِ ما قبلَها. قال ذو الرُّمة[6]:

إذا هَبَّــتِ الأرْوَاحُ مِــنْ نَحْــوِ جَــانِبٍ بِــهِ أَهْـلُ مَــيٍّ، هَــاجَ قَلْبِــي هُبُوبُهـــا
هَـوًى تَذْرِفُ العَيْنَــانِ مِنْــهُ، وَإنَّمَـــا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْـثُ حَـلَّ حَبِيبُهَـــا

---

[1] ـ الزيادة من القاموس المحيط (حرر).

[2] ـ في قولِه: مُشْتَبهُ الأعلامِ لمَّاعُ الخَفَقْ

أورده في القاموس المحيط (خفق). انظر ضرائر الشعر 17.

[3] ـ الجمعُ المقصود هو أرياح، لا مطلق الجمع بالياء. (درة الغواص 23-24).

[4] ـ في درة الغواص 23: من الروح.

[5] ـ المقصود الجمع على رياح.

[6] ـ ديوان شعر ذي الرمة 66-67.

وقد رُدَّ ما ذكرهُ الحريري بأنَّ الأرياحَ[1] ليسَ بلحنٍ كما زعمَ، بل هو مسموعٌ، قالَ في شرحِ الكافيةِ: رُبما أبدلتِ الواوُ ياءً لدفعِ اللَّبسِ[2]، كأرياحٍ في جمعِ ريحٍ لئلا يلتبِس بجمعِ رُوحٍ، والقياسُ أرواحٌ وهوالأفصحُ، انتهى. وقال الجَـ[ـعـ]ـبري: الريحُ: الهواءُ المتحركُ، وهي مؤنثةٌ وأصلُها الواوُ لرُوَيْحَةٍ[3]، قُلبت الواوُ لسكونها وانكسارِ ما قبلَها، وفي الجمعِ لانكسارِ ما قبلها. واقتُصرَ على فِعالٍ لئلاَّ يَلبسَ أفعالٌ، انتهى. ونحوُه للصقاقسِي.

والصَّبا رِيحٌ مَهبُّها من مَطلعِ الثُّريَّا إلى بناتِ نعشٍ[4]. وتُثَّنى: صَبَوَانِ وصَبَيانِ. والجَمْعُ: أصْبٍ وصَبَواتٌ. وصَبَتْ: هَبَّتْ[5]. قلتُ: رأيتُ في تاريخِ أبي مروانَ عبدِ الملكِ بنَ الكردَبوسِ المُسمى بالاكتفاء في [تاريخ] الخُلفاء[6]،أن الخليفةَ المُعتصمَ سألَ الشَّعْبي عن مَهابِّ الجنوبِ والشمالِ والدبورِ والصَّبا. فأجابهُ بأن الجنوبَ مهبُّها من مَطلعِ سُهيلٍ إلى مطلعِ الثُّريا. والشمالُ مهبُّها من مطلعِ الشمسِ إلى مسقطِ النسرِ الطائرِ. والدَّبورُ مَهَبُّها يقابلُ مَهَبَّ الصَّبا. وذكرَ البدرُالدّماميني عن ابن هشامٍ أنه قالَ ما نصه: سألني سائلٌ من أينَ تهُبُّ الصَّبا: فأنشدتُه:

---

[1] ـ في الأصل: أرياح، وهو خطأ، إذ الرياح ليست موضع خلاف: الإشكال في الأرياح كما سيتضح.

[2] ـ في الأصل و(ب): ألباس، والمثبت عن (ج).

[3] ـ أي لقولهم: رُوَيْحَةُ في التصغير.

[4] ـ بنات نعشٍ الكبرى: سبعة كواكب،. ومثلها بناتُ نعش الصغرى. (القاموس المحيط: نعش).

[5] ـ نقل من القاموس المحيط (صبو) بتصرف.

[6] ـ توجد نسختان مخطوطتان من هذا الكتاب في خ م بالرباط رقم 6709،8539. والزيادة منهما وطبع الجزء المتعلق منه بالأندلس وغيره بعناية أحمد مختار العبادي تحت عنوان: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط. مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1971. وقد بحثت عن هذا الخبر فلم أعثر عليه في هذا الكتاب، وهو باطل إذا كان المقصودُ بالشعبي عامرُ بن شراحيل أبو عمرو الراوية المشهور، فهذا كان رسولا لعبد الملك بن مروان إلى ملك الروم وتوفي سنة 103هـ، بينما توفي المعتصم العباسي محمد بن هرون سنة 227هـ. (انظر الوفيات 244/1 والشريشي 245/2، وابن الأثير 265/5، والطبري 6/11).

أَلَمْ تَعْلَمِي، يَا عَمْرَكِ اللَّهُ، أَنَّنِي كَرِيمٌ، علَى حِينِ الكِرَامُ قَلِيلُ
وَأَنِّيَ لاَ أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ سَخِيٌّ، وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ

ووجهُ استخراجِ الجوابِ منها، واللهُ أعلمُ، أنه نبَّهَهُ بهما على البيتِ الآخرِ المساوي لهذينِ في إعرابِ اسمِ الزمانِ المبهمِ المضافِ للجملةِ الإسميةِ، وهو قولُ الشاعرِ:

إِذَا قُلْتُ هَذا، حِينَ أَسْلُو، يُهَيِّجُنِي نَسِيمُ الصَّبَا منْ حَيْثُ مَا يَطْلُعُ الفَجْرُ

فائدة

قالَ أبو الحجاجِ بنُ الشيخِ في كتابِه المسمى ألف باء: رَوَى أبو عبيدٍ عن يونسِ بنِ حبيبٍ، أن لبيدَ بنَ ربيعةَ الشاعرَ، نذرَ أنْ يُطعمَ الناسَ كلَّما هبَّتْ ريحُ الصَّبا. فدامَتْ أيَّاماً متواليةً، حتى أضرَّ به. فبلغ خبرُه الوليدَ بنَ عقبةَ بنَ أبي مُعَيْطٍ، وهو أميرُ الكوفةِ من قِبَلِ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، وكانَ أخاهُ لأمه، فوجَّه إليهِ بنوقٍ ودراهمَ، وكتبَ إليه:

أَرَى[1] الجَزَّارَ يَشْحَذُ مُدْيَتَيْهِ، إذا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلِ
طَوِيلُ البَاعِ أَرْوَعُ جَعْفَرِيٌّ، كَرِيمُ الجَدِّ، كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ[2]

فلما وصلَ ذلك إلى لبيدٍ شكرَه، وقالَ: كيفَ[لي[3]] بأنْ أُجيبَه وقد نذرتُ بألاَّ أقولَ شعراً؟ فقالتْ بنيةٌ له صغيرةٌ كانتْ تروي شعرَه: أنا أُحسنُ بأنْ أجيبَه، أفتأذنُ لي؟ فقال: قولي ما عندكِ. فقالت[4]:

---

[1] ـ في الأصل: أبي، وفي (ب): أبا، والمثبت عن(ج) والأغاني 97/14.

[2] ـ في الأغاني:

أَشَمُّ الأنْفِ أَغْيَدُ عَامِرِيٌّ طَوِيلُ البَاعِ كالسيفِ الصَّقِيلِ

[3] ـ زيادة من (ج).

[4] ـ وردَ البيتانِ الأولانِ في ذيلِ ديوانِ لبيد 233 ضمن ما نسب إليه خطأً في بعض المصادر.

إذا هَبَّتْ رِيَاحُ أبِي عَقِيلِ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الوَلِيدَا
طَوِيلُ البَاعِ أرْوَعُ عَبْشَمِيٌّ، أعَانَ على مُروءَتِهِ لَبِيدَا
أبَا وَهْبٍ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً، نَحَرْناهَا، وأطْعَمْنا الثَّرِيدَا
فَعُدْ إنَّ الكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ، وَظَنِّي يَا ابْنَ أرْوَى أنْ تَعُودَا

فقالَ لها: أحسنتِ لوْلا أنكِ اسْتزدتِه في شِعرِك. فقالتْ: إن الأمراءَ لا يُستحيى من سؤالِهم. فقالَ: أنتِ في هذا القولِ أشعرُ[1]، انتهى. وقولُه: نذرتُ ألاَّ أقولَ شعراً، يقالُ إنه لم يَقلْ في الإسلامِ إلاَّ بيتاً واحداً وهو[2]:

الحَمْدُ لِلَّهِ إذْ لَمْ يَأتِنِي أجَلِي حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإسْلاَمِ سِرْبَالاَ

ويقال إن قبلَه[3]:

بَانَ الشَّبَابُ فَلَمْ أحْفِلْ بِهِ بَالاَ، وَأقْبَلَ الشَّيْبُ والإسْلاَمُ إقْبَالاَ

ويقالُ إنه قال أيضاً[4]:

مَا عَاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ، والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

وقولُه بالقَبَسِ، **القَبسُ**: شعلةُ من نارٍ، كذا في تفسير الغَزْنَوِي والقاموس[5]. و**الجذوةُ**[6]: مُثَلَّثةٌ: قِطعةٌ غَليظَةٌ من الحطبِ فيها نارٌ بلا لهبٍ، قالهُ العُزيزي.

---

[1] - انظر هذه القصة مع زيادات في الأغاني 14/97-98.

[2] - في ذيل ديوان لبيد 236: "هذا البيت نسب للبيد في كثير من المصادر، والصواب أنه لفروة ابن نفاثة السلولي. (راجع معجم المرزباني 339)".

[3] - لم يرد في ديوان لبيد.

[4] - ذيل ديوان لبيد 222.

[5] - القاموس المحيط (قبس).

[6] - هذا من توسع الإفراني، إذ لم تردْ كلمة جذوة في البيت المشروح.

المعنـــى

أن قلبه بسببِ حَمْيَةِ الحبيبِ له، وإيقادِهِ بهِ نارَ الصبابةِ، هو في حرارةٍ واحتراقٍ، وأنه يضطربُ ويتحرّك. فالنارُ مستعرةٌ بتحركِه، لأنهُ كالنافخِ لها. فحالتُه في ذلكَ كحالةِ المقباسِ إذا صادفتْه ريحٌ فهي تقلِّبُه ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ. فأخبرَ أنَّ قلبَه يكابدُ غُصصَ أمْرينِ، الحرارةِ، والخفوقِ. فأما الحرارةُ فقد كثُرَ النشيدُ فيها، وتوفرتِ الدَّواعي على الشكايةِ منها، وسلفَ بعضُ ذلكَ. وقدْ هذَم عليْهم ذلكَ المعنَى من قال:

وَلَوْ أَنَّ لِي قَلْبـاً شَكَيْـتُ احْتِرَاقَـهُ ... وَلَوْ أَنَّ لِي فِكْـراً فَضَحْـتُ الهَوَاجِسَـا
وَلَكِنْ مُحَـالٌ أَنْ يَكُـونَ تَفَكُّـرٌ ... وَقَلْبٌ لِمَنْ يَهْوَى الظِّبَـاءَ الكَوانِسَـا

وقول الأَرَّجاني[1]:

عُوجَـا عَلَيْهَـا أَيُّهَـا الرَّكْـبُ، ... لاَعَـارَ أَنْ يَتَسَـاعَدَ الصَّحْـبُ
قَدْ كَـانَ لِـي قَلْـبٌ ولاَ أَلَـمٌ، ... وَاليَـوْمَ لِـي أَلَـمٌ وَلاَ قَلْـبُ

وقول الصَّفي الحلِّي:

سَأَلْـتُهَا عَـنْ فُـؤَادِي، أَيْـنَ مَسْكَنُـهُ؟ ... فَإِنَّـهُ ضَـلَّ مِنِّـي عِنْـدَ مَسْرَاهَـا
قَالَتْ: لَدَيَّ قُلُـوبٌ جَمَّـةٌ جُمِعَـتْ، ... فَأَيُّهَا أَنْـتَ تَعْنِـي؟ قُلْـتُ: أَشْقَاهَـا

وقول ابنِ سهل[2]:

ومَـنْ لِـي بِجِسْـمٍ أَشْـتَكِي مِنْـهُ بالضَّـنَى ... وَقَلْـبٍ فَأَشْكُـو مِنْـهُ بِالخَفَقَـانِ

---

[1] ـ البيتان من قصيدة مدحية في ديوان الأرجاني 134.

[2] ـ ديوان ابن سهل 214.

وَمَـا عِشْـتُ حَتَّـى الآنَ إلاَّ لأَنَّنِـي خَفِيتُ، فَمَا يَـدْوِي الحِمَـامُ مَكَانِـي

وبذلك ملح[1] من أجابَ عن بَيتي الشمسِ محمدِ بنِ التِّلِمساني، وهما[2]:

يَـا سَـاكِناً قَلْبِـي المُعَنَّـى وَلَيْـسَ فِيـهِ سِـوَاكَ ثَانِـي
لأَيِّ مَعْنًـى كَسَـرْتَ قَلْبِـي وَمَـا الْتَقَـى فِيـهِ سَاكِنَـانِ؟

بقولـه:

كَسَـرْتُهُ حِيـنَ قلـتَ: قَلْبِـي وَلَـمْ تُضِفْـهُ إلـى فُـلاَنِ
هَـلْ لِلْمُعَنَّـى بِالحُـبِّ قَلْـبٌ[3] يَـا جَاهِـلَ اللَّفْـظِ وَالمَعَانِـي!

قلتُ: وللصلاحِ الصفدي على معنَى البيتينِ مؤاخذةٌ، محصولُها أن الكسرةَ لأحدِ الساكنينِ غيرُ القلبِ، والكسرُ في البيتينِ للقلبِ، انتهى[4]. واستملح المؤاخذةَ ابنُ حجةَ، فقال: أمَّا البيتانِ ففي غايةِ اللُّطفِ، ولكن أُوردَ عليْهما إيرادٌ حسنٌ، وهو أنَّ الساكنينِ إذا اجتمعَا كُسرَ أحدُهما وهو الأولُ، وكلامُه في البيتينِ يؤدي أن المكسورَ غيرَ الاثنينِ، انتهى. وفيهِ نظرٌ، لأنَّ إيقاعَ الكسرِ على القلبِ من إسنادِ ما للحالِ للمحلِ، وهو ذائعٌ في كلامِهم. على أن مثلَ هذا المعنى ريحانةٌ تُشمُّ ولا تُفركُ. ومن هذا المعنى قولُ ابنِ شرفٍ في رجلٍ عجزَ عن افتضاضِ عِرْسِه[5]:

كَـمْ ذَكَـرٍ فِـي الـوَرَى وَأُنْثَـى أَوْلَـى مِـنْ اثْنَيْـنِ بِاثْنَتَيْـنِ

---

[1] ـ في الأصل و(ب): ملخ، ولم نر له وجها، والمثبت عن (ج).
[2] ـ البيتان في ديوان الشاب الظريف 67، والغيث المسجم 13/2، وأنوار التجلي 19/1 وغيرهما.
[3] ـ هذا الشطر مضطرب الوزن، ولم نهتد إلى تصويبه.
[4] ـ انظر الغيث المسجم 13/2.
[5] ـ البيتان والتقديم لهما في المصدر السابق.

أَرَى اللَّيَـالِـــي أَتَـــتْ بِلَحْـــــنٍ　　　لِجَمْعِهَا بَيْـــنَ سَـاكِـنَـيْـــــنِ

وأما الخَفَقَانُ فسَبَبُه مهابةُ العاشقِ للمعشوقِ وإجلالُه إياهُ، فصارَ ينتفضُ لرؤيتِه ببصرِه أو بَصيرتِه،كما ينتفضُ القلبُ الخائفُ. وما أحسنَ قولَ المَكُّودي[1]:

يَـزْدَادُ خَفْــقُ فُــؤَادِي عِـنْدَ رُؤْيَـتِـهِ　　　مِـنْ بَعْـدِ مَـا مَـالَ عَنْـهُ القَلْـبُ وانْتَرَكَـا

كَالطَّيْرِ أَفْلَتَ مِنْ أَشْـــرَاكِ مُقْتَنِــصٍ،　　　فَصَارَ يُرْعَدُ مَهْمَـا أَبْصَـــرَ الشَّرَكَـــا

وممَّا اشتَهرَ في خفقِ الفؤادِ قولُ ابن بَقِي[2]:

عَاطَيْتُـــهُ، واللَّيْــلُ يَسْــحَبُ ذَيْلَـــهُ،　　　صَهْبَـــاءَ كَالمِسْــكِ الفَتِيــقِ لِنَاشِــقِ

وَضَمَمْتُـــهُ ضَـــمَّ الكَمِـــيِّ لِسَيْفِـــهِ،　　　وَذُؤَابَتَـــاهُ حَمَائِـــلٌ فـــي عَاتِقِـــي

حَتَّـــى إِذَا مَـــالَتْ بِـــهِ سَـــنَةُ الكَـــرَى　　　زَحْزَحْتُـــهُ شَـــيْئاً فَكَـــانَ مُعانِقِـــي

بَـاعَدْتُـهُ عَـنْ أَضْلُـــعٍ تَشْتَـاقُـــهُ　　　كَيْ لاَيَنَـــامَ عَلَـــى وِسَـــادٍ خَـافِـــقِ

وقد اعترضَ علماءُ الفنِّ عليه بأمرينِ. الأولُ، قال الشريفُ الغَرناطي[3]: ذُكِرَ أنَّ أبا القاسمِ الطبيبِ المعروفِ بالغَطِّي[4] قال لابنِ بقِي، وقد أنشدَه الأبياتَ: ياهذا، كيفَ تكونُ وِساداً[5] لهُ، أم كيفَ يتصورُ ذلك[6]؟ فأصلحَه إلى وِسادٍ. والثاني ما في قولِهِ: باعدتُه، من

---

[1] ـ البيتان في أنوار التجلي 29/1.

[2] ـ اشتهرت هذه الأبيات، وكثر معارضوها. انظر المطرب 198، ورفع الحجب 58/1، والغيث المسجم 176/1، وحلبة الكميت 118، وديوان الصبابة 90، ونفح الطيب 209/3.

[3] ـ نقل الإفراني أغلب عبارة رفع الحجب 850/1 في هذا الموضوع.

[4] ـ في رفع الحُجب 58/1 القطي، ولم نقف على ترجمته.

[5] ـ هكذا في الأصل و(رفع الحجب) ولعل الصواب:المهاد، ويؤيد ذلك ما جاء في (ج).(انظر الحاشية 4).

[6] ـ في(ج): ياهذا كيف يكون المهادُ وساداً له، أم كيف يتصور ذلك؟ وهذا أنسب.

الجفوةِ وبادِي البلادةِ، فلا يليقُ بالعاشقِ، وهو في رجاءِ قُربِه منذ أحيانٍ، أن يُباعِدَه. وقال الصفدي في الرَّدِّ عليه[1]:

أَبْعَدْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا زَحْزَحْتَهُ! ... مَا أَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الغَرَامِ بِعَاشِقِ
هَذَا يَدُلُّ النَّاسَ مِنْكَ عَلَى الجَفَا، ... إِذْ لَيْسَ هَذا فِعْلَ صَبٍّ وَامِقِ
إِنْ شِئْتَ قُلْ: أَبْعَدْتُهُ عَنْ أَضْلُعِي[2] ... لِيَكُونَ فِعْلَ المُسْتَهَامِ الصَّادِقِ
أَوْ قُلْ:فباتَ عَلَى اضْطِرَابِ جَوَانِحِي ... كَالطِّفْلِ، مُضْطَجِعاً لِمَهْدٍ خَافِقِ

انتهى. والحقُّ أنَّ أبياتَ ابنِ بَقِي في غايةِ الجزالةِ والحُسنِ، لكنْ جرتْ عادةُ الصلاحِ بالمناقشةِ، فلا تراهُ يسامحُ في شيءٍ.ومعاني الأدب محمولةٌ على الإغضاءِ:

فَسَامِحْ وَلاَ تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ، ... وَأَغْضِ، فَلَمْ يَسْتَوْفِ قَطُّ كَرِيمُ

ولأجلِ الاعتراضِ فضَّلوا على قولِ ابنِ بَقي قولَ الحكمِ بن عيالٍ[3]:

إِنْ كَانَ لاَبُدَّ مِنْ رُقَادِ، ... فَأَضْلُعِي هَاكَ عَنْ وِسَادِ
وَنَمْ عَلَى خَفْقِهَا هُدُوّاً ... كَالطِّفْلِ فِي نَهْنَهِ الوِسَادِ

وقول ابنِ سناءِ الملكِ[4]:

أَمَا وَاللَّهِ لَوْلاَ خَوْفُ سُخْطِكْ ... لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى بِرَهْطِكْ

---

[1] ـ انظر الغيث المسجم 196/1.
[2] ـ في الغيث المسجم: "إِنْ شِئْتَ قُلْ: أَبْعَدْتُ عنه أضالعي"، وهو أنسب لتلافي النقد الموجه لابن بقي.
[3] ـ هكذا في الأصل، وفي الغيث المسجم 176/1: الحكيم بن عيال، وفي ديوان الصبابة 90: "ابن الحكم جعفر بن عنان"، وفي نفح الطيب 564/3، 51/7: أبو الوليد بن عيال. وقد يكون الحكيم بن دانيال المترجم في فوات الوفيات 330/3.
[4] ـ لم يرد البيتان في ديوان ابن سناء الملك، ووردا في الغيث المسجم 245/1، وديوان الصبابة.90.

فَتَنْتَ الخَافِقَيْنِ فتِهْتَ عُجْبَا ... وَلَيْسَ هُمَا سِوَى قَلْبِي وقُرْطِكْ

وقال مُعينُ الدين[1]:

لَمْ أَنْسَهُ إذْ قَالَ: أَيْنَ تُحِلُّنِي؟ ... حَذَراً عَلَيْهِ مِنَ الخَيَالِ الطَّارِقِ
فَأَجَبْتُهُ: قَلْبِي فقَالَ تَعَجُّباً: ... أَرَأَيْتَ، عُمْرَكَ، سَاكِناً فِي خَافِقِ

أَخذَه من قولِ الآخر[2]:

وَسَكَنْتَ قَلْباً خَافِقاً، ... يَا سَاكِناً، فِي غَيْرِ سَاكِنِ

وقال ابنُ العطارِ:

يَا نَازِلاً مِنِّي فُؤَاداً رَاحِلاً، ... وَمِنَ العَجَائِبِ نَازِلٌ فِي راحِلِ
أَضْرَمْتَ قَلْبَ مُتَيَّمٍ أَهْلَكْتَهُ ... وَسكَنْتَهُ، وَالنَّارُ مَثْوَى القَاتِلِ

وقال ابنُ الوردي:

قُرْطُهَا خَافِقٌ، وَقَلْبِي أَيْضاً ... خَافِقٌ، مِنْ أَلِيمِ صَدٍّ وَبَيْنِ
فَاعْذِرُوهَا في العُجْبِ فَهْيَ فَتَاةٌ ... أَصْبَحَتْ وَهْيَ تَمْلِكُ الخَافِقَيْنِ

وتلطَّفَ الورّاق[3]:

يقولُ لِي، حِينَ وَافَى: ... قَدْ نِلْتَ مَا تَشْتَهِيهِ؟
فَمَا لِقَلْبِكَ قِدْماً ... خَفْقٌ بِهِ يَعْتَرِيهِ

---

[1] ـ نُسبَ البيتان في الغيث المسجم 246/1 لمعينِ الدينِ بن لؤلؤ ووردا كذلك في ديوان الصبابة 90.

[2] ـ البيت في ديوان الصبابة 90.

[3] ـ الأبيات للوراق الخطيري في الغيث المسجم 246/1، وديوان الصبابة 88، ومعاهد التنصيص 80/3.

فَقُلْـتُ: وَصْلُـكَ عُـــرْسٌ، وَالقَلْـبُ يَرْقُـصُ فِيــهِ

وقالَ البهاءُ زهيرٌ في مجزوءِ الكاملِ المُرفَّلِ[1]:

لاتُنْكِـرُوا خَفَقَـانَ قَلْبِـي، جَـاءَ الحَبِيـبُ إلَيْـهِ زَائِـرْ
مَـا الـقَلْـبُ إلاَّ دَارُهُ ضُرِبَتْ لَهُ فِيهَـا البَشَائِـرْ

المعانــي

نُكتةُ العطفِ بالفاءِ الإشارةُ إلى أنَّ ما بعدَها تسبَّبَ عمَّا قبلَها. وأتى بالجُملةِ اسميةً لاستفادةِ الدوامِ، أي ما هو عليه دائمٌ لَدَيْه. ونكَّر المجرورَ بفي وما عُطفَ عليه لغرضِ التفخيمِ. ونَوَّنَها للتَّعظيمِ على وزانِ "وَعَلى أبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ"[2] كَما في المفتاحِ. وعَطفَ الخفقَ بالواوِ لتفصيلِ المُسنَدِ مع اختصارٍ. وأضافَ الريحَ للصَّبا لإفادةِ التخصيصِ. وخصَّ الصَّبا لأنها أيْمَنُ الأرْوَاحِ وأبْرَكُها، ولذلكَ قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَهَلَكَتْ عَادٌ بالدَّبورِ"[3]. والشعراءُ مكِبُّونَ على إرسالِها وانتشاقِ أريجِ هبوبِها، لأنها أغلبُ ما تكونُ في الأسحارِ. قال الشاعرُ[4]:

لاَ تَبْعَثُـوا غَيْـرَ الصَّبَـا بِتَحِيَّـةٍ مَـا لَـذَّ فـي سَـمْعِي حَدِيـثُ سِوَاهَـا
حَفِظَتْ أَحَادِيـثَ الصَّبَـا وتَضَوَّعَـتْ نَشْـراً، فَيَاللَّـهِ مَـا أَنْكَاهَـا!

ولمُجير الدينِ بنِ تميمٍ:

---

[1] ـ البيتان من قصيدة في ديوان البهاء زهير 156.

[2] ـ البقرة 7/2.وتمام الآية:"خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم، وَعَلى سَمْعِهِمْ،وعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ". يقصد الكافرين.

[3] ـ مسند أحمد 223/1، 228 والبخاري 132/4، وفيه: وأُهْلِكَتْ.

[4] ـ البيتان في حلبة الكميت 318.

لاَ تَبْعَثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مِنْ أَرْضِهَا، فَلَهَا عَلَيَّ جَمِيلُ
[هَبَّتْ] دُموعَ العاشِقِينَ وَعَرَّجَتْ عَنْهُمْ إِلَيَّ، وَثَوْبُهَا مَبْلُولُ

وما أحسنَ قولَ عزِّ الدينِ الموصلي[1]:

إِنْ كانَتِ العُشَّاقُ مِنْ أَشْوَاقِهِمْ جَعَلُوا النَّسِيمَ إِلَى الحَبِيبِ رَسُولاَ
فَأَنَا الذِي أَتْلُوا لَهُمْ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاَ[2]

ومن هذا ما كتبَه القاضي فتحُ الدينِ لوالِدِه مُحي[3] الدين بنِ عبدِ الظاهر:

إِنْ شِئْتَ تُبْصِرُنِي وَتُبْصِرُ حَالَتِي قَابِلْ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ قَبُولاَ
تَلْقَاهُ مِثْلِي رِقَّةً وَنَحَافَةً، وَلأَجْلِ قَلْبِكَ لاَ أَقُولُ عَلِيلاَ
فَهْوَ الرَّسُولُ إِلَيْكَ مِنِّي، لَيْتَنِي كُنْتُ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاَ

وعرَّفَ القبس بِلامِ الحقيقةِ وأرادَ به الواحدَ باعتبارِ عَهديتِه في الذِّهنِ، لِقيامِ القرينةِ على أن ليسَ القصدُ إلى نفسِ الحَقيقةِ من حيثُ هيَ، بل من حيثُ وجودُها في ضمنِ بعضِ الأفرادِ لا كلِّها، والقرينةُ هنا (لَعِبَتْ).

فإنْ قلتَ: ما وجهُ العدولِ للإتيانِ بالظرفِ في قولِه: فهو في حرٍّ وخفقٍ. وهلاَّ

---

[1] ـ نُسب هذان البيتان في ديوان الصبابة 114، ومعاهد التنصيص 144/4 لمحي الدين بن عبد الظاهر، وقال في ديوان الصبابة: "وكان القاضي محي الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم".

[2] ـ اقتباسٌ من: "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ، يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً".(الفرقان 27/25)

[3] ـ في الأصل: لوالده مجير الدين. وهو خطأ وسيرد ذكر مجير الدين في الصفحة 258 من هذا الكتاب. وفي خزانة الأدب254: إلى ولده القاضي محي الدين. ونعتقد أن الصواب هو: لوالدِه مُحي الدين، إذ الأب هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، محي الدين قاض أديب مؤرخ مصري. توفي سنة1293/692م. والابن هو: محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، فتح الدين، ولد بالقاهرة ومات بدمشق سنة 1292/691(فوات الوفيات179/2-191 للأول، والوافي366/3-668 للثاني).

قال: حارّ وخافقّ؟ قلتُ: وجهُه مراعاةُ الأبلغيةِ، ولا خَفاءَ أن قولَكَ فُلانٌ في حزنٍ، أبلغُ من حازنٍ، وفي سرورٍ، أبلغُ من مسرورٍ، وسببُها واضحٌ، فتأملْ. وهذه لطيفةٌ استفدْتُها من المشافِ في غير[ما] موضعٍ.

البيان

فيه التشبيهُ لحرارةِ القلبِ بشُعلة النار، ولخُفوقِ الجوانحِ بالريحِ. وتشبيهُ لعبِهما[1] بلعبهما

فالأولُ بحسبِ العرضِ، والثاني بحسبِ العرضِ[2]. ويُضاهي هذا التشبيهَ قولُ بعضِهم في الثُّريا[3]:

تَحكِي الثُّرَيَّا الثُّرَيَّا في تَأَنُّقِهَا ... وَقَدْ لَوَاهَا نَسِيمٌ وَهْيَ تَتَّقِدُ
كَأَنَّهَا لِذَوِي الإيمانِ أَفْئِدَةٌ، ... مِنَ التَّخَشُّعِ خَوْفَ اللَّهِ تَرْتَعِدُ

وقولُه في السِّراجِ[4]:

اُنْظُرْ إلى سُرُجٍ فِي اللَّيْلِ مُشْرِقَةٍ ... مِنَ الزُّجَاجِ حَوَاهَا وَهْيَ تَلْتَهِبُ
كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الحَيَاتِ بَارِزَةً ... عِنْدَ الهَجِيرِ، فَمَا تَنْفَكُّ تَضْطَرِبُ

وعلى ذكرِ الثُّريا فحكَى الراويةُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن رُشَيدٍ الفِهري السَّبتي الفاسي في

---

[1] ـ في(ب): لعبهما بلهبها.

[2] ـ هكذا في الأصل و(ج).

[3] ـ البيتان لأبي تمام غالب بن رباح الحجام في نفح الطيب 3/415-416،وفيه: تألقها (بدل تأنقها)، وهو أنسب. وترجم له ابن سعيد في المغرب 2/40.

[4] ـ البيتان للحجام السالف الذكر في نفح الطيب 3/416.

فهرسته[1] قال: «كنتُ مع الفقيهِ الأستاذِ أبي القاسمِ المَزياتِي[2] تحتَ إيقادِ جامعِ القرويينَ من فاس بعدَ صلاةِ المغربِ، وإذا برجلٍ أقبلَ وأخبرَ أبا القاسمِ بقدومِ الأستاذِ ابنِ عَبدون، وأنه ببابِ المسجدِ، فقال لنا أبو القاسم: قوموا بنا إلى لقائِه، فالتقيناه وهو داخلٌ إلى المسجدِ، فسلَّمنا عليه، فاستقبلَتْنا الثُّريا وهي مسروجةٌ، فقال ابنُ عبدونٍ مُرتجلاً:

انْظُرْ إِلَى ثُرَيَّةٍ نُورُهَا　　　يَصْدَعُ بِاللأْلاَءِ سُجْفَ الغَسَقْ

فقال أبو القاسم:

كَأَنَّهَا فِي شَكْلِهَا رَبْوَةٌ　　　انْتَظَمَ النورُ بِهَا فَاتَّسَقْ

ثم اجتمعتُ صَبيحةً تلكَ الليلةِ مع الأديبِ مالكِ بنِ المُرَحَّلِ، وأخبرتُه[3]، فقال: لو كنتُ معهما لقلتُ:

أُعِيذُهَا مِنْ سُوءِ مَا يُتَّقَى　　　مِنْ فَجْأَةِ العَينِ بِرَبِّ الفَلَقْ[4]

كذَا سَاقَ هذه الحكايةَ الثعالبي في الأنوار، ونَقَلَها أبو العباسِ ابنُ القاضي في كتابِه المُنتقَى المقصور[5]، وزاد على ذلك ما نصُّه: «وقال محمدُ بن خلف:

بَاهَى بِهَا الإِسْلاَمُ مَا أَ[شْ]رَقَتْ　　　كَاسَاتُهَا عِنْدَ مَغِيبِ[الـ]شَّفَ[قْ]"

انتهى من خطِّه.

---

[1] ـ وردت هذه القصة كذلك في أنوار التجلي 237/2، والمنتقى المقصور 145، وفي جذوة الاقتباس 69/1-70 مع بعض الخلاف.

[2] ـ أبو القاسم المزياتي فقيه أستاذ مقرئ بالقرويين، له شرح على كتاب الجمل. توفي يوم 22 من جمادى الأخيرة سنة 665هـ (انظر المصادر السابقة والذخيرة السنية 114 ونفح الطيب 584/2).

[3] ـ في أنوار التجلي 237/2: "وأعلمته بما وقع بين الأستاذين".

[4] ـ هنا ينتهي نص كلام الثعالبي في الأنوار 237/2.

[5] ـ المنتقى المقصور 145.

فيه التمثيلُ، وحقيقتُه أن يمثّل المُتكلّمِ شيئاً بشيءٍ فيه إشارةٌ. وقيلَ هو تشبيهُ حالٍ بحالٍ. ومبتكرُه الضِّلّيلُ[1] في قوله:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاّ لِتَقْدَحِي[2] بِسَهْمَيْكِ في أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وقال ابنُ المعتز[3]:

اِصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الحَسُو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

وقولُ الآخرِ[4]:

إِيَّاكَ مِنْ زَلَلِ الكَلاَمِ فَإِنَّمَا عَقْلُ الفَتَى مِنْ لَفْظِهِ المَسْمُوعِ
فَالمَرْءُ يَخْتَبِرُ الإِنَاءَ بِنَقْرِهِ فَيَرَى الصَّحِيحَ بِهِ مِنَ المَصْدُوعِ

وفيهِ الطِّباقُ بين الريحِ والقَبَسِ، إذِ المرادُ به النارُ، وهما ضدانِ. والطِّباقُ الإتيانُ بلفظينِ مُتضادينِ كقولِ ابنِ رشيقٍ[5]:

وَقَدْ أَطْفَأُوا شَمْسَ النَّهَارِ وَأَوْقَدُوا نُجومَ العَوَالِي فِي سَمَاءِ عَجَاجِ

---

[1] ـ الضليل، لقب الشاعر امرئ القيس، عرف به. (انظر أخباره في الأغاني 8/62-76).
[2] ـ في شرح ديوان امرئ القيس 38: لتضربي، وهو المشهور.
[3] ـ ديوان ابن المعتز 344.
[4] ـ البيتان لأبي بكر بن الجزار السرقسطي في نفح الطيب 3/598.
[5] ـ بيت مفرد في ديوان ابن رشيق 52.

وقول الأسدي:[1]

رَمَـى الحَدَثَـانِ نِسْـوَةَ آلِ حَـرْبٍ ... بِمِقْـدَارٍ سَمَـدْنَ لَـهُ سُمُـودَا
فَـرَدَّ شُعُـورَهُـنَّ السُّـودَ بِيضـاً ... وَرَدَّ وُجُوهَهُـنَّ البِيـضَ سُـودَا

الإعــراب

الفاءُ للعطفِ، ولها معانٍ، منها: التعقيبُ؛ أن يكونَ المعطوفُ بها متصلاً بلاَ مُهلةٍ. وما أظرف قول النور الإسْعِرْدِي[2] مُداعباً:

وَأَغَـنٌّ، كَـمْ فـي جَفْنِـهِ مِـنْ قَاضِـبٍ، ... وَقِوَامُـهُ فـي لِينِـهِ كَقَضِيـبٍ
لاَقَيْتُـهُ مُبْتَسِمـاً مِـنْ بَعْـدِ مَـا ... قَـدْ كُنْـتُ لاَ أَلْـقَاهُ غَيْـرَ قَطُـوبٍ
أَسْقَيْتُـهُ رَاحِـي، فَنَـامَ، فَنِكْتُـهُ، ... وَالفَـاءُ فـي الحَالَيْـنِ لِلتَّعْقِيـبِ

وليسَ التعقيبُ بلائقٍ هنا. ومنها السببيةُ، وهو أكثرُ ما تقتضيهِ الفاءُ، وهو الموافقُ لها في البيتُ، أي هو[3] بسبب حَمِيةِ قلبِه في حرٍّ وخفقٍ. فإنْ قلتَ: تسبُّبُ الحرارةِ عن الحَميةِ، في السببِ ما يعطيه، وأما الخفقُ فليسَ فيه ما ينتجه، قلتُ: يُنتجُه لفظُ الصبِّ[4]، [فإن الصبابة يُلازمُها الخفوقُ. فإن قلتَ: وما نُكتةُ التصريحِ بهذا اللاَّزم؟ قلتُ:" إزادةُ الفَظاعةِ لحالِه، والمبالغةُ في عِظمِ ما يلاقيهِ. فإنَّ الخفوقَ يزيدُ النارَ تسعيراً فيشتد التهابُها، وهو بمثابةِ النفخِ فيها. قال[5] الشاعرُ:

---

[1] ـ في العمدة 6/2 وزهر الآداب1/ 405 والشريشي الكبير189/1: لـ"عبد الله بن الزبير الأسدي". ونُسبا في معجم الشعراء 177: لفضالة بن شريك.وسمدن: قمن متحيرات، (لسان العرب: سمد).

[2] ـ هو نور الدين بن محمد أبو بكر الإسعردي (ت 656/ 1258) شاعر فيه مجانة (الوافي بالوفيات 188/1، ط 1948).

[3] ـ هو، غير مثبت في (ج).

[4] ـ سقطت ورقة كاملة من الأصل ابتداءً من هذا الموضعِ، واعتمدنا في تعويضِها على النسخة (ب).

[5] ـ في (ب): بها، والمثبت عن (ج).

وكَيْفَ أَرْجُو انْطِفَاءَ نَارِ مُسْعَرَةٍ يَزِيدُ خَفْقُ فُؤَادِي حَرَّهَا لَهَبَا

ويُعجبني قولُ محي الدينِ بنِ قُرناصٍ في مليحٍ مُشببٍ[1]:

عَلِقْتُهُ مُشَبِّباً مُهَفْهَفَا، أَخْضَعُ فِي حُبِّي لَهُ فَيَشْمَخُ
لاَغَرْوَ أَنْ تَشُبَّ مِنْ تَشْبِيبِهِ نارُ الهَوَى، أَلاَ تَرَاه يَنْفُخُ؟

ومن هذا ما حكاهُ النواجي في الحَلَبَةِ أن السلطانَ الأشرفَ كانَ لهُ مملوكٌ بديعُ الجمالِ فكَلِفَ بهِ رجلٌ فقيهٌ[2]، فصارَ يجلسُ في طريقِ الملكِ ليرى المملوكَ معَ السلطانِ، فانتبهَ لذلكَ الأميرُ، فمنعَ المملوكَ من الركوبِ معه،فمرضَ الفقيهُ بسببِ ذلكَ، فرثى لهُ الملكُ وبعثَ المملوكَ وحدَه لزيارتِه، فجلسَ عندَ رأسِ الفقيهِ، وجعَلَ يروِّحُ عليه بمروحةٍ، فرفعَ إليهِ الفقيهُ طرْفَهُ وأنشدَ:

رَوَّحَنِي عَائِدٌ فَقُلْتُ لَهُ أَلاَ تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ؟
أَمَا تَرَى النَّارَ كُلَّمَا خَمَدَتْ عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيَاحِ تَتَّقِدُ

ومنها الفاء الفصيحةُ، وهي التي يكونُ العطفُ معها على مُقدَّرٍ. قال في المفتاح: وهي في القرآن كثيرةٌ من جملةِ فصاحتِهِ، ولهذا سُميتْ بالفاءِ الفصيحةِ. وهذا المعنى لا يُناسبُ هنا أيضاً.

وهو: مُبتدأ، والظرفُ المُستَقرُّ[3]: خبرُه، ومعادُه القلبُ لا الظبيُ. **والواوُ** في قولهِ: **وَحَرٌّ**، للعطفِ. وقد أكثروا[4] في تشبيه الواوِ ولاسيَما واوُ عمْرٍو، قالَ أبو نواسٍ في أشجعَ السُّلَميِّ:

---

[1] ـ البيتان في الغيث المسجم 171/1، وحلبة الكميت 197.

[2] ـ نقل هذه القصة محمد بن الطيب العلمي في الأنيس المطرب 236-237 مما حدثه به محمد بن سليمان أثناء رحلته إلى الشمال.

[3] ـ نرى أنه يعني أن الخبر مُقدرٌ بِـ (مُستقر)، أي: فهو مستقر في حر.

[4] ـ في (ب): أكثر.

قُـــلْ لِمَــنْ يَدَّعِـــي سُلَيْمَـــاً[1] سَفَاهـــاً لَسْـــتَ مِنْهَـــا وَلاَ قُـــلاَمَةَ ظُـفْـــرِ
إِنَّمَا أَنْـــتَ فِـــي سُلَيْـــمٍ كَـــوَاوٍ أُلْحِقَتْ فـي الهِجَـاءِ ظُلْمـاً بِعَمْـــرو

حُكِيَ أنَّ بعضَهم رأى في مَنامِه أنه كَتَبَ على[2] أظفرِه واوا، فقصَّها لعابرٍ، فقال له: أنـتَ دعيٌّ في نسبِكَ. واستشهدَ بالبيتينِ. وقالَ أبو سعيدٍ الرُّسْتُمي[3]:

أَفِـي الحَـقِّ أَنْ يُعْطَـى ثلاثـونَ شاعِـراً وَيُحْرَمَ مَـا دُونَ الرِّضَـى شَـاعِرٌ مِثْلِـــي!
كَمَا سَامَحُـوا عَمْراً بِـوَاوٍ مَزِيـــدةٍ وَضُويِقَ "بِسْمِ اللَّـهِ" في أَلِـفِ الوَصْـــلِ

ومِثْلَ: منصوبٌ على المفعوليةِ المطلقةِ من مقدرٍ، أيْ يلعبُ لعباً مثلَ لَعِبِ الخ..

أوْ على الحال، وما: زائدةٌ للتَّأكيدِ. ولعبَ: فعلٌ ماضٍ. **وريحُ الصَّبا**: فاعلُه، وريحٌ: مضافٌ، والصَّبا مضافٌ إليه، والإضافةُ على معنى اللامِ.

وعلى ذكرِ الإضافةِ فما أحلى قولَ ابنِ نباتة[4]:

يَـــا مَلِكـــاً يَجْبُـــرُ قُصَّـــادَهُ جَبْراً، لَـهُ اللَّـهُ مُكَـافٍ عَلَيْـــهِ
شُـكْراً لَهـا فِـي الجُـودِ مَخْفِيَـــةً يَبْسُـطُ ضَيْـفُ البَـابِ فِيهـا يَدَيْـهِ
إِذَا أَتَتْـــهُ وَهْـــوَ فِـي صَحْبِـــهِ صَارَ مُضَافاً وَمُضَافـاً إِلَيْـــهِ

وقولَ ابنِ سَناءِ المُلْكِ[5]:

---

[1] ـ في (ب): سليمى، والتصويب عن ديوان أبي نواس 335.
[2] ـ في(ب): عن، والمثبت من(ج) والغيث المسجم 641/1 وهو الصواب.
[3] ـ ورد البيتان مع بعض الخلاف في الغيث 41/1.
[4] ـ الأبيات في ديوان ابن نباتة 575، والغيث المسجم 1/ 165.
وفي(ج): مالكا. وفي (ب):ضيف اليد فيها لديه، والتصويب عن الديوان والغيث.
[5] ـ ديوان ابن سناء الملك 613، والغيث 165. وفي (ب): يحفظهم، والتصويب عن الديوان والغيث.

تَـجِيءُ المُـلُـوكُ لأبْـوَابِـهِ فَيَغْمُرُهُـمْ بِـرُّهُ الشَّـامِـلُ
وَيَخْفِضُهُـمْ أنَّهُـمْ كَـالمُضَـافِ وَيَرْفَـعُـهُ أنَّـهُ الفَـاعِـلُ

وقولَ محاسنِ الشَّوَّاءِ[1]:

وكُنَّـا خَمْـسَ عَشْـرَةَ فـي الْتِئَـامٍ عَلـى رَغْـمِ الحَسُـودِ بِغَـيْرِ آفَـهْ
فَقَـدْ أَصْبَحْـتُ تَنْوِينـاً وَأَضْحَـى حَبِيبِي لاَ تُفَـارِقُـهُ الإِضَـافَـهْ

---

[1] - يوسف بن إسماعيل، أبو المحاسن، شهاب الدين المعروف بالشواء. شاعر أديب، كان صديقاً لابن خلكان. ولد بحلب ومات بها سنة 635هـ/1237م. (الوفيات 2/411).

-3-

يَــا بُــدُوراً أَفَلَــتْ [1] يَــوْمَ النَّــوَى غُــرَراً تَسْــلُكُ فِــي نَهْــجِ الغَــرَرْ

اللغــة

البُدور: الأهلةُ، واحدُها بدْرٌ، وهو الكوكبُ المعروفُ. والشُّعراءُ تارةً يعبِّرونَ بالبَدرِ وتارةً بالقمرِ، وتارةً بالهلالِ، وهي كلُّها ألفاظٌ متباينةٌ. قال ابنُ عادِلٍ في تفسيرِه: اختلفَ اللُّغويونَ مَتى يُسمَّى الشهرُ هلالاً، فقال الجُمهورُ: لِلَيْلتين، وقيلَ لثلاثٍ، ثم يكون قمراً. وقالَ أبو الهيثم: يُقالُ له هلالٌ لليلتينِ من أولِ الشهرِ، ولليلتينِ[2] [من] آخرِه، و[مـ]ـا بينهُما قَمرٌ. قال الأصمَعي: هلالٌ إلى أن يُحجِّرَ، وتَحجيرُه، أن يستديرَ لهُ كالخيطِ الرقيقِ، فيقال لهُ: بدرٌ من الثانيةَ عشرَه إلى الرابعةَ عشرَه. وقيلَ يُسمَّى هلالاً إلى أن يَشْهَرَ ضوءُه سوادَ الليلِ، وذلكَ إنما يكونُ في سبعِ ليالٍ، انتهى. وفي القاموسِ: الهلالُ: "غُرَّةُ القمرِ، أو لليلتينِ أو إلى ثلاثٍ أو إلى سبعٍ، ولليلتيْنِ من آخرِ الشهرِ، ستٍ وعشرينَ، وسبعٍ وعشرينَ، وفي غيرِ ذلك قمر"[3]، "والقمرُ، يكونُ في الليلةِ الثالثةِ"[4]، "والبدرُ، القمرُ الممتلئُ"[5]، انتهى. وبهذا تعلمُ أنَّ ما اعترضَ به الحافظُ بنُ حجرِ الهَيثَمِي على صاحبِ الهَمزيةِ، حينَ ذكرَ أنَّ البدرَ انشقَّ لهُ، عليه السلامُ، بأنهُ يحتاجُ إلى نصٍّ أنهُ كانَ في اللَّيالي البيضِ، فإنهُ فيها البدرُ، اعتراضٌ ببعضِ الأقوالِ، وليسَ بلائقٍ.

---

[1] ـ في ديوان ابن سهل 283: أطلعت.

[2] ـ نهايةُ ما أخذ عن (ب)، بسببِ سقوطِ ورقةٍ كاملةٍ من الأصل.

[3] ـ القاموس المحيط (هلل).

[4] ـ المصدر السابق (قمر).

[5] ـ المصدر السابق (بدر).

الذي تلقيناهُ من الأشياخِ، أنَّ البدرَ نورُه مستَمَدٌّ من نـورِ الشـمسِ، دونَ النجـومِ، كمـا هـو مصرَّحٌ به، قال البيضاوي في الطوالعِ، في بابِ معرفةِ الجوهرِ والجسمِ، وقسَّمَ الجَوهَرَ إلـى أنواعٍ، منها الكواكبُ، وقال: هي بسيطةٌ غيرُ مركبةٍ، مَركوزةٌ في الأفلاكِ، مُضيئةٌ إلا القمرُ فإن ضوأهُ مُستفادٌ من الشمسِ، انتهى[1]. ويظهرُ من شـارحِ المُنفرجَـةِ لابنِ النَّحْوي[2]، حيثُ قال في قولِها:

وَظلامُ الليْـلِ لَـهُ سُـرُجٌ حَتَّى يَغْشاهُ أبُـو السُّـرُجِ

أنَّ ضياءَ النجومِ مَستفادٌ من صـورِ الشمسِ أيضـاً، ونصُّه: السُّرُجُ، هـي النجومُ، وأبـو السرجِ، هي الشمسُ، لأن أنوارَها مُستفادةٌ مـن الشمسِ، فيمـا ذُكرَ، انتهى. وعلـى ذكرِ أن الشمسَ تُمِدُّ القمرَ بالأضواءِ فما أحسنَ قولَ ابنِ التِّلمسـاني[3]:

أَشْـكُو إلـى اللَّـهِ صَاحِبـاً شَكِسـاً تُسْـعِفُهُ النَّفَـسُ[4]، وهْـوَ يَعْسِفُهَـا
فَنَحـنُ كَالشَّمْـسِ والهِـلالِ معـاً، تُكْسِبُـهُ النُّـورَ، وَهْـوَ يَكْسِفُهـا

---

[1] ـ طوالع الأنوار، (عن مطالع الأنظار 265).

[2] ـ المقصود هو كتاب الأضواء المُبهجة، في إبراز دقائق المُنفرجة، لزكرياء بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي، منه مخطوطة خ م 2984. وما نقله الإفراني موجودٌ في الورقة 2ظ منها.

وناظمِ المنفرجةِ التي مطلعها:

اِشتَـدِّي أزْمَـةُ تَنْفرِجـي

وهو يوسف بن محمد بن يوسف، أبو الفضل المعروفُ بابن النحوي، من قلعة بني حمَّاد، وأصله من تَوْزَر. دخل سلجماسةَ وفاساً، ثم عادَ إلى القلعةِ فماتَ بها سنة 513هـ. وهو فقيهٌ مجتهدٌ، وقفَ ضدَّ إحراقِ الإحياءِ للغزالي.(انظر جذوة الاقتباس 552/2-553 وشرف الطالب ضمن ألف سنة من الوفيات60).

[3] ـ في الغيث المسجم 149/2: "وقال ابن التلميذ:".

[4] ـ في الأصل و(ب): الشمس، والمثبت عن الغيث المسجم 149/2.

وقول البستي[1]:

لَـئِـنْ كَسَفُونَــا بِــلا عِلَّــةٍ، وَفَــازَتْ قِداحُهــمُ بِالظَّـفَــرْ
فَقَدْ يَكْسِفُ الـمَــرْءَ مَــنْ دُونَــهُ كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْــسَ ضَـوْءُ القَمَــرْ

وقولُه: **أفَلَتْ**: غَرَبَتْ، يُقال: أَفَلَ، كَضَرَبَ ونَصَرَ وعَلِمَ، أُفُولاً: غَابَ.

[و**اليَوْمُ**، معـ]روفٌ. ويطلقُ بإزاءِ أربعةِ معانٍ ذكَرَها ابنُ هشامٍ في شرح الكَعْبِيَّةِ[2].

و**النَّـوى**: البُعدُ والفراقُ، والتحوُّلُ من مكانٍ لآخرَ، وهي مقصورةٌ، وتُمدُّ للضرورةِ، وما أحسنَ قولَ بعضِهم مُوَرِّياً[3]:

مَـا لِلنَّـوَى مُـدَّتْ بِغَيْـرِ ضَـرُورَةٍ مِـنْ قَبْـلُ مَعْرِفَـتِي بِهـا مَقْصُـورَهْ!
إِنَّ الـخَلِيـلَ وَإِنْ دَعَتْـهُ ضَـرُورَةٌ لَمْ يَرْضَ ذَاكَ، فَكَيْـفَ دُونَ ضَـرُورهْ

وقد أكثرَ الشعراءُ من استعمالِهِ في قصائدِهم، فذُكِرَ أنَّ الأصْمَعي قالَ لمَنْ أنشده:

فَمَا لِلنَّوَى، جَدَّ النَّوَى، قَطَـعَ الـنَّـوى كَـذَاكَ النَّـوَى قَطَّاعَـةٌ لِـوِصَـالِ:

لو سلَّط اللهُ على هذا البيتِ شاةً، لأكلتْ هذا النوى كلَّه"[4].

---

[1] ـ الغيث المسجم 2/ 148.

[2] ـ يقصد قصيدة كعب بن زهير المشهورة ببانت سُعاد. شرَحها جمالُ الدينِ عبدُ اللهِ بن هشام الأنصاري، وهذا الشرح مطبوعٌ بمصر سنة 1321هـ، وبهامشه حاشية الأسعاد على بانت سُعاد لإبراهيم الباجوري. والشاهدُ في الصفحة 9 من شرح ابن هشام.

[3] ـ البيتان مما يُنسبُ لأبي عبد الله محمد بن هاني اللخمي السَّبتي في نفح الطيب 6/ 247.

[4] ـ الغيث المسجم 113/1.

وغُرَراً: جمع غُرةٍ، من "غرَّ وجهُه يغرُّ، بالفتحِ، غرَراً مُحركَةً، وغُرَّةً بالضَّمِّ، وغرارةً بالفتحِ، صارَ ذا غُرَّةٍ"[1]. والغُرة: بياضٌ في الجبهةِ، واستُعيرَ لكلِّ واضحٍ معروفٍ. والغَريرُ: الحسنُ الخَلْقِ"[2].

وتَسلُكُ: من سلكَ المكانَ يسلُكه وفيه،وسلَكَه غيرَه وفيهِ،وأسلكَهُ:مرَّ فيه[3]، وقَطَعَهُ.

"**والنهجُ**: الطريقُ الواضحُ كالمنهجِ والمِنهاجِ[4]. ولابنِ الشاطِ مَجنِّساً بهِ[5]:

إنِّي سَلَكْتُ مِنِ انْقِبَاضِي مَسْلَكاً، وَجَرَيْتُ مِنْ صَمْتِي عَلَى مِنْهَاجِ
وَتَرَكْتُ أَقْوَالَ البَرِيَّةِ جَانِباً كَيْ لاَ أُمَيِّزَ مَادِحاً مِنْ هَاجِي

والغرَرُ: قالَ في القاموسِ: "غررَّ بنفسِهِ تَغْريراً، وتَغِرَّةً: عرَّضَهَا للهلكَةِ، والإسمُ الغَرَرُ"[6].

المعنى

كان في البيتين قبلَه في مقامِ الغَيبةِ، فتضاعفَ وجدُه إلى إن استغرقَ في أوصافِ جمالِ محبوبِه، وفنِيَ في مُشاهدَةِ حُسنِهِ، فصارَ حاضراً لديهِ، مخاطباً له، فهو يُحاورُه، ويطارحُه بما قاساهُ من هواهُ، ويقولُ: يا أيُّها القمرُ، الذي كان طالعاً في فلكِ القربِ، حاضراً في سماءِ

---

[1] ـ القاموس المحيط (غرر).

[2] ـ في المصدر السابق: "الغريرُ كأميرٍ: الخلق الحسن"، وما في المسلك أنسب في تقديرنا.

[3] ـ عبارة القاموس المحيط(سلك): "سَلَكَ المكانَ سَلْكاً وسُلوكاً، وسَلَكَهُ غيرُه وفيه وأسلكَه إياهُ وفيه وعليه، ويَدَه في الجيبِ، وأسلكها: أدخَلَها فيهِ".

[4] ـ القاموس المحيط (نهج).

[5] ـ قال في رفع الحجب 14/1: "وقد أنشدني شيخنا الإمامُ الأوحدُ أبو القاسمِ ابنُ الشاطِ".

[6] ـ القاموس المحيط (غرر).

القلبِ، أنظرُ إليهِ ثمَّ غابَ عنِّي، وتَحجَّبَ بالبُعدِ والفراقِ، فسلكَ لهجرانِه سبيلاً [عرَّضَ] فيها عاشقيهِ للتَّهْلُكةِ، إذْ بغيْبَةِ سوادِه عن سوادِهم، تَغيبُ أرواحُهم عن أجسادِهم، فتهلكُ نفوسُهم، ويقوى بُوسُهم، ويَعيلُ صبرُهم، فإنَّ الفراقَ، عذابٌ لا يُطاق، كما قيلَ[1]:

لَـوْ أنَّ مَلْكـاً عَـالِمٌ بِجَـوَى الهَـوَى ... وَمَحَلِّـهِ مِـنْ أَضْلُـعِ العُشَّـاقِ
مَـا عَذَّبَ الكُفَّـارَ إلاَّ بِالـهَـوَى ... وَإذَا اسْتَغَـاثُـوا أغاثَهُـمْ بِفِـرَاقِ

وقد أكثروا في الشكاية من النَّوى، ولولا خوفُ السآمةِ لَجَلَبْنا من ذلك[2]، وما أحلَى قولَ ابن حوبان[3]:

مِـتُّ فِـي عِشْـقٍ، وَمَعْشُوقِـي أَنَـا، ... فَفُـؤَادِي مِـنْ فِرَاقِـي فِـي عَنَـا
غِبـْتُ عَنِّـي، فَمَتَـى أَجْمَعُنِـي؟ ... أَنَـا مِـنْ وَجْـدِيَ مِنِّـي فِـي فَنَـا
أَيُّهـا السَّامِـعُ، تَـدْرِي مَـا الـذِي ... قُلْـتُ؟ وَاللَّـهِ، وَلاَ أَدْرِي أَنَـا

وقول أبي الطيب[4]:

---

[1] ـ البيتان في تزيين الأسواق 487.
وفي الأصل و(ب): عالما، والمثبت عن (ج)، وفيه: لو أن مالكاعالم..
وعلّق في الحاشية بقوله: "لو قال:
لو أن سلطانـا درى بجـوى الهـوى الخ..
كان أسلس وأوزن". وفي تزيين الأسواق 487:
لـو كـان مـالك عالمـا بـدوي الهـوى
وفي البيتين إشارة إلى العِبارة القرآنية: "وَإنْ يَسْتَغيثوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالمُهْلِ يَشْوي الوُجوهَ".(الكهف 29/18).
[2] ـ في الحاشية: "خـ: لَلَمعنا ببعض ذلك".
[3] ـ في الغيث المسجم 106/1: "أمين الدين الجباني".
[4] ـ آخر أربعة أبيات ارتجلها في الفراق، في ديوانه 187.

مَـنْ خَـصَّ بالـذَّمِّ الفِـرَاقَ فَإنَّـنِـي   مَنْ لاَ يَرَى فِي الدَّهْـرِ شَيْئـاً يُحْمَـدُ

هذا مَا يلوحُ من المعنى على وُجوهِ تلك الألفاظِ، ويُحتَمـلُ أن يفسَّرَ "غُرراً تَسْلُكُ" إلخ.. بتفسيرٍ آخرَ، وهو أن تجعلَ غُرراً بدلاً من مدخولِ أداةِ النِّداءِ، والمرادُ: يا أيتهـا الغُررُ التـي تسلكُ بعشاقِها طريقَ التَّهلكةِ، لكلفِهم بطرازِ جمالِها المُعلمِ، فمنْ عاينَ رونقَها منهـم علِقَ بهـا مُعتقداً سهولةَ وصلِها، والظفرِ بها، وأنَّ عنوانَ جمالِها دليلٌ على جميلِ فِعلِها. ومـا دَرَى أنَّ الصابَ في العَسلِ، والسمَّ ناقعٌ في سنانِ الأسلِ. فهي غارَّةٌ من هذِه الجِهةِ.

المعانـــي

نكتةُ ندائِه الحرصُ على إقبالِ المُخاطبِ، وإحضارِه [ذهـ]نَه، لفهمِ مـا يُلقى عليـهِ، كأنَّـهُ أمرٌ بعيدٌ، كقوله تعالى: "يا مُوسَى أَقْبِلْ"[1]. فإن قُلتَ: كيفَ أتى بـ "يـا" التـي للبعيدِ والمُخـاطبُ حالٌّ في سويداءِ فُؤادِه؟ قلـتُ: التنبيـهُ علـى عِظـمِ الأمـرِ، وعُلوِ شـأنِه، وأنَّ المُخـاطبَ [2] مـع تهالُكِه على الامتثالِ، كأنَّهُ غافلٌ عنـهُ بعيد، كـ "يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ"[3]، ولِمـا تَقَـ[ـدَّمَ] أيضـاً. وعبَّرَ بصيغةِ الجمعِ للتعظيمِ، فهو من بـابِ " قـالَ: رَبِّ ارْجِعـونِ"[4]، علـى أحـدِ الوجهيـنِ. وقـالَ المُفسرونَ في آيـة "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ"[5]: إنَّهُ جُمعَ باعتبارِ اختلافِ أزمانِه.

وأول (النوى) عِوَضٌ عن كِنايةٍ، أي نَواهَا. وهذا كلُّه يُفيدُ، مع جعلِ اليومِ بمعنى الوقـتِ. أنَّ رحيلَهـا علـةٌ فـي غَيبتهـا[6]. وأبدلَ علـى الاحتمـالِ الثـاني، ليزيـادةِ التقريـرِ، لمـا فيـهِ مـن

---

[1] ـ صلة الآية: "يَا مُوسَى أَقْبِلْ ولاَ تَخَفْ إنَّكَ منَ الآمِنِينَ". (سورة القصص 31/18).

[2] ـ في الأصل و(ب): المخا، وسقطت عبارةُ: "وأنَّ الجامعَ تهالكُه على الامتثال" من (ج).

[3] ـ سورة المائدة 67/5.

[4] ـ سورة المؤمنون 99/23.

[5] ـ سورة البقرة 189/2.

[6] ـ عبارةُ: "أن رحيلها علة في غيبتها"، ساقطة من (ج).

التَّكرير. فإنْ قلتَ: في جانبِ الغُرَرِ، عبَّر بالمضارعِ وصفاً، وفي البُدورِ عبَّر بالماضي، فقالَ: أَفَلَتْ، فما سرُّه؟ قلتُ: قصدَ الاستمرارَ في الثاني مبالغةً، والموضوعُ يُقصدُ به ذلك كثيراً عكْسَ الأولِ. والإضافةُ في "تَهْجِ الغَرَرِ" من إضافةِ الأعمِّ للأخَصِّ.

البيـــان

فيه الاستعارةُ، حيثُ أطلق لفظَ البدرِ، وأرادَ به محبوبَه. والأُفُولُ مما يُلائمُ المستعارَ منه، فهيَ تصرْيحيَّةٌ، ومُلائمُها ترشيحُها. وشاعَ عندَهم تشبيهُ المحبوبِ بالبدرِ. وأفسدَ عليهم هذا التشبيهَ القائلُ:

قَدْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ، واسْتَعْبَرْتُ حِينَ بَدَا: يا بَدْرُ، ما فِيكَ لي مِنْ وَجْهِها خَلَفُ
تَبْدُو لَنَا كُلَّمَا شِئْنَا مَحَاسِنُهَا، وَأَنْتَ تَنْقُصُ أحْيَاناً وتَنْكَسِفُ

وقال آخرُ:

حَسِبْتُ جَمَالَهُ بَدْراً مُنيراً وَأَيْنَ البَدْرُ مِنْ ذَاكَ الجَمَالِ

ومِنْ هذا قولُ الحِلي في مطلعِ قصيدته النبويةِ[1]:

كَفَى البَدْرَ حُسْناً أنْ يُقَالَ: نَظِيرُهَا، فَيُزْهَى، ولَكِنَّا بِذَاكَ نَضِيرُهَا

وهي قصيدةٌ بديعةٌ، قرأتُ في بعضِ الدفاترِ بالسَّندِ المُتصلِ إلى ناظمِها، أنه لما أنشدَها عندَ قبرِ رسولِ الله، صلى الله عليه، كُشفَ عن بصرِه، فرأى الملائكةَ يطوفونَ بالحُجرةِ النبويةِ، فقال في ذلك:

[1] ـ انظرها في ديوان الحلي ص 73 وما بعدها.

وأحْسَنُ شَــيءٍ أنَّنِـي قَــدْ جَلَوتُـهـــا   وأمْلاكُ آفــاقِ السَّمـــاءِ حُضورُهـــا

فلمَّا وَصلَ قوله:

وَقَابِلْ ثَنَاهــا بِالقَبُـــولِ، فَــإنَّـهـــا   عَرَائِـسُ فِكْـرٍ،[وَ] القَبُـولُ مُهورُهـــا

سَمِعَ [من] الحُجرةِ: قبلناها، ثلاثاً[1].

وجعلَ للغُرِر طريقاً مَجازاً. وكذلكَ أسندَ السُّ[لوكَ] للغُرَرِ.

البديـــع

فيه الجناسُ بين الغَرِرِ وغُرِرٍ. وقُدامةُ يُسمِّي مثلَ هذا بالطِّباقِ. قال أبو الفـرج القُرشـي[2]: قلتُ لعَلي بن سُليمانَ، الأخفشِ الصغيرِ، وكانَ أعلَمَ من رأينـاهُ بالشـعرِ: إنَّ طائفـةً يزعمـونَ أن قولَ زيادٍ الأعجمِ:

يَـا لَيْتَهُـــمْ يَسْتَبْصِــــرُونَ بِكَاهِـــلٍ   فَاللُّـــؤْمُ فيهِـــمْ كَاهِــلٌ وَسَنـــامُ

---

[1] ـ وردت هذه القصة وما يتعلق بها من شعر في آخر الجزء الأول من أنوار التجلي 259/2، مع زيـادة: "والحلي المذكور هو ناظم هذه القصيدة المكتوبة هذه الحكاية في آخر ورقة من الجـزء الأول مـن شـرحها لسيدي عبيد، رحم الله جميعهم ونفعنا بهم.."

ولعل هذه المقدمة بما فيها هذا التعليق من تدبيج الناسخ.

[2] ـ نسب هذا الخبر في الشريشي الكبير 321/1 لـ "علـي بـن الحسـين"، فيكـون المقصـود هـو: علـي بـن الحسين بن محمد بن أحمد بـن الهيثـم المروانـي الأمـوي القرشـي أبـو الفـرج الأصبهـاني، صـاحبِ كتـاب الأغاني، المتوفى سنة 356هـ.

[طباقٌ][1]، فكاهلٌ قبيلةٌ وعُضوٌ، فقال: من قالَ هذا؟ قلتُ: قُدامةُ الكاتب[2]. فقال يا بُني، هذا تجنيسٌ، فمن ادَّعى أنه طباقٌ، فقد خالفَ الخليلَ والأصْمَعِي، فقلتُ: أوَ كانا يعرفانِ هذا؟ فقال: سبحانَ اللهِ! وهل غيرُهما في الشعرِ، وتمييزِ حَسَنِه من غيرِه، أعلمُ منهما! انتهى.

وفيهِ مُراعاةُ النظيرِ بينَ البُدورِ وقولِهِ: أفَلَتْ، وهو، كما قالَ الحلِي: جَمعُ الشيءِ إلى ما يناسبُه من أحدِ الوجوهِ، لا على وجهِ التَّضادِ، كقوله تعالى: "الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، والنَّجْمُ والشجَرُ يسْجُدانِ»[3]، فإنَّ النجمَ ما لا ساقَ له من النباتِ، والشجرُ ما لهُ. ومنه قولُ أحمد بن عبد المنَّانِ في شفاء عياضٍ[4]:

---

[1] - زيادة ضرورية. ولكي يتضح المعنى ننقل من الشريشي الكبير 321/1: طائفة "تزعم أن الطباق هو ذكرُ الشيء وضدّه، فيجمعها اللفظُ لا المعنى، وطائفة تقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد، مثل قول زياد الأعجم"، ووردت هذه القصة أيضا في أنوار التجلي 31/1.

[2] - انظر قوله في نقد الشعر 185-186 (ط 1963)، وفيه:

ونبئتهم يستنصرون..وللؤم..

[3] - سورة الرحمان 5/55-6.

[4] - وردَ له هذا البيت في أنوار التجلي 142/1، وابنُ عبد المنَّان هو: أحمدُ بنُ يحيى بن أحمد بن عبد المنان، أبوالعباس الخزرجي الأنصاري (....ـ792هـ)، من كُتاب السلطان أبي عنان المريني، وعدد من السلاطين بعده. قال في نثير الجمان 314: "رأيته وصحبته، ويعرف بابن عبد المنان، ومسقط رأسه مدينة مكناسة". وأثنى على شاعريته وطول باعِه في القريض، كما وصفه في نفح الطيب 117/7، بالشاعر المفلق.

والواقع أن القصائد الأربع التي أوردها له ابن الأحمر في نثير الجمان 317-353 كافيةٌ وحدها للدلالة على طولِ نفسِ هذا الشاعر.(مجموع أبياتها 337 بيتا: 102-87،56،92 بيتا)، قال الدكتور محمد رضوان الداية في مقصورةِ ابنِ عبد المنان التي وصف فيها قتل الأسد بينَ يدي السلطان أبي عنان ومطلعها:

أَلِفَ الجَوَى مُذْ بَانَ سُكانُ اللِّوَى صَبٌّ يَهيجُ غرامَهُ نَفَسُ الصَّبَا

"هذا وصفٌ طريفٌ، ما أظنه ورد فيما بين أيدينا من آثار أندلسية أو مغربية". (حاشية نثير فرائد الجمان 350). و(انظر ترجمته في نثير الجمان 314-353، ونثير فرائد الجمان 348-356، وجذوة الاقتباس 124/1، ودرة الحجال 1/ 53-54).

كلُّهُـمْ عَالَـــجَ السَّقَـــامَ، ولَكِـــنْ مَـا أَتَـــى بِالشِّفَـــاءِ إلاَّ عِيَـــاضُ

وقولُ ابنِ جُزِي:

خُـذْ مِـنْ[1] حَدِيـثِ تَوَلُّهِـي وتَولُّعِـي خَـبَراً صَحِيحـاً، لَيْـسَ بالمَوْضـوعِ
يَرْوِيـهِ خَدِّي مُسْنَـداً عَـنْ أَدْمُعِـي عَنْ مُقْلَتِـي عَنْ قَلْبِـيَ المَفْجُـوعِ

ومن مُراعاةِ النَّظيري قولُ بعضهم للوزيرِ المُهلبي: "أنتَ أيها الوزيرُ، إسماعيليُّ الوَعدِ، شُعيبيُّ التوفيقِ، يوسُفي العفوِ، محمدي الخُلُقِ. أشارَ في إسماعيلَ إلى قولِه: "وكَانَ صَادِقَ الوَعْدِ[2]". وشُعيبٍ لقوله: "وَمَا تَوْفِيقِيَ إلاَّ بِاللَّهِ"[3]، ويوسُفٍ: "لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ"[4] الآية، ومحمد: "إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"[5]"[6] وهذا من الإغراقِ والغُلو. وفيه الاشتقاقُ، وهو أن يُشتقَّ من علمٍ معنًى في ذمٍ أو مدحٍ، كقوله في رجلٍ اسمُه[ابنُ][7] خلدونٍ، يدَّعي الشعرَ:

يَـا شَـاعراً يَتَسامَـى وجَـدُّهُ خَلْـدونُ
لَـمْ يَكْـفِ أنَّـكَ خَـلٌّ حَتَّـى بِـأَنَّـكَ [دونُ]

---

[1] ـ في نفح الطيب 533/5: أو من، ولا يستقيم معه المعنى. وزاد قبلهما البيتين التاليين:

مِـنْ أيِّ أشجانـي التـي جَفَـتِ النَّـوى أشكو العَـذابَ وهُـنَّ فـي تنويـعِ:
مِنْ وَصْلِـي الموقـوفِ، أو مِـن هَجـريَ الـ مَوصـولِ، أو مِـن نومِـيَ المقطـوعِ

والغالب أن الإفراني اعتمد على أنوار التجلي 142/1.

[2] ـ سورة مريم 54/19.

[3] ـ سورة هود 88/11.

[4] ـ سورة يوسف 92/12.

[5] ـ سورة القلم 4/68.

[6] ـ نص كلام أنوار التجلي 141/1.

[7] ـ زيادة من أنوار التجلي 244/1 يؤيدها قوله في البيت بعده: وجده خلدون.

وقولُ الآخرِ:

إلى مَنْ مِنَ النَّاسِ أشْكُو الحَبِيبَا؟ سَبَانِي بِقَدٍّ يَقُدُّ القُلُوبَا
عَصَيْتُ العَوَاذِلَ فِي حُبِّهِ، فَخَالَفَنِي وَأَطَاعَ الرَّقِيبَا[1]
وَسَالِفَةٍ أَسْلَفَتْنِي الجَوَى، وَعَيْنٍ أعانَتْ عَلَيَّ الخُطُوبَا

والغرر في البيت، من الغرر[2].

وفيه الالتفاتُ، يقال لهُ الإعراضُ والانصرافُ، حيث خاطبَه بعدَ تحدُّثه عن غيبتِه، وهو التعبيرُ عن معنًى بطريق الغيبةِ أو التكلُّمِ أو الخطابِ، ثم يعبَّر عنهُ مرةً أخرى بواحدٍ من مقابلِه. قال الزمخشري: واستُحسنَ لما فيه من إنشاطِ السامعِ وإيقاظِه للإصغاءِ. وقال الصلاحُ الصفدي: أربابُ البلاغةِ يسمونَ الالتفاتَ شجاعةَ العربيةِ، وإنكارُ ابنِ الأثيرِ أن يكونَ منهُ الرجوعُ للخطابِ عن الغَيبةِ والعكسُ مردودٌ، وأمثلتُه شهيرةٌ، ولذا تركناها.

الإعراب

يا: حرفُ نداءٍ.

وبدوراً: منادًى منصوبٌ لأنه نكرةٌ غيرُ مقصودةٍ.

وجملةُ: **أفلتْ**، في محلِّ نصبٍ نعت للمنادى.

والظرفُ، متعلق بأفَلَتْ وهو ظرف لغوٍ.

والنَّوى: مضافٌ للظرفِ.

[1] ـ تأخر هذا البيت عن الذي بعده في (ج)، وأنوار التجلي 245، وهو حسن.

[2] ـ هذه العبارة جاءت في غير موضعها، فقد سبق أن شرح كلمة الغرر.

وقوله: **غرراً**، على المعنى الأول، فهو منصوبٌ على الحال، وعلى الثاني فهو بدلٌ.

وجملةُ [**تَسلُكُ**]: نعتٌ له.

وفي نهجِ الغَرر: خافِضٌ ومَخْفوضٌ.

-4-

مَـا لِقَلْبِـي فـي الهَــوَى ذَنْــبٌ سِــوَى   مِنْكُمُ الحُسْـنُ ومِـنْ عَيْنِــي النَّظَــــرْ[1]

اللغـــة

القلبُ: تقدَّمَ، وفي بعضِ النسخِ: "مَا لِنَفْسِي وَحْدَها"، والنَّفسُ: الروحُ.

والهَوَى: العِشْقُ، يكونُ في الخيرِ والشرِّ، قالهُ في القاموس[2].قلتُ: ما نكرَه من مُرادفَةِ الهَوى للعِشْقِ، صرَّح الصَّفدي بأنه التحقيقُ، وإنَّ الصوابَ أنه أعمُّ من الهوى وسائرِ ما تسمعُه. وقال صاحبُ الريحانِ والريْعانِ: الحبُّ أولُه الهوَى، ثم العلاقةُ، ثم الكَلَفُ، ثم الوجدُ، ثم العشقُ، وهو مقرونٌ بالشهوةِ، والحبُّ والمِقةُ في الله تعالى[3]، ثم الشَّغَفُ، ثم التَّتَيُّمُ، ثم التَّبَلُ، والهُيامُ، وهو شبيهُ الجُنون[4]. والعشقُ عند الأطباءِ من أنواعِ المالِخونيا، والمرادُ بها تغييرُ الظُّنونِ والفكرِ عنِ المجْرى الطبيعي إلى الفَسادِ[5]. ورسموا العشقَ بأنهُ مرضٌ وَسْواسي جَلَبَه المرءُ إلى نفسِه، بتسليطِ فكرتهِ على استحسانِ بعضِ الصورِ والشمائلِ[6]. وقال أرسطو: هو عَمايَةُ العاشقِ عن عُيوبِ المَحبوبِ[7].

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 283.

[2] ـ القاموس المحيط (هوى).

[3] ـ زاد في ريحان الألباب: قال تعالى: "بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ".

[4] ـ نهاية كلام ريحان الألباب 34 باختصار.

[5] ـ ديوان الصبابة 19 بقليل من التصرف.

[6] ـ المصدر نفسه 12.

[7] ـ المصدر نفسه 12.

واعلَمْ أنَّ قولَ الأطباءِ: جلبه المرءُ إلى نفسِه، ليسَ بصحيحٍ، لأنَّ الغالبَ في العشاقِ، أنهم اضْطرُّوا إلى مَحبَّةِ من يَهووْنَه، ولهذا قال الفُضيلُ بنُ عياضٍ: "لو رزقني اللهُ دعوةً مُجابةً لَدَعوتُ بها أن يغفرَ للعشاقِ، لأن حركتَهم اضْطراريةٌ، لا اختياريةٌ"[1]، كذا قال الصفدي، والصوابُ أنَّ العشقَ في أول أمرهِ اختياريٌّ، ثم يصيرُ اضطرارياً، وعليهِ قولُ العباسِ بنِ الأحنفِ[2] :

الحـُبُّ أوّلَ مَـا يَكُـونُ لَحاجَـةً، تَأْتِـي بِـهِ وتَسُوقُـهُ الأقْـدَارُ
حَتَّى إذَا اقْتَحَمَ الفَتَـى لُجَجَ الـهَـوَى جَاءَتْ أُمُـورٌ لاَ تُطَـاقُ كِبَـارُ

آخرُ[3]:

الحُـبُّ أوّلَ مـا يَكُـونُ مَجانَـةٌ فَـإذَا تَحكَّـمَ صَـارَ شُغْـلاً شَاغِـلاً

قال ابنُ قيمِ الجوزيةِ: "فسَّرَ كثيرٌ من السّلفِ قوله تعالى :"وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ"[4] بالعِشْقِ"[5]. وهذا بحرٌ لا ساحلَ لهُ. وللناسِ في تعريفِ العشقِ [خـ]ـبْطٌ كبيرٌ، وما أحقَّ أن يقالَ لهم:

لَمْ تَعْـرفِ العِشْـقَ إذْ وَصَفْتَـهُ

والذَّنْبُ: الإثمُ.

---

[1] ـ المصدر نفسه 33.
[2] ـ البيتان 11، 12 من قصيدة في ديوان العباس بن الأحنف 139، ونسبهما في روضة المحبينَ 134، ضمن قصة، لجارية مدنية سلاها عشيقها.
[3] ـ ورد هذا البيت في ديوان الصبابة 36.
[4] ـ سورة البقرة 286/2.
[5] ـ ديوان الصبابة 34.

"**والحُسْنُ**: الجمالُ، جمعهُ، محاسنُ على غيرِ قياسٍ"[1]، قلت: صريحُ كلامِهِ في القاموسِ، أن الجمالَ والحسنَ مُترادفانِ، لأنه قالَ في الحسنِ، ما سلف، وفي "الجمالِ: الحسنُ في الخُلقِ والخَلق"[2]. والذي قيدتُه عن بعضِ مشايخي أن الحُسنَ في الذاتِ، والجمالُ في الشَّمائلِ والأخلاقِ، واللهُ أعلمُ.

والعَيْنُ: الجارحةُ، مشتركةٌ بينَ معانٍ. وما أحسنَ قولَ الأديبِ أبي الأسرارِ البوعصامي:

دَمْعِي بَلاَ عَيْنِ جَرَى بِلاَ عَيْنِ
وأنا بِلاَ مَيْنِ عَلِي[3] بِلاَ مَيْنِ

والنَّظرُ: الفكرُ في الشيءِ نقدّرُه.

ورأيتُ في "ألفِ باء" للشيخِ أبي الحجَّاجِ البَلوي:

يَا رَبِّ حُلْ بَيْنِي وبَيْنَ ذَا البَيْنِ
أجْرَى مِنَ العَيْنِ دَمْعاً بِلا عَيْنِ
فَاسْمِي بِلاَ مَيْنِ عَلِي بِلاَ مَيْنِ

أرادَ، عليلٌ، ومعنى بلامين، بلا شكَّ، انتهى.

---

[1] ـ القاموس المحيط (حسن).

[2] ـ المصدر السابق "جمل".

[3] ـ في الأصل: عليل، وهو خطأ، والصواب (علي) الذي سيتحول بإضافةِ لامٍ ثانيةٍ إلى "عليلٍ"، وهذا ما يهدف إليه الشاعر، كما هو الشأنُ في الأبياتِ بعدهُ، وتعليقِ الإفراني عليها.

هذا الكلامُ المذكورُ، هو المُلقى للبدورِ، فيقولُ: بأيِّ شيءٍ استحقَّ قلبي هذا العذابَ الأليمَ، الذي هو فيهِ مُقيمٌ؟ والعذابُ إنما يليقُ بمنْ صَدرتْ منه جنايةٌ، فيزجرُ عليها عُقوبةً له على اجترامِها، وقلبي الذي عذَّبتموهُ لم يقترفْ سيئةً توجبُ أن يُصلى النارَ الموصدَةَ[1] التي تطَّلعُ على الأفئدةِ، ولا تسبَّبَ فيها، وإنما أوقعهُ فيما وقعَ فيه عينٌ عاينتْ بديعَ جمالِكم، وشاهدتْ رفيعَ صفاتكم، فالمشاهَدُ أنتُم نَصبتموه حِبالةً، والمشاهِدُ وقعَ فيها من غيرِ مُشاورةِ قلبٍ، أو صدورٍ عن إذنٍ، فالقلبُ بريءٌ، ولا مدخلَ له في هذه القضيةِ ولا عَمَلَ، ولا ناقةَ له فيها ولا جملَ، فبمَ عوقبَ؟ وعلامَ عُذِّبَ؟ والغرضُ من هذا الاستدلالِ إقامةُ الحجةِ عليهم في أن فِعلهم وقع في غيرِ محلهِ، وأنهُ إنْ جنتْ عينهُ لا يؤاخذُ قلبُه بجريمتِها. وما أحسنَ قولَ ابنِ شرفٍ القيرواني:

غَيْـرِي جَنَـى، وَأَنَـا المُعَاقَـبُ فِيكُـم، فَكَأَنَّنِـي سَبَّابَـةُ المُتَنَـدِّمِ

أخذهُ من قولِ أبي الطيبِ[2]:

وَجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُفَهَـاءُ قَـوْمٍ فَحلَّ بِغَيْـرِ مُجْرِمِـهِ العَـذَابُ

قلتُ: كأنَّ أبا الطيبِ اقتبسَ من مِشكاةِ قولِ اللهِ تعالى: "أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا"[3]. ويتصلُ ببيتِ ابنِ شرفٍ ما حُكي أنهُ لما أنشدَه لابنِ رشيقٍ[4] قال له: هَلْ سَمِعتَ بهذا

---

[1] ـ هكذا في الأصل، ولعل الصواب: الموقدة، كما في سورة الهمزة 104/6-8 : "نارُ اللهِ الموقدةُ، التي تَطَّلعُ على الأفئِدَةِ، إنها عليْهم مُوصدَةٌ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ".

[2] ـ البيت 26 من قصيدة في ديوان المتنبي 372.

[3] ـ سورة الأعراف 155/7.

[4] ـ في الأصل: ابن رشيد، وليس مقبولاً زمانيا ولا مكانيا(ابن رشيد السبتي توفي سنة 721، وابن شرف القيرواني توفي سنة 463). ورجَّحنا ابن رشيقٍ لما كان بينه وبين ابن شرفٍ من مهاجاة وعداوة، وقد

المعنى؟ فقال: نعمْ سمعتُه، وأخذتَه أنتَ وأفسدتَه، أما الأخذُ، فمِن النابغةِ الذبياني حيث قالَ[1]:

وكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ، وتَركْتَهُ ... كَذِي العُرِّ، يُكْوَى غَيْرُه وهْوَ رَاتِعُ

وأما الإفسادُ، فلأنَّ سبابةَ المتندمِ أولُ شيءٍ يتألَّمُ منه، فلا يكونُ المعاقَبُ غيرَ الجاني، وهذا بخلافِ بيتِ النابغةِ، فإن المكويَ من الإبلِ يتألَّمُ، وصاحبُ العُرِّ لا يَتألَّمُ جملةً، انتهى.

ومعنى البيت [قريبٌ من] مَثَلِ العامَّةِ "الوَجَعُ في الرَّأسِ، والكيّ في العَرْقُوب". ويُضاهيهِ قول القا[ضي] شريحٍ:

عَجِبْتُ لأيَّامِ الخَمِيسِ وَجُورِهَا، ... وَمِنْ ضَحْكَةٍ فِيهَا تُسَدُّ المَسَامِعُ
إذَا أَذْنَبَتْ أَيْدٍ تُعَاقَبُ أَرْجُلٌ، ... كَذِي العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَائِعُ

وسببُ قولِ القاضي البيتينِ، أن ولدَهُ جاءَ من المكتبِ يومَ الخميسِ مضروبَ الرجلينِ، فقال لهُ أبوهُ: ما السببُ؟ فقال لهُ: تَخَاطَطْتُ مع تِرْبٍ لي، فغلبني في الخَطِّ، فضربني المعلمُ على رجلي، انتهى. فتحصَّل أن القلبَ بريءٌ من هذه الجنايةِ، وأن العينَ هي صاحبتُها، والحَقِيقةُ بالمُعاقبةِ، وأنه لولاها ما عَرفَ القلبُ للصبابةِ مذاقاً، ولا تَجرَّعَ منها كأساً دِهاقاً[2]. وأحسنَ الأرَّجاني إذْ قال[3]:

أعَيْنَيَّ كُفَّا عَنْ فُؤادِي، فَإنَّهُ ... مِنَ البَغْيِ سَعْيُ اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

= توفي ابن رشيق سنة 460هـ. (انظر المطرب 66-71 والمغرب 232/2 الحاشية، والزركلي. الأعلام 10/7 الحاشية 1).

[1] ـ في الحاشية: "ط بيتٌ من كلام النابغة"، والبيتُ في ديوان النابغة 81. والعُر: الجرب.

[2] ـ كأس دِهاق: ممتلئة، أو متتابعة، وفي سورة النبإ 78/34: "إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً، حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً، وكَوَاعِبَ أَتْراباً، وكأساً دِهاقاً".

[3] ـ البيت 12 من قصيدة طويلة في ديوان الأرجاني 86.

وقد جزمَ ابنُ سهلٍ بأنَّ الجريمةَ للعينِ، وبعضُهم حصلَ له الريبُ في ذلكَ، فقال:

إذا لُمْتُ عَينَيَّ اللَّتَيْنِ أضَرَّتَا بجِسْمِي وقَلْبِي، قالَتا لي: لُمِ القَلْبَا
وَإنْ لُمْتُ قَلْبِي، قالَ: عَيْناكَ جَرَّتَا إلَيَّ الرَّزَايَا، ثمَّ لِي تَجْعَلُ الذَّنْبَا

لطيفة

ما أقامَ به مَحَجَّةَ الحجةِ على براءةِ القلبِ، واختصاص العينِ بالذنبِ، وأنها التي تولتْ كِبْرَه، يُستروَحُ منه أن العقلَ مع الحواسِّ، كالأميرِ مع الجلوازينَ[1]، فمَن أدركَ منهم أمراً، قادَه للأميرِ من فورِه، فصارَ العقلُ لا يصلُه الشيءُ إلا بها، فهي الموصلةُ المُسببةُ في الإدراكِ، وهذا رَأيُ بعضِ الحُكماءِ. ومنهم من قالَ: إنه معها كالطاقاتِ الخمسِ لجالسٍ على سريرٍ، يُشرفُ من كلٍّ منها لِما يوصِلُ إليه. ذكرَ هذا الخلافَ الشّهابُ القرافي، فَلْيكُنْ على ذكرِكَ هنا، انتهى. وقد جعلَ ابنُ سهلٍ الهَوى ذنباً، وبعضُ المتلطفينَ يجعله عينَ الطاعةَ. وليسَ على بالي من هذا المعنى إلا قول الشاعرِ:

أَستَغْفِرُ اللَّهَ إلاَّ مِنْ مَحَبَّتِهِ، فإنَّها حَسَنَاتِي يَوْمَ أَلْقَاهُ
فَإنْ يَقُولُوا بِأنَّ الحُبَّ مَعْصِيَةٌ فَالحُبُّ أحْسَنُ ما يُعْصَى بِهِ اللَّهُ
قالُوا: أتَنْسَى الذي تَهْوَى؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ! مَالِكُ روحِي، كَيْفَ أنْسَاهُ!
وكَيْفَ أنْسَاهُ والأشْيَا بِهِ حَسُنَتْ؟ مِنَ العَجَائِبِ يَنْسَى العَبْدُ مَوْلاهُ!
مَا غابَ عَنِّي، ولَكِنْ لَسْتُ أُبْصِرُهُ إلاَّ وَقُلْتُ جِهَاراً: قُلْ هُوَ اللَّهُ

---

[1] ـ الجِلواز: الشرطي، جمعه جَلاوِزَةٌ. (القاموس المحيط: جلوز)، وقد جمعه على جِلْوازينَ كما ترى.

المعـــاني

نَكَّر الذنبَ، وأتى به بعد النفي، لإفادةِ انتفاءِ كل نوعٍ من أنواعِ الذنبِ. فإنَّ النكرةَ في سياقِ النفيِ تعُمُّ. وقدَّمَ المسنَدَ للتخْصيصِ. وعلى نسخةِ "مَا لِنَفْسي وَحْدَها"، يكونُ قصدَ الردَّ على مَنْ زعمَ أن قلبَه انفردَ بالذنبِ فأكدَ بوحدِه[1] لدفعِ شُبهةٍ خالجتْ قلبَ السامعِ، وهي اعتقادُه انفرادَ القلبِ، فيكونُ القصرُ لقلبِ الاعتقادِ. فإنْ قلتَ: هذا يقتضي ثبوتَ الذنبِ للنفس مع كذا، والمَنفي اختصاصُها به، وهو خلافُ ما سلفَ، قلتُ: ما ذكرتَه حقٌّ، وقد قال المَولى سعدُ الدينِ في حواشي الكشافِ، عن الشيخ: أن ما مِن كلامٍ فيه أمرٌ زائدٌ على مُجردِ إثباتِ الشيءِ للشيءِ، أو نفيِهِ عنه، إلاَّ وهو الغرَضُ الخاصُّ والمقصودُ من الكلامِ، فالنفيُ هنا تسلطَ على توهمِ الوحدانيةِ لا غيرُ. ومُنتهى ما يستصلحُ من المعنى حينئذٍ، أن نَفْسي اخْتَصَصْتموها بنَكالِ الوبالِ، وحَمَّلْتُمُوها من المحَنِ ما لا يخطرُ ببالٍ، كأنها انفردتْ في جريمةِ الهَوى وحدَها، وتركتُم مشاركَها، وهو العينُ، كأنها لا مدخلَ لها في ذلكَ. ولا يخفى على الأفكارِ الناقِدَة لجواهرِ المعاني، أن المعنَى الأولَ ألطفُ.

البيـــان

فيهِ الكنايةُ، حيث عبرَ بالذنبِ، وأرادَ ملزومَه، وهو استحقاقُ العقوبةِ، أي لستُ مُستحقاً لهذه العقوبةِ التي أُقاسيها، لأنهُ لا ذنبَ لي يوجبُها، فالذنبُ سببٌ في وجودَ العقوبةِ، فإنْ قلتَ: ما سرُّ هذه الكنايةِ؟ قلتُ: هو في مَقامِ الاحتجاجِ عليهم، والبُرهانُ اللِّمِّي، عندَ أربابِ المعقولِ أشرفُ وأبلغُ من الإنِّي، لأن اللِّمِّي يُعطي العلةَ المُستلزمةَ للوجودِ، ففيهِ الاستدلالُ بالمؤثرِ على الأثرِ، والإنِّي عكسُه، فأقامَ الحجةَ عليهمْ بأنهمْ أوجَدوا المسبَّبَ مع انتفاءِ السببِ، ولو

---

[1] ـ بل النفس هي التي أكدت بـ (وحدها) على الرواية الثانية.

قال: قلبي لا يستحقُّ ما فعلتموهُ، لمْ تَقُمْ قيامَها بالأولِ. وعلى ذكرِ البرهانِ اللِّمِّي والإنِّي، فما أحسنَ قولَ من قال[1]:

تَاللَّـــهِ مـــا لِمُعَذِّبِـــي فـــي حُسْنِـــهِ شِـبْهٌ، فَـــأيُّ حَشـــاً عَلَيْـــهِ لَـــمْ تَـهِـــمْ!
لاَمُ العِـــذَارِ، وَمِيـــمُ مَبْسِمِـــهِ عَلَـــى مَـا أَدَّعِـي مِـــن حُسْنِـــهِ بُرْهَـــانُ لِـــمْ

البديـــع

فيهِ الجمعُ مع التفريقِ، وهو كما قال الحِلي: "أن تدخلَ شيئينِ في معنًى واحدٍ، وتفرِّقَ بين جهةِ الإدخالِ"[2]، كقوله:

فَوَجْهُـكَ كَالنَّـــارِ فـــي ضَوْئِهـــا، وقَلْبِـيَّ كَالنَّـــارِ فِـــي حَـــرِّهـــا

وهو في البيتِ بين قوله: مِنْكُمُ الحُسْنُ، وبين قولـه: وَمِنْ عَيْنِـيالنَّظَرْ، حيثُ صيرهُما مشتركينِ في التسببِ في الهَوى، لكن العينَ تسببتْ من جهةِ النظرِ، وهم من جهـة الجمالِ، ومنه قولُه:

أَرَى قَمَرَيْـــنِ[3] قَـــدْ طَلَعـــا عَـــلَى غُصْنَيْـــنِ فـــي نَسَـــقِ
وَفـــي ثَوْبَيْـــنِ قَـــدْ صُبِغَـــا صِيَـــاغَ الخَـــدِّ والحَـــدَقِ
فَهَـــذِي الشَّمْـــسُ فِـــي شَفَـــقٍ، وَهَـذِي البَـــدْرُ فِـــي غَسَـــقِ

وفيهِ، بين (مِنْكُمْ) و(مِنْ عَيْنِي)، طباقٌ خَفي، كقوله:

---

[1] ـ البيتان مع الحديث عن البرهان اللِّمي والإنِّي في الغيث المسجم 78/1.

[2] ـ نص أنوار التجلي 113/1، واستشهد بالبيت بعده.

[3] ـ في الأصل: غصنين، والمثبت عن معاهد التنصيص 5/3.

مَهَى الوَحْشِ إلاَّ أنَّ هَاتَا أوانِسُ قَنَا الخَطِّ إلاَّ أنَّ تِلْكَ ذَوابِلُ

وهو بين (هاتا) و(تلك).

وفيه الالتفاتُ عن الغيبة، في (قَلْبِ صَبٍّ)، إلى المتكلم في قوله: مَا لِقَلْبِي.

الإعــراب

مَا: نافيةٌ، يحتملُ أن تكون حِجازيةً وتميميةً.

وذنبٌ[1]: اسمُها.

ولِقَلْبِي: خبرُه.

وفي الهَوَى: وصف للذنبِ، على حدِّ ما: ما لزيدٍ درهمٌ في الدارِ.

وسِوى: أداةُ استثناءٍ بمعنى غيرُ.

والحُسنُ: مبتدأٌ.

ومِنْكُمُ: خبرُه، قدِّم عليه. وكذلك قوله: مِنْ عَيْنَي. والظاهرُ أنه حذفتْ (أنَّ) بعد أداةِ الاستثناء، والأصلُ:

سِوَى أنَّ مِنْكُمُ الحُسْنَ الخ..

---

[1] ـ في الأصل: قلبٌ، وهو سهو من الناسخ.

- 5-

أَجْتَنِـــي اللَّـــذَّاتِ[1] مكْلُـــومَ الجَـــوَى   وَالتَّدَانِـــي مِـــنْ حَبِيبِـــي بالفِكَـــرْ

اللغـــة

جَنَى الثمرَةَ، اجتناها، وهو جانٍ، وجنَّاه، إيا[ه[2]. وكلٌّ] مـا يُجنـى فهو جَنًـى. ومـا أحسـنَ قولَ الصَّفَدي في مليحٍ قابلَ معهُ كِتاباً:

جَنَيْـــــتُ خَـــــدَّكَ وَرْداً   غَضَـــاً، وقَـــدُّكَ ذَابِـــلْ
فَهَـــا أنَـــا كُـــلَّ وَقْـــتٍ   أجْتِـــي، وَأَنْـــتَ تُقَابِـــلْ

ومكْلومَ: مفعولٌ من كَلَمَهُ يَكلُمـه، جرحَه، فهو مكلـوم. وكَليمٌ. [والاسـمُ كَلْـمٌ[3]]، والجمـعُ كُلومٌ،

والجوى: مرضُ العشقِ والصبابةِ.

والتَّدانِي: من تدانَى، أي تقاربَ، وفي بعضِ النسخِ: والْتِذاذاً[4]، وهو من التذَّ بهِ التذاذاً.

والحَبيبُ، والحُبابُ **بالضم، والحِبُّ بالكسرِ، والحُبة بالضم**: المحبوبُ.

والفِكَرُ: جمعُ فكرةٍ، وهي إعمالُ النظرِ في الشيءِ.

---

[1] ـ في الأصل: اللذة، وقال عند استخراج معنى البيت: "وجَمْعَ اللَّذاتِ". و في الديوان 283: اللذات.

[2] ـ في القاموس المحيط (جنى)، وهو المعتمد عند الإفراني: "وأجْنَاها لَهُ. وجَنَّاهُ إيَّاها".

[3] ـ إضافة يستقيم بها المعنى.

[4] ـ وهو المثبتُ، كذلك، في ديوان ابن سهل.

المعنـــى

إنَّ حبيبي، وإن غابَ عن بصري، فهو مَخيمٌ في بصيرتي، وإن كان بعيداً، فهو قريبٌ مني بالتَّفكرِ في أوصافِ جمالِه، فأنا أعصرُ من ثمارِ محاسِنِهِ ما أشتهي، وأتلذَّذ بما أريدُ من كمالاتِه غير محجوبٍ عنِّي، وأخاطبُه كأنه قريبٌ حاضرٌ، ويمثِّله تفكُّري أقربَ إلي من حبلِ الوريدِ، فلا أحتاجُ بيننا لسفيرٍ ولا بريدٍ. وهذا المعنى كثيرٌ. ولبعضِ الأصحابِ فيــه:

وقَائِلَــةٍ: مَــاذَا الغَـرَامُ بِهِــمْ، وقَــدْ حَمَـوْا حُسْـنَهُمْ صَوْنـاً بِأَرْدِيَـةِ السِّتْـرِ؟
فَقُلْـتُ: دَعِينِــي والغَــرَامَ بِحُبِّـهِــمْ، فَإِنْ حَجَبُوا عَيْنِي فَمَا حَجَبُــوا فِكْــرِي

فأخبر بأنه في مقَامينِ من مقامِ المشاهدةِ، الأولُ أنه يتمتعُ بعُلى جمالِه في سرِّه، والثاني أنهُ قريبٌ منهُ بفكرِه، وإنْ نزحَتْ دارُه، وشطَّ مزارُه. فأما الأول فمأخوذٌ من قول القائلِ :

قَلْـبٌ بِأَحْـداثِ النَّـوَى مَصْـدُوعُ يَجْـنِــي ثِمَــارَ وِصَالِــهِ مُتَلَــذِّذاً
إِنْ غَابَ عَنْ عَيْنِي صَحِيــحُ جَمالِــهِ، فَحَدِيثُـهُ فِــي خَاطِــرِي مَوْضُــوعُ

وَأَمَّا الثاني فمنْ قولِ القائِلِ:

أَنْــتَ فِــي عَيْنِــي وَقَــلْبِي وضَمِيــرِي وَجَنَانِــــي
وَفُــؤَادِي بِــكَ مَغْمُـــو رٌ، عَلَـى طُـولِ الزَّمَــانِ
قَــدْ تَحَقَّقْتُــكَ فِــي سِـــ ــرِّي، وَنَــاجَــاكَ لِسَانِــي
وَاجْتَمَعْنَــا لِمَعَــانٍ وَافْتَرَقْنَــا لِمَعَــانِ
إِنْ يَكُــنْ غَيَّبَــكَ التَّعْــ ــظِيمُ عَنْ لَحْـظِ عَيَانِــي
فَلَقَــدْ صَيَّــرَكَ الوَجْــ ــدُ مِــنَ الأَحْشَــاءِ دَانِ

وقال آخرُ:

وَفِي قُـــرْبِ القُلُـــوبِ لِكُـــلِّ صَـــبٍّ شِفَـاءٌ، لَيْـسَ فـي قُـــرْبِ الدِّيـــارِ

واعلمْ أن لاجتناءِ اللذائذِ وجهاً آخر غيرَ التفكُّـرِ، وهو أن يمنِّـيَ نفسه بوصالِـهِ، ويحدِّثَ قلبَه بتحنُّنِهِ وعَطفِه، فيجدَ لذلك ارتياحاً وطرباً، كما قال الأرَّجاني:

أُعَلِّـلُ بِـالمُنَى قَلْبِـي، لَعَلِّـي أفَرِّجُ بِالأمَـانِي الهَـمَّ عَنِّـي[1]
وَأَعْلَـمُ أنَّ وَصْلَكَ لا يُرَجَّـى، ولَكِنْ لاأقَلَّ مِـنَ التَّمَنِّـي

وقال آخرُ[2]:

فِي المُنَـى رَاحَـةٌ وَإنْ عَلَّلَتْنَـا مِنْ هَوَاهَا بِبَعْـضِ مَـالا يكُـونُ

وقالَ ابنُ رشيقٍ في هجوِ الأمَانِي[3]:

خَلْـقٌ تَمَنَّـوْا فـي البُيُـوتِ أَمَانِيَـا، وَجَمِيـعُ أعْمَـارِ اللِّئَـامِ أَمَانِـي

وقالَ الخالِدِي[4]:

---

[1] ـ في الأصل، قدَّم الشطر الثاني على الأول، وهو لايساير الروي، ولا يخدم المعنى. والبيتان في الغيث المسجم 99/2، وديوان الصبابة 198، ومعاهد التنصيص 143/2، وتزيين الأسواق 454.

[2] ـ البيت في ديوان الصبابة 201، ومعاهد التنصيص 142/2.

[3] ـ البيت في الغيث المسجم 100/2، وديوان الصبابة 202، ومعاهد التنصيص 144/2.

[4] ـ البيت، غير معزو، في ديوان الصبابة 192، ومعاهد التنصيص 144/2، ولم أعثرْ عليه في ديوان الخالديين. والخالديانِ هما أبو عثمان سعيد، وأبو بكر محمد ابنا هاشم بن وعلة الخالدي، أديبان شاعران، اشتهرا بالاشتراك في نظم الشعروتأليف الكتب. كانا من خواص سيف الدولة. جمع ديوانهما وحققه الدكتور سامي الدهان، وطبعه سنة 1969. (انظر فهرسة ابن النديم 240، وتاج العروس خلد)، وفوات الوفيات 52/2-56، 52/4).

مَنْ نَـالَ مِــنْ دُنْيَــاهُ أُمْـنِيَّـــــةً،   أَسْقَطَــتِ الأَيَّــامُ مِنْهَـــا الأَلِـــــفْ

والأبياتُ في هذا الغرضِ كثيرةٌ. والحاصلُ أن اجتناءَ اللذاتِ فيه احتمالانِ: إما أن يكونَ اجتناؤُها عبارةً عنِ التفكرِ في محاسنِ المحبوبِ، وإما ما يَبْرُقُ بالجوانحِ[1] من مُنتهى الأماني وسَيأتي مزيدُ تقريرٍ لهذا التحبيرِ. ويَرِد على ابن سهلٍ في إثباتِ التفكرِ لهُ، ما مرَّ إيرادُه في إثباتِ القلبِ. وقوله: مكْلُومَ الجَوَى، من إضافةِ اسمِ المفعولِ لفاعلِه. وقولـه بـالفِكَرِ راجعٌ للاجْتِناءِ والتَّداني، فإنَّ كلاًّ منهما حاصلٌ بها.

المعانـــي

عبرَ بالمضارعِ في(أجتني)، قصداً للدلالةِ على الاستمرارِ والدوامِ. وأتى بافتعلَ فيهِ، إشعاراً بأنهُ أمرٌ ليسَ هو كذلكَ في الخارجِ. وجمعَ اللذاتِ إشارةً إلى كثرتها. فإنْ قلتَ: جمعُ السلامةِ من جموعِ القلةِ عندَ الإمامِ، فكيفَ عبر بهِ ولم يعبِّر بما هو من جُموعِ الكثرةِ؟ قلتُ: بمثلِ الذي أوردتَه اعترضَ النابغة[2] على حسانِ ابنِ ثابتٍ رضي الله عنهُ في قولِــه:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُـرُّ يَلْمَعْــنَ بِالضُّحَـــى،   وَأَسْيافُنَـا يَقْطُـرْنَ مِــنْ نَجْـــدَةٍ دَمَـــا

وقال له: يافتى: قلَّلت جِفانَكَ. ذكرَ هذا الشيخُ أبو علي[3] في زهرِ الأكَمِ، فراجعْ بقيةَ الحكايةِ. ووقع الجوابُ عن الاعتراضِ، كما قال الشيخُ ياسين في حواشي الخُلاصةِ[4]، فإنَّ

---

[1] ـ في الأصل: الجوانح، وزاد حرف الجر في(ج)، مع شكل (يَبْرُقُ).

[2] ـ في الأصل: الأعشى، والمعترضُ، في المشهورةِ، النابغة الذبياني (انظر حواشي الخلاصة 390/2).

[3] ـ انظر التعريف بأبي علي اليوسي في كتابنا الإفراني وقضايا الثقافة والأدب ، وقد خصته مجلة المناهل التي تصدرها وزارة الثقافة بالرباط بعددها 15.

[4] ـ هي: حواشي الشيخ ياسين الحِمصي نزيل مصر على خلاصة..جمال الدين ابن مالك" (من مقدمة الطابع1/1). طبعت بالمطبعة المولوية بفاس العليا سنة 1327هـ، وبهامشها شرح ابن مالك لكافيته (انظر الصفحة1/1 وفيها تعريف موجز بالمؤلف).

جمعَ السلامةِ للقلةِ ما لم يُضفْ، أو تدخلْ عليه(أل)، فيصيرُ للكثرةِ، ومصداق هذا قولهم:(أل)، إذا دخلتْ على الجمعِ أبطلتْ جمعيتَه، انتهى. قلت: وعندي في هذا الجواب نظر، فإنَّ كَوْنَ جمعِ السلامةِ إذا دخلتْ عليهِ(أل) يصيرُ للكثرةِ، يردُّه أنه لو كان كذلك، ما اعترض النابغةُ على حسانٍ، أو لانتصرَ حسانُ لنفسِه، كيفَ وقد قيلَ إنهُ لما اعترضَ عليهِ سكتَ ولم يجدْ جواباً، فإن كان ما ذكر منَ الجوابِ أُخذَ من تتبُّع كلامِ العربِ، فهذانِ فحلانِ من فحولِهم لم يفهمَا ذلك، مع أنَّ مثلَه، لو كانَ، سليقةٌ فيهم[1] وإن كانَ باصطلاحٍ حدَثَ، فلا عبرةَ به مع هذا، فتأملْ.

ونُكتةُ قولِه: مكلومَ الجوَى، الإيذانُ بأن جرحَه لا يمنعُه من اقتطافِ ثمارِ اللَّذائذِ، فهو في غيبةٍ عن ذاتِه، مستغرقٌ في مشاهدةِ محبوبِه، فكأنهُ يقولُ: ألتذُّ وأنا مُؤلَّمٌ لا شعورَ لي بألمي. والإضافةُ في "حبيبي" للالتذاذِ.

ويقول الشيخ ياسين:

"..وبعد فهذه فوائد تتعلق بألفية الإمام ابن مالك "جمعَها من عدة مصادر

(حواشي الخلاصة 2/1).

ونص كلامه، بعد أن أورد بيتَ حسانٍ ورأيَ الرضي وابن خروف:

"واعلم أنهم قالوا إذا قرن جمع القلة بـ "ال" التي للاستغراق، أو أضيفَ إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة". وعلى هذا يردُ ماقاله النابغة على حسان، ويقال إن حساناً أجابه بذلك، لأن قوله: "أسيافنا أضيف إلى ما يدل على الكثرة".

(المصدر السابق 2/390-391).

ولم ترد فيه العبارة : "ال إذا دخلت على الجمع أبطلت جمعيته". ونرى أن معنى "أبطلت جمعيته" أخرجتْه للدلالَة على استغراق الجنس، واسمُ الجنسِ يدلُّ على معنى الجمعِ.

[1] - أي لكان سليقة فيهم.

البيــــان

تَماجَزَ في قولِه: أجتَني، حيثُ استعملَه في حُصول اللذاتِ، والمُحسِّن لذلكَ الإتيانُ بما يُلازم المستعارَ منه، وهو الثمارُ وما شأنُه أن يُقطف، فإنه شبه اللذات بالثمار تشبيهاً مُضمراً في النفس، استعارةً بالكنايةِ. وأتى بما يلائمُ الثمارَ، وهو الاجتناء، فأثبتَهُ لها استعارةً تَخْييليةً هذا على مذهبِ صاحبِ التلخيصِ. وعلى مذهبِ السلاكي فليسَ فيه إلاَّ تَخييليةٌ فقط، ومذهبُه مُقرر في محلِّه. والجُرحُ وإسنادُه، مجازانِ أيضاً.

البديــــع

فيه الطباقُ بين اللذةِ والألمِ. قال في المصباحِ: هو الإتيانُ بلفظينِ متضادَّين، انتهى. قال الحلِّي: وهو على ضُروبٍ، ولم يتعرضْ لبيانِها. وقال الثعالبي في الأنوارِ[1]: بيانُها أنهُ على قسمينِ: ما يكونُ من لفظينِ من نوعٍ واحدٍ، وما يكونُ من مختلفينِ، والأولُ إما من اثنين، نحو: "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ"[2]، وفعلين: "تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ"[3]، أو حرفينِ نحو: "لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"[4]، قال الزمخشري في المُفصَّل[5]: كَسَبَ بمعنى أصابَ، واكتسبَ للتَّصرُّفِ والطلبِ. والثاني كقوله: "أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ"[6]. ومنَ الطباقِ قول بشارٍ[7]:

---

[1] ـ انظر الكلام اللاَّحق عن الطباق في أنوار التجلي 30/1 بتوسع.

[2] ـ سورة الكهف 18/18.

[3] ـ سورة آل عمران 26/3.

[4] ـ سورة البقرة 286/2.

[5] ـ شرح المفصل 760 نقلا عن سيبويه.

[6] ـ سورة الأنعام 121/6.

[7] ـ البيت 23 من قصيدة لبشار في ديوانه 214.

إذَا أَيقَظَتْكَ حُرُوبُ العِدَا ... فَنَبِّهْ لَهَا عُمَراً ثُمَّ نَمْ

الإعـــرابُ

أجتني: فعلٌ مضارعٌ، وفاعلُه مُستترٌ فيه. وكأنَّ هذا كلامٌ مُستأنفٌ عما قبلَه لا عَلْقَةَ له به، والأصل: فها أنذا أجتني وأدنو، أيْ حينَ نأيتُم، صبرتُ على حُكمِ النَّوَى، فحالي بعدكم أني أجتني إلخ.. وفائدةُ هذا الاستئنافِ تسليةُ خاطرِه، وترويحُ نفسِه. والاستئنافُ، قد يلاحَظُ فيه أمثالُ هذا. وفي الكشافِ عندَ قولِه تعالى: "لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً"[1]، أنّ الجُملةَ استئنافٌ قصدَ بِهِ التَّعليلَ. قال: وهو أبلغُ.

واللَّذاتُ: جمعُ لذةٍ، منصوبٌ على أنه مفعولٌ به، منصوبٌ بالكسرةِ لكونِه جمع مؤنثٍ سالمٍ. وما أحلى قولَ القائلِ:

قُلْتُ لَمَّا تَجَمَّعُوا ... وبِقَتْلِي تَحَدَّثُوا:
لا أُبالِي بِجَمْعِهِمْ، ... كُلُّ جَمْعٍ مُؤَنَّثُ

ومكلومَ الجَوَى: منصوبٌ على الحالِ، من فاعلِ "أجتني".

التَّداني: يُحتملُ أن يكونَ مُبتدأً، وبالفِكَرِ، ومنْ **حبيبي**: حالٌ. ويُحتملُ أنْ يكونَ معطوفاً على قوله: اللَّذّاتِ، فيكونُ من بابِ قولِهِ[2]:

ولَوْ أنَّ واشٍ باليَمَامَةِ دَارُهُ، ... ودَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمُوتَ، اهتدَى لِيَا

---

[1] ـ صلة الآية : "يَاأَيُّها الذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دونِكُمْ لا يَأْلونَكُمْ خَبالاً". (آل عمران 118/3).

[2] ـ يقصدُ أنَّ واو "وَ دَارِي" في البيت بعدَه يمكنُ أن يكون واو حالٍ، ويمكن أن يكونَ حرف عطف.

فإنْ قلتَ: التداني لا يُجتنى، قلتُ: بالطريقِ الذي اجتنيتْ به اللذاتُ، يَجني الجاني ثمارَ التداني، ولو سلّم ما أوردتُه، جعلناهُ من بابِ المشاكلةِ اللّفظيةِ، وهي ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِهِ لوقوعِه في صحبتِه، تحقيقاً أو تقديراً، كقولِه:

قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ، قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

وكقولِ بعضِ العِراقيينَ في قاضٍ، شهِد عندَه برؤيةِ هلالِ شوالٍ، فلمْ يقبلْ شهادتَه:

أَتَرَى القَاضِيَ أَعْمَى أَمْ تَرَاهُ يَتَعَامَى!
سَرَقَ العِيدَ كَأَنَّ الـ ـعِيدَ أَمْوَالُ اليَتَامَى

ومن هذا ما ذُكرَ أن رجلاً شهِد عندَ شُريحٍ، فقَالَ لهُ: إنكَ لَسَبْطُ[1] الشهادة، فقال الرجلُ: إنها لمْ تَجْعَدْ عندي.

وعلى نسخةِ(التِذاذاً)، فهو منصوبٌ على المصدريةِ، وناصبُه من لفظِه: التَذَّ، مُقدَّراً. ويكونُ، على هذا، من عطفِ مرادفٍ مُفسرٍ.

[1] ـ السبط: ضد الجعد، وفيه تعريض بشهادة الزور.

وَإِذَا أَشْكُـــو بِوَجْـــدِي بَسَمَـــا   كَـــالرُّبَى و العَـــارِضِ المُنْبَجِـــسِ[1]

اللغـــة

أشكو: من شكا أمرَه شكوى ويَنوَّنُ، وشِكايَةً وشكيَّةً وشكَاوَةً، وتشكَّى واشتكى. وتَشَاكَوْا: شكَا[2] بعضُهم إلى بعضٍ. والشكوَى: المرضُ. وكَغَنِيٍّ: المريضُ، ومَنْ يمرضُ أقلَّ المرضِ وأهونَه.

والوَجْدُ: الحُبُّ، من وجدَ به وَجْداً، كذا في الحُزنِ، لكن يُكسر ماضِيهِ[3].

"**وبَسَمَ** يبسِمُ بَسماً، وابْتسمَ وتبسَّمَ، وهو أقلُّ الضحكِ وأحسنَه"[4]. كذا قال في القاموس. وفي العُزيزي على الغريبِ: التَّبَسُّم أولُ الضَّحكِ الذي لا صوتَ لهُ، وفي الجزولي على الرسالةِ: التبسمُ أولُ الضَّحكِ وانشراحُ الوجهِ وإظهارُ الفرحِ، انتهى. وأوردَ على كونِ التبسم أولَ الضحِكِ قولَه تعالى: "فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً"[5]، وأجيبَ بأنَّ المعنى شارعاً في الضحكِ، قالهُ الشهابُ أفندي في شرح الشّفا.

والرُّبى: جمعُ ربوةٍ مثلَّثةً: ما ارتفعَ من الأرضِ. وقولُهم: ربَا، ارتفعَ وزادَ، ومنه الرِّبَا

---

[1] - ديوان ابن سهل 284.

[2] - في الأصل: أشكى، والمثبت ما في القاموس المحيط(شكا). وعليهِ اعتمادُ الإفراني هنا.

[3] - القاموس المحيط (وجد) بتصرف.

[4] - المصدر السابق (بسم).

[5] - سورة النمل 19/27.

في البيعِ، ويُقال: رِبَاوَةٌ ورُباوَةٌ[1]، قاله أبو الحجاجِ البَلوي. قلتُ: قيلَ في قولهِ تعالى: "إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ ومَعِين"[2]. إنها دمشقُ، وقيلَ بيتُ المقدسِ، وإنما سماها اللهُ ربوةً لِما قال كعبُ الأحبارِ: وإن بيتَ المقدسِ أقربُ إلى السماءِ بثمانيةَ عشرَ ميلاً. و"ذاتِ قرارٍ": يُستقرُّ بها للعمارةِ، "ومعينٍ"؛ ماءٌ طاهرٌ جامد. وفي حسنِ المحاضرةِ أنها مصرُ.

و**العارضُ**: السحابُ المعترضُ في الأفقِ، وصَفحةُ الخدِّ، والعارضُ من الوجهِ: ما يبدو عندَ الضحكِ، والعارضُ: العِذارُ، ولله القائلُ:

لَمَّـا بَـدَا فـي خَـدِّهِ عَـارِضٌ، وَشَـاقَ قَلْـبِي نَبْتُـهُ الأَخْضَـرُ
أَمْطَـرَ أَجْفَـانِـيَ مُسْتَقْبَـلاً، فَقُلْـتُ: هَـذَا عَـارِضٌ مُمْطِـرُ[3]

آخـرُ[4]:

لَمَّـا بَـدَا العَـارِضُ فـي خَـدِّهِ بَشَّـرْتُ قَلْبِـي بِـالنَّعِيمِ المُقِيـمْ
وَقُـلْـتُ: هَـذَا عَـارِضٌ مُمْطِـرٌ، فَجَاءَ نِـي مِنـهُ العَـذَابُ الأَلِيـمْ

وقال ابنُ المعتزِّ[5]:

وَتَكَـادُ الشَّـمْسُ تُشْبِـهُـهُ، وَيَكَـادُ البَـدْرُ يَحْكِيـهِ
كَيْـفَ لاَ يَخْضَـرُّ عَـارِضُـهُ وَمِيَـاهُ الحُسْـنِ تَسْقِيـهِ!

---

[1] ـ في القاموس المحيط (ربا) : "الربوةُ والرُّباوة مثلثتين والرابيةُ والرباة: ما ارتفع من الأرض".

[2] ـ سورة المؤمنون 50/23.

[3] ـ اقتباس من سورة الأحقاف 24/46 : "قالوا هذا عَارضٌ مُمْطِرُنا".

[4] ـ البيتان في الغيث المسجم 21/1، وديوان الصبابة 204، وتزيين الأسواق 456.

[5] ـ ديوان ابن المعتز.

ابنُ نُباتة[1]:

لَقَدْ كُنْتَ لي وَحْدِي، ووَجْهُكَ خُضْرَتِي   وكُنَّا، وكَانَتْ للزَّمَانِ مَواهِبُ
فعَارَضَنِي فِي وَرْدِ خَدِّكَ عَارِضٌ   وَزَاحَمَنِي في وِرْدِ رِيقِكَ شَارِبُ

آخَرُ[2]:

رقَّتْ حَوَاشِي خَدِّهِ مِنْ حُسْنِهِ،   فَقُلُوبُنَا شَغَفاً عَلَيْهِ رِقَاقُ
مَا كانَ عَارِضُهُ السَّوَادَ وَإِنَّمَا   نَفَضَتْ عَلَيْهِ سَوَادَهَا الأحْدَاقُ

وقال الخالدي:

يا خَطَّ عَارِضِهِ، لَقَدْ عَرَّضْتَنِي   لِلَهِيبِ نَارِ صَبَابَةٍ لاتَنْطَفِي
شَيْطَانَ لَحْظِي، مُتْ بِغَيْظِكَ حَسْرَةً   قَدْ عَوَّذَتْ بِالنَّمْلِ سُورَةَ يُوسُفِ[3]

ولابن سهل[4]:

إنْ طَافَ شَيْطَانُ السُّلُوِّ بِخَاطِرِي،   فَشِهابُ شَوْقِي فِي المَكَانِ يُصِيبُهُ

والأبياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ. ولولا أنهُ لا يُعتدُّ بالعارضِ[5]، لأملينا عليكَ ماقيلَ في

---

[1] ـ لم نجدهما في ديوان ابن نباتة، و نسبها في معاهد التنصيص 102/4 لِـ "العز الموصلي".

[2] ـ في نهاية الأرب 86/2 لعبد الله بن سارة الإشبيلي:

وَمُعَذَّرٍ رقتْ حواشي حسنهِ،   وقلوبُنا حذراً عليه رقاقُ
لم يكسُ عارضَه السوادُ، وإنما   نفضت عليهِ صباغَها الأحداقُ

[3] ـ اقتباس من الآية : "قُلْ: مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ". آل عمران 119/3، و"النمل"، و"يوسف" سورتان من سور القرآن، ترتيبهما في المصحف 27، 12.

[4] ـ ديوان ابن سهل 84.

[5] ـ المقصودُ بالعارض هنا الذي يعرض بضاعتَه أو نفسه، فيبتذل.

العارضِ. وقد رأيتُ في استقصاءِ ما قيلَ فيه مُجلداً للشمسِ النّواجي، سماهُ خلعُ العذارِ في مدحِ العِذارِ.

والمُنْبَجِسُ: الممطرُ الذي يلوحُ ماؤُه. من انبجسَ ينبجسُ، "والانبجاسُ: النبوغُ في العينِ خاصةً، أوعامّ"[1]، وبجسَ الماءَ يبجِسُه: شقَّهُ، وفلاناً: شتَمَه. بُجوساً، وبَجَّسه تَبجيساً: فجرَّه فانبجسَ. فإنْ قيلَ: لِمَ قال اللهُ تعالى في آيةٍ: "فانْبَجَسَتْ"[2]، وفي آيةٍ: "فَانْفَجَرَتْ"[3]، فالجوابُ ما قالهُ الفخرُ الرازي، أن الانبجاسَ أضيقُ من الانفجارِ، لأنه يكونُ أولاً، والانفجارُ ثانياً، وقيلَ: هما بمعنًى واحدٍ، كانبجَسَ وتبجَّسَ. [انتهى].

المعنـــى

يعني أن الحبيبَ لما لم يذقْ ما نقتُه، ولا تجرَّعَ ما تجرَّعتُه، يَضحكُ مِنِّي إذا ذكرتُ لهُ ما أكابدُه في هواهُ، وتحملتُه من بَلواهُ، لأنه لا يعرفُ الشوقَ إلاَّ من يُكابدُه. فحالتي معه كحالةِ الآكامِ مع السحابِ الممطرِ، فهي ضَاحِكةٌ من بكائِهِ، مُتسليةٌ مستبشرةٌ لحُزنِه وكَمَدِه. فالرُّبى هي أزهارُه اليانعةُ، وأوصافُه الجامعةُ المانعةُ. والعارضُ المنبجسُ: هو الأنواءُ المُنسكبةُ، والغُيوثُ المُتراكمةُ، والنتيجةُ لمثلِ هذا الكلامِ الإعلامُ بأنَّ ما يطلبُه بالشكايةِ، يؤوب له بشديدِ النكايةِ، وأنَّ شكواهُ لا تغني عنه شيئاً، بل تزيدُه إساءةً، فهو معهُ كقول الأرَّجاني[4]:

مَالِي شكَوْتُ إِلَيْكَ نَارَ جَوَانِحِي ... لِتَكُونَ مُطْفِئَهَا، فَكُنْتَ المُشْعِلاَ!

---

[1] ـ القاموس المحيط (بجس).

[2] ـ في سورة الأعراف. 160/7 "..أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرْ، فانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً".

[3] ـ في سورة البقرة 60/2 ".. قُلْنا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرْ، فانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً".

[4] ـ ديوان الأرجاني 300.

وقولي:

وَفِي أَلِـفِ الوَصْلِ اشْتَكَيْــتُ لِقَـــدِّهِ، فَأَبْدَ لَها مِنْ حِينِــهِ هَمْــزَةَ القَطْــعِ

وقال آخرُ:

أعلَمتُهَـــا بِصَبَابَتِــي فَتَعَجَّبَــتْ، فَكَأَنَّمَـــا أعْـلَمْـتُـهـــا بِمُحَـــالِ
أبْكِي وتَضْحَكُ مِـنْ شَكَاتِــي، وكُلُّنَــا[1] فِي حَالِــهِ آتٍ بِـوِفْــقِ الحَــالِ

وقال آخرُ:

ضَحِكَـتْ إذْ رَأَتْ بُكَائِــي عَلَيْهــا ضَحِكَ الرَّوْض مِـنْ بُكَــاءِ الغَمَــامِ

واعلمْ أن سببَ هذا الضحكِ هو كونُ المحبوبِ لم يعرفِ الوجدَ، ولا ذاقَ مَرارَتَه، فإذا سَمِعَ الشكايةَ بذلكَ تعجَّبَ لأنهُ أدركَ أمراً غريباً لم يُحطْ وِجْدانُه بمعناهُ. ولذلك ترى بعض الشعراءِ يدعو على محبوبه بأن يذوقَ شيئاً من غُصص الهوَى، ليَلينَ قلبُهُ، ويرقَّ لعاشقِيه[2] ويرحمَهم لعلمِه بما همْ فيه من المشاقِ العَظيمةِ، قالَ الشاعرُ[3]:

ولَمَّــا بَــدَا لِــي أَنَّــهُ غَيْــرُ زَائِــرِي وَأَنَّ هَــوَاهُ لَيْــسَ عَنِّــي بِمُنْجَلِــي،
تَمَنَّيْـتُ أَنْ يَهْـوَى وَيُجْفَــى، لَعَلَّـــهُ يُقَاسِي مَرَاراتِ الهَـوَى، فَيَــرِقَّ لِــي

وقال آخر[4]:

---

[1] ـ غير مستقيم إلا بحذف الواو.

[2] ـ الياء غير واضحة في الأصل و(ب) وأثبتناها لاقتضاء السياق لها، وفي (ج): "لعاشقه ويرحمه لعلمه بما هو فيه".

[3] ـ البيتان في الغيث المسجم 93/2، وديوان الصبابة 192.

[4] ـ البيتان في المصدرين السابقين.

قُلْـتُ لِمَحْبُوبِـي، وقَـدْ مَـرَّ بِـي مَحْبُوبُـهُ كَـالقَمَرِ السَّـارِي:
هَـذا الـذي يَأْخُـذُ لِـي طَرْفُـهُ مِنْ طَرْفِـهِ الـوَسْنَانِ بِـالثَّـارِ

وقالَ آخرُ :

يَـا ذَا الَّـذِي كُـلَّ يَـوْمٍ يَزِيـدُ عَقْلِـي خَبَـالاَ
وَا لَهْفَتِـي[1] فِيـهِ، حَتَّـى أَعَـادَ رُشْـدِي ضَـلاَلاَ
أَدْعُـو عَلَيْـكَ، وقَلْبِـي يَقُـولُ: يَـا رَبِّ، لاَ، لاَ

وقالَ آخرُ:

فَقُلْـتُ: لاَ مِـتُّ حَتَّـى أَرَاكَ فـي العِشْـقِ مِثْلِـي
وَقُلْـتُ فِـي السِّـرِّ مِنْـهُ: يَـا رَبِّ لاَ تَسْتَجِـبْ لِـي

وفائدةُ الشكايةِ ترويحُ النفسِ، ولو بمُجرد إصغاءِ السامعِ. لأنَّ سماعَ الشكوى وبثَّها فيهِ تخفيفٌ على الفِكْرِ، وراحةٌ للخاطِرِ. قال:

وَلاَ بُدَّ مِنْ شَكْـوَى إِلى ذِي مُـرُوءَةٍ يُـواسِيكَ، أَوْ يُسَلِّيـكَ، أَوْ يَتَـوَجَّـعُ

وذَيَّلَ عليهِ السراجُ الوراقُ:

وَإِنْ كَانَ مِنْ وَصْفِ المُـروءَةِ خَـالِيـاً، يُرَائِيكَ، أَوْ يُبْكِيـكَ، أَوْ لَيْـسَ يَسْمَـعُ

واعترضَ الصلاحُ، على عادتِه في المناقشةِ والإفسادِ على الشعراءِ على السراجِ في

[1] ـ هكذا في الأصل مع إشارة التصحيح(صح) فوقها، وفي (ج): ولَّهني فيك، وفي ديوان الصبابة 190: ولهتني، وورد البيتان كذلك في الغيث المسجم 93/2.

دعواهُ أنه زادَ، وإنَّما بدّل الألفاظَ، فإنَّ الرياءَ[1] من المواساةِ، والبكاءَ من التوجعِ، وعدَمَ السماعِ من عدَمِ المروءَة. قال: فهو في دعوى الزيادةِ كقولِ الحاجّي[2]:

أقُولُ: شَبِّهْ لَنا جِسْمَ الرَّشَا تَرَفاً، يَا مُدَّعِي الفَضْلِ في وَصْفٍ وَإنْبَاءِ
فَرَاحَ يُفَكِرُ فِيمَا قُلْتُهُ زَمَناً، وَشَبَّهَ المَاءَ، بَعْدَ الجُهْدِ، بالماءِ

وبعضُ النَّاسِ يرى أن العاقلَ من كَتَمَ أمرَه، ولم يشكُ لأحدٍ، عملاً بقولِ القائلِ[3]:

لاَ تُظْهِرَنْ لِعَاذِلٍ أوْ عَاذِرٍ حَالَيْكَ في البَأْسَاءِ والضَّرّاءِ
فلِرَحْمَةِ المُتَوَجِّعِينَ حَرَارَةٌ في القَلْبِ، مِثْلُ شَمَاتَةِ الأعْداءِ

فقد يكونُ بعضُ الأصحابِ، كما قالَ أبو بكرٍ بنُ ماءِ السماءِ الأندلسي[4]:

لاَ تَشْكُوَنَّ، إذا عَثَرْ تَ، إلى صَدِيقٍ سُوءَ حَالِكْ
فَيُرِيكَ أنْوَاعاً مِنَ الـ إذْلاَلِ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِكْ

والعَلَمُ المشهورُ في هذا قولُ أبي الطيبِ[5]:

وَلاَ تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُمْ شَكْوَى الجَرِيحِ إلى العُقْبَانِ وَالرَّخَمِ

[1] ـ في الأصل: الراي، والصواب ما أثبتناه عن الغيث 94/1، وفيه البيتان وتعليق الصلاح عليهما.
[2] ـ في الغيث المسجم 95/1 : "شهاب الدين الحاجي.. من أهل العصر".
[3] ـ البيت والتعليق عليه في الغيث المسجم 97/1.
[4] ـ المصدر السابق.
[5] ـ ديوان المتنبي 513.

نكتةُ الإتيانِ بإذا، الإشعارُ بقصدِ الاستمرارِ في الأحوالِ الماضيةِ والحـاضرةِ والمُستقبلةِ، فإنَّ (إذا) يُقصدُ بها الدّلالةُ علـى ذلكَ، ومنـهُ: "وَإذا لَقُوا الَّذِيـنَ آمَنـوا.. وَإذا خَلَوْا"[1]، أي هذا شأنُهم. وكذا قولُه: "وَإذَا قَامُوا إلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالَى"[2]. قالـه الجَـلال السُّيوطي فـي كتـاب الحُدودِ له، ومنه نقلتُ. فعلى هذا فمرادُه أن شأنَه مع حبيبِه ما وصفَه، فهما كذلك دائماً، ومن نكتِ(إذا) هنا العمومُ في الخبرِ، أي: كلما شكوتُ لهُ بسَمَ، وبهذا فـارقتْ (إنْ) الجزائيـةَ، قالـهُ ابن عُصفورٍ. ومن نكتها أيضاً إفادةُ أن الشكايةَ والتبسمَ وقَعا معاً، لأنَّ إذا لا تدخـلُ إلا علـى ذي اليقينِ، أو ما هـو بمنزلتـهِ مـن المظنـونِ والكثيرِ الوقـوعِ، بخـلافِ(إنْ) فـإنْ قلـتَ: ومـا تصنعُ بقوله تعالى: "وَإذا مَسَّ النَّاسَ ضُـرٌّ.. ثُـمَّ إذَا أذَاقَهُـمْ"[3]، وقولـه: "أفَـإنْ مَـاتَ"[4]، قلـتُ: أجابَ السَّكاكي عنِ الأولِ، بأنه قصدَ التوبيخَ والتقريعَ، فأتى بها تخويفـاً وإخبـاراً لأنـهمْ لابـدَّ أنْ يمسَّـهم شـيءٌ مـن العَـذابِ، واستُفيدَ التقليـلُ مـن لفظِ المَـسِّ، وتنكـيرِ الضـررِ. وأجـابَ الزَّمخشري عن الثاني، بأنَّ الموتَ لما كانَ مجهولَ الوقتِ، أجري[مجرى[5]] غيرِ المجـزومِ.

---

[1] ـ تمام الآية : "وَإذا لَقُوا الذينَ آمَنُوا، قالوا: آمَنَّا، وَإذا خَلَـوْا إلـى شَيَاطِينِهِمْ، قـالوا: إنَّـا مَعَكُمْ، إنَّمَـا نَحْـنُ مُستَهْزِئُونَ". سورة البقرة 14/2.

[2] ـ سورة النساء 142/4.

[3] ـ في الأصل: "وإذَا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ..ثُم إذا أذاقَهُمْ". وفيهِ وضع (الإنسان) مكانَ (الناس)، انظـر سـورة الروم 33/30 : "وَإذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوا رَبَّهُمْ مُنيبينَ إليـهِ، ثـم إذا أذاقهـم منـه رحمـةً، إذا فَريـقٌ منهم بِرَبِّهم يُشركونَ".

وفي سورة الزمر 8/39 : "وَإذا مَسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ دَعَا ربَّهُ منيباً إليهِ، ثم إذا خوَّلَهُ نعمةً منهُ نَسي ما كـانَ يدعو إليهِ". وقد خلطَ الإفراني بين الآيتينِ.

[4] ـ سورة آل عمران 144/3، وتمام الآية : "وما محمدٌ إلاَّ رَسُولٌ قدْ خَلَتْ من قَبلِـهِ الرسـلُ، أفـإنْ مـاتَ أو قُتلَ انقلبتُم على أعقابكمْ".

[5] ـ إضافة يقتضيها السياق.

وقال الحُوفي: الذي أظنه أن (إذا) يجوزُ دخولُها على المظنونِ والمَشكوكِ، لأنها ظرفٌ وشرطٌ، فبالنظرِ للشرطِ تدخلُ على المشكوكِ، وللظَّرفِ على المتيقنِ كسائرِ الظروفِ.

وخصَّ الربى بالذكرِ، لأنَّ أزهارها أينعُ من أزهارِ الأوهادِ، لاستحكامِ هوائِها، واعتدالِ مزاجِها فمن ثم كملتْ غضارةُ أفنانِها، وهذا وجهُ قولهِ تعالى: "إلى رُبْوَةٍ[1]" ولأنَّ التنائفَ[2] يكونُ في تُربِها نداوةٌ في الغالبِ وتُلازمُها برودةٌ. وقد قيلَ: إن البردَ يصفِّرُ الألوانَ ويحسِّنها بخلافِ الحرارةِ، ولهذا تجد ألوانَ سكانِ الجبالِ صافيةً لَواقِحَ، قال الشاعرُ:

صفَا لَونُها وَازْدَادَ حُسْناً، وكَيْفَ لاَ ... وَمَسْكَنُهَا فَوقَ الجِبَالِ الشَّوامِخِ!

فائدة

على ذِكرِ سُكنى الجبالِ، فرأيتُ في تاريخِ أبي العباسِ بنِ عِذَاري المُسمى بالبيانِ المُغرب في اختصارِ أخبارِ ملوكِ الأندلسِ والمغرب، ما نصه: "قال الإشبيلي في مسالكه: إنَّ البربرَ، حينَ دخلوا المغربَ وجدوا الإفرنج قد سَبقوهم إليه، فأجلوهمْ حتَّى اصطلحوا على أن يسكنَ البربرُ الجبالَ، ويسكنَ الإفرنجُ الأوطئةَ، فبنوا المدائنَ بها"[3]. انتهى.. وهذا هو السرُّ في كون البرابر إلى الآنَ لا يسكنونَ إلاَّ في الجبالِ.

البيـــان

فيهِ تشبيهُ المحبوبِ بالرُّبى، ودموعَ العاشقِ بالعارضِ المتدفقِ، والمُرادُ من تشبيهِ

---

[1] ـ سورة المؤمنون 50/23، وتمام الآية: "وجَعَلْنَا ابْنَ مريمَ وأمهُ آيةً، وآويناهُما إلى رُبْوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعينٍ".

[2] ـ التنائف، مفرده تنُوفة: القفرُ من الأرضِ، وقيلَ الأرض المتباعدة الأطراف، وقيل المقفرة البعيدة وإن كانت معشبة. (لسان العرب: تنف).

[3] ـ البيان المغرب 20/1.

المحبوبِ تمثيلُ وجهِه وبديعِ محاسنِه بالأزهارِ اليانعةِ في الروابي المتفتقة عن أكمامِها، حتى كأنهُ احتوى على صنوفِ الأزاهِرِ، وضروبِ الرياحين، كما قالَ ابنُ المُزين[1]:

وَجَعَلْـتُ غُصْـنَ قِوَامِـهِ لِـي شَمْعَـةً | فـي مَجْلِسِـي، وَخُـدُودُهُ تُفَّاحِـي
وَمِـنْ اللَّواحِـظِ نَرْجِسِـي، وَعِـذَارُهُ | آسِـي، ومَعسـولُ المَرَاشِـفِ رَاحِـي
والوَجْـهُ بَـدْرِي، والثَّنَايَـا أَنْجُمِـي، | والشَّـعْرُ لَيْلَـي، وَالجَبِيـنُ صَبَاحِـي
وَأَقُولُ: يَا سَيِّـدِي، لَقَـدْ نِلْـتَ المُنَـى | جَمَعَ الحَبِيبُ مَجَـالِـسَ الأفْـرَاحِ

وكما قيلَ[2]:

يَقولـونَ: فـي البُسْتَـانِ لِلْعَيْـنِ نُزْهَـةٌ، | وَنَهْـرٌ مِـنَ المَـاءِ الَّـذي غَيْـرُ آسِـنِ
[إذا] شِئْـتَ أَنْ تَلْقَى المَحَاسِـنَ كُلَّـهَـا | فَفِي وَجْهِ مَنْ تَهْـوَى جَمِيـعُ المَحَاسِـنِ

ومنه قولُ صاحبِ الزجلِ[3]:

جَنَّـانْ، يَـا جَنَّـانْ | اِجْـنِ مِـنَ البُسْـتَانْ | اليَاسْـمِينْ
واتْـرُكْ الرَّيْحَـانْ | بِحُرْمَـةِ الرَّحْمَـانْ | لِلْعَاشقِيـنْ

قال صاحبُ عنوانِ الدرايةِ: ذُكر أن قـائلاً أنشدَ هذا الزجلَ بحضرةِ الفتحِ أبـي الحسنِ الحرَّالي فسألَ بعضُ من حضرَ عن معناهُ، فقال بعضُهم: أشارَ إلى العِذارِ، لأنَّ ولوعَ القـائلِ كـانَ بـه، وقـالَ بعضُهم: إنَّمـا أشـارَ إلـى دوامِ العهدِ، لأنَّ الأزهـارَ كلَّهـا تَنْقَضِـي أزمانُهـا،

---

[1] ـ في حلبة الكميت 35 :" ابن المزين لبيكم".

[2] ـ نسبهما في حلبة الكميت 35 لابي العلاء المعري، وفيها:

وفي الراح والماء الذي غير آسن

ولم أعثر عليهما لا في شرح سقط الزند، ولا في لزوم مالا يلزم.

[3] ـ ورد البيتان في نفح الطيب 182/2 ضمن زجل طويل لمحي الدين بن العربي.

والريحانُ يدومُ عهدُهُ ولا ينقضي في زمانٍ، فاستحسنَ ذلكَ الشيخُ، انتهى[1]. قلتُ ما أجابَ بـه الثاني أخذهُ من قولِ الشاعرِ:

أرَى عَهْدَكُــمْ كَــالوَرْدِ، لَيْــسَ بِدَائِــمٍ ... وَلاَ خَــيْرَ فِيمَــنْ لاَيَــدُومُ لَــهُ عَهْــدُ
وَعَهْـدِي لَكُــمْ كَالآسِ حُسْنـاً وَبَهْجَــــةً ... لَـهُ نَضْـرَةٌ تَبْقَــى، إذَا ذَهَــبَ الــوَرْدُ

وتَمثيلُ[2] دمعِ المحبوبِ بالمَطرِ المَسكوبِ. وقد أكثرَ الشعراءُ في ذلكَ، قال ابنُ قلاقِس:

كَالغَيْثِ[3]، والكـافُ، إنْ أنْصَفْـتَ، زَائِــدَةٌ ... فِيهِ، فَلاَ تَحْسِبَنْـهَــا كَــافَ تَشْبِيــهِ

آخــرُ:

يَحْكِــي السَّــحَابُ مَدَامِعِــي، لَكِنَّــهُ ... مَــاءٌ، ونَــوْءُ مَدَامِعِــي مِــنْ عَنْــدَمِ
ذَابَتْ حُشَاشَــةُ مُهْجَتِــي، فَلِـذَا تَــرَى ... أجْفَــانَ عَيْنِــيَ فَائِضَــاتٍ بِالــدَّمِ

والثاني كقولِ أبي القاسمِ العطّارِ:

مَــا أدْمُعِــي تَنْهَــلُّ سَحّــاً، إنَّمَــا ... هِيَ مُهْجَتِـي سَالَـتْ عَلَـى الآمَــاقِ[4]

وقال ابنُ العويرةِ:

كَـانَتْ دُمُوعِـي حُمْـراً قَبْـلَ بَيْنِهِـمُ ... فَمُـذْ نَـأَوْا قَصَّرَتْهَـا بَعْدَهُـمْ حُرَقِــي[5]
قَطَفْـتُ بِاللَّحْـظِ وَرْداً مِنْ خُدودِهِــمُ، ... فاسْتَقْطَرَ البَيْنُ مَاءَ الوَرْدِ مِـنْ حَدَقِـي

---

[1] ـ عنوان الدراية 43.

[2] ـ عطف على قوله السابق: "فيه تشبيه المحبوب بالربى".

[3] ـ في الغيث المسجم 52/1: كالبحر. وفيه: "ابن قلاقس يمدح الحافظ السِّلفي".

[4] ـ الآماق: مَجرى الدمعِ من العين.

[5] ـ في الأصل:

وما أحسنَ قولَ المسعودِي[1]:

قَــــالَتْ: عَهِـــدِتُكَ تَبْكِـــــي دَمـــــاً، حَـــذَارَ التَّنَـائِـــــي[2]
فَمَـــا لِعَيْنَـــيكَ جَـــاءَتْ بَعْـــدَ الدِّمَـــاءِ بِمَـــاءِ؟
فَقُلْـــتُ: مَـــا ذَاكَ مِنِّـــي لِسَلْـــوَةٍ وَعَـــــزَاءِ
لَكِـــنْ دُمُـوعِـــيَ شَـابَـــتْ مِـنْ طُـولِ عُمْـرِ البُكَـــاءِ

والأبياتُ في أنواعِ الدموعِ لاتنحصرُ. وقد رأيتُ تأليفاً مُستقلاً في ذلك للصلاح الصفدي، سماه لذاتُ السمع، في صفاتِ الدَّمع.

فإنْ قلتَ: تشبيهُ الوجهِ بالروضِ، في البيتِ ما يُفيدُه، وأما تشبيهُ الدمعِ بالعارضِ، فليسَ للدمعِ ذكرٌ. قلتُ: شهرةُ ذلكَ تُغني عن إيرادِه، لأنَّ الدمعَ يُلازمُ الوجهَ، ولله القائلُ:

وَمَـا فـــي الأرضِ أشْـقَى مِـنْ مُحِـبٍّ، وَإِنْ وَجَـدَ الهَـوَى حُلْـــوَ المَـــذَاقِ
تَـــرَاهُ بَاكِـيـــاً فـــي كُـــلِّ حِيـــنٍ، مَخَـافَـــةَ فُرْقَـــةٍ أَوْ لاشْـتِـيَـــاقِ
فَيَبْكِـــي، إِنْ نَـــأَوْا، شَـوْقـــاً إِلَيْهِـــمْ، وَيَبْكِـــي، إِنْ دَنَـــوْا، حَـــذَرَ الفِـــرَاقِ
فَتَسْخُنُ عَيْنُـــهُ عِنْـــدَ التَّنَـائِـــي، وَتَبْـرُدُ عَيْنُـــهُ عِنْـــدَ الفِـــرَاقِ

= كانتْ دُموعي حُمْراً قبلَ بَيْنِهِـمُ حُزناً، واعتَرَتْها لومـة الحُـرَقِ
والمثبت عن ديوان الصبابة 197، وتزيين الأسواق 452.

1 - في ديوان الصبابة 197، وتزيين الأسواق 452 : "المسعودي شارح المقامات"، مع بعض الاختلاف في رواية الأبيات.

2 - في الأصل: الفراق، وهو خطأ، والمثبت عن ديوان الصبابة، وتزيين الأسواق، ومعاهد التنصيص 250/1

البديــع

فيهِ التشبيهُ المُركبُ، وهو تشبيهُ شيئينِ بشيئينِ، قال الحلي: وهو من مَحاسنِ التشبيهِ العزيزةِ الوقوعِ، كقولِ امرئ القيسِ[1]:

كَأنَّ قُلوبَ الطَّيْـرِ رَطْبـاً ويَابِسـاً   لَدَى وكْرِها العُنَّـابُ والحَشَـفُ البالـي

حُكي عن بشارٍ أنه قالَ: ما زلتُ منذُ سمعتُ قولَ امرئِ القيسِ، لايأخذُني الهجوعُ إلى أن قُلت[2]:

كَأنَّ مُثَـارَ النَّقْـعِ فَـوْقَ رُؤُوسِنَـا   وَأسْيَافَنَـا لَيْـلٌ تَهَـاوَى كَوَاكِبُـهْ

ونكتةُ التشبيهِ، تسليةُ خاطرِه بأن له نظيراً يروّح عنهُ ما يقاسيهِ ويتأسّى به، كقولِها[3]:

ولَـوْلاَ كَثْـرَةُ البَاكِيـنَ حَوْلِـي   عَلَى إخْوَانِهِـمْ لَقَتَلْـتُ نَفْسِـي

واعلمْ أنَّ الغرضَ من التشبيهِ الأغلبُ عَودُهُ للمُشبَّه كما هنا، وقد يعودُ للمشبهِ بهِ، فالأول كقولِ المتنبي[4]:

فَإنْ تَفُقِ الأنَـامَ، وَأنْـتَ مِنْهُـمْ،   فَإنَّ المِسْكَ بَعْـضُ دَمِ الغَـزَالِ

أرادَ أنَّ الممدوحَ وإن كانَ إنساناً، لكنَّه لما اشتملَ عليه منَ الفضائلِ، كادَ أن يكونَ نوعاً آخرَ أشرف من الإنسانِ، كالمسكِ هو من الدماءِ ولا يُعد منها، لِما هو عليهِ من الأوصافِ

---

[1] ـ شرح ديوان امرئ القيس 138.

[2] ـ ديوان بشار 138.

[3] ـ يعني الخنساء، والبيت في شرح ديوانها 87، ضمن قصيدة في رثاء أخيها.

[4] ـ ديوان المتنبي 258.

الشريفةِ التي لا يوجدُ شيءٌ منها في الدمِ. قلتُ: رأيتُ في شرحِ الواحِدِي على ديوانِ أبي الطيبِ في شرحِ هذا البيتِ، أن أبا الطيبِ لما أنشدَ سيفَ الدولةِ قوله :

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلوكاً كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ في مُحَالِ

قالَ له سيفُ الدولةِ: ما المحالُ؟ قال المعوجُّ، لأنَّ كل محالٍ أعوجُ، فقالَ بعضُ الحاضرينَ لو قلتَ: مستقيمٌ في اعوجاجٍ. قالَ أبو الطيبِ: وما تفعلُ بما بعدَه: فإنْ تَفُقِ الأنامُ.. البيت؟ قال: أقولُ:

فَإِنَّ البَيْضَ بَعْضُ دَمِ الدَّجَاجِ

انتهى[1].

والثاني كقول ابنِ وَهيبٍ[2]:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

الإعــراب

الواوُ: للعطفِ.

وإذا: ظرفٌ، تتعلق بـ(بَسَمَ)، لأن الشرطَ، كما قال السعدُ[3]، قيْدٌ في الجزاءِ، والتقديرُ: يبْسِم

---

[1] وردت هذه القصة كذلك برواية مغايرة في الغيث المسجم 208/1.

[2] ـ في الأصل: ابن وهب. انظر الصفحة 236 الحاشية 1.

[3] ـ سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، المتوفى سنة 1390/793م. من علماء العربية والبيان. من كتبه المطول في البلاغة والمختصر، اختصر فيه شرح تلخيص المفتاح، وقد راجَ هذانِ الكتابانِ رواجاً واسعاً في المغرب منذ العهدِ السعدي. (ترجمته في الدُرر الكامنة 350/4، والبدر الطالع 303/2-305).

وقتَ شكوايَ لـهُ.

وَأشكو: فعلٌ مضارع.

وبوَجْدي: جارٌ ومجرورٌ يتعلَّقُ بهِ.

وقوله: **كالربى والعارضِ**، الظاهرُ أنهُ حالُ واحدٍ من اثنينِ، وهما: فاعلُ أشكو وبَسَمَ أيْ الوقت الذي أشكو له فيهِ، يضحكُ وأبكي حالةَ كونِنا كالرُّبى. والحالُ قد تتَّحِد مع تعدُّدِ صاحبِها، قالهُ في الفريدةِ[1]. ومثَّل في شرحها بِقولِ الشاعر:

تَعَـــلَّقْتُ لَيْلَــى، وَهْـــيَ ذَاتُ ذُؤَابَـــةٍ ... وَلَـمْ يَبْـدُ لِلأَتْـرَابِ مِـنْ ثَدْيِهـا حَجْـمُ

صَغِيرَيْنِ نَرْعَى البَهْمَ، يَـا لَيْـتَ أَنَّنَـا ... إِلـى الآنَ لَمْ نَكْبُـرْ، وَلَـمْ تَكْبُـرِ البَهْـمُ

---

[1] ـ مِمَّن شرح الفريدة، وهي منظومة في النحو لجلالِ الدينِ السيوطي، محمدُ بن زكري أستاذُ الإفراني (انظر المقدمة). وبيت الفريدةِ المتعلقُ بتعددِ الحالِ هو:

وعدِّدِ الحـالَ لفردٍ وعـدَدْ ... واجْعَلْهُ للأقربِ إذ لا منعَ صد

ومثل في الشرح بقول الشاعر:

علَـيَّ إذا ما جئتُ لَيْلى بخفيةٍ ... زِيـارةُ بيتِ اللهِ رَجْلانَ حافيـا

أما اتحادُ الحالِ لمتعددٍ فلم يذكرهُ.

(المهمات المُفيدة 2/66-67).

إذْ يُقيِمُ القَطْرُ فيهِ مَأْتَمَا وَهْيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فـي عُرُس[1]

اللغة

يُقيمُ: من أقامَ، قال في القاموس: "أقامَ بالمكانِ إقامةً: دَامَ، والشيءَ: أدامَهُ، وفلاناً: ضدُّ أجلسهُ"[2].

القَطْرُ: السحابُ، من قَطَرَ. وفي ابن القوطية: قطرتُ الماءَ عليه، وأقطرتُه، وقطَر الماءُ[3]. وبفتح القافِ وضمّها: الناحيةُ والشّقُّ، وبكسرِها: النحاسُ: "آتوني أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً"[4]. وقيلَ هو الرَّصاصُ، قالهُ الجَلالُ السُّيوطي في كتابِ الحدودِ لهُ.

"**والمَأْتَمُ**، كمقعدٍ: كلُّ مجتمعٍ في حزنٍ أو فرحٍ أو خاصٌّ بالنساء، أو بالشَّوابِّ"[5].

"**والبهجةُ**: الحُسنُ، بَهُجَ ككَرُمَ، بهاجةً فهو بهيجٌ، وهي مِبْهاجٌ"[6]. "وابْتَهَجَتِ الأرضُ: بَهُجَ نباتُها"[7]. وقال الجرجاني: بَهُجَ: حسُنَ، أي يُبهِجُ منْ يراهُ، والبهجةُ: السرورُ.

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 284.

[2] ـ نص القاموس المحيط (قوم). وليسَ المعنى المشروح هو المقصود عند ابن سهل.

[3] ـ انظر كتاب الأفعال لابن القوطية 53، 56.

[4] ـ سورة الكهف 96/18.

[5] ـ القاموس المحيط (أتم).

[6] ـ القاموس المحيط (بهج).

[7] ـ المصدر السابق.

عُرُس: جمع عِرْسٍ بالكسر ويُضم، وهو الإقامةُ في الفرحِ. والعَروسُ: الرجلُ والمرأةُ مادامَا في إعراسِهما. وفي المثلِ:" لاَ عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ"[1]. واختلفوا فيمن قالهُ، فقيلَ: أسماءُ بنتُ عبدِ اللهِ العذريةُ. كان اسمُ زوجِها عَروس، فماتَ عنها، فتزوجها رجلٌ أعْسَرُ، أبْخَرُ بَخيلٌ دَميمٌ. فلما أرادَ أن يظْعنَ بها، قالت: لو أذنتَ لي لرثَيتُ ابنَ عمِّي. فقالَ: افعلي، فقالتْ: أبكيكَ يا عروسَ الأعراسِ، يا ثَعلباً في أهلِه، وأسداً عندَ الناسِ، معَ أشياءَ ليسَ يعلمُها الناسُ. قال: وما تلكَ الأشياءُ؟ قالت: كانَ من الهمةِ غير نعاسٍ، ويعملُ السيفَ صبيحةَ إبناسٍ[2]. ثم قالت: يا عروسُ الأغرُّ الأزهرُ، الطَّيبُ الخِيمِ، الكَريمُ المَحْضَرِ، مع أشياءَ لا تذكر. قالَ: وما تلكَ الأشياءُ؟ قالت: كَانَ عَيوفاً للخنى والمُنكرِ، طَيبَ النَّكهةِ غيرَ أبْخَرْ، أيْسرَ غيرَ أعْسَر، فعَرفَ الزوجُ أنها تُعرِّضُ بهِ. فلما رحلَ بها قالَ: ضُمِّي إليكِ عطرك، وقد نظرَ إلى قشوةِ عِطرها مطروحةً. فقالت: "لاَعِطْرَ بَعْدَ عَروسٍ".

وقيلَ تزوجَ رجلٌ امرأةً، فهُديتْ إليهِ، فوجدَها تفلةً،، فقال: أينَ عِطرُكِ؟ فقالت: خَبأْتُه. فقال: لاَ مَخبأَ لعطرٍ بعدَ عروسٍ. وهذا المثلُ يُضربُ لِمن لا يؤخَّرُ عنهُ نفيسٌ[3]. وممَّا اتفقَ لي نظمُه من قصيدةٍ:

غَابَ عَنَّا السُّرورُ مُذْ غَابَ عَنَّا … مَنْ برؤْيَتِهِ قِوامُ النُّفُوسِ
فبَذَلْنا النفُوسَ أنفَسَ شَيْءٍ … فِي هَوَاهُ "لاَ عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ"

ولصاحبِ التوشيحِ وقد سمع مُغنياً[4]:

---

[1] ـ في أساسِ البلاغة (عرس): "لاَ مَخْبأ لعطرٍ بعدَ عروسٍ".

[2] ـ في الأصل: انباس، والصواب ما أثبتناه عن القاموس المحيط (عرس). والإبناسُ والبَنس: الفِرارُ من الشر. (القاموس المحيط: بنس).

[3] ـ نقل الإفراني هذا الكلامَ المتعلقَ بالمثلِ السابقِ عن القاموس المحيط(عرس)، مع تغيير يسير.

[4] ـ ديوان ابن سهل 263.

هَـــذَا أَوَانُ فَضِيحَـــتِي، لَبَّيْـــكَ يَـــا   دَاعِـي الهَـوَى "لاَ عِطْـرَ بَعْـدَ عَـرُوسِ"
أَوَمَـا تَـرَى الأَيَّـامَ كَـيْـفَ تَبَسَّمَــتْ   عَنْ وَصْلِ مُوسَـى، بَعْدَ طُـولِ عُبُـوسِ
يُسْقَى، وزَهْرُ الـوُرُودِ مِـنْـهُ طَالِـــعٌ   فِـي وَجْـنَـةٍ وَمَلاَبِـسٍ وكُـــؤوسِ

المعنـــى

هذا كالإيضاحِ لمحلِّ التشبيهِ، فأفادَ أنَّ القطرَ هو في [مأتَمٍ] وحُـزنٍ بدليلِ بُكائـهِ، والرُّبـى في فرحٍ وسرورٍ، بدليلِ تفتُّقِ أزهارهِ[1]، وإيناعِ أنـوارِه. والعَلَمُ المشـهورُ فـي هـذا قـولُ أبـي نواسٍ[2]:

إنَّ هَـــذَا الرَّبِيــعَ شَــيْءٌ عَجِيـــبٌ،   تَضْحَكُ الأَرْضُ مِـنْ بُكَــاءِ السَّمَـــاءِ

وقال آخرُ:

ضَحِـكَ الزَّمَــانُ بِدَمْـعِ غَيْـرِ مُقْبِـلِ   يَنْهَـــلُّ بَيْـــنَ شَمَـائِـلٍ وَجَنَـائِـــبِ
وكَأَنَّ قَوْسَ المُـزْنِ فِـي تَخْـطِيطِــــهِ   شَفَـةٌ بَدَتْ مِنْ تَحْتِ خُضْـرَةِ شَـــارِبِ

وقالَ[3]:

يَـا دِيَـــارَ الحَبِيـبِ، لاَزَالَ يَبْكِـــي   فِيـكِ، إذْ تَضْحَـكُ الرِّيَـــاضُ، غَمَـــامُ

وقال الحائكُ الأمِّي من قصيدةٍ[4]:

---

[1] ـ هكذا في الأصل، والتأنيث أنسب للربى.
[2] ـ البيت مع بيت آخر بعده في خزانة الأدب 86 غير معزويين، ولم أعثر عليهما في ديوان أبي نواس.
[3] ـ البيت من مقطوعةٍ تمثل بها المقري في نفح الطيب 18/1. وفيه: ياديار السرور.
[4] ـ المصدر السابق.

لَـمْ أنْـسَ أيَّامـاً مَضَـتْ، ولَيَالِيَـا سَـلَفَتْ، وَعَيْشـاً بِـالصَّرِيمِ تَصَرَّمَـا
فـي رَوْضَـةٍ أبْـدَتْ ثُغُـورَ زُهُورِهَـا، لَمَّـا بكَـى فِيـها الغمَـامُ تَبَسَّمَـا
وَالطَّيْرُ يَصْدَحُ فِي فُنُـونِ فُرُوعِهـا سَحَراً، فَتُوقِـظُ بِالهَدِيـلِ النُّوَّمَـا

وقدْ لوَّح ابنُ سهلٍ إلى وصفِ الحدائقِ والرَّوابي حيث نسبَ إليها الافترارَ عن أقاحِ الأنوارِ والأزهارِ، فكأنها في أفراحٍ ومسراتٍ. وللذَّهَبي[1]:

هَلُـمَّ يَاصَـاحِ إلـى رَوْضَـةٍ يَجْلُـو بِهَـا العَـانِي صَـدَى هَمِّـهِ
نَسِيمُهَـا يَعْثُـرُ فِـي ذَيْلِـهِ وزَهْرُهَـا يَضْحَـكُ فِـي كُمِّـهِ

وقال ابنُ قرناصٍ[2]:

قَـدْ أتيْنَـا الرِّيَـاضَ حِيـنَ تجللـتَ وَتَحلَّـتْ مِـنَ النَّـدَى بِجُمَـانِ
وَرَأيْنَـا خَوَاتِـمَ الزَّهْـرِ لَمَّـا سَقَطَـتْ مِـنْ أنامِـلِ الأغْصَـانِ

وقالَ ابنُ تَميمٍ:

لِـمَ لاَ أهِيـمُ إلـى الرِّيَـاضِ وَحُسْـنِهَا وأظَـلُّ مِنْهَـا تَحْـتَ ظِـلٍّ ضَـافِ!
وَالزَّهْـرُ حَيَّانِـي بِثَغْـرٍ بَاسِـمٍ، وَ المَـاءُ وَافَانِـي بِقَلْـبٍ صَـافِ

وقوله أيضاً:

مَـا إنْ رَأتْ مُقْلَتِـي عَجِيبَـا كَـالرَّوْضِ، لَمَّـا بَـدَا نَـوَّارُهُ
اشْتَعَـلَ الـرَّأسُ مِنْـهُ شَيْبَـا، وَاخْضَـرَّ مِـنْ بَعْـدِ ذَا عِـذَارُهُ

---

[1] ـ البيتان في حلبة الكميت 276، وخزانة الأدب 62.
[2] ـ المصدران السابقان والغيث.

وقول ابنِ المعتز:

مَـا تَـرَى نِعْمَـةَ السَّـماءِ عَلَـى الأرْ ... ضِ وَشُـكْرَ الرِّيَـاضِ لِلأَمْطَـار
وكَـأنَّ الرَّبِيـعَ[1] يَجْلُـو عَرُوسـاً ... وكَـأنَّـا مِـنْ قَطْـرِهِ فـي نِثَـارِ

آخرُ:

مَـاسَ القَضِيـبُ بِدَوْحِـهِ مِـنْ سُـكْرِهِ، ... لَمَّـا سَقَـاهُ عُـقَـارَهُ آدارُ[2]
حَتَّى إذا سَـرَقَ النَّسِيـمُ دَرَاهِمَـا ... مِنْ زَهْرِهِ، صَاحَـتْ بِـهِ الأطْيَـارُ

آخرُ[3]:

والأرضُ فـي حُلَـلٍ قَـدْ كَـادَ يُحْرِقُهـا ... تَوَقُّـدُ النَّـارِ، لَـوْلاَ ماؤُهـا الجـاري
والطَّيْرُ في وَرَقِ الأشْجَـارِ، شادِيَـةٌ، ... كَأنَّـهُـنَّ قِيَـانٌ خَلْـفَ أسْتَـارِ

آخرُ[4]:

أيَـا حُسْـنَهَا مِـنْ رِيَـاضٍ، غَـدَا ... جُنُونِـي فُنُونـاً بِأفْنَـانِهَـا
مَشَـى النَّهْـرُ فِيهَـا عَلَـى رَأسِـهِ ... لِتَقْبِيـلِ أقْـدَامِ أغْصَـانِهَـا

ابنُ قُرْنَاص[5]:

---

[1] ـ في الأصل: الرياض، وفي ديوان ابن المعتز 206: الربيع، وهو المناسب.

[2] ـ كذا في الأصل، وكتب فوقها صح. والمعروف: آذار، بالذال. والعامةُ تقول: آدَار، بالدال.

[3] ـ البيتان غيرُ معزوينِ في حلبة الكميت 318.

[4] ـ البيتان في حلبة الكميت 279 منسوبينِ لابن قرناص مع بعض الاختلاف في الرواية.

[5] ـ البيتان في حلبة الكميت 279 منسوبينِ لسيفِ الدينِ المشد، وقبلهما بيتانِ لمحي الدين بن قرناص، وهما:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مَعَ الحَبِيبِ مُدَامَةً ... عَذْرَاءَ، إلاَّ أَنَّهَا شَمْطَاءُ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ تَكَبُّرٍ وَتَوَاضُعٍ، ... شَمَخَ القَضِيبُ بِهِ وَخَرَّ المَاءُ

فائدة

على ذكر اخضرارِ الرَّوابي ووشي أديمِ الأرضِ بالأزهار فـ"قال بعضُ العلماءِ: إنَّ القيامةَ تقومُ في شهرِ مارس، وهو آذار، وكانَ[1] عمرُ بن الخطابِ يستبشرُ بخروجه "واستدلَّ على ذلكَ بقولِ اللهِ تعالى: "إنَّما مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناهُ"[2] إلى قوله: "حتَّى إذا أخذتِ الأرْضُ زُخْرُفَها"، قال: إنَّما تكونُ الأرضُ كذلكَ في هذا الشهرِ المذكورِ، ثم قالَ تعالى: "أَتَاهَا أَمْرُنا لَيْلاً أوْ نَهاراً"[3] الآية، انتهى. قالهُ أبو الحجَّاج البلوي[4].

والنشيدُ كثيرٌ في وصفِ الرياضِ، وقد أتيْنا منهُ بما للنفسِ فيهِ ارتياحٌ وارتياضٌ. وقد تلطَّفَ أبو تمَّامٍ حينَ ذكرَ سببَ بُكاءِ الغَمامِ فقال:

رُبًى شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا، ... إلى المُزْنِ حتَّى جَادَهَا وَهْوَ هَامِعُ
كَأَنَّ السَّحابَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ... حَبِيباً، فمَا تَرْقَا[5] لَهُنَّ مَدَامِعُ

قلتُ: اشتملتْ أبياتُ أبي تمام على حُسن التعليلِ، حيث ذكرَ علةَ انسكا[بِ] الأمطارِ على

= حَسَنَ مَا رَأَيتُ من فعلِ نهرٍ، ... لهواه الغصونَ يجري إليها
فهوَ من فرطِ وجدِهِ قد رآها ... شامخاتٍ، فخرَّ بينَ يديْها

ولعل هذا هو سبب سهو الإفراني.

[1] ـ في ألف باء 97/1 مصدر النص: الذي كان عمر..

[2] ـ سورة يونس 24/10.

[3] ـ سورة يونس 24/10.

[4] ـ ألف باء 97/1.

[5] ـ في الأصل: ترقى. والصحيح: ترقا، لأنها مخففة من ترقأ، بالهمزة.

الربى بأنها دفنتْ حبيباً لها فيها، فهي تبكيهِ. ومن حسنِ التعليلِ قولُ ابنِ رشيقٍ[1]:

سَـألْتُ الأرْضَ: لِـمْ جُعِلَـتْ مُصلَّـى، وتُرْبَتُهـا لَنَـا طُهْـراً وطِيبَـا؟
فَقَالَـتْ غيْـرَ نَـاطِقَـةٍ: لأنِّـي حوَيْـتُ[2] لِكُـلِّ إنْسـانٍ حَبِيبَـا

أخذَه من قولِ ابنِ هانِي[3]:

ولَوْ لَمْ تُصَافِحْ رِجْلُهَا صَفْحَـةَ الثَّـرَى لَمَا كُنْتُ أدْرِي عِلَّـةً فِـي التَّيَمُّـمِ

استطراد

قال صاحبُ المُحكَمِ[4]: السِّرُّ في جعلِ الأرضِ مسجداً وطَهوراً ما وَرَدَ أنَّ السماءَ فاخرتِ الأرضَ بأنها أعلَى ومسكنُ الملائكةِ، فقالت الأرضُ: رضيتُ بما جعلَني خالِقي، فشَكَرَ اللهُ لها ذلكَ، وجعلها يُمسحُ بها أشرفُ أعضاءِ الإنسانِ، ويُصلَّى عليها[5]. ومن التعليلِ قولُه[6]:

إنْ يَقْعُـدُوا فَوْقِـي لِغَيْـرِ نزَاهَـةٍ وَعُلُـوِّ مَرْتَبَـةٍ وَعِـزِّ مكَـانِ
فَالنَّـارُ يَعْلُوهـا الدُّخَـانُ، وَرُبَّمَـا يَعْلُـو الغُبَـارُ عَمَـائِـمَ الفُرْسَـانِ

وَمما ينتظمُ في سلكِ حسنِ التعليلِ ما ذكرَهُ الثعالبي فـي الأنـوار أنـه[7] لما عُزِلَ القاضي

---

[1] ـ ديوان ابن رشيق 35.وتناقلتها كتب الأدبِ كالغيث المسجم 207/2، وخزانة الأدب 508، وأنوار التجلي 420/2..

[2] ـ في الأصل: جعلت، والمثبت عن ديوان ابن رشيق.

[3] ـ نسبهُ في الغيث 207/2 لأبي هفانٍ، وورد كذلك في خزانة الأدب 508، وأنوار التجلي 420/2.

[4] ـ في أنوار التجلي 420/2-421: الحكم.

[5] ـ المصدر السابق بتصرف.

[6] ـ البيتان في الغيث المسجم 207/2.

[7] ـ في الأصل و(ب): وأنه، و(ج): أنه، وهو الصحيح.

الفَشتالي[1] عنِ القضاءِ ووُلّيَ الأَوْرَبيُّ[2]، قال أبو المكارمِ[3] منديلُ بن آجرُّومٍ في ذلك:

لَمَّـا تَأخَّـرَ قَاضِينـا النَّبِـيهُ، أبُـو عَبْدِ الإلَـهِ، لأجـلِ السِّـنِّ والشَّيَـخِ
خِفْنَـا يَلِـي بَعْدَهُ مَـنْ لَيْـسَ نَعْرِفُـهُ، أوْ مَنْ يَكُونَ بِحُكْمِ الشَّرْعِ غَيْرَ سَخِـي
فَمَـا تَقَـدَّمَ إلاَّ الأوْرَبِـيُّ لَهَـا، فَنُقِّـلَ الأمْـرُ فِيـهِ مِـنْ أخٍ لأخِ
كِلاهُـمَـا فَاضِـلٌ عَـدْلٌ رِضًـى ثِقَـةٌ، بَحْـرٌ زكْـيُّ السَّـجَايَا، غَـيْرُ مُتَّسِـخِ
فَـإنْ أرَدْتَ قِـوَامَ الدِّيـنِ تَتْبَعُـهُ، فَعِنْـدَ بَابِهِمَـا بِالعِيـسِ فَلْتُنِـخِ

فقولُه: لأجلِ السِّنِّ الخ.. دفع به كثيراً من سيءِ الأوهامِ.

واعلمْ أن هذا المعنى الذي ضَمَّنَهُ ابنُ سهلٍ في البيتينِ مطروقٌ على ألسنةِ رواةِ القريضِ، وعندي أنهُ أخذَ من قول دعبل[4]:

لاَ تَعْجَبِي يَا سَلْمَ مِـنْ رَجُـلٍ ضَحِكَ المَشِيـبُ بِرَأسِـهِ فَبَكَـى

وقال ابنُ خفاجةَ يصفُ السيفَ[5]:

---

[1] ـ محمد بن أحمد بن عبد المالك الفشتالي، قاضي الجماعة بفاس، على عهد أبي عنان المريني. كان كاتباً شاعراً، توفي سنة 777هـ. (نثير الجمان 190-196، وجذوة الاقتباس 1/234-235 و2/508).

[2] ـ عبد الله بن محمد الأوربي قاضي الجماعة بفاس على عهد أبي عنان المريني. أثنى ابن الأحمر في نثير الجمان على شاعريته. توفي سنة 782هـ.(نثير الجمان 440-442 وجذوة الاقتباس 2/422، 2/508).

[3] ـ في الأصل: أبو عبد الله، وهو خطأ. وأبو عبد الله كنية أبيه. (انظر ترجمة منديل بن آجروم).

[4] ـ البيت في شعر دعبل 160، والشعر والشعراء 850.

وفي الأصل: سليمى، وهو تصحيف. والتصويبُ عن المصدرين السابقين.

[5] ـ ديوان ابن خفاجة 207.

الإفرِنْدُ والفِرِنْدُ: السيفُ، وجوْهَرُه ووَشْيُه.

وَمُنَمَّقِ الإفْرِنْدِ يَفْتِكُ في العِدَى أبداً، فَيَفْتِكُ مَا يَشَاءُ وَيُمْسِكُ
وكَأَنَّهُ، والمَاءُ يَضْحَكُ فَوقَهُ، جَذْلَانُ يَبْكِي لِلسُّرُورِ وَيَضْحَكُ

المعاني

قصدَ بـ(إذْ) بيانَ وقتِ ظهورِ التشبيهِ، فَأعْلَمَ أنَّ حالَه معهُ مُشاكلةٌ لحالةِ الروضِ والمطرِ وقْتَمَا وصفَهُ. وأتى بالظاهِرِ في القطرِ موضعَ المُضمرِ، ليتمكَّن التشبيهُ في ذهنِ السامعِ، وليتَّضحَ أكملَ وضوحٍ. وأفردَ الضميرَ العائدَ للرُّبى باعتبارِ المكانِ، ولو اعتبرَ البقعةَ وجبَ أن يؤنِّث، إلاَّ على القاعدةِ التي كانَ أبو عبدِ اللهِ ابنُ مت يقولُها، وهي أنَّ كلَّ ما لا روحَ فيهِ فأنِّثْ أو ذكِّر، وفيها كلامٌ ليسَ هذا محلَّ بسطِه. وأنَّثَ ثانياً في قوله: وهي من بهجتِها. فإنْ قلتَ: فما حِكمة هذا التَّفنن؟ قلتُ: دفعاً للالتباسِ الناشئِ عن التعبيرِ بـ(هُو) من جهَةِ احتمالِ عَوْدِهِ لها أو للقطرِ. وجَمعَ الأعْرَاسَ قَصْداً للتكثيرِ كما نكَّر (مأتَماً) لقصدِ تفخيمِ الحالِ. وبيَّنَ حُصولَ الأفراحِ، بأنها من البهجةِ.

البيان

فيهِ استعارةُ القيامِ للمأتمِ، فكأنهُ كانَ جالساً فجاءَ الغمامُ فأوقفَه، كقولهم: أقامَ قيامتِي. وهذهِ استعارةٌ مُطلقة، لم تَقْترنْ بصفةٍ ولا تَفريعِ كلامٍ، كقول الشيخ منديلٍ مسلياً لأبي عبدِ اللهِ ابنِ مرزوقٍ، لمَّا حبَسهُ أبو عنانٍ[1]:

يَا شَمْسَ عِلْمٍ أفَلَتْ بَعدَمَا أضَاءَتْ المَشْرِقَ والمَغْرِبَا
حُجِبْتَ قَسْراً عَنْ عُيُونِ الوَرَى وَالشَّمْسُ لا يُنْكَرُ أنْ تُحْجَبَا

---

[1] ـ البيتانِ والتعليقُ عليهما في نفح الطيب 418/5.

وفيهِ أيضاً، بملاحظةِ البيتِ قَبله، استعارةُ الضحك للروابي، والفرحِ والعرسِ، وهو مِنَ استعارةِ مَحسوسٍ لمحسوسٍ، وهو الضَّحِكُ والعُرسُ، لمعقولٍ وهو غضارةُ أفنانِها، واستِحكامُ إيناعِ أزهارِها، حتى كأنَّها ضاحِكَةٌ، كقولهِ تعالى: "فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ"[1]. فإنَّ صدعَ الزجاجةِ حِسيٌّ، وتبليغ الرسالةِ مَعنويٌّ، والجامعُ لهما التَّأثيرُ، كأنهُ يقولُ: أبِنِ الأمرَ إبانةً لا تلتئمُ كما لا يلتئمُ صَدعُ الزجاجةِ.

وممَّا ينتظمُ في سلكِ هذا المقامِ، ما ذُكِرَ أن الأستاذَ منديلَ بنَ آجرومٍ، رحمهُ الله، كانَ يُقرئُ مقاماتِ الحَريري بصحنِ جامعِ القرويينَ، زمنَ المَصيفِ، بينَ العِشاءَيْنِ، فمرَّت بهِ لفظةُ الصدعِ، فسألَ سائلٌ عن معنىَ: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ"، ففسَّرها بما سلفَ، فما كانَ إلاَّ أن ألصقتِ الريحُ صُبحيةً[2] كانتْ على رأسِهم بساريةٍ، فكسرتِ الزجاجةَ، فعجبَ الحاضرونَ لموافقةِ ما هم فيهِ، فأطرقَ الأستاذُ هُنيهةً[3]، فقال، بِنْتَ وقتِها، وكان سريعَ النظمِ، وأنشدَ على البديهةِ[4]:

وَلَمَّا ضَرَبْنَا، فِي بَيَانِ اسْتِعَارَةٍ ... مِثَالاً لِصَدْعِ الأَمْرِ صَدْعَ زُجَاجِ
أرَتْنَا عَيَاناً صَدْعَهُ الرِّيحُ، إذْ غَدَتْ ... تُكَسِّرِ في الجُدْرَانِ كُلَّ سِرَاجِ

فحفظَ الحاضرونَ البيتينِ، ثم أنشدَهم صبيحةَ تلكَ اللَّيلةِ نفسِها[5]،

أدَرْنَا مِنَ الآدَابِ كَأساً رَوِيَّةً ... لَهَا النَّقْلُ نُقْلٌ، والمِزَاجُ لَهَا نَصٌّ

---

[1] ـ سورة الحجر 94/15.
[2] ـ في أنوار التجلي 138/1: صبيحة.
[3] ـ في الأصل: هنيئة..
[4] ـ في (ج): وأنشد بديهة.
[5] ـ أورد الثعالبي القصة السابقة وما يتعلق بها من شعر في كتابه أنوار التجلي 138/1-139، وكان حاضراً مجلسَ الشيخ منديل أستاذه.

فَبِتْنَا سُكَارَى، لانَخَافُ مُفَنِّداً، وَلاَ أَحَدٌ بِالحَدِّ لِلسُّكرِ يَقْتَصّ
فَجُنْنَا عَلَى الكِيسَانِ مِنْ فَضْلِ كَأسِنَا فَكَانَ لَهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِنَا رَقْصُ

البديع

فيه الطِّبَاقُ بينَ المَأتَمِ والفرحِ والسرورِ، وسلفَ ما يتعلقْ به. وفيهِ التفسيرُ، قال في المِصباحِ: وهو من مُستخرجاتِ قُدامة[1]. وعرَّفهُ الحلي: بأنْ يُؤتَى في أولِ الكلامِ، أو بيتٍ من الشعرِ، بمعنًى لا يستقلُّ الفهمُ بمعرفةِ فَحواهُ دونَ أن يفسَّر في بقيةِ البيتِ، أو بيتٍ آخرَ، كقولِه:

ثَلاَثَةُ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا: شمسُ الضُّحَى، وَأَبُو إِسْحَقَ والقَمَرْ

أبو إسحقَ كُنيةُ المُعتصمِ العَباسي. ورأيتُ في كتابِ معاهدِ التنصيص، على شواهدِ التلخيصِ[2] للشيخ عبدِ الرحيمِ الشريفِ العباسي، أنَّ الشعراءَ اجتَمَعوا على بابِ المعتصم، فبعثَ إليهمْ محمدَ بنَ عبدِ الملك الزياتَ. وقال لهم: إنَّ أميرَ المؤمنينَ يقولُ لكم: من كانَ يُحسنُ أن يقولَ كقولِ منصورٍ النَّمري في الرشيدِ[3]:

إِنَّ المَكَارِمَ وَالمَعْرُوفَ أودِيَةٌ، أَحلَّكَ اللّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْراً فَاللَّهُ رَفَّعَهُ، وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأَقْوَامِ مُتَّضِعُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِيرِ اللَّهِ مُعْتَصِماً فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الغَيْثُ، لَمْ تُخْلِفْ أَنَامِلُهُ، أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ، ذَكَرْنَاهُ فَيَتَّسِعُ

---

[1] - انظر صحة التفسير، في كتاب نقد الشعر 154-155.

[2] - معاهد التنصيص 215-216.

[3] - هناك اختلافٌ كبيرٌ بين رواية معاهدِ التنصيص للأبياتِ وبينَ ما هو مثبت هنا، وانظر هذا الشعر ضمن أخبارِ منصور النمري في طبقاتِ الشعراء لابن المعتز 241-247.

فليدخلْ، وإلاَّ فلينصَرِفْ، فقال محمدُ بنُ وُهَيْب[1]: ثلاثةٌ تُشْرِقُ..إلخ، فأمرَ الملكُ بإدخالِه، وأحسنَ صلتَه.

قلتُ على قولِ النّمري:

أوْ ضَـــاقَ أمْــرٌ ذكَرْنَـــاهُ فيَتّسِـــعُ

فبقيَ على بالي من كتابِ زهرِ الآدابِ، وثمرِ الألبابِ، لابنِ إسحقَ القيرواني الحُصري، أن رجلاً اشتكى للرشيدِ يوماً عُسرَ الطلقِ على زوجتِه، وكانَ الأصمعيُّ حاضراً، فقالَ للرجلِ: أُذكرْ عليها اسمَ أميرِ المؤمنينَ، فإنَّ النفاسَ يسهلُ عليها، فقالَ لهُ الرشيدُ: قاتلكَ اللّهُ! ومن أينَ لكَ بهذا؟ قال: من قولِ النّمَري:

أوْ ضَـــاقَ أمْــرٌ ذكَرْنَـــاهُ فَيَتّسِـــعُ

انتهـى.

رقيقـــة

قالَ صاحبُ أنوار التجلّي لما تكلم على التفسير، وأنه نـوعٌ مـن أنـواع البديـعِ مـا نصُّـه[2]: ومما يقربُ من التفسيرِ قولُ ابنِ الخيَمي:

---

[1] ـ.في الأصل: ابن وهب، وفي معاهد التنصيص: ابن وهيب، وأشار في الحاشية إلى أنه في نسخ أخرى: ابن وهب، وفي طبقات الشعراء لابن المعتز أخبار لمحمد بن وهيب ولم تـرد معها هذه القصة. (طبقات الشعراء 310 ومواضع أخرى).

[2] ـ أنوار التجلي 415/2، ولم يلتزم الإفراني النصَّ كما قال، أو قد يكون أخذَ من نسخة أخرى غير المعتمدة عندنا من كتاب الأنوار.

وَلَسْتُ أعْجَبُ مِنْ حُبِّي، وَصِحَّتُهُ مِنْ صِحَّتِي، إنَّمَا سُقْمِي هُوَ العَجَبُ

وكنتُ أستشكِله، وأسألُ[1] كلَّ من عَانى صناعةَ الأدبِ، فما تحصَّلَ لي ما يصلُح، إلى أنْ سألتُ عنهُ شيخَنا أبا العباسِ أحمدَ القبَّابَ، وكانَ ذا فهمٍ ثاقبٍ، وذِهنٍ صائبٍ، بعدَ قُفوله من الحجِّ، فقالَ لي: البيتُ لابنِ الخيمي من قصيدةٍ أولها:

يَا مَطْلَباً لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِ أرَبُ إلَيْكَ آلَ التَّقَصِّي[2]، وَانْتَهَى الطَّلَبُ

وهوَ من مَروياتي عن ابنِ جابرٍ الوادي آشي، وأبي زكرياءَ عن والدهِ ابنِ رُشيدٍ الفِهرَي. والذي يقرِّبُ فهمهُ لكَ أن يفسر كلامهُ بكلامِه، قالَ مقطوعةً:

وَقَائلَةٍ: مَا بَالُ جِسْمِكَ نَاعِماً وَعَهْدِي بِأجْسَامِ المُحِبِّينَ تَسْقَمُ؟
فَقُلْتُ لَهَا: قَلْبِي بِحُبِّكِ لَمْ يَبُحْ لِجِسْمِي، فَجِسْمِي بِالهَوَى لَيْسَ يَعْلَمُ

فإذا فهمتَ معنى البيتينِ سهُل عليكَ فهمُ البيتِ، وذلكَ أنهُ لمَّا كتمَ حبَّه غايةَ الكتمِ عنْ جسمِه، بقيَ جسمُه على صحةٍ. ثم لمَّا أصابَ جسمَه سُقْمٌ، تعجَّبَ من أينَ أصابَ جسمَه السقمُ، وهو غيرُ عالمٍ بسرِّه؟ قال: وكلمةُ(صِحَّتُهُ) تُروى بالرفعِ على الابتداءِ والحالِ، والخفضِ على العطفِ. ونسب كتاب صاحبِ الفُتُوه، في أهلِ السَّخاءِ والمروه، البيْتين لديكِ الجنِّ[3]، انتهى[4]. وكأنَّ ابنَ الخيَمي أخذَ المعنى مما يُحكى أن إبراهيمَ بنَ المَهدي كانَ كثيرَ

---

[1] - في الأصل: أسل.

[2] - في الأصل: التفضي، وهو من غلطِ النسخِ، والتصويب من أنوار التجلي.

[3] - البيتان منسوبان لابنِ الخيمي في الغيث المسجم 230/1، وهما غير منسوبين في الموشى 79، وحلبة الكميت 77، وتزيين الأسواق 410.

[4] - يعني انتهاءَ كلام صاحب أنوار التجلي، والكلام في الكتاب 415/2 بتصرف.

اللحْمِ، فدخَلَ على المأمونِ فقال له[1]: ياعمُّ، هلْ عشقتَ قطُّ؟ قال: نعمْ، يا أميرَ المؤمنينَ، وأنا واللهِ، الساعةَ، عاشقٌ، ثم قال لهُ: وأنتَ على هذه الحالةِ! وأنشدَ المامونُ:

وَجْـهُ الـذي يَعْشَـقُ مَعْـرُوفُ　　لأنَّـهُ أصْفَـرُ مَنْحُـوفُ
لَيْـسَ كَمَـنْ يَأتِيـكَ ذَا جُثَّـةٍ　　كَأَنَّـهُ للذَّبْـحِ مَعْلُـوفُ

فأجابهُ إبراهيمُ بقوله:

وَقَـائِلٍ لَسْـتَ بِالمُحِـبِّ، ولَـوْ!　　كُنْـتَ مُحِبّـاً لَذُبْـتَ مُـذْ زَمَـنِ
أحَـبَّ قَلْبِـي، ومَـا دَرَى بَدَنِـي،　　ولَـوْ دَرَى مَـا أقَـامَ بِالسِّمَـنِ

ومما يقربُ من هذا، في الاعتذارِ عن صحة الجسمِ مع دعوَى الهَوى، قولُ بعضِهم:

يَقُولُـونَ: أجْسَـامُ المُحِبِّيـنَ نِضْـوَةٌ　　وَأنْـتَ سَـمينٌ: لَسْـتَ غـيرَ مُرَائِـي
فَقُلْـتُ: غِذَاءُ الحُـبِّ خَالَـفَ طَبْعَهُـمْ　　وَوَافَقَـهُ طَبْعِـي، فَصَـارَ غِذَائِـي

وفيهِ اللفُّ والنشرُ المعكوسُ، حيثُ فسرَ (العارضَ) مقدماً، وهو مؤخرٌ، والرُّبى بالعكس[2]، وليسَ بِمُستحسَنٍ عندهم، والدليلُ على ذلك ما قال المرزباني: قال لي ابنُ دريدٍ: سهرتُ ليلةً، فلما غَمضتُ، أتاني رجلٌ طويلٌ أصفرُ الوجهِ كَوْسَجٌ[3] فقال: أنشدْني أحسنَ ما قلتَ في الخمرِ، فقلتُ: ما تركَ أبو نواسٍ لأحدٍ شيئاً، فقالَ: أنا أشعرُ منهُ، فقلت: ومَن أنتَ؟ فقال: أنا ابنُ ناجيةَ، من أهلِ الشامِ، وأنشدَني[4]:

---

[1] ـ وردت هذه القصة وما يتعلق بها من شعر، وأشعارٌ أخرى في الموضوع، في الموشى 79، وبرواية مختلفة في حلبة الكميت 76-77.

[2] ـ هذا باعتبار البيتين 5، 7 معا.

[3] ـ الكَوْسَجُ: الذي لحيتُه على ذقنِه لا على العارضينِ، معرب عن الفارسية وأصله كوسَهْ.

[4] ـ البيتان والقصة السابقة في خزانة الأدب 221 نقلا عن ابنِ خلكان في تاريخه حينَ ترجم لابن دريد.

[وحَمْـ]ـراءَ قَبْلَ المَـزْجِ، صفْـراءَ بَعْـدَهُ، أَتَـتْ بَيْـنَ ثَـوْبَـيْ نَرْجِـسٍ وَشَـقَـائِـــقِ
حكَتْ وَجْنَةَ المَعْشُوقِ صِرْفـاً، فَسلَّطُـوا عَلَيْهَا مِزَاجاً، فَاكْتَسَتْ لَـوْنَ عَاشِـــقِ

فقلتُ لهُ: أسأتَ الترتيبَ. فقال: ولِمَ؟ قلتُ: لأنكَ قلتَ: وحمراءَ، فقدَّمتَ، ثم قلتَ: بَيْنَ ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ. فقدَّمتَ الصفراءَ، فهلاَّ قدمتها على الأخرى؟ فقال: ومَا هذا الاستقصاءُ يا بغيضُ؟ ثم انصرفَ، انتهى. وفي كلامِ بعضِهم ما يُفيدُ أنهُ غيرُ مَعيبٍ.

الإعــراب

إذْ: ظرفٌ للماضي، كما تقدَّمَ. وأقولُ لكَ أنْ تَجْعلها للحالِ، فإن بعضَ النحاةِ ذكرَ أنها تكونُ منصوبةً على الحالِ، ومثَّلَ بقوله تعالى: "وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ" إلى قوله:" إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ "[1]، نَقَلَهُ في الحدودِ. ويجوزُ أن تكونَ هنا للتحقيقِ، كما قالَ بهِ السُّهيلي في قولِه تعالى: "بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"[2]، وردَّه في المُغني قائلاً: إنهُ ليسَ بشيءٍ.

ويُقيمُ: مُضارعٌ. و**القطْرُ**: فاعلٌ. و**فيه**: متعلق بالمضارع. و**مأتماً**: مفعولُ (يُقيمُ). و**الواو**: واوُ الحالِ. وهِيَ: مبتدأٌ. و**في عُرُسٍ**: خبرُه. و**مِنْ بَهْجَتِهَا**: بيانٌ له.

---

[1] - في سورة يونس 61/10: "..وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ".
[2] - في سورة آل عمران 80/3 : "أَيَأْمُرُكُمْ بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ!".

مَـــنْ إِذَا أُمْلِـــي عَلَيْـــهِ حُرَقِـــي طَارَحَتْنِـــي مُقْلَتَـــاهُ الدَّنَفَـــا[1]

اللغـــة

"**الإمْلاءُ**: إلقاءُ الكلامِ على الكاتبِ، وأمليتُ الكتابَ، أَمَلَّتُهُ. واستملاهُ: سألَهُ الإملاءَ"[2].

و**حُرَقُ**: جمعُ حرقةٍ كغرفةٍ وغرفٍ، والحُرقةُ بالضم، من الإحراقِ كالحريقِ، والحِرَقُ التهابُ النارِ[3].

فائدة

قالَ الحافظُ جلالُ الدينِ السيوطي في كتابِ الحدودِ، لمَّا فسرَ الحريقَ، ما نصُّه: وينفعُ لإطفاءِ النارِ الإكثارُ من التكبيرِ، انتهى. ونَقَلَه الشيخُ زرُّوقُ أيضاً.

و**طَارَحَتْنِي**: أي شكتْ إلي بما أشكو لها، وقال في القاموس: المطارحةُ: معروفةٌ[4] "و**المُقْلَةُ**: شَحمةُ العينِ التي تجمعُ السوادَ والبياضَ، أو الحدقةُ"[5] والجمعُ: مُقَلٌ.

"و**الدَّنَفُ** محركةٌ: المرضُ الملازمُ، ودنِفَ المريضُ كفرِحَ: ثَقُلَ"[6]

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 284.

[2] ـ القاموس المحيط (ملي)

[3] ـ القاموس المحيط (حرق) بتصرف. وفيه: الحِرَقُ: النار أو لَهَبُهَا.

[4] ـ القاموس المحيط (طرح).

[5] ـ في الأصل: أو هي للسواد وللبياض. ونص القاموس المحيط (مقل): "..أوهي السواد والبياض".

[6] ـ القاموس المحيط (دنف).

أن مِن شأني معهُ أيضاً أنِّي إذا ذكرتُ لهُ ما أجدُه فيهِ، وما أُقاسيهِ في هواهُ، شكا إلـي ما أشتكي منهُ عيناهُ، وفاوضاني فيما هُما عليهِ من السُّقْمِ والمرضِ. والمقصودُ من هذا الكـلامِ، الإعلامُ بشيئينِ، أحدُهما سُقمُ جُفونِـه ومرضُ ألحاظِـه، وثانيهما ترويحُ الخَا[طرِ] الكئيبِ، وتأسِّيهِ بأنْ يرى أقربَ شيءٍ إلى المحبوبِ وأحبَّ شيءٍ عندَه لم يسلمْ، معَ ما هو عليـهِ من القربِ، مِنْ الشغفِ بهِ، والكَلَفِ بجمالِه الفتانِ، فما بالكَ بمن كانَ مثلي، وشكلُه على شكْلي! وقد أكثرَ الشعراءُ من النظمِ في كلا الأمرينِ. فأما الأولُ فقال الفرزدقُ[1]:

وَمُقْلَـــةِ شَـــادِنٍ أَوْدَتْ بِقَلْبِـــي، كَـــأَنَّ السُّـــقْمَ لِـــي ولَـهَـــا لِبَـــاسُ
يَسُـــلُّ اللَّحْـظُ مِنْهَـــا مَشْرَفِيّـــاً لِقَتْلِـــي، ثُـــمَّ يُغْمِضُـــهُ النُّعَـــاسُ

وقال العطارُ المَغربي[2]:

مُهَفْهَـــفُ القَامَـــةِ مَمْشُوقُهَـــا مُسْتَمْلَـــحُ الطُّـــرَّةِ مَعْشُوقُهَـــا
فِـي طَرْفِـهِ، مِـنْ سُقْـمِ أَلْحَـاظِـهِ دَعْـوَى، وَفِـي جِسْمِـي تَصْدِيقُهَـا

الصَّفي الحلِّي[3]:

يَـا ضَعِيـفَ الجُفُـونِ، عَذَّبْـتَ قَلْبـاً، كَـانَ قَبْـلَ الهَـوَى قَوِيّـاً سَوِيَّـا
لاَ تُعَـــذِّبْ بِنَـاظِـرَيْـكَ فُـــؤَادِي! فَضَعِيفَـــانِ يَغْلِبَـــانِ قَوِيَّـــا

---

[1] ـ لم أجد البيتين في ديوان الفرزدق، وهما في الشريشي الكبير 134/1 منسوبينِ لابن الوفاق. في الأصل: كانَ، والتصويبُ عن الشريشي الكبير.

[2] ـ هو عبد اللهِ بنُ محمد الأزدي المغربي، شاعرُ مجيدٌ، له أشعارٌ في فوات الوفيات 225/2–226، ومنها هذان البيتان.

[3] ـ ديوان صفي الدين الحلي 400، والغيث 74/1.

ابنُ خطيب داريًّا[1]:

شَـــهِدَتْ جُفُـــونُ مُعَذِّبِـــي بِمَلاَلِـــهِ مِنِّـــــي، وأَنَّ وِدَادَهُ تَكْـلِيــــــفُ
لَكِنَّنِـي لَـــمْ أَنْـــأَ عَنْـــهُ لأَنَّــــهُ خَبَـرٌ رَوَاهُ الجَفْــنُ وَهْـــوَ ضَعِيـــفُ

النَّواجِي:

غَـــزَالٌ فِـــي لَوَاحِظِـــهِ سَقَـــامٌ، وَجِسْـــمِي نَـــاحِلٌ مُضْنًـــى عَلَيْـــهِ
يُشِيـــرُ بِطَرْفِـــهِ، فأَمِيـــلُ شَوْقـــاً، وَشِبْـــهُ الشَّـــيْءِ مُنْجَـــذِبٌ إِلَيْـــهِ

الصَّفدي:

سُيُوفُ أَجْفَانِـهِ المَرْضَـى سَفَكْـنَ دَمِـــي وَلَـمْ يُطِـقْ دَمْعُهَا حَوْلِـي وَلاَ حَيْلِـــي[2]

ابنُ النبيهِ[3]:

تَعَلَّمْـتُ عِلْـــمَ الكِيمِيَـــاءِ بِـحُـبِّـــهِ غَـزَالٌ، بِجِسْمِي مَـا بِعَيْنَيْـهِ مِـنْ سُـقْمِ
وَصَعَّدْتُ أَنْفَاسِي، وقَطَّـرْتُ أَدْمُعِـــي، فَصَحَّ مِـنَ التَّدْبِيـرِ تَصْقِيـرَةُ الجِسْـمِ

قُلتُ: أشارَ ابنُ النبيهِ إلى صحةِ كِيمياءِ العُشاقِ، وهي أوضحُ من كيمياءِ العادةِ، كقولِه أيضاً[4]:

صَنْعَـــةُ الكِيمِيَـــاءِ صَحَّـــتْ لَعَيْنِـــي، حِيـــنَ يَـــزْدَادُ إِذْ يَرَانِـــي احْمِـــرَارَا

---

1 - في تزيين الأسواق 468 حيث ورد البيتان: جلال الدين بن خطيب داريا.
2 - الحَوْلُ والحَيْلُ: الحذق.(القاموس المحيط: حول، حيل).
3 - ديوان ابن النبيه 390.
4 - البيتان من قصيدة في مدح الأسعد بن مَمَّاتي في ديوانِ ابنِ النبيه 413.

فَـإِذَا مَـا أَلْقَيْـتُ إِكْسِيـرَ لَحْظِـي فِي لُجَيْـنِ الخُـدُودِ صَـارَ نُضَـارَا

آخـرُ:

يَقِـظٌ مَـا يُشِيـرُ طَـرْفٌ إِلَيْـهِ بِمَـرَامٍ، إلاَّ وَيَفْهَـمُ رَمْـزَهْ
كُـلُّ مَـا تَفْعَـلُ الصَّـوارِمُ تُغْنِـي عَنْـهُ أَلْحَاظُـهُ المِـرَاضُ بِغَمْـزَهْ

ابنُ النَّبيهِ[1]:

فَدَيْـتُكَ أَيُّهَـا الرَّامِـي بِقَـوْسٍ وَلَحْـظٍ، يَـا ضَنَـى جَسَـدِي عَلَيْـهِ
لِقَوْسِكَ نَحْـوَ حَاجِبِـكَ انْجِـذَابٌ، وَشِبْـهُ الشَّـيْءِ مُنْجَـذِبٌ إِلَيْـهِ

أخذه الصفدي:

تَشَـرَّطَ مَـنْ أُحِـبُّ، فَذُبْـتُ وَجْـداً فَقَـالَ، وَقَـدْ رَأَى جَزَعِـي عَلَيْـهِ:
عَقِيـقُ دَمِي جَـرَى فَأَصَـابَ خَـدِّي، وَشِبْـهُ الشَّـيْءِ مُنْجَـذِبٌ إِلَيْـهِ

قلتُ: عادةُ الصلاحِ الصفدي أن يُغيرَ على مَعاني الجمالِ ابنِ نباتة ويأخذَها، وربما لا يُغيِّر فيها إلا البحرَ. ووقعتْ بينهُما في ذلكَ مُشاجرةٌ، أوجبتْ أنْ ألفَ ابنُ نباتةَ كتابَهُ المُسمى بخُبزِ الشَّعيرِ إشارةً إلى أنهُ مأكولٌ مذمومٌ. والتزمَ فيهِ أن يقولَ: قلتُ أنا، فأخذَه الشيخُ صلاحُ الدينِ. وافتتحَ الكتابَ بقولِه: "ربِّ اغفِرْ لي، ولِوالِدَيَّ، ولِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً"[2] اللَّهُمَّ، ومَن دخلَ بيتي كافراً بفوائدِ النعمةِ، وبيتَ شعري سارقاً من ألفاظِه ومعانيهِ المُحكمةِ، إلى أنْ قالَ:

---

[1] ـ ديوان ابنُ نباتة 579. وورد البيتان وبيتا الصفدي بعدهما مع القصة، في خزانة الأدب 19.
[2] ـ سورة نوح 28/71.

إنهُ نَسبني إلى سرقَة الأشعارِ، فضحكتُ، واللهِ، من ذِهنهِ الذاهلِ، وذكرتُ على رغْمِه قولَ القائلِ[1]:

وَفَتًــــى يقُــولُ الشِّعْــــرَ، إلاَّ أنَّـــــهُ فِيمَــا عَلِمْنَـــا يَسْـــرِقُ المَسْرُوقَـــــا

وقال أبو الشَّحناءِ العَسقلاني في مرضِ الجُفون:

وَمُهَفْهَـــفٍ عَلِـــقَ السَّـــقَامُ بِجَفْنِـــهِ وَسَـــرَى فَخَيَّـــمَ فِـــي مَعَـــاقِدِ خَصْـــرِهِ
مَزَّقْـتُ أثْـــوَابَ الظَّـــلاَمِ بِثَغْـــــرِهِ، ثُـمَّ انْثَنَيْـتُ أَحوكُهَـــا مِـــــنْ شَعْـــــرِهِ

واعلمْ أنَّ معنى سقام الجفونِ، هو فتورٌ يوجدُ فيها، وانكسارٌ يعتريها. ومِنْ ثَـمَّ توصـفُ بالذبولِ، وتشبَّه بالنرجسِ، وما أبدعَ قولَ السراجِ [الوراقِ][2]:

أقُـــولُ لِمَـــنْ جَفْنُـــهُ سَيْفُـــــهُ وَلَكِنَّـــــهُ لَيْــسَ يَخْشَـــى نُبُـــــوَّهْ
تَكَلَّـــفَ جَفْنُـــكَ حَمْــــلَ الفُتُـــــورِ وَأَخْـرَجَ فِيـكَ مِـنَ الضَّعْـــفِ قُـــــوَّهْ

وقولَه[3]:

قُلْـتُ لِسُقْـمِ الجَفْـنِ مِنِّـــي، وَقَـــدْ أَفْــرَطَ بِــي فَــرْطَ ضَنًـــى واكْتِئَـــابْ،
فَقُلْتَ: بِـي، يَـاسُقْـمُ، مَـا لَـمْ يَكُـــنْ يُلْبَـسُ، واللَّـــهِ، عَلَيْـــهِ الثِّيَـــابْ

وقولَ ابنِ العَفيفِ التِّلمساني:

[1] ـ ورد هذا الكلام وما يتعلق به من شعر في خزانة الأدب 19.

[2] ـ نسب هذان البيتان واللذان بعدهما في خزانة الأدب 340 لأبي الحسنِ الجزارِ، والظاهرُ أن الإفراني أخطأ في نسبتهما، وهو ينقل عن ابنِ حجة، بسبب استرسال هذا الأخير في استعمال ضمير الغيبة: "وقال:.. وقال..".

[3] ـ انظر الحاشية قبله. والبيتان منسوبان في ديوان الصبابة لناصر الدين الفقعسي.

يَـــا بِـــأَبِي مَعَـــاطِفٌ وأَعْيُـــنُ   يَصُـــولُ مِنْهَـــا رَامِـــحٌ ونَابِـــلُ
فَهَـــذِهِ ذَوَابِـــلٌ نَـوَاضِـــرُ،   وَهَـــذِهِ نَـواظِـــرٌ ذَوَابِـــلُ

وقولَ الأرَّجاني[1]:

غَــالَطَتْنِي إِذْ كَسَــتْ جِسْــمِي ضَنًــى   كِسْــوَةً أَعْــرَتْ مِــنَ اللَّحْــمِ العِظَامَــا
ثُمَّ قَالَتْ: أَنْــتَ عِنْــدِي فِــي الهَــوَى   مِثْلُ عَيْنِي، صَدَقَــتْ لَكِــنْ سَقَامَــا

محاسنُ الشَوَاء[2]:

ولَمَّــا أَتَــانِي العَــاذِلُونَ، عَدِمْتُهُــمْ،   ومَــا فِيهِــمُ إلاَّ لِلَــ[حْمِــي] قَــارِضُ
وقَدْ بُهِتُــوا لَمَّــا رَأَوْنِــي شَاحِيــاً،   وقَالُوا: بِهِ عَيْــنٌ، فَقُلْــتُ: وَعَــارِضُ.

الشِّهابُ محمود[3]:

رَأَتْــنِي، وقَــدْ نَــالَ مِــنِّي النُّحُــولُ،   وفَــاضَتْ دُمُوعِــي عَلَــى الخَــدِّ فَيْضَــا
فَقَالَتْ: بِعَيْـنِــيَ هَــذَا السَّـقَــامُ،   فَقُلْــتُ: صَدَقْــتِ، وَبِالْخَصْــرِ أَيْضَــا

الصَّفدي[4]:

بِسَهْـــمِ أَجْفَانِـــهِ رَمَانِـــي،   فَذُبْـــتُ مِـــنْ صَـــدِّهِ وَبَيْنِـــهْ

---

[1] ـ لم أجد البيتين في ديوان الأرجاني. وفي ديوان الصبابة 154: "وأورَدَ في كتابِ حُسن التوسل قول الأرجاني" ثم البيتان. ونسبهما في الغيث 160/1 لأبي الثناء محمود. وورد أيضاً في خزانة الأدب 146، ومعاهدالتنصيص 181/3، وتزيين الأسواق434.

[2] ـ الغيث المسجم /160، وديوان الصبابةِ154/1، وخزانة الأدب145 ومعاهد التنصيص185/3.

[3] ـ ديوان الصبابة 153-154، خزانة الأدب 146، ومعاهد التنصيص 185/3 وتزيين الأسواق 434.

[4] ـ تزيين الأسواق 467.

إنْ مِــتُّ مَالِــي سِــوَاهُ خَصْــمٌ، لأنَّــهُ قَاتِــلِــي بِعَـيْـنِـهْ

ابنُ نباتة[1]:

وَيْحَ قَلْبِي مِنْ كَاسِرِ الطَّرْفِ، أَضْحَى فِيهِ قَلْبِي، كَمَا تَرَى، مَكْسُورَا
قَدْ حَمَى ثَغْرَهُ بِعَيْنَيْهِ عَنِّي، وكَذَاكَ السُّيُوفُ تَحْمِي الثُّغُورَا

ومـ[مَّـ]ـا يناسبُ هنا "ما ذكرهُ الزبيرُ بن أبي بكر[2]، قال: قالَ لي مُسلمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ جندبٍ[3] الهُذلي: خرجتُ أُريدُ العَقيقَ ومعي رِيانُ السواقُ[4]، فلقينا نسوةً [فيـ]ـهِنَّ امرأةٌ لم أرَ أجملَ منها، فأنشدَ ريانُ بيتينِ لأبي، وهما:

أَلاَ يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا أَخُوكُمُ قَتِيلاً، فَهَلْ فِيكُمْ لَهُ اليَوْمَ ثَائِرُ
خُذُوا بِدَمِي، إِنْ مِتُّ، كُلَّ خَرِيدَةٍ مَرِيضَةِ جَفْنِ العَيْنِ، والطَّرْفُ سَاحِرُ

[ثُـ]ـم قالَ لي: شأنكَ بها، فالطلاقُ لهُ لازمٌ إنْ لم يكنْ دمُ أبيكَ في نقابِها، فأقبلتْ علي، وقالتْ لي: أنتَ ابنُ جُندبٍ؟ قلتُ: نعم. قالتْ: إنَّ قَتيلنا لا يُودَى، وأسيرَنا لايُفدَى، فاغتنمْ نفسكَ، واحتَسِبْ أباكَ، انتهى.

وقد تغالى الشعراءُ في تشبيهِ العيونِ بالنرجسِ، حتَّى شبَّهوا النرجسَ بالعيونِ، كقولِ

---

[1] ـ المصدر السابق 468.

[2] ـ الموشى: ابن بكار. ووردت هذه القصة في الموشى 111، ونهاية الأرب 149/2، ورفع الحجب 184/1، والمحصور بين حاصرتين مُطابق لما في رفع الحجب.

[3] ـ في الأصل سلمةُ بن عبد الله بن جنوب، والتصويب عن الموشى ونهاية الأرب. وفي رفع الحجب: مسلمة.

[4] ـ الموشى: معي أبو سفيان.

الحِلي في النرجسِ والنَّمامِ[1]:

أَقُولُ، وَطَرْفُ النَّرْجِسِ الغَضِّ شَاخصٌ إِلَيْنَـا وَلِلنَّمَّـامِ حَـوْلِـي إِلْمَـامُ:
أَيَا رَبِّ، حَتَّى فِي الحَدَائِقِ أعْيُنٌ عَلَيْنَا، وَحَتَّى فِي الرَّيَاحِينِ نَمَّامُ

قالَ ابنُ حجةَ: أخذَ الصَّفيُّ هذا المعنى من قولِ يوسف بنِ لُؤْلُوءٍ الذَّهَبي من قصيدٍ:

بَاكِرْ إِلَى الرَّوْضَةِ، واسْتَجْلِهَا، فَثَغْرُهَا فِي الصُّبْحِ بَسَّامُ
وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ اعْتَرَاهُ الحَيَا فَغَضَّ طَرْفاً فِيهِ أَسْقَامُ
وَبُلْبُلُ الرَّوْضِ يَصِيحُ عَلَى الْـ أَيْكَةِ والشُّحْرُورُ تَمْتَامُ
وَنَسْمَةُ الصُّبْحِ عَلَى ضَعْفِهَا، لَهَا بِنَا مَرٌّ وَإِلْمَامُ
فَعَاطِنِي صَهْبَاءَ مَشْمُولَةً عَذْرَاءَ وَالوَاشُونَ نُوَّامُ
وَاكْتُمْ أَحَادِيثَ الهَوَى بَيْنَنَا، فَفِي خِلَالِ الرَّوْضِ نَمَّامُ

وأخذهُ ابنُ الوردي أيضاً: [2]

إِنْ قَالَ:صِفْ لِي عِذَارِي، وَصِفْ مُبْتَكِرِ وَوَجْنَتِي، قُلْتُ: خُذْ[يَا]صَنْعَةَ البَارِي:
هَذَا عِذَارُكَ نَمَّامٌ، وَمَسْكَنُهُ نَارٌ بِخَدَّيْكَ، والنَّمَّامُ فِي النَّارِ

ولآخرَ:

نَرْجِسَةٌ مَا تَزَالُ مُحْرِقَةً، لَمْ تَكْتَحِلْ قَطُّ لَذَّةَ الغَمْضِ
بَاكَرَهَا الطَّلُّ فَهْيَ بَاهِتَةٌ، تَنْظُرُ فِعْلَ السَّمَاءِ بِالأَرْضِ

---

[1] ـ ديوان صفي الدين الحلي: 559.

[2]. ـ البيتان غير معزوين، في حلبة الكميت 252.

وفي الأصل: وهو مبتكر، والمثبت عن حلبة الكميت، والزيادة منه وبدونها يَخْتَلُّ الوزن، وفيه: يا صبغة.

والأبياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ، وقد هَدَمَ ابنُ يونسَ هذا التشبيهَ فقالَ: كما[سيأتي][1]:

يَـا مَـنْ يُشَـبِّهُ نَرْجِسـاً بِنَـواظِـرٍ دُعْـجٍ، تَنَبَّـهْ إِنَّ فَهْمَـكَ رَاقِـدُ
إِنَّ القِيَـاسَ، لِمَـنْ يَصِـحُّ قِيَاسُـهُ، بَيْـنَ العُيُـونِ وَبَيْنَـهُ مُتَبَاعِـدُ

المعانـي

أَتى بالمُسندِ إليهِ موصولاً للإيماءِ إلى وجهِ بناءِ الخبرِ، والإشعارِ بوجهِ الحكمِ المخبرِ بثبوت ذلك الخبرِ لهُ. فإنه لما حكمَ عليهِ بأنَّ أجفانَه تركتْ[2] ما يأتي لكلفي بهِ. ولهذا الحكمُ وجه[3] يعلم من الموصولِ. وهو كونُ أجفانِه تشكو لي ما أشكو له، فهو كقولِه تعالى: "إِنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي"[4]، الآية. ويُحتملُ أن الإيماءَ إلى التعريضِ بالتعظيمِ لشأنِ الخبرِ، كقولِه[5]:

إِنَّ الَّـذِي سَمَـكَ السَّمَـاءَ بَنَـى لَنَـا بَيْتاً دَعَائِمُـهُ أَعَـزُّ وَأَطْـوَلُ

وأتى بـ(إذا) للإشعارِ بالاستمرارِ. وجَمَعَ الحُرَقَ بقصدِ الدلالةِ على التكثيرِ.

البيـان

تماجز في الإملاءِ، حيث جعلَ المحبوبَ كأنه كاتبٌ وهو يُملي عليهِ. ونكتةُ ذلك، إيهامُ أنَّ حُرقَهُ لا نهايةَ لها كثرةً، لأنَّ الإملاءَ مأخوذٌ من الامتلاءِ، وهو التعميرُ. وتماجَزَ أيضاً في قولِه: طَارَحَتْنِي. حيثُ نَسَبَ المُطارحةَ إلى المُقلِ، وهو من شأنِ العُقلاءِ. وكأنهُ فهِمَ ذلكَ

---

[1] ـ زيادة من(ج) و(ب) والمطبوع وهي غير موجودة في الأصل.

[2] ـ في الكلام نقص، وفي(ج): لكلفي بها.

[3] ـ في(ج): ولهذا الوجه حكم.

[4] ـ تمام الآية : "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ". (سورة غافر60/40).

[5] ـ مَطلعُ قصيدة مشهورة للفرزدق في هجاء جرير (ديوان الفرزدق 155/2).

من لِسانِ حالها. وتَماجزَ أيضاً في إسنادِ المرضِ إليها، لأنَّ حالتَها حالةُ المريضِ.

البديـــع

فيهِ الإدماجُ، وهو كما قالَ في المِصباحِ أن يتضمَّنَ التصريحُ بمعنًـى من فنٍّ كنايـةً عن معنًى من فنٍّ آخرَ، كقولِ المُتنبي[1]:

أُقَلِّـــبُ فِيـــهِ أَجْفَانِـــي، كَأَنِّـــي أَعُدُّ بِـهِ عَلَـى الدَّهْـــرِ الذُّنُوبَـــا

فإنه ضمَّن في وصفِ الليلِ بالطولِ الشّكايةَ من الدهرِ. وبيانُـه فـي بيـت الأصـل، حيثُ أدمجَ الإخبارَ عنْ مرضِ جفونه التي هيَ أقربُ الأشياءِ إليهِ، فما بـالكَ بغيرِهـا، فـي ضِمنِ الشكايةِ بعدمِ سماعِه لشكوَى عاشقِه، وطردِه [المُتَـ]ـعلِّقَ على بابِه.

الإعـــراب

مَنْ: مَوصولةٌ بمعنى الذي، مبتدأٌ. وخبرها في البيتِ بعـدَه[2]، وهـو قولُـه: تَرَكَـتْ أَجْفَانُـهُ. و**إذا**: ظرف.

وجملة: **أُملّي عَلَيْهِ حُرَقِي**، من الفعلِ والفاعلِ والجارِ والمجرورِ والمفعولِ بـهِ: مضافـةٌ إليها.

وَطَارَحَتْنِي مُقْلَتَاهُ الدَّنَفَا: جملةٌ، هي جوابُها.

---

[1] ـ ديوان المتنبي 180.

[2] ـ يجوز أن يكون خبرها(إذا)، وجوابها كما ذكر المؤلف في إعراب البيتِ التالي.

-9-

تَركَــتْ أَجْفَانُــهُ مِــنْ رَمَقِــي   أَثَــرَ النَّمْـلِ عَلَــى صُــمِّ الصَّفَــا[1]

اللغـــة

التَّركُ: الإبْقَاءُ. وَمنهُ: "وَتَركْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ"[2]، أي أَبقينا، وتركوا منهُ ترائكَ أيْ بَقايا.

و"**الجفنُ**: غطاءُ العينِ من أعلى وأسفلٍ، والجمعُ أجْفُنٌ[3] وأجفـانٌ وجفونٌ". قـالَ سبطُ بنُ التّعاويذي:

بَيْــنَ السُّيُــوفِ وَعَيْنَيْــهِ مُشَارَكَــةٌ   مِنْ أَجْلِهَــا قِيــلَ لِلأَغْمَــادِ أَجْفَــانُ

و**الرَّمَقُ**: بقيةُ الحياةِ، جمعُه أرماقٌ. وما أظرفَ قولَ القائلِ[4]:

مَــنْ عَذِيــرِي مِــنْ عَذُولِــي فِــي قَمَــرْ،   قَامَــرَ القَلْــبُ هَــوَاهُ فَقُمِــرْ
قَمَــرٌ لَــمْ يُبْـقِ مِنِّــي حُبُّــهُ   وَهَــوَاهُ غَيْــرَ مَقْلُــوبِ قَمَــرْ

قلتُ: هذا النوعُ يسمَّى بالجناس اللَّفظي المقلوبِ، كقوله[5]:

أَسْـكَرَنِي بِاللَّحْــظِ[6] وَالمُقْلَــةِ الكَحْــ   ــلاَءِ وَالـوَجْنَــةِ وَالـكَــاسِ

---

[1] - ديوان ابن سهل 284.

[2] - سورة الصافات 108/37.

[3] - جفون، غير واضحة في الأصل، والصوابُ ما أثبتناه عن القاموس المحيط(جفن)، وهو مصدر النص.

[4] - نُسب البيتانِ في معاهدِ التنصيص 237/3 لابن عبد الله الغواص.

[5] - نسبهما في معاهد التنصيص 238/3 لابن العفيف. ووردا أيضاً في الغيث المسجم 266/1.

[6] - في الأصل وفي الغيث المسجم: أسكرني باللفظ. وأثبتنا ما في معاهد التنصيص.

سَـاقٍ يُرِينَـا قَلْبُـهُ قَسْـوَةً، وكُـلُّ سَـاقٍ قَلْبُـهُ قَـاسِ

آخـر[1]:

حكَـانِي بَهَـارُ الـرَّوْضِ حِيـنَ أَلِفْتُـهُ، وكُـلُّ مَشُـوقٍ لِلْبَهَـارِ مُصَاحِـبُ
فَقُلْتُ لَـهُ: مَـا بَـالُ لَوْنِـكَ شَاحِبـاً؟ فَقَـالَ: لأنِّـي حِيـنَ أُقْلَـبُ رَاهِـبُ

ومنهُ ما قالَهُ الصاحبُ بن عبادٍ لأبي العباسِ الحـارثِ فـي يـومٍ قيظٍ، وقد طلبَ مروحـةَ الخيشِ، ما يقولُ الشيخُ في مقلوبهِ؟

ومروحةُ[الخيش] أحدثَها ملوكُ بني العباسِ، وذكرَها الحَريري في مقاماتِه. قال الشريشي في شرحِ المقاماتِ: هذه المروحةُ شبيهةُ الشراعِ للسفينةِ، تعلو في السقف، ويُشدُّ بهـا حبـلٌ، وترشُّ بماءِ الوردِ، فإذا أرادَ الرجلُ في القائلةِ أن ينـامَ، جـذبَ بحبلِهـا، فتذهـبُ بطـولِ البيـتِ وتجيءُ، فيهبُّ على الرجلِ منها نسيمٌ باردٌ رطبٌ، انتهى[2].

والأَثَرُ: بالمثلثةِ المفتوحةِ: بقيةُ الشيءِ، والجمعُ آثارٌ، ومنه: "أَوأَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ"[3]، أيْ بقيـةٍ. وهم على أثارةٍ من علمٍ، أي بقيةٍ يأثرُونـها عن الأولينَ.

والنملُ: معروفٌ، الواحدةُ نملةٌ، والجمعُ نِمالٌ. وما أحسنَ قولَ الأولِ[4]:

اِقْنَـعْ فَمَـا تَبْقَـى بِـلاَ بُلْغَـةٍ، فَلَيْـسَ يَنْسَـى رِبُّـكَ النَّمْلَـهْ

---

[1] ـ البيتان في خزانة الأدب 49.
[2] ـ أخذ الإفراني هذه القصة عن خزانة الأدب 49 بتصرف.
[3] ـ سورة الأحقاف 4/46، وصلة الآية: "إيتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ".
[4] ـ البيت في حياة الحيوان 366.

إنْ أَقْبَـلَ الدَّهْـرُ، فَقُـمْ قَائِمـاً، وَإِنْ تَوَلَّـى مُدْبِـراً، فَنَـمْ لَـهْ

وسُميتْ نملةً لتنمُّلها، وهو كثرةُ حركتِها، وقلَّةُ قوائِمِها. ومن عجائِبه أنهُ لا يَتَسافَدُ، وإنما يَسقطُ منهُ شيءٌ حقيرٌ في الأرضِ فينمو حتَّى يصيرَ بيضاً، ثم يكونُ منهُ.

فـائـدة

قالَ الكمالُ الدَّميري في حياةِ الحيوانِ: البيضُ كلُّه بالضـادِ، إلاَّ بيظَ النملِ فإنـهُ بالمُشالةِ، انتهى. قلتُ: راجعتُ مادَّتَي الكلمتينِ في القاموسِ والأساسِ، فما فصَّلوا تَفصيلَ الكمالِ، ولا عَرَّجوا عليه، بلْ كلامُهم يقتضي أنَّهُ بالضادِ أيضاً.

والنملُ لهُ أمرٌ غريبٌ في حُكرةِ الطَّعامِ، يقسمُه نصفينِ كي لاَ ينبتَ[1]. وعن سُفيان بنِ عُيَيْنَةَ: ليسَ شيءٌ يُخَبِّئُ[قو]تَهُ إلاَّ الإنسانُ والنملُ والفأرُ، كذا في الإحياءِ للغزالي. وزادَ بعضُهم البُلبلَ والعقعقَ. وسميتْ سورة النملِ لذكرِ النملِ فيها، كما سُميتْ سورةُ النحلِ. وما ألطفَ قولَ ابنِ مرجِ الكحلِ[2]:

دَخَلْتُـمْ فَأَفْسَدْتُـمْ قُلُوبـاً بِمُلْكِكُـمْ، فَأَنْتُمْ عَلَـى مَـا جَـاءَ فـي سـورةِ النَّمْـلِ
وَبِالجُـودِ والإحْسَـانِ لَمْ تَتَخَلَّقُـوا، فَأَنْتُمْ عَلَى مَا جاءَ في سُـورَةِ النَّحْـلِ

وإذا أرادَ اللهُ هلاكَ النملِ جعلَ لهُ أجنحةً فتأكلُه العَصافيرُ. قالَ أبو العتاهيةِ[3]:

---

[1] ـ انظر مناهجَ الفِكر 181/3 تحت عنوان: القولُ في طبائعِ النملِ.
وفي الأصل: ويقسمه، والواو زائدة، أو هناك نقصٌ في الكلام.
[2] ـ البيتـان لـه فـي نفـح الطيـب 54/4، وفيهمـا إشـارةٌ إلـى الآيـةِ 34/27 : "إنَّ المُلوكَ إذا دَخلوا قريـةً أفسدُوها". والآية 76/16: "أينما يوجّه لا يأتي بِخَيْرٍ"، أو إلى الآية 62/16: "وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ". (انظر حاشية ج).
[3] ـ ديوان أبي العتاهية 61، من قصيدة في الزهد.

وَإِذَا استَـــوَتْ لِلنَّمْـــلِ أَجْنِحَـــــةٌ   حَتَّـى يَطِيـرَ، فَقَـدْ دَنَـــا عَطَبُـــــهْ

وكان الرشيدُ يردِّدُ البيتَ عندَ نكبةِ البرامكةِ.

والأصَمُّ من الحِجَارَةِ والصُّخُورِ: الصَّلْتُ منها.

والصَّفَا و"الصَّفَاةُ: الحَجَرُ الصَّلْدُ الضخمُ لا يُنبت، والجمعُ صفواتٌ، وصَفاً[وَ] جمع الجمع[أَصْفَاءٌ] وَصُفِيٌّ"[1] والصَّفْوَانَةَ[2] جمعُها صفوانٌ.

المعنـــى

أنهُ ابتُلي بلحاظِهِ، وتعلَّق بجمالِ أحداقِه، ففتكتْ بهِ، وأوقعتْ بشبحِ روحِه، فلم تُغادرْ منه إلاَّ بقيةً قليلةً، وأثراً نزْراً، يُحاكي ما تدعُه النملةُ عندَ دَبيبِها على متنِ الصخرةِ الصماءِ. والمُرادُ من هذا التنزيلِ كلِّهِ إفادةُ أنهُ لم يبقَ منهُ شيءٌ، ولا ما هو أقلُّ من القليلِ، فإنَّ النملةَ لصغرِ جرمِها، ونحولةِ جِسمِها، لا تُؤثرُ شيئاً في الصفاةِ. وفي المعنى لابنِ دُريدٍ[3]:

إنَّ الَّـــذي أَبْقَيْــتَ مِـــنْ جِسْمِـــهِ،   يَـــا مُتْـــلِفَ الصَّـــبِّ وَلَـــمْ يَشْعُـــرِ
حُشَاشَـــــةٌ لَــوْ أَنَّهـــا قَطْـــــرَةٌ   تَجُــولُ فِــي جَفْنِـــكَ، لَـــمْ تَقْطُـــرِ

المتنبي[4]:

فَلَوْ قَلَــمٌ أُلْقِيـتُ فِـي شَـــقِّ رَأْسِـــــهِ   مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِـنْ خَـطِّ كَاتِـــبِ

---

[1] ـ نص القاموس المحيط (صفو)، والزيادة منه، وهي ضرورية.

[2] ـ في الأصل: الصفوانة. ونص القاموس المحيط: "الصفوانة ج صفوان ويحرك".

[3] ـ ديوان ابن دريد 67.

[4] ـ ديوان المتنبي 209.

لَـــه[1]:

كَفَى بِجِسْمِـي نُحُـولاً أَنَّنِـي رَجُـــلٌ   لَوْلاَ مُخَاطَبَتِـي إِيَّـاكَ لَـمْ تَرَنِـي

ومن الغايةِ في هذا البابِ، قولُ سُلطانِ العُشّاقِ ابنِ الفارضِ[2]:

كَأَنِّـي هِـلاَلُ الشَّـكِّ لَـوْلاَ تَأَوُّهِـي   خَفِيـتُ، فَلَـمْ تُهْـدَ العُيُـونُ لِنَظْرَتِـي
وقَـالوا: تَـلاَفَ مَـا بَقَـى مِنْـكَ، قُلْـتُ: لاَ   أَرَانِـيَ إلاَّ لِلتَّـلاَفِ تَـلَـفُّـتِـي
فَيَا سقَمِي، لاَ تُبْقِ لِـي رَمَقـاً، فَقَـدْ   أَبَيْـتُ لِيُقْيَـا العِـزِّ [ذُلَّ] البَقِيَّـةِ

آخَـرُ[3]:

قَدْ سَمِعْنَـا أَنِينَـهُ مِـنْ بَعِيـدٍ،   فَاطْلُبُوا الشَّخْصَ حَيْثُ كَانَ الأَنِيـنُ

آخَـرُ[4]:

وَلَوْ أَنَّ مَابِي مِـنْ جَـوًى وَصَبَابَـةً   عَلَى جمَلٍ، لَـمْ يَدْخُـلِ النَّـارَ كَافِـرُ

أشارَ للآيةِ "حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخيَّاطِ"[5]. قالَ ابنُ حجةَ: ومما لاَ يقبلُه العقلُ من هذا المعنى قولُ القائلِ[6]:

---

[1] ـ ديوان المتنبي 2.

[2] ـ البيتان الأولان هما من قصيدةٍ في ديوان ابنِ الفارضِ 37، 41. والبيتُ الثالثُ من التائيةِ الكبرى المسماة بنظمِ السلوكِ، وهي في ديوانه 79.

[3] ـ في خزانة الأدب 282، ومعاهد التنصيص 26/3، وفيهما: قَدْ سَمِعْتُمْ.

[4] ـ في خزانة الأدب 282: لَمْ يَبْقَ في النَّارِ كَافِرُ.

[5] ـ في سورة الأعراف 40/7: "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا..لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّـةَ حتَّى يلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخيَّاطِ".

[6] ـ خزانة الأدب 284، والغيث المسجم 139/2، وديوان الصبابة 214.

قَـدْ كَـانَ لِـي فِيمَـا مَضَـى خَاتَـمٌ   والـيَـوْمَ لَـوْ شِـئْتُ تَمَنْطَقْـتُ بِـهْ
وَذُبْـتُ حَتَّى صِـرْتُ لَـوْ زُجَّ بِـي   فِـي مُقْلَـةِ النَّائِـمِ لَـمْ يَنْتَبِـهْ

ومِمَّا يتعلَّقُ بهذا قولُ أبي نواسٍ:

مُعَتَّقَـةٌ صَـاغَ المِـزَاجُ لِرَأسِهَـا   أَكَالِيـلَ دُرٍّ، مَـا لِنَاظِمِهَـا سِلْـكُ
جَـرَتْ حَرَكَـاتُ الدَّهْـرِ فَـوْقَ سُكُونِهَا،   فَذَابَـتْ كَـذَوْبِ التِّبْرِ أَخْلَصَـهُ السَّبْـكُ
وَأَدْرَكَ مِنْهَـا الفَائِـزُونَ بَقِيَّـةً   مِنَ الـرُّوحِ فـي جِسْـمٍ أَضَـرَّ بِـهِ النَّهْـكُ
وَقَدْ خَفِيَـتْ مِـنْ لُطْفِهَـا فَكَأَنَّهَـا   بَقَايَـا يَقِيـنٍ، كَـادَ يُذْهِبُـهُ الشَّـكُّ

وقال:

أَخْفَيْـتُ حُبَّكُـمْ فَأَخْفَانِـي أَسًـى،   حَتَّى لَعَمْـرِي كِـدْتُ عَنِّـي أَخْتَفِـي

وما أحلى قولَ ابنِ اللَّبَّانَةِ:

لَمْ يَدْرِ طَيْفُكَ مَوْضِعِـي مِنْ مَضْجَعِـي،   فَـعَـذَرْتُـهُ فِـي أَنَّـهُ لاَ يَـطْـرُقُ

المعانـي

عبَّر بالأجفانِ صيغةَ جمعِ القلةِ مكانَ الجفنينِ، لأنَّ التثنيةَ جمعٌ في المعنى، ولأن أقلَّ الجمعِ اثنانِ في رأيٍ. ونكتة ذلك تعظيم شأن الأجفانِ. وأتى بمِنْ التبعيضيةِ إيذاناً بقلةِ المتروكِ، وأنهُ صُبابةٌ من وشَلٍ. ولا يُقالُ: إن الجفونَ أربعةٌ باعتبارِ الشَّفرِ الأعلى والأسفلِ، لأن ظاهرَ كلامِ اللُّغويينَ، أنَّ الجفنَ اسمُ للأعلَى والأسفَلِ. ثم بعد كتبي هذا رأيتُ للغِبْرِيني في مسارحِ الأنظارِ أن أعضاءَ المرءِ إنْ كانتْ مفردةً فيه كالقلبِ واللِّسانِ. وأُريدَ تثنيتُه

فالجمعُ أولى من غيرِه، [لمـ]ـا في التثنيةِ من اجتماعِ تثنيتين في نحوِ قلْباكُمـا، ولأنَّ الإفرادَ يؤدّي معنى التَّثنيةِ، والجمعُ يؤدِّيها مع زيادةٍ. والإفرادُ أولى من التثنيةِ، وهذا رأيُ ابن مالكٍ في الكافيةِ[1]، ووجَّهَ الفراءُ استعمالَ الجمعِ مكانَ المُثنى، بأنَّ أكثرَ أعْضاءِ البَدنِ اثنانِ اثنان، فإذا كانَ في البدنِ واحدٌ أُقيمَ مقَامَ اثنينِ. فإذا ثُنِّيَ قامَ مقامَ أربعٍ، فلذلكَ جُمعَ. قالَ أبو سعيدٍ السَّيْرافي في شرحِ الكتابِ: يُقوّي ما قالَهُ الفراءُ أنَّ الديةَ فيما كانَ واحداً في البدنِ كاملةٌ، وفي أحدِ[مِنَ اثنينِ[2]] نصفُها، وإنْ كانتْ مُتعددةً كالمُفردةِ، فيجوزُ الجمعُ عندَ التثنيةِ، ومنهُ الحديثُ: "أُزْرَةُ المؤْمنِ إلى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ"[3]، ويجري هذا في المُنفصلِ عنِ الجسدِ، نحوَ: أَمَدَّ اللَّهُ أَعمَارَكُمَا.

حكاية.

قالَ صاحبُ عُنوانِ الدِّرايةِ: اجتمعَ ابنُ الأبارِ وابنُ كَحيلةَ على جنازةٍ، وغابَ إمامُ الصلاةِ، فقالَ ابنُ كحيلةَ: يُنظرُ مَن يُصلي عليهِ لينصرفَ الناسُ، فقيلَ: الحقُّ لِولَدي الميتِ، فقالَ: بأَلْسِنَتِهما تَكلمتُ. فقالَ ابنُ الأبارِ مُنكتاً عليهِ: ويجوزُ بأَلْسِنَتِهما يا فقيهُ؟ حيثُ جَمعَ اللِّسانَ عندَ التَّثْنِيةِ. فقالَ ابنُ كَحيلةَ: نعم، قالَ اللَّهُ: "فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما"[4]، وهو الصوابُ وغيرُه خطأٌ. فلما انصرفَ الناسُ، اجتمعا، وتراضَيا، انتهى[5].

---

[1] ـ قال ابنُ مالكٍ في الكافية:

وَهْوَ مِنَ الأصلِ أَحَقُّ والتُزِمْ   في نحوِ: قَبِّلْ كَفَّ قَيْسٍ وَهَرِمْ

وعلق عليه في الشرح: "وإلى تفضيل الإفراد على التثنية أشرتُ بقولي: وهوَ منَ الأصلِ أحق..".

[2] ـ زيادة من (ج).

[3] ـ الموطأ 657.

[4] ـ في سورة التحريم 4/66: "إنْ تَتُوبا إلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَت قُلُوبُكُما".

[5] ـ عنوان الدراية 171–172 بتصرف.

وخصَّ الناظمُ أثرَ النملِ لأنَّها أنحفُ الحيواناتِ جسماً وأدقُّها جرماً، ويكفي أن اللَّهَ تعالى ضربَ بها المثلَ في الخفةِ فقالَ: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ"[1]. قال الكواشي: الذَّرةُ، النملةُ الصغيرةُ. في شرحِ الرسالةِ للشيخِ زرُّوقٍ: أنهى بعضُهم الأقوالَ في الذرةِ إلى عشرينَ قولاً، مرجعُها إلى أقلِّ الشَّيْءِ في الوجودِ.

وخص (صُم الصَّفَا) تَغالياً في نَفيِ البَقِيَّةِ، إذِ النملةُ لخفتِها لاَ تُبْقِي أثراً فوقَ متْنِ الحَجرِ الصَّلْدِ. وتذكرتُ هنا قولَ القائلِ:

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرَباً، وقَدْ جعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنَا
فَقُلْتُ: عَلى صَخْرَةٍ تَضْرِبِينَ[2] وَطَبْعُكِ مِنْ طَبْعِهَا أَلْيَنَا!
فَقَالَتْ: عَلِمْتُ، ولَكِنَّنِي أَرَدْتُ أُعَلِّمُهَا مَنْ أَنَا

وقدْ ضربتِ العربُ المثلَ بخفاءِ أثرِ النملِ، فقالوا: أخفَى من دبيبِ النملِ. قالَ حمزةُ بن الحسنِ الإصبَهاني في كتابِه في الأمثالِ المُسمى: أَفْعَلُ من كَذَا، وهو كتابٌ حفيلٌ، وقفتُ عليهِ ورأيتُ مكتوباً على ظهرِه أن مؤلِّـ[فَهُ] لم يُوقَفْ[3] لهُ على ترجمةٍ، ما نصُّهُ: رَوَى أبو وائلٍ عن مسروقٍ، قالَ: إذا أكلَ القاضي [الهدية] فقد أكلَ السُّحتَ، فإن قبلَ الرشوةَ تشعَّبَ بهِ الكفرُ والرياءُ سبْـ[عينَ] باباً، وهو أخفَى من دبيبِ النَّملِ، انتهى.

---

[1] ـ سورة الزلزلة 8/99.

[2] ـ في الأصل:

فقلت أتلدغ في صخرة

والمثبت من (ج). وحق " ألينا" بعده الرفعُ، نُصب لضرورة القافية.

[3] ـ في الأصل: يقف، ولم نرَ لهُ وجها. وترجمته في الأعلام للزركلي.

فيهِ التَّشبيهُ البليغُ بحذفِ الأداةِ، فهُو كقولِ النابغةِ[1]:

نَظَـرَتْ إلَيْـكَ بِحَاجَـةٍ لَـمْ تَقْضِهَـا   نَظَرَ المَرِيـضِ إلَى وُجُـوهِ العـوَّدِ

أي كأثرِ النملِ، وكنظرِ المريضِ، ثم حذفت الكافُ قصداً للمبالغةِ، إلا أن تشبيهَ النابغةِ مُعترَضٌ من جهة تشبيهِ المحبوبِ بالمريضِ، وهو غيرُ لائقٍ.

والتشبيهُ على أربعةِ أقسامٍ:

الأولُ تشبيهُ مَحسوسٍ بمحسوسٍ وهو أفضلُها، ومنه لابنِ المُعتزِّ[2]:

اُنْظُـرْ إلـى حُسْـنِ هِـلاَلٍ بَـدَا   يَهْتِـكُ مِـنْ أَنْـوَارِهِ الحِنْدِسَـا
كَمِنْجَـلٍ قَدْ صِيـغَ مِـنْ عَسْجَـدٍ   يَحْصُدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَـى نَرْجِسَـا

ولَـهُ[3]:

قَـدِ انْقَضَـتْ دَوْلَـةُ الصِّيَـامِ، وقَـدْ   بَشَّـرَ سُقْـمُ الهِـلاَلِ بالعِيـدِ
يَتْلُـو الثُّرَيَّـا كَفَاغِـرٍ شَرَهـاً   يَفْتَـحُ فَـاهُ لأكْـلِ عُنْقُـودِ

ولَـهُ[4]:

---

[1] ـ ديوان النابغة 40. من قصيدته الشهيرة: سقط النصيف..

[2] ـ ديوان ابن المعتز 246. والحِنْدِسُ: الظلمةُ الشديدة، جمعه حنادس.

[3] ـ البيتُ الأول وحده في ديوانِ ابن المعتز 159، وبعدهُ آخر:

أهْلاً وَسَهْلاً بِالنَّـايِ وَالعُـودِ   وَاسقِيَانِـي دَمَ ابْنَـةِ العُنْقُـودِ

[4] ـ البيتان 7، 9 من قصيدة في الغزل في ديوان ابن المعتز 219.

وَجَاءَنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِراً ... يَسْتَعْجِلُ الخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ
وَلاَحَ ضَوْءُ هِلاَلٍ كَانَ يَفْضَحُهُ ... مِثْلُ القُلاَمَةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ

آخَرُ:

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ مُزْهِرَةً لَنَا ... ثُغُورُ بَنِي حَامٍ بَدَتْ لِلتَّثَاؤُبِ

ابنُ نباتةَ في أدهمَ أغرَّ مُحَجَّلٍ[1]:

يَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغَرَّ مُحَجَّلٍ، ... مَاءُ الدَّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
وكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ ... فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

آخَرُ[2]:

وكَأَنَّ نَرْجِسَهُ المُضَاعَفَ خَائِضٌ ... فِي المَاءِ لَفَّ ثِيَابَهُ فِي رَأْسِهِ

ومن بدائعِ التشبيهِ قولُ سيفِ الدولةِ ابنِ حمدانٍ في قوسِ قُزحٍ[3]:

وَسَاقٍ صَبِيحٍ، ولِلصَّبُوحِ دَعَوْتُهُ ... فَقَامَ وَفِي أَجْفَانِهِ سِنَةُ الغَمْضِ
يَطُوفُ بِكَاسَاتِ العُقَارِ كَأَنْجُمٍ ... فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضٍّ عَلَيْنَا وَمُنْفَضِّ

---

[1] ـ لم نجد البيتين في ديوان ابن نباتة ونسبهما له في خزانة الأدب 219، وفيها: تختال.

[2]ـ نسبه في خزانة الأدب 219 لآيْدَمِر المحيوي.

[3] ـ هذه الأبيات معروفة لابن الرومي، وهي في ديوانه 1419/4، وقال في معاهد التنصيص 109/1: "وبعضُهم ينسبُها لسيفِ الدولةِ ابنِ حمدانٍ، ومنهم صاحبُ اليتيمه". ووردت هذه الأبيات كذلك في خزانة الأدب 221.

في الأصل: منفض عليناومنقض، والصوابُ ما أثبتناه عن معاهد التنصيص، وفي الديوان: وغير منفض، مع الإشارة في الحاشية إلى الروايات الأخرى.

وقَدْ نَشَـرَتْ أَيْـدِي الجَنُـوبِ مَطَـارِفـــاً عَلَـى الجَـوِّ دُكْنـاً[1] والحوَاشِـي علـى الأرْضِ
يُطَـرِّزُهَا قَــوْسُ السَّحَـــابِ بأَصْفَـــرٍ عَلَـى أحْمَـرٍ فِـي أَخْضَـرٍ إثْـرَ مُبْيَـضِّ
كَأَذْيَـــالِ خَــوْدٍ، أَقْبَلَـــتْ فـــي غَلائلٍ[2] مُصَبَّغَةٍ، والبَعْضُ أَقْصَـرُ مِـنْ بَعْـــضِ

تنبيـه

قالَ ابنُ المعلَّى: يُكرَه أن يقَالَ: قوسُ قزح، لهذه التي في السماءِ. قـالَ النَّووي: ولنَـا فـي حِليةِ الأولياءِ لأبي نعيمٍ عن ابنِ عباسٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لاَ تقولـوا: قـوسُ قُزحٍ، فإنَّ قُزحَ شيطانٌ، ولكن قولوا: قوسُ اللهِ، فهو أمانٌ لأهلِ الأرض، انتهى[3].

آخـــر[4]:

أُقَبِّلُـــهُ عَلَـى جَـــــزَعٍ كَشُـرْبِ الطَّائِـرِ الفَــــزِعِ

ولِعزِّ الدين الـموصِلِي[5]:

قِيـلَ: صِـفْ هَـذَا الَّـذِي هِمْــتَ بِـــهِ، قُلْتُ فِي وَصْفِي، مَـعَ حُسْــنِ المَسَالِـــكْ:
هُوَ كَالـغُصْــنِ وكَالـشَّمْـــسِ وكَـالظَّبْـــيِ[وكَـالبَدْرِ]، ومَـــا أَشْـبَـــهَ ذَلِـــكْ

القسم الثاني: تشبيهُ معقولٍ، ومن أحسنِه قولُ أبي الطيبِ[6]:

---

1 ـ في الأصل: ركزاً، والمثبت عن خزانة الأدب 221، ومعاهد التنصيص 109/1.

2 ـ في الأصل: دلائل، والمثبت عن خزانة الأدب 221.

3 ـ لم أعثر على هذا الحديث في الصحاح من كل المداخل المحتملة.

4 ـ البيت في نهاية الأرب 59/2، والغيث المسجم 239/1، وخزانة الأدب 221 منسوباً لسيف الدولة ابن حمدان.

5 ـ التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول ناقصة. وكَالبدرِ: زيادة من خزانة الأدب 224.

6 ـ ديوان المتنبي 129.

كَـــأنَّ الهَـــمَّ مَشْغُـــوفٌ بِقَلْبِـــــي،   فَسَاعَـةَ هَجْــرِهِ يَجِـــــدُ الوِصَـــــالاَ

وقالَ آخرُ، [يهـ]ـجو، أبياتاً معَ استطرادِ هجو طَويلٍ اسمُه عبدُ اللَّطيفِ، وكانَ ناظراً على الأحباسِ:

لَفْـظٌ طَوِيـلٌ تَحْـتَ مَعْنًـى قَاصِـــرِ   كَالعَقْـلِ في عَبْـدِ اللَّطِيـفِ النَّاظِـــرِ

الثالثُ: مَعقولٌ بمحسوسٍ، ومنهُ قولُ أبي علي ابنِ سينا:

إنَّمَـــا النَّفْـــسُ كَالزُّجاجَـــةِ وَالعَقْـــ   ـلُ سِـرَاجٌ، وحِكْمَـةُ اللَّـــهِ زَيْــــتُ

البديــع

فيهِ المُبالغةُ، وسمَّاها ابنُ المعتزِّ: الإفراطَ في الصفةِ[1]. قالَ ابنُ رشيقٍ في العُمدةِ: هي بلوغُ الشاعرِ أقصى ما يُمكنُ في وصفِ الشيءِ[2]. ومثالُهُ قولُ الشاعرِ[3]:

أَضَاءَتْ لَهُـــمْ أَحْسَابُهُـــمْ وَوُجُوهُهُـــمْ   دُجَى اللَّيْلِ حَتَّـى نَظَّـمَ الجَـزْعَ ثَاقِبُـــهْ

فالمعنى تَمَّ في قولهِ: دُجَى اللَّيْلِ، ولكنْ زادَ ما هوَ أغربُ في قولِه: حتَّى الخ.. ومُسايرةُ ذلكَ في بيتِ التوشيحِ ظاهرةٌ، إذِ المُرَادُ كَمُلَ في قولِهِ: أَثَرَ النَّملِ. و[زادَ] قولَه: على صُمِّ الصَّفَا، إغراباً وإبداعاً.

وأنكرَ بعضُهم المُبالغةَ، وقالوا ليسَ[فيها[4]][إلا] التهويلُ على السامعِ. ورُبَّما أحالتِ

---

[1] ـ البديع 116-117.

[2] ـ قصدَ ابن رشيق بالعبارة التي أوردها الإفراني ما يُسمى عند (الحُذاق) بالتَّقصِّي وهو نوع من المبالغة، وليس مطلقَ المبالغة. (العمدة 55/1).

[3] ـ ديوان بشار وخزانة الأدب 279.

[4] ـ زيادة يقتضيها سياق الكلام.

المعاني فأخرجَتْها عن حدِّ الكلامِ المُمكنِ إلى حدِّ الامتناعِ. والصوابُ أنها من المُحسناتِ التي لا يجولُ في حلباتِ سبَقِها إلاّ فُحولُ هذه الصِّناعةِ. وكَفى شاهداً على ذلكَ قولُهم في الشعرِ: أكذبهُ أعذبُه[1]. وقد اعترضَ النابغةُ بها على حسانٍ في قولِه[2]:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

في تقليلِ الجفَناتِ، وفي اللَّمعِ، لأنهُ بياضٌ قليلٌ، وفي يَقطرنَ، إذ القطرةُ تكونُ للقليلِ. فإنْ قلتَ ما الفرقُ بينَ المبالغةِ والغُلو والإغراقِ؟ فالجوابُ أنَّ المبالغةَ وصفُ الشيءِ بالمُمكنِ القريبِ[3] وقوعُه عادةً، والأغراقُ للبعيدِ عادةً، والغُلوُ بما[4] يَستحيلُ وقوعُه ومن أمثلةِ الغُلوِ، وهو قسمانِ، مقبولٌ وغيرُ مقبولٍ، فالأولُ كقولِهِ[5]:

يكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمْ

والثاني كقولِ أبي نواسٍ[6]:

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّهُ ... لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

قالَ ابنُ حجة: من لطيفِ ما يُحكى أنَّ العَتابي الشاعرَ لقيَ أبا نواسٍ فقالَ له: أَمَا تَستَحيي

---

[1] ـ تَبنى الإفراني رأيَ ابنِ حجة في الدفاعِ عن المبالغة. انظر خزانة الأدب 279.

[2] ـ ديوان حسان 218.

[3] ـ في الأصل: البعيد، وهو خطأ، والمثبتُ في خزانة الأدب 279.

[4] ـ في الأصل: مما، والمثبت عن المصدر السابق.

[5] ـ البيت للفرزدق في ديوانه 180/2 من قصيدته الشهيرةِ في مدحِ زَيْنِ العابدينَ علي بنِ الحسين. والحَطيمُ: حجرُ الكعبة، أو جِدارُه، أو ما بينَ الركنِ وزمزم والمقام: (القاموس المحيط: حطم).

[6] ـ لم أجد هذا البيت في ديوان أبي نواس، وهو في الشعر والشعراء 801.

مِنَ اللَّهِ بقولِكَ: وَأَخَفْتَ أَهْلَ الخ..، فقالَ لهُ أبو نواسٍ: وأنتَ أما تَستَحْيي من[اللهِ] في قولِكَ[1]:

مَـا زِلْـتُ فِـي غَمَـرَاتِ المَـوْتِ مُطَّرَحـاً   يَضِيـقُ عَنِّـي وَسِيعُ الـرَّأيِ مِـنْ حِيَـلِ
فَلَمْ تَزَلْ دَائِبـاً تَسْعَـى بِلُطْفِـكَ لِـي   حَتَّى أَخَذْتَ حَيَاتِـي مِنْ يَـدَيْ أَجَلِـي

وظنِّي أن الحكايةَ غيرُ صحيحةٍ، والبيتُ للمتنبي في ديوانِه[2].

وفيهِ النَّادِرةُ، وسمَّاها قومٌ الإغرابَ و الظرافةَ[3]. قال ابـنُ أبـي الإصبـع[4]: وهـي أن يعمِد الشاعرُ إلى معنًى مشهورٍ ليسَ بغريبٍ فيَزيدَ فيه نُكتةً لم تقعْ لغيرِه ليصيرَ المعنى المستعملُ بها غريباً. وبيانُ ما أشارَ إليهِ أنَّ تشبيهَ الحِسانِ بـالبدرِ أو الشمسِ والظبـي مَبذولٌ، ذهبتْ حلاوتُه لكثرةِ ابتذالِـه، فـإذا تصـرَّفَ فيـه الشـاعرُ بزيـادةٍ استملَحتْهُ النفوسُ، كقـولِ القـاضي الفاضلِ[5]:

تَـرَاءَى، وَمِـرْآةُ السَّمَـاءِ صَقِيلَـةٌ،   فَأَثَّـرَ فِيهَـا وَجْهُـهُ صُـورَةَ البَـدْرِ

ويُعجبُني غايةً قولُ بدرِ الدينِ حسنُ الزغاري[6]:

سَرَتْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ لِي نَسْمَـةُ الصَّبَـا   وَقَدْ أَصْبَحَتْ حَسْرَى مِنَ السَّـيْرِ ظَالِعَـهْ
فَمِنْ عَرَقٍ مَبْلُولَـةُ الجَيْـبِ بِالـنَّـدَى   وَمِنْ تَعَـبٍ أَنْفَاسُهَـا مُتَتَـابِعَـهْ

---

[1] ـ القصة وما يتعلقُ بها من شعر في خزانة الأدب 284، ونقلها الإفراني بتصرفٍ قليلٍ.

[2] ـ وَهِمَ المؤلف. بل البيت لأبي نواس في ديوانه، و في العمدة ص775(تحقيق قرقزان).

[3] ـ في خزانة الأدب 276: الطرفة.

[4] ـ في الأصل: ابن الأصبغ، وهو خطأ تكرر عند الإفراني، وقد أصلحناه سابقا.

[5] ـ خزانة الأدب 276، وحلبة الكميت 343.

[6] ـ البيتان في خزانة الأدب 276. في الأصل: ضالعة، وفي خزانة الأدب: ضائعة، وكلاهما تصحيف، ولا معنى لهما هنا. وظالعة: تظلعَ من عناءِ السير، أي تعرَج.

والنادرةُ في بيتِ الأصلِ ظاهرةٌ.

الإعــراب

تقدَّم أن (**تَرَكَتْ**) خبر (مَنْ) في البيتِ قبلَهُ. أو الجُملة استئنافٌ، والخبرُ في(إذا) وجوابِه. فإن قلتَ: على الأولِ يكونُ بينهما تضمينٌ، وهو مَعيبٌ. قلتُ: قالَ ابنُ رُشَيْدٍ الفِهري: المَعيبُ من التضمينِ هو ما كانَ بينَ القافيةِ وصدرِ البيتِ الذي يليها، [كَبَيْـ]ـتَي النابغةِ يومَ عكاظٍ: إنِّي شهدتُ[1] الخ.. أما ما ليسَ على هذا فسائغٌ، انتهى. وما ذكرَه ابنُ رُشَيْدٍ هو قولُ المُبرِّدِ. قالَ الدَّماميني في العيونِ الغامزةِ: "ووجهُه أن القافيةَ محلُّ الوقفِ والاستراحةِ، فإذا كانتْ مُفتقرةً لما بعدَها لمْ يَصحّ الوقفُ عليها، أما إذا سلمتْ هيَ فلاَ عيبَ[2]، انتهى. فاحفظْ هذا، فإنهُ مما يغلطُ فيهِ كثيرٌ.

والتَّاءُ: للتأنيثِ، وهيَ حرفٌ. ومنَ الغريبِ ما رأيتُه للصلاحِ الصَّفَدي في الغيثِ في قوْ[لِه]: أَصَـ[ـالةُ] الرأيِ صَانَتْنِي[3]..أنَّ صانَ فعلٌ، والتَّاءُ ضميرُ الفاعلِ. وهذا على مذهبِ الجلولي، وهو قولٌ ضعيفٌ جدّاً. ثمَّ رأيتُ البدرَ الدَّماميني في حاشيةِ المُغني نكَّتَ عليه بذلكَ.

---

[1] ـ بيتا النابغة في ديوانه 123-124هما:

وَهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ، وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ، إنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتَهُمْ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّي

وهما في ديوانه 123-124.

[2] ـ العيونُ الغامزة 103، وفيه : "إذا سلمتَ من الافتقارفلا عيبَ".

[3]ـ انظر الغيث المسجم 39/1. والشطر كاملاً من لامية العجمِ للطغرائي (ص9)هو:

أَصالةُ الرَّأيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ

و**أجفانُه**: فاعلٌ، مُضافٌ ومُضافٌ إليهِ. ذكرتُ هنا قولَ ابنِ الأبارِ من مقطوعةٍ[1]:

وَمُـنَـعَّـــمٍ غَـــضِّ الـقِـطَـــافْ   عَــذْبِ الـغُــرُوبِ لِلارْتِشَـــافْ
قَــدْ صِيـــغَ مِـــنْ دُرِّ الـجَمَـــالْ   وَصِيــنَ فــي صَــدَفِ العَفَـــافْ
وَضَمَمْـــتُ نَـاعِـــمَ عِطْـفِـــهِ   ضَــمَّ المُضَــافِ إِلَـــى المُضَــافْ
وَعَصِيـــتُ سُلْطَـــانَ الـهَـــوَى   وَأَطَـعْــتُ سُلْطَـــانَ الـعَفَـــافْ

و**مِنَ**: للجرِّ، ومعنى التبعيضِ. **أثرَ**[2]: نعتٌ لمحذوفٍ[3]. و**النَّملِ**: مضافٌ لهُ. و**على**: يتعلقُ بـ(أثَرَ). و**صُمِّ الصَّفا**: مضافٌ [ومضافٌ إليهِ].

---

[1]- البيتان 1، 4 من الأبيات في الشريشي الكبير 181.
[2]- في الأصل: أثرا، وهو غلط.
[3]- ويجوز أنه مفعول به لـ (تركتْ).

وَأَنَـــا أَشْـــكُرُهُ فِـيمَـــا بَقِـــي،   لَسْـتُ أَلْحَـاهُ عَلَـى مَـا أَتْلَفَـــا[1]

اللغـــة

أنا: ضميرٌ وضِعَ في اللغةِ العربيةِ لكل مُتكلِّم منكراً كان أو مؤنثـاً، وفـي تحقيقِ المشارِ إليهِ بِـ(أنا)، هلْ الروحُ والجسدُ، أو النفسُ المجردةُ، خلافٌ، محلُّهُ علمُ الحِكمةِ. ونرمُزُ لشيءٍ منهُ بطرفٍ خفِي. قالَ في المَحصولِ: الفلاسفةُ ومَعْمَرُ المُعتزلي والغزالي مِنَّا قالوا: المُشارُ إليهِ غيرُ جسمٍ ولاَ جِسماني. وذهبَ الجُمهورُ من الأشاعرةِ إلى أنه جَوهرٌ جِسماني[2]. وانتصرَ البيضاوي للمذهبِ الأولِ قائلاً: يدلُّ عليهِ العقلُ والنقلُ، أما العقلُ، فمنْ وجوهٍ، منها أن القوةَ العاقلةَ تقوى على مَعقولاتٍ غيرِ مُتناهيةٍ، ولا شيءَ منَ القوةِ الجِسمانيةِ كذلك. فالقوةُ العاقلةُ غيرُ جِسمانيةٍ. وأما النقلُ فقولُه تعالى: "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا"[3]، الآيـة. والمعروضُ غيرُ البدنِ ضرورةَ استحالةَ تعذيبِ الجمادِ، وقولُه: "يَاأَيتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ"[4]، الآيـة. والبدنُ الميتُ غيرُ راجعٍ، ولا مُخاطبٍ[5]، وانتصرَ في المعالمِ للجُمهورِ قائلاً: "الصحيحُ أنَّ الإنسانَ ليسَ عبارةً عن هذه الجُثةِ المَحسوسةِ"[6]. وأطبقتِ الفلاسفةُ على أن

---

[1] - ديوان ابن سهل 284.

[2] - المحصل 163-164 بتصرف.

[3] - سورة غافر 46/40.

[4] - سورة الفجر 27/89، وصلتها: ".. ارْجِعِي إلى رَبِّكِ".

[5] - المطالع على الطوالع 294، 298-299 بتصرف مع الاحتفاظِ أحياناً بعبارةِ البيضاوي.

[6] - المعالم، بحاشية المحصل 114.

النَّفْسَ جوهرٌ ليسَ بجسمٍ ولاَ جِسماني. وهو باطلٌ، إذ لو كانَ كذلكَ كـانَ تـ[ـصـ]ـرُّفُها في [الـ]بدنِ لا بآلةٍ جِسـمانيةٍ، لأنَّ المُجردَ يمتنـعُ أنْ يكونَ لـه[قر]ـبٌ وبعدٌ من الأجسامِ، وإذا قَدَرَتِ النفسُ على تحريكِ بعضِ الأجسامِ، قدرتْ على كلِّها من غيرِ آلـةٍ، لأنَّ نسبتَها إلى كلِّها واحدةٌ، والتالي باطلٌ، فوجبَ كونُها جوهراً جسمانيا[1]. قالَ ابنُ عَرفةَ في مُختصرِهِ الكلامي: وعلى هذا تدلُ الآثارُ الصحيحةُ، والقائلونَ بعدَمِ تجَرُّدِها لهم أقوالٌ تُطلب من مظانِّها.

حكاية

دخلَ بعضُ الأعرابِ على جماعةٍ من الفضلاءِ، فوجدَهم يتنازعونَ في المشارِ إليهِ بـ(أنا)، ما هو؟ فأنشدَ بديهةً[2]:

إنْ كُنْـــتُ أَدْرِي فعَلَـــيَّ بَدَنَهــــهْ   مِنْ كَثْـرَةِ التَّخْلِيـطِ فـيَ مَـــنْ أَنَــــهْ

وأما الشكرُ فقالَ أبو عبيدٍ في الغريبينِ: الثناءُ باللسانِ للعارفةِ يُؤتاها.

وقيلَ: معرفةُ الإحسانِ، والتحدثُ بهِ. والشُكور بالضمِّ جَمعُ شُكرٍ، وبالفتحِ بعدَ مصدر. قالَ الحماسي، وفي التَّحريرِ لابنِ أبي الإصبع[3]: ما رأيتُ أبلغَ من هذينِ البيتينِ:

رَهَنْـتُ يَـدِي بِـالعَجْزِ عَـنْ شُـكْرِ بِـرِّهِ   وَمَـا فَـوْقَ شُـكْرِي لِلشَّكُـورِ مَزِيـــدُ
وَلَوْ كَـانَ مِمَّـا يُسْتَطَــاعُ اسْتَطَعْتُــهُ   وَلَكِـنَّ مَـا لاَ يُسْتَطَــاعُ شَـدِيـــدُ

---

[1]- تصرف الإفراني في هذا الكلام بالحذف وتغيير العبارة، فزاده تعقيدا. (انظره كاملا في المعالم حاشية المفصل 117-118).

[2] ـ البيت في نفح الطيب 288/5.

[3] ـ في الأصل: ابن أبي الأصبغ، وقد تقدَّم التنبيهُ على أنهُ خطأ.

ومن هنا قالَ أبو نواسٍ[1]:

لاَتُسْدِيَـــــنَّ إِلَـــيَّ عَـارِفَـــــــــةً حَتَّـى أقُـومَ بِشُكْـــرِ مَـــا سَلَفَـــا

وبَقِيَ: أي تُرِكَ. يقال: "ما بقيتْ منهم باقيةٌ ولاَ وَقَتْهُم من الله واقية". والعربُ تقولُ للعدُو إذا غَلَبَ: "البَقيةُ"، أيْ أبْقوا علينا. لا تستأصلوا. وفي الكتابِ: "وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى"[2]، الآيةُ. ويُستعملُ أبقى مُتعدياً، وبَقِيَ لازماً، كما هنا .

وألحاهُ: أيْ أعاتِبُه، وألومُه، مُضارعُ لحاهُ، ومن الشائعِ عندَ الأدباءِ: لَحا اللهُ دهراً، ولحا اللهُ الزَّمَانَ. وأنكرَ ذلكَ جماعةٌ منَ العلماءِ، وبالغَ الغِبْرِيني في مسارحِ الأنظـارِ فـي التحذيرِ من ذلكَ. وفي كتاب المراقبة من الأحياء: مَنْ ذَمَّ شَيْئاً مِنْ خَلْقِ اللَّهِ بغيرِ إذنِ اللهِ فقد ذمَّ اللـهَ تعالَى. وفي الحديثِ: لا تَسبُّوا الدهرَ فإنَّ اللهَ هو الدهرُ[3]. وفي المُوطأ قالَ مـالكٌ، قـالَ النبـيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم: "لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ يَا خُبْثَ الدَّهْرِ، فَـإِنَّ اللـهَ هُوَ الدَّهْرُ"[4]. وقولُ علـيٍ، رضي اللهُ عنه، فيما قِيلَ :

خُــذْ مَــا صَفَــا لَــكَ وَارْمِ الهَــمَّ نَاحِيَــةً لاَ بُــدَّ مِــنْ كَــدَرٍ فِيهـا وَمِــنْ صَــافِ
لاَ تَسْـأَلِ الدَّهْــرَ إِنْصَافـاً فَتَظْلِمَـــــهُ، وَلاَ تَلُمْــهُ فَلَـمْ يُخْلَـــقْ لإِنْصَــــافِ

---

[1] ـ ديوان أبي نواس 427.

[2] ـ سورة البقرة 2/ 248.

[3] ـ نص الحديث في سنن أبي داوود 658 : "يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأمْـرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ".

[4] ـ الموطأ 697، وفيه: يـا خيبـة. وفـي المعيـار 11/255-267 فتـوى موسـعة لأبـي عبدِ اللـه السنوسـي تناولت القضية من جوانب متعددة.

نَهْيٌ عن نسبةِ الأمورِ للدهرِ لا شِكايةٌ به. وما زالَ أشياخُنا يُنكرون قولَ السَّعدِ في طالعةِ المُطول: "فلقدْ جرَّدَ الدهرُ على أهلها[1] سيفَ العُدوانِ". فكانَ بعضُهم يُؤوِّله على حذفِ مضافٍ أي أهلِ الدهرِ. ولمْ أرَ في هذه المسألةِ أحسنَ من كلامِ حافظِ المغربِ والمشرقِ أبي عُمرَ ابنِ عبدِ البَرِّ، ونصُّه، على حديثِ الموطأ[2]، بعد أن ساقَ ما وقعَ فيهِ من أشعارِ الجاهليةِ والإسلامِ قالَ: وأشعارُهم في هذا أكثرُ من أن تُحصى، خرجتْ كلُّها على المجازِ والاستعارةِ. والفُضلاءُ والأخيارُ من المُسلمينَ استعملوا ذلكَ في أشعارِهم على دينِهم وإيمانِهم، جَرياً في ذلكَ على عادتِهم، وعِلماً بالمرادِ، وأنَّ هذا مَفهومٌ معلومٌ لا يُشكِلُ على ذي لُبٍّ، هذا سابقٌ البَرْبَرِيُّ على فضلِهِ يقولُ:

المَرءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ، وَيَظَلُّ يَرقَعُ وَالخُطُوبُ تُمَزِّقُ

وقالَ سُفيانُ الثوري:

أَيَا دَهْرُ، أَعْمَلْتَ فِينَا أَذَاكَا وَوَلَّيْتَنَا بَعْدَ وَجْهٍ قَفَاكَا
فَيَا دَهْرُ إِنْ كُنْتَ عَادَيْتَنَا فَهَا قَدْ صَنَعْتَ بِنَا مَا كَفَاكَا

ورويْنا أن مالكاً كانَ ينشدُ لبعضِ صُلحاءِ المدينةِ في الهَزَجِ:

أَخِي لاَ تَعْتَقِدْ دُنْيَا قَلِيلاً مَا تُوَاتِيكَا
فَكَمْ قَدْ أَهْلَكَتْ خِلاًّ أَسِيفاً، لَوْ تُنَبِّيكَا
وَلاَ تَغْرُرْكَ زَهْرَتُهَا فَتَلْقَى السُّمَّ فِي فِيكَا

وللمأمونِ:

---

[1] ـ في المطول 4: أهاليها.

[2] ـ المقصود: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. يُطبع حاليا بعناية وزارة الأوقاف بالرباط.

أَنَا فِي عِلْمِي بِالدَّهْرِ أَبُو الدَّهْرِ وَأُمُّهْ
لَيْسَ يَبْدَا الدَّهْرُ يَوْماً بِسُرُورٍ فَيُتِمُّهْ
فَكَمَا سَرَّ أَخَاهُ فَكَذَا سَوْفَ يَـ[غُمُّـ]ـهْ
لَيْسَ لِلدَّهْرِ صَدِيقٌ حَامِدٌ، إلاَّ يَذُمُّهْ

والأبياتُ في المعنى لأهلِ الخيرِ والصلاحِ كثيرةٌ. ومرةً يضيفونَ ذلكَ للدهرِ، ومرةً للدُّنيا، وللزمانِ، وكلُّ ذلكَ محمولٌ على ما فسَّرنا، انتهى باختصارٍ. وتذكرتُ هنا قولَ بعضِهم مُلغزاً في الدَّهرِ:

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَدْرِي الَّـ ـذِي حَارَ الْوَرَى فِيهِ
أَضِفْ خَمْساً لأَرْبَعَةٍ وأَعْطِ الثَّوْبَ رَافِيهِ

وقولُه: على ما أتلفَ، أتلفَ، وتَلِفَ، وهو متْلافٌ، ووقعوا في متْلَفَةٍ، مَعنى ذلكَ كلِّه الهلاكُ. والتَّلافي: استدراكُ البقيَّةِ من الشيءِ. وما أحسنَ قولَ شرفِ الدينِ بنِ عُنينٍ[1]:

اُنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلًى لَمْ يَزَلْ يُولِي النَّدَى، وَتَلافَ قَبْلَ تَلافِي
أَنَا كَـ(الَّذِي)، أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَاغْنَمْ ثَنَائِي، والدُّعَاءَ الوَافِي

ويُذكرُ أنهُ كانَ مَريضاً، فكتبَ بالبيتينِ للملكِ المُعظَّمِ صاحبِ دمشق، فعادهُ الملكُ المعظمُ ومعه خمسمائة دينارٍ، وقال لهُ: أنتَ (الَّذي)، وأنا العائدُ، وهذهِ الصِّلَةُ. ويقربُ منهُ قولَ بهاءِ الدينِ زهيرٍ[2]:

---

[1] ـ البيتان في ديوان ابن عنين 92، وديوان الصبابة 151-152، وخزانة الأدب 174، ونفح الطيب 349/7 مع القصة بعدهما. أي يحتاج إلى صِلةٍ.

[2] ـ ديوان بهاء الدين زهير 102، وخزانة الأدب 174.

يَقُولُـونَ لِـي أَنْـتَ الَّـــذِي سَـــارَ ذِكْـــرُهُ   فَمِـــنْ صَـــادِرٍ يُثْنِـــي عَلَيْـــهِ وَوَارِدِ
هَبُونِي، كَمَا قَدْ تَزْعَمُـــونَ، أَنَـــا (الَّـــذي)   فَأَيْـــنَ صِلاَتِـــي مِنْكُـــمُ وَعَـوَائِـــدِي؟

المعنـــى

أنهُ لما ذكرَ أنَّ الحبيبَ لم تتركْ أجفانُه من روحِه إلاَّ هذا الشيءَ النَّزْرَ التافهَ الذي وجودُه كالعدمِ، أعقبَ ذلـكَ باستحسانِ فعلِ الحبيبِ، وذكْرِ عدلِه في ذلكَ، وتطبيقِه المفصِلَ[1]، و إصابَةِ الغرضِ، و أنهُ على الفرضِ لو لمْ يُبقِ شيئاً منهُ لمْ يُعارضهُ معارضٌ ولا عنَّفَهُ مُعنفٌ، فتركُه لذلكَ اليسيرِ من بابِ إحسانِه لمحبِّهِ، فهو مُقيمٌ على شُكرِه، ومُواظبٌ على حمدِه. وهذا البيتُ من لطيفِ التذلُّلِ للمحبوبِ. وهو في المعنى قريبٌ من قولِ الشاعرِ:

إِنْ كَانَ سَفْكُ دَمِـــي أَقْصَـــى مُرَادِكُـــمُ   فَمَا غَلَتْ نَظْـرَةٌ مِنْكُـمْ بِسَفْـــكِ دَمِـــي

ابنُ الفارضِ[2]:

مَــالِي سِـوَى رُوحِـي، وبَـاذِلُ نَفْسِـهِ   فِـي حُـبِّ مَـنْ يَهْـوَاهُ لَيْـسَ بِمُسْـرِفِ
فَلَئِـنْ رَضِيـتَ بِهَـا فَقَـدْ أَسْعَفْتَنِـــي،   يَـا خَيْبَـةَ المَسْـعَى إِذَا لَـمْ تُسْعِـــفِ
لَـوْ أَنَّ رُوحِـي فِـي يَـدِي ووَهَبْتُهَـــا   لِمُبَشِّـــرِي بِقُدُومِـــكَ لَـــمْ أُنْصِـــفِ
لاَ تَحْسَبُونِـي فِي الهَـــوَى مُتَصَنِّعَـــاً،   كَلَفِـي بِكُـمْ خُلُـــقٌ بِغَيْـرِ تَكَلُّـــفِ

وقالَ شيخُ الشيوخِ بحَمَاةَ عبدُ العزيزِ الأنصاريُّ من غراميةٍ:

---

[1] - التطبيق:إصابة المفصل، وضدُّه التصميمُ، ويقال للرجل إذا أصابَ الحجة: إنه يطبق المفصل، (لسان العرب: طبق).

[2] - الأبيات 3، 4، 19، 20 من قصيدة في ديوان ابن الفارض 151-152.

لاَ تَسَلْ غَيْرِيَ فِي شَرْعِ الهَوَى وَخُذِ التَّنْزِيلَ فِيهِ عَنْ أُبَيْ
قُلْتُ: قَدْ أَضْنَيْتَ جِسْمِي، قَالَ:قَدْ قُلْتُ: كَيْ تُذْهِبَ رُوحِي، قَالَ: كَيْ
قُلْتُ: أَفْدِيكَ بِنَفْسِي، قَالَ: مَه! مَا إِلَيْكَ الأَمْرُ فِيهِ بَلْ إِلَيْ

والأبياتُ في هذا المعنى كعديدِ الطيس[1]، ومآلُها للتذلّلِ بينَ يديْ المحبوبِ الذي هو أليقُ بالهوى. فإنَّ الترفُّعَ على المعشوقِ والتَّكبُّرَ عليهِ لا يصدرُ إلاَّ ممنْ تردَّى برداءِ البلادةِ. ولله القائلُ:

فَيَا عَجَباً مِنْ عَاشِقٍ مُتَكَبِّرِ يُغَاضِبُ مَنْ يَهْوَى وَيَطْمَعُ في الوَصْلِ

ولابنِ العفيفِ:

لُذْ بِالغَرامِ وَلَذَّةِ الأشْوَاقِ واخْتَرْ فَنَاءَكَ فِي الجَمَالِ البَاقِي
وَإِذَا دَعَاكَ إِلَى الصِّبَا نَفَسُ الصَّبَا فَأجِبْ رَسُولَ نَسِيمِهِ الخَفَّاقِ
وإذا شَرِبْتَ الصِّرْفَ مِنْ خَمْرِ الهَوَى إيَّاكَ تَغْفُلُ عَنْ جَمَالِ السَّاقِي
وَالْقَ الأحِبَّةَ إنْ أرَدْتَ وِصَالَهُمْ مُتَلَذِّذاً بِالذُّلِّ وَالإمْلاَقِ
أَوَ لَيْسَ مِنْ أَحْلَى المَطَاعِمِ في الهَوَى عِزُّ الحَبِيبِ وَذِلَّةُ المُشْتَاقِ؟

ولابنِ الأحمرِ[2]:

أَيَا رَبَّةَ القُرْطِ الَّتِي حَسَّنَتْ هَتْكِي، عَلَى أيِّ حَالٍ كَانَ لاَبُدَّ لِي مِنْكِ
فَإِمَّا بِذُلٍّ فَهْوَ أَلْيَقُ بِالهَوَى، وَإِمَّا بِعِزٍّ فَهْوَ أَلْيَقُ بِالمُلْكِ

---

[1] ـ الطيس: العدد الكثير.

[2] ـ أنشد هذين البيتين أبو حيان في الغيث المسجم 214/1 من شعر محمد بن الغالب ابن نصر المعروف بابن الأحمر. ووردا أيضا في ديوان الصبابة 214.

وقال الصَّقديُّ يردُّ عليهِ[1]، وفيه برودةٌ:

تَمَسَّكْ بِـذُلٍّ فَهْـوَ أَلْيَـقُ بالـهَـوَى، لِتَنْظَمَ مَعَ أَهْلِ المَحَبَّةِ فِي سِلْكِ
مَتَى لاَقَ بِالعُشَّاقِ عِزٌّ وَسَطْـوَةٌ كَأَنَّكَ مِنْ ذُلِّ المَحَبَّةِ فِي شَكِّ

ولهرون الرشيدِ[2]:

مَلَكَ الثَّلاَثُ الآنِسَاتُ عِنَانِي، وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانِ
مَالِي تُطَاوِعُنِي البَرِيَّةُ كُلُّهَا، وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَانِي؟
مَا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ سُلْطَانَ الهَوَى، وَبِهِ قَوِينَا، أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

أرادَ بالثلاثِ ما ذكرَه أبو الفرجِ في الأغاني أنَّ هرونَ الرشيدِ نامَ مع ثلاثِ جوارٍ[3]: مكيةٍ ومَدنيةٍ وعراقيةٍ، فمدتِ المدنيةُ يدَها إلى ذَكرِه حتَّى أنعظَ، فوثبتْ عليهِ المكيةُ وحازتهُ إليها، فقالتْ لها المدنيةُ: ما هذا التَّعدي؟ أما تعلمينَ أن مالكاً حدَّثنا عن الزهرِ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ عن سعيدِ بنِ زيدٍ عنهُ عليه السلامُ: قال: من أحيا أرضاً مواتاً فهيَ لهُ، فقالتْ لها المكيةُ: حدَّثنا سفيانُ عن أبي الزنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرةَ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: الصيدُ لمنْ صادَه لا لمنْ أثارَهُ. فدفعتْهما العراقيةُ عنهُ وقالتْ: هذا لي حتى تنقضيَ مُخاصمتُكما. فحظين عندَ الرشيدِ، واستحسن ما وقعَ[لهنَّ] فأنشدَ الأبياتَ. ويقالُ إنَّ

---

[1] ـ في الغيث المسجم 214/1: "وقُلْتُ أنا راداً عليهِ.." البيتان.

[2] ـ الأبيات في الغيث المسجم 214/1، وديوان الصبابة 52، وتزيين الأسواق 20. وتنسب للعباس بن الأحنف، قالها على لسان الرشيد، وهي في ديوانه 312.

[3] ـ الذي في الأغاني أن الحادثة وقعت للفضل بن الربيع فقصها على هرون الرشيد ، فأخذ منه الجواري وقال الشعر.(الأغاني16/269-270).

العباسَ بنَ الأحنفِ قالَ الأبياتَ على لِسانِ الرشيدِ[1]. قالَ أبو العباسِ التِّجاني: وهيَ بنفسِ العباسِ أشبهُ.

وعارضَ الأبياتَ سليمانُ بنُ الحكمِ صاحبُ قرطبةَ فقالَ[2]:

عَجَباً، يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي ... وَأَهَابُ سِحْرَ بَوَاتِرِ الأَجْفَانِ
وَأُقَارِعُ الأَهْوَالَ لاَ مُتَهَيِّباً ... مِنْهَا سِوَى الإِعْرَاضِ وَالهِجْرَانِ
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلاَثٌ كَالدُّمَى ... زُهْرُ الوُجُوهِ نَوَاعِمُ الأَبْدَانِ
كَكَوَاكِبِ الظَّلْمَاءِ لُحْنَ لِنَاظِرٍ ... مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ، عَلَى كُثْبَانِ
هَذِي الهِلاَلُ، وَتِلْكَ أُخْتُ المُشْتَرِي ... حُسْناً، وَهَذِي أُخْتُ غُصْنِ البَانِ
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوَّ إِلَى الهَوَى ... فَقَضَى لِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِ
فَأَبَحْنَ مِنْ قَلْبِي الحِمَى، وَتَرَكْنَنِي ... فِي عِزِّ مُلْكِي كَالأَسِيرِ العَانِي
مَا ضَرَّ أَنِّي عَبْدُهُنَّ صَبَابَةً، ... وَبَنُو الزَّمَانِ وَهُنَّ مِنْ عُبْدَانِي
لاَ تَعْذِلُوا مَلِكاً تَذَلَّلَ فِي الهَوَى، ... ذُلُّ الهَوَى عِزٌّ وَمُلْكٌ ثَانِي
إِنْ لَمْ أُطِعْ فِيهِنَّ سُلْطَانَ الهَوَى ... كَلَفاً بِهِنَّ فَلَسْتُ مِنْ مَرْوَانِ

وسليمانُ هذا يُلقَّبُ بالمُستعين بالله، وهو سليمانُ بنُ الحكم بنِ سليمانَ بنِ عبدِ الرحمانِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانِ. قالَ في النَّفحِ: بُويِعَ لهُ في قُرطبةَ[3] خِتامَ المائةِ الرابعةِ. وكان أديباً بليغاً. وأبوهُ الحكمُ المستنصرُ باللهِ كانَ ضخمَ المملكةِ، عظيمَ السلطةِ. وكانَ مُحبّاً في العلمِ وأهلِه مِجماعاً للكُتبِ. ذكرَ ابنُ خلدونٍ أن

[1] ـ انظر الصفحة السابقة، الحاشيتان 2،3.

[2] ـ الأبياتُ في الحلة السيراءِ 9/2 مما أنشدَ محمدُ بن عبد الله العُمري لسليمان المستعين، وهي كذلك في الغيث المسجم 214/1، ونفح الطيب 430/1-431.

[3] ـ في نفح الطيب 428/1: "دخل المستعين قرطبة خِتَامَ المائةِ الرابعةِ".

كتُبَه بلغتْ أربعَ مائةِ ألفِ مجلّدٍ. والفهارسُ التي فيها أسماءُ الكتبِ بلَغتْ أربعاً وأربعينَ، في كلّ فهرسةٍ عشرونَ ورقةً[1]. ليسَ فيها إلاّ ذكرُ الدواوينِ فقط. وقيلَ إنَّهُ جرَّدَ خزانةً فنقلَ الكُتبَ لها في ستةِ أشهرٍ. وهو الذي بعثَ إلى أبي الفرجِ الإصبهاني في كتابِ الأغاني ألفَ دينارٍ من الذهبِ العَينِ، فبعثَ إليهِ بنسخةٍ منهُ[2]. وكذلكَ فعلَ معَ الأبْهريِ في شرحِ مُختصرِ ابنِ الحكمِ. وقُتلَ المستعينُ سنةَ سبعٍ وأربعمائةَ، كذا في نفح الطيب، وقيلَ سنةَ خمسٍ .

المعانـــي

قدَّم (أنا) المسندةِ إليه على المسندِ الفعلي وهو(أشكرُه). وحيثُ لانفيَ فيهِ، فتارةً يكونُ للتَّخصيصِ، ردّاً على من زعمَ انفرادَ غيرِ المسندِ إليهِ بالخبرِ الفِعلي نحو: أنا سَعيتُ في حاجتِك. فيكون التأكيدُ بنحو: لا غَيْرِي، إن كانَ القصرُ للقلبِ، وبنحو: وحدي، إن كانَ للإفرادِ. وتارةً يأتي لتقويةِ الحُكمِ وتقريرِهِ في ذهنِ السامعِ نحوُ: هو يُعطي الجزيلَ قصداً إلى [أنْ] تُقرِّرَ في ذِهنِ السامعِ وتحققَ أنهُ يفعلُ إعطاءَ الجزيلِ، لا إلى أنَّ غيرَه لا يفعلُ ذلكَ. وسببُ التقويةِ تكرُّرُ الإسنادِ. فالظاهرُ أن الغرضَ في البيتِ بالتقديم[3] إنما هو مجردُ تقويةِ الحُكمِ وتثبيتِه[4] في أسماعِ المُتفهمينَ. فليسَ يريدُ أنهُ يشكرُه إلاّ هو، وإنما عنى أنه مقيمٌ على الثناءِ عليهِ ونشرِ إحسانِه، ولا عليهِ في غيرِه، وافقَ أم خالفَ. ويجوزُ أن يريدَ التخصيصَ من جهةِ أن ما فعلهُ المحبوبُ به لمَّا كانَ أمراً سَمِجاً تأنفُه الخواطرُ السالمةُ من لدغاتِ الغرامِ فتقبِّحُ فعلَ المعشوقِ وتذُمُّه، وتُنكرُ عليهِ ذلكَ، فتنصَّلَ هو ممَّا هم فيه من العذلِ والعتابِ، وأظهرَ للمحبوبِ أنهُ لا يشكرُه أحدٌ سواهُ، ولا يستحسنُ ما فعله غيرُه. فالقصرُ هنا

---

[1] ـ انظر المغرب 186/1.

[2] ـ المصدر السابق 186/1.

[3] ـ أي: من التقديم.

[4] ـ في الأصل: وتبينه، وهو غلط.

إما إفرادي أو قلبي، كما هو ظاهرٌ.

وعبَّر بالمضارعِ في أشكرُهُ قصداً للدلالةِ على استمرارِ الدوامِ. وإنما فصلَ جملةَ "لَسْتُ ألحَاهُ" عن جملةِ "وَأنا أشكرُهُ" لما بينهما من كمالِ الاتصالِ لكونِ الثانيةِ مقرِّرةً للأولى. إذْ شُكره، هو عدمُ لومِه. فوزانُ الثانيةِ وزانُ [(زيدٍ)] الثاني في: جاءَ زَيْدٌ زَيْدٌ.

البيان

فيهِ الاستعارةُ التبعيةُ في الحرفِ، لأنَّ الفاءَ عندهُ بمعنى (على)، والشكرُ إنما يتعدَّى بـ(على). وتقريرُها واضحٌ. والاستعارةُ معلومةٌ في محلِّها. قالوا: وهي على حسبَ التشبيهِ. فكلَّما ازدادَ خفاءً، ازدادتِ الاستعارةُ حُسناً، وكلما بعُد التشبيهُ بعدتِ الاستعارةُ .ألا ترى ما أثقلَ قولَ أبي نواسٍ[1]:

بُحَّ صَوْتُ المَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحْ

فكيفَ يُبحُّ صوتُ المالِ! ومثلُه قولُ بشارٍ:

وَجَزَّتْ رِقَابَ الوَصْلِ أسْيَافُ هَجْرِنَا وَقَدَّتْ لِرِجْلِ البَيْنِ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدِّي[2]

قالَ في العمدةِ: ما أهجنَ رجلَ البينِ، ورِقابَ الوصلِ[3]! ومن لطيفِ الاستعارةِ قولُ المجدِ الإرْبِلي[4]:

---

[1] ـ ديوان أبي نواس 54 (طبعة دار الثقافة.بغداد) والعمدة 270/1. وفي الأصل :الماء، وفي الديوان والعمدة: المال وهو الصواب.

[2] ـ في الأصل: حدى، والمثبت عن ديوان بشار 83، والعمدة 270/1.

[3] ـ العمدة 270/1.

[4] ـ في الأصل: الاويلي، والمثبت عن خزانة الأدب 61، ومعاهد التنصيص 159/2، وفيهما: مجد الدين

أُصْغِـي إلـى قَـولِ العَـذُولِ بِجُملَتِـي، مُسْتَفهِمـاً عَنْكُـمْ بِغَيْـرِ مَـلالِ
لِتَلَقُّطِـي زَهَـرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُـمْ مِـنْ بَيْـنِ شَـوكِ مَلامَـةِ العُـذَّالِ

وقولُ ابنِ رشيق[1]:

بَاكِـرْ إلـى اللَّـذَّاتِ وَارْكَـبْ لَهَـا سَوَابِـقَ اللَّهْـوِ ذَوَاتِ المِـرَاحْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْشُـفَ شَمْـسُ الضُّحَـى رِيقَ الغَـوَادِي، مِـنْ ثُغُـورِ الأَقَـاحْ

البديـع

فيهِ الانسجامُ، وأصلُه لغةً من انسجمَ الد[معُ] إذا انحدرَ، وعرَّفَه أهلُ البديعِ بأن يكونَ الكلامُ مُنحدراً كتحدُّرِ الماءِ المنسجمِ، لسهولةِ سبكِه. وعُذوبةِ لفظِه، وعدمِ التكلفِ فيهِ، ليقعَ من القلوبِ موقعاً. وكما يكونُ الانسجامُ في النَّظْمِ، يكونُ في النثرِ. قالَ ابنُ حجة[2]: والغالِبُ على الانسجامِ إذا وقعَ في النثرِ أن تكونَ فقراتُه موزونةً من غيرِ قصدٍ، لقوةِ انسجامِه، ولهذا وقعتِ البحورُ الخمسةَ عشرَ موزونةً في القرآنِ. فمنَ الطويلِ: "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"[3]، ومن المديدِ: "وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا"[4]. ومن البسيطِ: "فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ"[5]. ومن الوافرِ: "وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ"[6]. ومن

الإربلي. ونسبهما في الغيث المسجم 182/1 لابنِ جوبان، وفي ديوان الصبابة: جويان القواس.

[1] ـ البيتان في ديوان ابن رشيق 55-56، ونسبهما في المرقصات والمطربات 8 لابن حمد يس الصقلي. وفي الشريشي الكبير 2/2 لعبد الجبار الصقلي.

[2] ـ نقل الإفراني ما يتعلق بالانسجام في الشعرِ والنثر عن خزانة الأدبِ 236-241 بتصرف.

[3] ـ سورة الكهف 29/18.

[4] ـ سورة هود 37/11.

[5] ـ سورة الأحقاف 46-25.

[6] ـ سورة التوبة 14/9. وصلة الآية: " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ". والشاهد في: "..ويشفِ إلخ..

الكامل: مجزوءاً "وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[1]. ومن الهزج: "فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً"[2]. ومن الرجز: "دانيةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا، وذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً"[3]. ومن الرمل مجزوءاً: "وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ"[4]. ومن السريع: "قَالَ: فَمَا خَطْبُكَ يا سَامِرِيُّ؟"[5]. ومنه: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ"[6]. ومن المنسرح: "إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ" [7]. ومن الخفيف: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ"[8]. كذا أوردهُ صاحبُ المفتاح[9]. ومنه: "لايَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً"[10]. ومن المضارع، وهو قليلٌ، قيلَ إن العربَ لم تستعمله: "يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ"[11]. ومن المُقتضب، وهو في القلةِ كالمضارع: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً"[12]. ومن المجتث: "نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ"[13]. ومنَ المُتقارب: "وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ"[14].

---

[1] ـ سورة النور 46/24، ومحل الاستشهاد: "واللهُ يهدِي مَنْ يَشَاء إلى صِرَاطِ...".

[2] ـ سورة يوسف 93/12، والشاهد في: "فألقوهُ عَلَى وَجْهِ..".

[3] ـ سورة الإنسان 76-14، على ضمّ ميمِ (عليهم).

[4] ـ سورة سبإ 13/34، وصلة الآية: "يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشَاءُ من مَحاريبَ وتَماثيلَ وَجِفَانٍ..".

[5] ـ سورة طه 95/20، وهو على تسكين الياءِ في (سامري) في الوقف.

[6] ـ سورة البقرة 259/2.

[7] ـ سورة الإنسان 2/76.

[8] ـ سورة الماعون 107/1-2، والشاهد في: "أرايتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ..".

[9] ـ هو آخرُ ما أوردهُ السكاكي في كتابه مفتاح العلوم 250.

[10] ـ سورة النساء 78/4.

[11] ـ سورة غافر 33/40، والشاهد في: "تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ..".

[12] ـ سورة البقرة 10/2، والشاهد في: "في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ..".

[13] ـ سورة الحجر 49/15، والشاهد في: "نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي..".

[14] ـ سورة الأعراف 183/7.

وأما الانسجامُ في النظمِ فمن أبدعِها قولُ بشارٍ[1]:

إذَا جِئْتَــــهُ فِـي حَاجَــةٍ سَــدَّ بَابَــــهُ فَلَــــمْ تَلْقَـــهُ إلاَّ وأنــــتَ كَمِيــــنُ

ولــــهُ[2]:

هَلْ تَعْلَمِيــنَ وَرَاءَ الحُــبِّ مَنْزِلَــــةً؟ تُدْنِــي إِلَيْـكِ، فَـــإِنَّ الحُـــبَّ أَقْصَانِـــي

ولــــهُ[3]:

أنـــا وَاللَّـــــهِ أَشْتَهِــــي سِحْــــرَ عَيْنَيْــــــكِ، وَأَخْشَـــى مَصَـــارِعَ العُشَّــــاقِ

ولــــهُ[4]:

وَإِنِّـي امْــرُؤٌ أَحْبَبْتُكُــمْ لِمَكَـــــارِمٍ سَمِعْتُ بِهَـا، والأُذْنُ كَالعَيْــنِ تَعْشَــــقُ

قالَ العباسُ بن الأحنفِ:

وَسَــعَا بِهَـــا نَـــاسٌ[5] وَقَالُـــوا: إِنَّهَـــا لَهْــيَ التِــي تَشْــقَى بِهَـــا وَتُكَابِـــدُ
فَجَحَدْتُهُــمْ لِيَكُــونَ غَيْـرُكِ ظَنَّـهُــــمْ إِنِّــي لَيُعْجِبُنِــي المُحِـــبُّ الجاحِـــدُ

---

[1] ـ ديوان بشار 221.

[2] ـ المصدر السابق 228.

[3] ـ المصدر السابق 168.

[4] ـ المصدر السابق 163.

[5] ـ في ديوان العباس بن الأحنف 102: سَمَّاكِ لِي قَوْمٌ..

ذكرَ ابنُ حجةَ[1] أنــهُ مـاتَ الكِسـائي والعبـاسُ بـن الأحنـفِ، وإبراهيمُ الموصلـي وهُشَيمة الخَمارُ، فرُفعَ ذلكَ للرشيدِ، فأمرَ المأمونَ أن يُصليَ عليهم، فصفُّـوا بيـنَ يديـهِ، فقدَّمَ العبـاسَ، فسئِل عن ذلكَ، فقال: لقوله:

وسعـــى بهـــا نـــــاس..الخ..

ورأيتُ في معاهد التنصيص[2] أن هذه الحكايـة باطلـة. ومعـاذ اللـه أن يقدم رجـل شـاعر على عظيمٍ من عظماءِ المسلمين. علـى أن التـاريخ يدل علـى أن وفاتهمـا لـم تكـن فـي يوم واحدٍ. وقالَ المَنازي[3]:

وَقَانَـــا لَفْحَـــةَ الرَّمْضَـــاءِ وَادٍ سَــقَاهُ مُضَــاعَفُ الطَّــلِّ العَميــمِ
نَزَلْنَـــا دَوْحَـــهُ، فَحَنَـــا عَلَيْنَـــا حُنُــوَ المُرْضِعَــاتِ عَلَــى الفَطِيــمِ
وَأَرْشَفَنَـــا عَلَـــى ظَـمَـــإٍ زُلالاً أَلَـــذَّ مِـــنَ المُدَامَـــةِ لِلنَّـديــمِ
يَصُـــدُّ الشَّمْـــسَ أَنَّـــى وَاجَهَتْنَـــا، فَيَحْجُبُهَـــا ويَـــأْذَنُ لِلنَّسِيـــمِ
يَـرُوعُ حَصَـــاهُ حَالِيَـــةَ العَـــذَارَى فَتَلْمَـسُ جَانِــبَ العِقْـدِ النَّظِيـــمِ

ورأيتُ في نفحِ الطيبِ هذه الأبياتَ منسوبةً لحمدةَ الأندلسيةِ. وفي شرحِ بديعيةِ ابنِ جـابرٍ لرفيقهِ أبي جعفرٍ الغرناطي نزيلِ حلَبَ ما نصُّـه: رأيتُ المؤرخيـنَ مـن أهـلِ بلادنَـا أثبتوهـا

[1] ـ خزانة الأدب 241.
[2] ـ معاهد التنصيص 1/56-57.
[3] ـ الأبيات في نفح الطيب 4/288-289، وخزانة الأدب 83، وحلبة الكميت 278.
وَحَلِيَتِ المَرْأَةُ حَلْياً، فهيَ حالٍ وحاليةٌ: لبستْ حَلْيَها.

لحمدة قبلَ أن يخرجَ المَنازي من العدمِ إلى الوجودِ، ويتصفَ بلفظِ الموجودِ[1] قال أبو عبدِ الله النقاشُ البغدادي[2]:

إذا وَجَـــدَ الشيـــخُ فِـــي نَفْسِـــهِ ... نَشَـــاطاً، فَذَلِـــكَ مَـــوْتٌ خَـفِـــي
أَلَسْـــتَ تَـــرَى أنَّ ضَـــوْءَ السِّـــراَجِ ... لَـــهُ لَهَـــبٌ عِنْدَمَـــا يَنْطَفِـــي

عبدُ المحسنِ الصُّوري[3]:

وأخٍ مَسَّـــهُ نُـزُولِـــي بِـقَـــرْحٍ ... مِثْلَمَا مَسَّنِي مِـنَ الجُـوعِ قَـ[ـــرْ]حُ
بِـتُّ ضَيْفـاً لَـهُ كَمـا حَكَـمَ الـدَّهْـــ ... ـــرُ، وفـي حُكْمِـهِ عَلَى الحُـرِّ قُبْـحُ
فَابْتَدَانِـي يَقُـولُ، وَهْـوَ مِـنَ السَّكْـــ ... ـــرَةِ بِالـهَـمِّ طَافِـحٌ لَيْـسَ يَصْحُـو:
لِمْ تَغَرَّبْتَ؟ قُلْتُ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـــ ... ـــهِ، والقَولُ مِنْـهُ نُصْـحٌ وَنُجْـحُ:
سَافِـرُوا، تَغْنَمُـوا.فقَـالَ، وقَـدْ قَـا ... لَ تَمَامَ الحَدِيثِ: صُومُـوا تَصِحُّـوا[4]

أبو تمام:

نَقِّلْ فُـؤَادَكَ حَيْـثُ شِئْتَ مِـنَ الهَـوَى ... مَـا الحُـبُّ إلاَّ لِلْحَبِيـبِ الأوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِـي الأَرْضِ يَأْلَفُـهُ الفَتَـى ... وَحَنِينُـهُ أَبَـداً لأَوَّلِ مَنْـزِلِ

---

[1] ـ المصادر السابقة.

[2] ـ البيتان في فوات الوفيات 165/3، وخزانة الأدب 263-264.

[3] ـ الأبيات بزيادة في معاهد التنصيص 186/4. وفي البيت الأول اقتباس من الآية: "إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ". آل عمران 140/3.

[4] ـ في الأصل تصح، وليس له وجه وفي مسند أحمد 2/ 280: "سافروا تصحوا واغزوا تغنموا".

قالَ الثعالبي في الأنوار: استدلَّ النحاةُ ببيتِ حبيبٍ على جهةِ التوريةِ والتلميحِ لمذهبِ الكُوفيينَ من اختيارِ أعمالِ الأولِ في التنازعِ، كَما استدلُّوا لاختيارِ الثاني على مذهبِ البَصريينَ بقولِ الشاعرِ[1]:

إِفْخَرْ بِآخِرِ مَنْ كَلِفْتَ بِحُبِّهِ، لاَ خَيْرَ فِي حُبِّ الحَبِيبِ الأَوَّلِ
أَتَشُكُّ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّداً سَادَ البَرِيَّةَ وَهْوَ آخِرُ مُرْسَلِ؟

وبابُ الانسجامِ متسعُ الفضاءِ، وفِيما جَلَبنا كِفايةٌ.

الإعــراب

الواو: للحالِ، وهي من أقسام العاطفةِ عند النحاةِ. والجملةُ في محلِّ نصبٍ من فاعلِ (تَركْتَ).

وأنا: مبتدأ، وجملةُ أشكرُه: خبرُه.

وفي: حرفُ جرٍّ، وهي هنا بمعنى (على)، ويأتي فيه من الخلافِ ما أتى في نظيره وهو قوله تعالى: "فِي جذوعِ النَّخلِ"[2].

وما: مَوصولٌ إسميٌّ، صِلَتُهُ بَقِيَ، والعائدُ الفاعلُ به .

ولستُ: أصلُه ليسَ، ثم لما أسنِدَ لضميرِ المُتكلم سكِّنت السينُ فحذِفتِ الياءُ لاجتماعِ ساكنينِ.

---

[1] ـ أنوار التجلي 372/2 بتصرف. ووردت الأبياتُ كذلكَ في المُوشى 117.
[2] ـ صلة الآية: "وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ". سورة طه 71/20.

والتَّاءُ: اسمُها.

وجُمْلَةُ ألحاهُ: خبرُها.

وعلى: يتعلقُ بألحى.

ومَا أتْلَفَ: موصولٌ وصلةٌ، والعائدُ المنصوبُ مَحذوفٌ.

ويجوزُ في جملةِ "**وَأنا أشْكُرُهُ**" أنْ تكونَ ابتدائيةً.

هُـــوَ عِنْـــدِي عَـــادِلٌ إِنْ ظَـلَـمَـــــا وَرَقِيبِـــي نُطْقُـــهُ كَالخَـــــرَسِ[1]

اللغـــة

عِنْدَ: ظرفُ مكانٍ لبيانِ كـونِ مظروفها حـاضراً حِسّاً أو معنًـى، وقريبـاً حسّاً و معنًـى نحوُ: "فلمَّا رآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ"[2]، "الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَـابِ"[3]، "عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَـى"[4]، "عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ"[5]. وقد تردُ للزمانِ، نحو: الصَّبرَ عندَ الصَّدمةِ الأُولى. قـالَ فـي الأسـاسِ: يقولُ الرجلُ: هوَ عندِي كذَا، فيقالُ لهُ: أولَكَ عِندُ؟[6]. وفي المعنى للشيخِ أبي عبدِ اللهِ القورِي[7]:

أَتَانَـــا مِـــنَ الأَرْيَـــافِ قَـــوْمٌ تَفَقَّهُـــوا، وَلَيْسَ لَهُـمْ فِـي الفَضْـلِ قَبْـلٌ وَلاَ بَعْـدُ
يَقُولُـونَ: هَذَا لَيْـسَ بِالـرَّأْيِ عِنْدَنَـــــا، وَمَنْ أَنْتُـمُ حَتَّى يَكُـونَ لَكُـمْ عِنْـــدُ؟

---

1 ـ في ديوان ابن سهل 284: فهو..وعذولي.

2 ـ سـورة النمـل 40/27.

3 ـ نفســـها.

4 ـ سورة النجم 14/53.

5 ـ سورة القمر 55/54. وفـي الأصـل: عِنْدَ عَزِيزٍ مُقتـدرٍ، وهـو غلط. وفـي السـورة نفسـها 42/54: "فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ".

6 ـ أساس البلاغة (عند).

7 ـ هو محمد بن قاسم أبو عبد اللـه القوري، ولـد بمكنـاس، وتوفـي بفـاس سـنة 872هـ. فقيـه، نعتـه ابـن القاضي في لقط الفرائد بمفتي المغرب، وقال في جذوة الاقتباس: إنه آخرُ حُفاظ المدونـةِ بفـاس. أخذ عنـه جماعة من أعلام المغرب مثل ابن غازي، وأحمد زروق، وعبد الله بن عمر المدغـري. (جـذوة الاقتبـاس 319/1، 129، 282، 320، 440/2، ولقط الفرائد263، ونفح الطيب 345/5، 432، و216/6).

آخــــــر[1]:

كُــلُّ عِنْــدٍ لَــكَ عِنْـــــدِي لاَ يُسَــاوِي نِصْــفَ عِنْــدِي

والعَدْلُ: ضدُّ الجورِ، وأصلُه الميلُ عن سواءِ الطريقِ. والاعتدالُ في الشيءِ: القصدُ فيهِ، يُقالُ: أيامٌ مُعتدلاتٌ، أي مُتوسطةُ الهواءِ[2]. والعدلُ: المِثلُ، ومنهُ: "اللَّهُمَّ لاَ عَدْلَ لَكَ"[3]، والفداءُ، ومنهُ: لَمْ يَقْبلِ اللَّهُ منهُ صَرْفاً ولاَعَدْلاً، أي فداءً. وفي الغريبينِ: العدل الفريضةُ، والصَّرْفُ: النافلةُ. ورجلٌ عدلٌ، قالَ في الأساسِ[4]: "[تقو]لُ في عُدول قضاةِ السوءِ: ماهُم عُدولٌ ولكنهم عدولٌ، تريد جمعَ عدلٍ كزُيُودٍ[5] وعُمورٍ"[6].

والظُّلْمُ: قالَ أبو عبيدٍ: وضْعُ الشيءِ غيرَ مَوضِعِه[7]، ومنه ظلمَ السِّقاءَ[8] إذا سقاهُ قبلَ أن يخرجَ زُبدهُ. ويقعُ الظلمُ على الشِّرْكِ، ومن جعلَ له شريكاً عدَل عن الحقِّ، فالكافرُ ظالمٌ لهذا الشأنِ. ويجوزُ أن يكونَ الظلمُ مُشتقاً من الظلماتِ وما ألطفَ قولَ كُشاجِمٍ في أسودَ ظالمٍ[9]:

يَــا مُشْبِهــاً فِــي فِعْلِـــهِ لَوْنَـــهُ، لَــمْ تُخْــطِ مَــا أَوْجَبَــتِ القِسْمَـــهْ
فِعْلُــكَ مِــنْ لَوْنِــكَ مُسْتَخْـــرَجٌ، والظُّلْــمُ مُشْتَــقٌّ مِــنَ الظُّلْمَـــهْ

---

[1] ـ البيت في درة الغواص 14، والغيث المسجم 41/2.

[2] ـ في الأصل: الهوى، وهو غلط.

[3] ـ أساس البلاغة (عدل)، وفيه : "وتقول العربُ: اللَّهُمَّ لاعَدْلَ لَكَ، أي لا مِثْلَ لَكَ".

[4] ـ أساس البلاغة (عدل).

[5] ـ خرم في الأصل، وفي (ب): كرمود، ولا وجه له، والصواب من أساس البلاغة (عدل).

[6] ـ في الأصل و(ب): عهود، وما أثبتناه عن أساس البلاغة (عدل).

[7] ـ وهذه أيضاً عبارة القاموس المحيط (ظلم).

[8] ـ السِّقاءُ: جلد يوضع فيه اللبنُ، ويسمى أيضاً الوطبَ. ويقالُ: ظلمَ الوطبَ، إذا سقى منه اللبنَ قبلَ أن يروبَ. (لسان العرب: سقى).

[9] ـ البيتان في خزانة الأدب 31، والشريشي الكبير 113/1.

وفي الحديث: "الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ"[1]. هذا عندَ أهلِ البديعِ من جناسِ الاشتقاقِ، وليسَ منهُ: "وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ"[2] كما توهمهُ ابن الصائغ في شرحِه على البردةِ عندَ قوله:

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّـــــلاَمَ..[3]

بل هو جناسٌ مطلقٌ لأنه لمْ يرجعْ في المعنى إلى أصلٍ واحدٍ. وقد التبسَ الفرقُ بينهما على كثيرٍ. والفرقُ بينهما أنَّ المعنى في المُطلقِ لا يرجعُ إلى أصلٍ واحد[4]. ومنهُ ما كتَبَهُ الما[مونُ] في حق عاملٍ له: فلانٌ ما ترك فِضةً إلاَّ فضَّها، ولاَ ذهباً إلاَّ أذهبَه، ولاَ مالاً إلاَّ مالَ عليهِ، ولا فرساً إلاَّ افترَسَه، ولا داراً إلاَّ أدارها مِلكاً، ولا غلةً إلا غلَّها، ولا ضيعةً إلاَّ ضيعَها، ولا عقاراً إلاَّ عقرَه، ولا حالاً إلاَّ أحالَه، ولاَ جليلاً إلاَّ أجلاهُ، ولا دقيقاً إلاَّ دقَّه"[5]. بخلافِه في الاشتقاقِ. ومن أملحِ الاشتقاقِ قولُ القائل[6]:

عَاتَبْتُ طَيْفَ الَّذِي أَهْوَى، وقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ اهْتَدَيْتَ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ!
فَقَالَ: آنَسْتُ نَاراً مِنْ جَوَانِبِكُمْ يُضِيءُ مِنْهَا لَدَى السَّارِينَ قِنْدِيلُ
فَقُلْتُ: نَارُ الجَوَى مَعْنًى وَلَيْسَ لَهَا نُورٌ يُضِيءُ، فَمَاذَا القَولُ مَقْبُولُ!

---

[1] ـ البخاري 45/2.

[2] ـ سورة النمل 44/27.

[3] ـ تمام البيت :

ظَلمتُ سُنَّةَ مَنْ أحيَا الظَّلامَ إلى أنِ اشْتَكتْ قَدَماهُ الضُرَّ مِنْ وَرَمِ

وهو من قصيدة البردة للبوصيري المطبوعة بعنوان الدرة اليتيمة ص5.

[4] ـ انظر هذه المناقشة في خزانة الأدب 31-32.

[5] ـ خزانة الأدب 32. وفي الأصل و(ب): ولا رقيقاً إلا رقه. واخترنا ما في خزانة الأدب لأنه أجود للطباق بين (جليلا) و(دقيقاً).

[6] ـ الأبياتُ في خزانة الأدب31، ومعاهد التنصيص 232/3. وفي الأصل: الساري، والصواب عن معاهد التنصيص.

فَقَالَ: نِسْبَتُنَا فِي الأمْرِ وَاحِدَةٌ أَنَا الخَيَالُ، وَنَارُ الشَّوْقِ تَخْيِيلُ

والرَّقِيبُ: الناظرُ، والرقباءُ الجَمعُ، يُقالُ: ارتقبْ كَذا: انتظرْ[ه]. والرقيبُ من أسـ[ـمائِه] تعالى. قالَ في الغريبينِ: مَعناه الحافظُ .

والنُّطقُ: عرَّفوهُ بأنهُ "إفصاحُ العاقلِ بما يقومُ في ذهنِه من المعاني لفظاً أو إشارةً"[1] قالَ ابنُ [مرزوقٍ] في شرحِ الخَزرجيةِ، وفي قولهِ: أوْ إشارة، نظرٌ، إذ لا مدخلَ لها في النطقِ[2] [قلتُ]: في الغريبينِ لأبي عبيدَ ما نصُّه: قال ابنُ عَرفةَ، يعني نفطويه: إنما يُقالُ لغيرِ المخاطبينَ من الحيوانِ: صوتَ، والنطقُ إنما يكونُ لمن عبَّر عن معنًى. ولما [فهَّمَ][3] اللَّهُ سليمانَ أصواتَ الطيرِ سماهُ مَنْطِقاً، لأنهُ عبَّرَ بهِ عن معنًى فهمَهُ، فأمَّا معنَى قولِ جريرٍ[4]:

لَقَدْ نَطَقَ اليَوْمَ الحَمَامُ لتَطْرَبَا

فإنَّ الحمامَ لا نطقَ لهُ: وإنما هو صوتٌ، فكلُّ ناطقٍ مصوتٌ. وليسَ كلُّ مُصوتٍ ناطقاً. ولا يقالُ للصوتِ نطقٌ حتَّى يكونَ هناكَ صوتٌ وحروفٌ تُعرف[5] بها المعاني، وإنما استجازَ الشاعرُ أن يقولَ لَقَدْ نَطَقَ الخ.. لأن عنده أن الحمامَ إنما صوَّتَ شوقاً إلى إلفِهِ، وبكى طَرباً إليهِ، فكأنهُ ناطقٌ إذا عُرفَ ما أرادَ.

---

[1] ـ نسبَ ابنُ مرزوق هذا التعريف لابنِ الطراوة. (المفاتيح المرزوقية الورقة 13ظ، 14و).

[2] ـ المصدر السابق.

[3] ـ خرم في الأصل، وسقط في (ب)، والمثبت عن (ج)، وفي سورة النمل 16/27: "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ، وَقَالَ: يا أيها الناسُ علِّمنا منطقَ الطيرِ".

[4] ـ هذا صدرُ مطلعِ قصيدةٍ في ديوان جرير 18، وتمامه :

وعَنَّى طِلابَ الغانياتِ وشيبا.

عَنَّى: شَغَلَ وأهمَّ.

[5] ـ في الأصل: تحرف، وهو تصحيف والمثبت من (ج).

والخرسُ: عدمُ الكلامِ. ذكرتُ هنا ما رأيتُه في غيرِ ما ديوانٍ أن بشارَ بنَ بردٍ لما قالَ:[1]

لَـمْ يَطُـلْ لَيْلِـي، ولَكِـنْ لَـمْ أَنَـمْ　　وَنَفَـى عَنِّـي الكَـرَى طَيْـفٌ أَلَـمْ
وَإِذَا قُلْـتُ لَـهَـا: جُـودِي لَنَـا،　　خَرَجَتْ بِالصَّمْـتِ عَـنْ لاَ وَنَعَـمْ

قالَ لهُ مروانُ بنُ أبي حفصةَ: هلاَّ قلتَ: خَرِسَتْ مَعَ[2] (خرجتْ) ؟ قال بشارُ: لو كنتَ في عقلكَ ما قلتَه؛ لا أتطيرُ على مَن أحبُّه بالخرسِ. وقال بعضُهم في أخرسَ:

عَشِقْتُـهُ أَخْـرَسَ حُلْـوَ اللَّمَـى[3]　　وَجُنَّتُـهُ كَالقَمَـرِ السَّـارِي
لاَ تَعْذِلُـوا، إِنِّـي تَخَيَّرْتُـهُ　　لأَنَّـهُ يَكْتُـمُ أَسْـرَارِي!

آخرُ في مليحٍ أصمّ:

لاَ تَحْسِبُوا صَمَمـاً بِمَـالِكِ مُهْجَتِـي　　عَيْبـاً، كَمَـا قَـالَ العَـذُولُ المُفْتَـرِي
مَحْبُـوبُ قَلْبِـي كَالقَنَـاةِ قِوَامُـهُ،　　وَالرُّمْحُ يُدْعَـى بِالأَصَـمِّ الأَسْمَـرِ

ابنُ نباتة[4]:

أَفْدِيـهِ أَعْمَـى مُغْمَضـاً لَحْظُـهُ　　لِنَرْتَعِـي فِـي خَـدِّهِ الـوَرْدِي
تَمَكَّنَـتْ عَيْنَـايَ مِـنْ وَجْهِـهِ،　　وَقُلْـتُ: هَـذَا جَنَّـةُ الخُلْـدِ

آخـرُ في أعرجَ:

---

[1] ـ ديوان بشار 211-212.
[2] ـ هكذا في الأصل و(ج)، والأولى أن تكونَ: بدل.
[3] ـ اللَّمى: سُمرة في الشفة، أو شربة سوادٍ فيها. (القاموس المحيط: لمي).
[4] ـ ديوان ابن نباتة 162.

يَـــا لائِمِـــي فــــي أغْـــــرَجٍ ... حُلْـــوِ المَرَاشِـــفِ والمَـــذَاقْ
ظَبْـــيٌ أَمِنْـــــتُ نِفَـــــارَهُ ... وَهَوِيتُـــــهُ لاَ لِلسِّبَـــــاقْ
لَوْ مَــا رَأَيْــتَ الغُصْـــنَ أَحْـــــ ... ـــسَنُ مَا يكـونُ بِفَــرْدِ سَــــاقْ

وفي مليحٍ أبهقَ:

كَـأَنَّمَـــا خَـــدُّهُ إذْ زَانَـــهُ بَـهَـــقٌ ... يَـا قُـوتُ راحٍ، عليـهِ لؤلُـؤُ الحَبَـــبِ
أَوْ رَشُّ طَلٍّ عَلَى زَهْـــرِ الشَّقَائِـــقِ، أَوْ ... حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِـــنَ الذَّهَـــبِ

وللبدرِ الغزيِّ[1] في من بشفتيْه حَبٌّ:

تَـوَهَّـــمَ إذْ رَأى حَبّـــاً يُحاكِـــي ... عَلَـى شَفَتَيْـــهِ دُرّاً فــي عَقِيــقِ
فَقُلْـتُ لَـــهُ: وَحَقِّـــكَ لَيْـسَ هَـــذَا ... سِوَى حَبَبٍ عَلَى كَأْسِ الرَّحِيـــقِ

فيمنْ بوجهه جُرحٌ:

أَفْدِيـــهِ مَجْرُوحـــاً أُصِيـــبَ بِوَجْهِـــهِ، ... و[لَكَـمْ] أَصَابَتْــهُ النَّواظِـرُ بِـــالنَّظَرْ
[قَـ]ـمَرٌ بَدَا فِـي وَجْهِـهِ مِـنْ جُرْحِـهِ ... أَثَـرٌ حكَـاهُ الـوَرْدُ حَتَّـى فِـي الأَثَـرْ
فَظَنَنْتُ أَنَّ السَّاعَـــةَ اقْـتَرَبَـتْ لَنَـــا ... مِنْ أَجْـلِ ذَاكَ الجُرْحِ، وَانْشَقَّ القَمَـــرْ[2]

ابنُ الوردي في مليحٍ كسرت يدُه:

سَـأَلْـتُـــهُ عَـــنْ يَـــدِهِ ... وَمَـــا الَّـــذِي أَوْجَعَهَـــا

---

[1] ـ في الأصل: العزي، والمثبت عن الغيث المسجم 133/2، وفيهِ: "وأنشدني من لفظه لنفسه المولى بدر الدين حسن بن علي الغزي".

[2] ـ اقتباس من الآية: "اقتربت الساعةُ وانْشقَّ القَمَرُ". سورة القمر 1/54.

فَقَـالَ لِـــي: مَكْسُـــــورَةٌ   قُلْــتُ: وَقَلْبِـــي مَعَهَــــا

المعنــى

هذا مزيدُ تحسينٍ لفعلِ الحبيبِ، ومبالغةٌ في إظهارِ الرِّ[ضَا] بما فعلَه، وتنزيلٌ مع أهلِ المعتبةِ. فيقولُ لهم: لو قدَّرْنا أنَّ المعشوقَ قصَدَ الجَورَ، ومالَ للحيفِ، وابتغى من أمري شططاً، فهوَ عِندي مُصيبٌ في ذلكَ صوبَ الصوابِ، وسالكٌ للطريقةِ المُثلى. فدعُوا الملامَ وارْجِعوا على أعقابِكم، فما تَمشدُقُكم بالملامِ إلا فُضولٌ، فألسنتُكم خَرساءُ[1]، وأذني صَمَّاءُ. فلا ينجعُ عذْلُكُم، ولا ينفعُ قولُكم.

أما ما معنى الشطرِ الأولِ فسبيلٌ معبورةٌ، ودارٌ مَعمورةٌ. فمنهُ لابنِ المُرحِّلِ:

لاَ وَاخَـذَ اللَّـهُ أَحْبَابِـي بِمَـا صَنَعُـوا،   إِنَّ الحَبِيـبَ لَمَحْبُـوبٌ وَلَـوْ جَـارَا
لاَ ذَنْبَ لِلدَّمْعِ، بَلْ لِلعَيْـنِ تَدْفَعُـهُ،   بَلْ لِلْحَشَا، بَلْ لِمَنْ حَشَا الحَشَا نَـارَا

أمَّا معنى الثاني فكثيرٌ أيضا، ومنه قولُ ابن الفارض[2]:

دَعْ عَنْـكَ تَعْنِيفِـي، وَذُقْ طَعْـمَ الهَـوَى   فَـإِذَا عَشِقْـتَ، فَبَعْـدَ ذَلِـكَ [عَنِّـفِ]
يَـا مَـا أُمَيْلِـحَ كُـلَّ مَـا يَرْضَـى بِـهِ،   وَرُضَابُـهُ، يَامَـا أُحَيْـلاَهُ بِـفِـي!
مَا لِلنَّـوَى ذَنْبٌ، وَمَـنْ أَهْـوَى مَعِـي   إِنْ غَابَ عَنْ إِنْسَانِ عَيْنِـي، فَهْـوَ فِـي

عبدُ العزيز الأنصاري[3]:

---

[1] ـ في الأصل: خرسى.
[2] ـ الأبيات 26، 37، 50 من قصيدة في ديوان ابن الفارض 151-157.
[3] ـ في الأصل: الأنصابي، وفي (ج): الأنصاري، وسبق ذكر عبد العزيز الأنصاري.

خَبِّرُوهُ تَفْصِيلَ حَالِيَ جُمْلَه، فَعَسَاهُ يَرِقُّ لِي ولَعَلَّهْ
كَمْ تَنَحْنَحْتُ إذْ تَبَدَّى حِذَاراً مِنْ رَقِيبٍ، وكَمْ تَكَلَّفْتُ سَعْلَهْ
لَيْسَ لِي عَنْ هُدَى هَوَاهُ ضَلالٌ أَكْثِرِ اللَّوْمَ، عَاذِلِي، أَوْ أَقِلَّهْ
رُكِّبَتْ فِي جِبِلَّتِي نَشْوَةُ العِشْقِ، وَصَعْبٌ تَغْيِيرُ مَا فِي الجِبِلَّهْ
سَادَتِي عَاوِدُوا رِضَاكُمْ، وَعُودُوا عَنْ جَفَاكُمْ فَمَا بَقِي فِيَ فَضْلَهْ
نُبْتُ شَوْقاً، فَعَالِجُونِي بِقُرْبٍ، مِتُّ شَوْقاً، فأَنْعِشُونِي بِقُبْلَهْ
وَاشْغَلُونِي عَنْ لائِمٍ مَا أَتَانِي بِرَشَادٍ، أَتَتْهُ آفَةُ غَفْلَهْ
قُلْتُ: باللَّهِ خَلِّنِي، فَتَمَادَى، وَقَلِيلٌ مَنْ يَتْرُكُ الشَّيْءَ لِلَّهْ

التَّقي السروجي[1]:

أَنْعِمْ بِوَصْلِكَ لِي، فَهَذَا وَقْتُهُ، يَكْفِي مِنَ الهِجْرَانِ مَا قَدْ ذُقْتُهُ
أَنْفَقْتُ عُمْرِي فِي هَوَاكَ، وَلَيْتَنِي أُعْطَى وِصَالاً بِالَّذِي أَنْفَقْتُهُ
يَا مَنْ شُغِلْتُ بِحُبِّهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَسَلَوْتُ كُلَّ النَّاسِ حِينَ عَشِقْتُهُ
أَنتَ الَّذِي جَمَعَ المَحاسِنَ وَجْهُهُ، لَكِنْ عَلَيْكَ تَصَبُّرِي فَرَّقْتُهُ
قَالَ الوُشَاةُ: قَدِ ادَّعَى بِكَ نِسْبَةً، فَسُرِرْتُ لَمَّا قُلْتَ: قَدْ صَدَّقْتُهُ
بِاللَّهِ إنْ سَأَلُوكَ عَنِّي، قُلْ: لَهُمْ: عَبْدِي وَمِلْكُ يَدِي وَمَا أَعْتَقْتُهُ
أَوْ [قِيلَ]: مُشْتَاقٌ إلَيْكَ، فَقُلْ لَهُمْ: أَدْرِي بِذَا، وَأَنَا الَّذِي شَوَّقْتُهُ
يَا حُسْنَ طَيْفٍ مِنْ خَيَالِكَ زَارَنِي، مِنْ عُظْمِ وَجْدِي فِيهِ مَا حَقَّقْتُهُ
[فَـ]مَضَى وفِي قَلْبِي عَلَيْهِ حَسْرَةٌ، لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي الرُّقَادُ لَحِقْتُهُ

[1]- الأبيات 1، 4، 5، 6، 8 في تزيين الأسواق منسوبة لابن السروجي.

قالَ أبو حيانَ: كانَ التَّقي السَّروجي، مع زهدِهِ وعفتِهِ، مُغرماً بحبِّ الجمالِ. وقال الشهابُ محمود: كانَ التقي يكرهُ مكاناً تكون فيهِ امرأةٌ، ومن دعاةُ من أصحابِهِ قال: شرطي معروفٌ، وذكرَ أبو حيانَ أنهُ لما تُوفي التقي بالقاهرةِ، سنة ثلاثٍ وتسعينَ وثمانِمائةٍ، قالَ أبو محبوب[1]: واللهِ ما أدفنُه إلا معَ قبرِ والِدي، فإنه كانَ يهواهُ في الحياةِ، وما أفرقُ بينهما في المماتِ.

وللبهاءِ زهيرٍ[2]:

قُـلْ لِلْعَـذُولِ: لَقَـدْ أَطَلْـ ـتَ، لِمَـنْ تَقُـولُ وتَعْـذِلُ؟
عَاتَبْـتَ مَـنْ لاَ يَرْعَـوِي، وَعَذَلْـتَ مَـنْ لاَ يَقْبَـلُ
غَضَـبُ العَـذولِ أَخَـفُّ مِـنْ غضَـبِ الحَبِيـبِ وَأَسْهَـلُ

ويُعجبني قولُه رحمه الله من الانسجامِ[3]:

إِنْ شَـكَا القَلْـبُ هَجْرَكُـمْ مَهَّـدَ الحُـبُّ عُذْرَكُـمْ
لَـوْ رَأَيْتُـمْ مَحَلَّكُـمْ فِـي فُـؤَادِي لَسَرَّكُـمْ
لَـوْ أَمَرْتُـمْ بِمَـا عَسَـى، مَـا تَعَدَّيْـتُ أَمْرَكُـمْ
قَصِّـرُوا مُـدَّةَ الجَفَـا، طَـوَّلَ اللَّـهُ عُمْرَكُـمْ
شَرِّفُونِـي بِـزَوْرَةٍ، شَـرَّفَ اللَّـهُ قَدْرَكُـمْ
لَـوْ وَصَلْتُـمْ مُحِبَّكُـمْ مَـا الَّـذِي كَـانَ ضَرَّكُـمْ؟

ومما له عُلقةٌ بما نحنُ فيهِ قولُ ابنِ الأبارِ مداعباً[4]:

---

1 ـ لم نتعرف على صاحب هذه الكنية، ولعله يكون أبو محبوبه.

2 ـ ديوان البهاء زهير 268.

3 ـ لم نجد هذه الأبيات في ديوان البهاء زهير.

4 ـ ورد هذا الشعرُ في الغيث المسجم 3/2، وديوان الصبابة 157-158، ومنطق الطير 149، ومعاهد التنصيص 94/1.

زَارَنِي خِيفَةَ الرَّقِيبِ مُرِيبَا ... يَتَشَكَّى القَضِيبُ مِنْهُ الكَثِيبَا

رَشَأٌ رَاشَ لِي سِهَامَ المَنَايَا ... مِنْ جُفُونٍ يُصْمِي بِهِنَّ القُلُوبَا

قَالَ لِي: مَاتَرَى الرَّقِيبَ مُطِلاًّ؟ ... قُلْتُ: ذَرْهُ، أَتَى الجَنَابَ الرَّحِيبَا

عَاطِهِ أَكْؤُسَ المُدَامِ دِرَاكاً، ... وَأَدِرْهَا عَلَيْهِ كُوباً فَكُوبَا

وَاسْقِنِيهَا بِخَمْرِ عَيْنَيْكَ صِرْفاً، ... وَاجْعَلِ الكَأْسَ مِنْكَ ثَغْراً شَنِيبَا

ثُمَّ لَمَّا أَنْ نَامَ[1] مَنْ أَتَّقِيهِ ... وَتَلَقَّى الكَرَى سَمِيعاً مُجِيبَا

قَالَ: لابُدَّ أَنْ تَدِبَّ عَلَيْهِ[2]، ... قُلْتُ أَبْغِي رَشاً وَآخُذُ ذِيبَا!

قَالَ: فَابْدَأْ بِنَا، وَثَنِّ عَلَيْهِ، ... قُلْتُ: كَلاَّ لَقَدْ دَفَعْتُ قَرِيبَا

فَوَثَبْنَا عَلَى الغَزَالِ رُكُوباً، ... وَدَبَبْنَا إِلَى الرَّقِيبِ دَبِيبَا

فَهَلْ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِصَبٍّ ... نَالَ مَحْبُوبَهُ وَنَالَ الرَّقِيبَا؟!

قال ابنُ بسامٍ: لقد ظَرُفَ ابن الأبارِ، وأظنه لو قدَرَ [على] إبليس الذي تولّى لـهُ نظمَ هذا السلكِ لدبَّ إليهِ ووثبَ عليهِ[3].

قالَ: وقرأتُ في بعضِ المُلَحِ عن بعضِهم، قالَ: مررتُ بصديقٍ لي من أهلِ اليسارِ خارجاً من دارِ بغي[4]، فقلتُ: أيكونُ لك أربعُ حرائرَ وأكثرُ من ستينَ سُرِّيَّةً[5]، وتأتي مثلَ هذهِ

---

[1] ـ في الأصل: ثم لما أنام، وفي معاهد التنصيص: ثم لما نام الرقيب سريعا.

[2] ـ في معاهد التنصيص: إليه، وهو المناسب.

[3] ـ ورد هذا التعليق مع بعض الفرق في ديوان الصبابة 157-158، ومنطق الطير 149، ومعاهد التنصيص 94/1.

[4] ـ في الأصل و(ب): بغيه.

[5] ـ السُّرِّيَة بالضم: الأمة.(القاموس المحيط: سري).

الدَّنية؟ فقال لي: أسكتْ، مثلُ أيري مثلُ الكلبِ، ينابحُ من طرأ عليه، ولا يتعرَّضُ لمنْ اختلطَ به. قالَ: ومن المجاهرينَ بالمُجونِ امرؤُ القيسِ في قولِه[1]:

تَقُولُ، وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رُعْتَ مَكْحُولَ المَدَامِعِ أَتْلَعَا:
وَعَيْشِكِ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ، ولَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

أخذهُ ابنُ أبي ربيعةَ[2]:

وَنَاهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ، قُلْتُ لَهَا: اتَّكي عَلَى الأَرْضِ فِي دَيْمُومَةٍ لَمْ تَوَسَّدِ
فَقَالَتْ: عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَائِعٌ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ عُوِّدْتَ مَا لَمْ أُعَوَّدِ

المعانـــي

قَولهُ: هو عندِي، استئنافٌ بيانِي، كأنهُ قيلَ لهُ، هلْ عدلَ محبوبُكَ فيك أوجارَ؟ فقالَ مجيباً: هو عادلٌ. ونظيرُه:

زَعَمَ العواذلُ أَنَّنِي في غمرةٍ

وأتى بـ (إنْ) في قولِهِ: إنْ ظلمَ، قصداً لدفعِ العَذولِ، وإفحامِهِ فيؤُوبَ عنِ التَّعنيفِ. وإظهارُ الظلمِ من الحبيبِ يجبُ أن يكونَ على مُجردِ الفرضِ والتقديرِ، كما تُفرضُ المُحالاتُ، وسبكُ الكلامِ: لَوْ قدَّرنَا أنهُ ظلمَ وتعدَّى، فهوَ عِندي عادِلٌ مصيبُ، لكنهُ لا يُتصورُ صُدورَ الظلمِ منهُ. فإنْ قلتَ: المُستعملُ في فرضِ المُحالاتِ (لوْ) دون (إنْ)، لأنهُ

---

[1] ـ شرح ديوان امرئ القيس 130.

[2] ـ ديوان ابن أبي ربيعة 96/1، وفيه :

على الرملِ من جَبَّانةٍ لم توسَّدِ

وفيه: أمرُكَ طاعةٌ..وكلفت ما لم أعودِ.

والديمومة: المفازة الدائمة البُعد، جمعها دياميمُ.(لسان العرب: ديم).

يشترطُ في (إنْ) عدمُ الجزمِ بوقوعِ الشرطِ ولا وقوعِهِ، والمحالُ مقطوعٌ بلا وقوعِه. فلا يُقالُ: إنْ طارَ الإنسانُ كانَ كذَا. قلتُ: المُحالُ في هذا المقامِ يتنزل منزلةَ مالا قطعَ بعدمِه، على سبيلِ المساهلةِ وإرخاءِ العنانِ لقصدِ التبكيتِ، فراجعِ المُطوّلَ[1].

وأفردَ (رقيبي)، ولم يقُلْ: رقيبُنا، لأنهُ أرادَ بالرقيبِ هنا العاذلَ المُسرف في العتابِ، وهو له خاصةً. ولا شكَّ أن الرقيبَ يستعملُ على معنيينِ، هذا أحدُهما والثاني المُستكشفُ لأسرارِ الحبيبِ مع المحبوبِ، وهذا لا يُناسبُ هنا، اللهم إلاَّ أنْ يُرادَ بـ (نُطْقِه) ما ينمُّ بهِ للنَّاسِ من أسرارِهما، أو ما يسعى به من الإفسادِ بينهما.

البيـــان

فيهِ التشبيهُ في قولِه: كالخَرسِ، وهو من تشبيهِ محسوسٍ بمعقولٍ، وسلفَ مثالُهُ. والتشبيهُ أقسامٌ: مؤكدٌ، وهو ما حُذفتْ منهُ أداةُ التشبيهِ، ومرسَلٌ، وهو ما ذُكرتْ فيهِ، ومُجملٌ، وهو ما حُذفَ منهُ الوجهُ، ومفصّلٌ، وهو ما ذكرَ فيهِ الوجهُ، قالَ في التّلخيصِ:" أعْلَى مَراتِبِ التشبيهِ في قوةِ البلاغةِ[2]، باعتبارِ ذكرِ أركانِهِ أو بعضِها، حذفُ وجههِ وأداتِه فقطْ، [أو][3] معَ حذفِ المشبَّهِ.ثم حذفُ أحدِهما كذلكَ. ولا قوةَ لغيرِهما"[4]. وبسْط ما أشارَ إليهِ أن المراتبَ ثلاثةٌ مُشتملةٌ على ثماني صورٍ: المرتبةُ الأولى ما حُذفَ منهُ الوجهُ والأداةُ، وهي أبلغُ لأنَّ حذفَ الوجهِ يُعطي مساواةَ المشبهِ بالمشبهِ بهِ في الوجهِ، وحذفَ الأداةِ يُعطي أنهُ فردٌ من أفرادِ المشبهِ بهِ. فإذا ذُكرَ أحدُهما نقصتِ البلاغةُ. وتحتَ هذه الرتبةِ صورتانِ: الأُولى ما حُذفَ منهُ، نحو: زيدٌ أسدٌ، والثانية يُحذفُ معهما المُشبهُ، نحو: أسدُ، جواباً لمن قال: هلْ زيدٌ

---

[1] - المطول 225.

[2] - متن التلخيص 289: المبالغة.

[3] - زيادة من المصدر السابق.

[4] - في الأصل: لغيره. والمثبت عن المصدر السابق.

شُجاعُ؟ والصُّو[رتانِ] سواءٌ في البلاغةِ. المَرتبةُ الثانيةُ، تحتها أربعُ صورٍ سواءٍ في البلاغةِ: حذفُ الوجهِ فقطُّ كَـ(زيدٌ كأسدٍ)، أو الأداةِ فقط، نحو: زيدٌ أسدٌ في الشجاعةِ، أو الوجهِ والمشبهِ كَـ(أسَدٌ)، في الجوابِ. أو المُشبَّهِ مع الأداةِ، نحو: أسدٌ في الشجاعةِ، وهذه الرتبة دون الأولى، لأنهُ لا يجتمعُ فيها حذفُ الوجهِ والأداةِ. المرتبةُ الثالثة لا قوة لها. وفيها صورتانِ: اجتماعُ أركانِ التشبيهِ الأربعةِ: زيدٌ كأسدٍ في الشجاعةِ، أو حذفُ المشبهِ فقطُّ: كأسدٍ في الشجاعةِ.

فائـــدة

كثيرٌ من الطلبةِ يعتقدونَ أن نحوَ: زيدٌ أسدٌ، مجازٌ، وليسَ كذلكَ بل هو حقيقةٌ إلاَّ في قولٍ ضعيفٍ. ويدل لذلكَ قولُه في التَّلخيصِ: أطبَقَ البلغاءُ على "أنَّ الاستعارةَ أبلغُ من التشبيهِ لأنها نوعٌ من المجاز"[1]. قالَ الشارحُ: مرادُه بالاستعارةِ التَّحقيقيَّةُ والتَّمثيليةُ دونَ التَّخييليةِ والمكْنيةِ، لأنهما حقيقةٌ[2] عند المصنفِ، لا السكاكي. وقولُه: نوعٌ من المجازِ، يعني والمجازُ أبلغُ من الحقيقةِ، انتهى[3]. وزعمَ السَّعدُ أنَّ (زيدٌ أسدٌ)، يجوزُ أن يكونَ من الاستعارةِ، والأصلُ: زيدٌ رجلٌ شجاعٌ كالأسدِ. وهو مع كونِه خلافَ المنصوصِ تكلمَ معهُ السيدُ في ذلكَ، فليُراجعْ[4]. نعمْ، ذهبَ بعضُ الأصوليينَ إلى أنَّ (زيدٌ أسدٌ) مجازٌ، قالهُ الغِبريني.

البديـــع

فيهِ الطباقُ بينَ العدلِ والظلمِ، والنطقِ والخرسِ، وقد تقدَّمَ غيرَ ما مرةٍ. والتحقيقُ أنَّ بينَ الخَرسِ المرادفِ للبكمِ، والنُّطقُ المرادفِ للكلامِ، تقابلَ التَّضادِ، لا العدمِ والمَلَكةِ، خلافَ ما

---

1 ـ المطول 414. نص التلخيص.

2 ـ المصدر السابق.

3 ـ المصدر السابق.

4 ـ انظر حاشيةَ المصدر السابق للسيدِ.

يلوحُ من شرحِ العقائدِ للمولى سعدِ الدينِ حيثُ قالَ: السُّكوتُ عدمُ مطاوعةِ الآلاتِ. علـى أنَّ أربابَ هذا الفنِّ يُطلقونَ التضادَ على مُطلقِ المخالفةِ، كما هو شهيرٌ.

وفيهِ الالتفاتُ على رأي قدامةَ[1]، وفسَّرهُ بأن يكونَ المُتكلمُ أخذَ في معنًى، فيعترضُـه إما شكٌّ فيهِ، أو ظنٌّ أن راداً يردُّ عليهِ. أو سائلاً يسألُ عنهُ، فيلتفتُ إليهِ بعدَ فراغِهِ منهُ، فإمَا أن يُجلِّيَ[2] الشكَ، أو يُؤكِّدَهُ، أو يذكرَ سببَه، كقولِ ابنِ ميادةَ[3]:

فَلاَ صَرْمُهُ يَبْدُو، وَفِي اليَـأْسِ رَاحَـــةٌ، وَلاَ وَصْلُـهُ يَصْفُـو لَنَـا، فَنُكَارِمُـهْ

فكأنَّهُ توهمَ قائلاً يقولُ: وما تصنعُ بصرمِهِ ؟ فقالَ: إنَّ في اليأسِ راحةً[4]. وكذا في بيتِ الأصلِ، وتوهَّم كأنَّ قائلاً يقولُ: هو عادلٌ ولو ظلمَكَ ؟ فقالَ: ولو ظلَمَ. وابنُ المعتزِّ فسرَ الالتفاتَ بما سلفَ[5].

الإعــراب

هو: مبتدأ. وعادل: خبره.

وعندي: في محلِ الحالِ. ولا يجوزُ أن يُعربَ (عِندِي) خبراً، ويُنصبَ (عـادلٌ) حـالاً، لأنَّ من [شـ]رطِ صحةِ ذلكَ، فيما إذا ذُكِرَ معَ المبتدإِ اسمٌ وظرفٌ صالحانِ للخبريةِ، أن يحسُنَ الاستغناءُ بأحدِهما، نحو: زيدٌ في الدارِ قائمٌ، أو قائما. وأمـا إن لم يحسُنْ، نحـو: زيدٌ

---

[1] ـ نقد الشعر 167 (ط 1963). وخزانة الأدب 73.

[2] في الأصل: ينجلي، وأثبتنا ما في خزانة الأدب 73. وفي نقد الشعر: يجل.

[3] ـ البيت في نقد الشعرِ 168 (ط1963)، وخزانة الأدب 73.

[4] ـ أخذ الإفراني ما يتعلق بتفسير قدامة للالتفات من خزانة الأدب 73 باختصار طفيف.

[5] ـ عرفَ ابنُ المعتز الآلتفات بانصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبـار إلـى المخاطبـةِ، وما أشبهَ ذلكَ، ثم قالَ: "ومن الالتفاتِ الانصرافُ عن معنى يكونُ فيهِ إلى معنى آخر". البديع 108.

فيكَ راغبٌ، تعيَّنتْ حاليةُ الظرفِ وخبريةُ الإسمِ. قالَ في شرحِ الفريدةِ: وأجازَ الكُوفيونَ حاليةَ الإسمِ، وإن لم يَحسُنِ السكوتُ على أحدِهما.

وإنْ ظلمَ: شرطٌ بأداتِهِ. والجوابُ محذوفٌ. أي فهوَ عادلٌ نحو: أنتَ ظالمٌ إنْ فعلتَ.

والواوُ في (ورَقيبي) استئنافٌ، فكأنَّهُ يقولُ: وإن سألتَ عن حالي معَ الرقيبِ فكذَا، أو حالٌ، والجملةُ محلُّها نصبٌ.

ورَقِيبِي: مبتدأٌ. **نُطْقُهُ**: مبتدأٌ ثانٍ.

وكالخرسِ: خبر الثاني. والثاني وخبرُه: خبرُ الأولِ.

-12-

لَيْسَ لِي فِي الأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ فِي النَّفْسِ[1] مَحَلَّ النَّفَسِ

اللغة

قالَ في القاموسِ: "ليسَ كلمةُ نفيٍ[2]، أصلُها لَيِس كفرِحٍ، فسُكِّنتْ تخفيفاً. أو معناهُ: لاَ أَيْسَ، طُرحتِ الهمزةُ، وأُلزمتِ اللامُ بالياءِ، والدليلُ قولُهم: ائتِني من حيثُ أَيْسَ[3] وليسَ، أي من حيث هوَ ولاَ هوَ. أو معناه: لا وُجدَ، وأَيْسَ أيْ مَوجودٌ، ولا أَيْسَ أي لا مَوجودٌ، فخفَّفُوا"[4].

والأمرُ: [الحـ]ـادثةُ والشأنُ.

و الحُكم بالضمِّ: القضاءُ. حكمَ عليهِ بالأمرِ حُكماً وحُكومةً، والحاكمُ: منفذُ الأحكامِ[5].

وبعدَ: ضدُّ قبلَ، وأما بعدُ: أي بعدَ دعائكَ[6]. وأولُه منْ قالَه داوودُ، أو كعبُ بنُ لُؤَيٍّ. وحلَّ المكانَ وبهِ، يحِلُّ ويَحُل حلاًّ وحلولاً: نزلَ بهِ[7].

---

[1] ـ في الديوان 284: حل من نفسي.

[2] ـ في القاموس المحيط (ليس): فعل ماض.

[3] ـ في الأصل: ليس، وأثبتنا ما في القاموس المحيط.

[4] ـ القاموس المحيط (ليس).

[5] ـ المصدر السابق بتصرف طفيف. وفيه: "الحاكم مُنفِّذ الحكم".

[6] ـ في القاموس المحيط (بعد): بعد دعائي لكَ.

[7] ـ هذا نص القاموس المحيط (حل).

والنَّفسُ: الروحُ. وفي تحقيقِ الفرقِ بينهما خلافٌ طويـلٌ. ذكرَ ابنُ راشدٍ القَفْصي عنْ شيخِهِ الشهابِ القَرافي: أنه وقعَ على تأليفٍ في استقصاءِ الأقاويلِ في ذلكَ، فبلغتْ سبعمائةٍ.
والنَّفسُ: واحدُ الأنفاسِ.

فائـــدة

رأيتُ في الخصائصِ الكُبرى للحافظِ جمالِ الدينِ السُّيوطي عن الزهري أن خُزَيْمَةَ بن حكيم السُّلَمِيُّ سألَ النبي، صلى الله عليه وسلم، عن مسائلَ، منها: أينَ مَوضعُ النفسِ من الجسدِ؟ وعن ماءِ العيونِ يبردُ في الصيفِ [و] يكون حاراً في الشتاءِ؟ وعن أشياءَ أُخَر، فأجابهُ عليه السلامُ: أنَّ النفسَ في القلبِ، والقلبُ معلَّق بالنِّياطِ، والنياطُ تسقي العروقَ، فإذا هلَكَ القلبُ، انقطعَ العِرقُ. وأما إسخانُ ماء العيونِ في الشتاءِ، وبرْدُهُ في الصيفِ. [فـ]ـلأنَّ[1] الشمسَ إذا سقطتْ تحتَ الأرضِ سارتْ حتى تطلُع من مكانِها، فإذا طالَ الليلُ في الشتاءِ، كثُرَ لبثُها في الأرضِ، فيسخُن الماءُ لذلكَ. فإذا كانَ الصيفُ مرتْ مسرعةً، لا تلبثُ تحتَ الأرضِ لقِصرِ الليلِ فيثبتُ الماءُ على حالهِ بارداً، انتهى.

قلْتُ: قد يُستروح من هذا الجوابِ النبوي، أن السببَ في اكتساءِ الأشجارِ بالأوراقِ في الصيفِ، وعُريِها في الشتاءِ، والعادةُ تقتضي العكسَ، غلبةُ الحرارةِ في الشتاء [المجـ]ـففةِ للعودِ واعتدالُها في الصيفِ.

وفي كتابِ الأنيسِ المطرب، لصاحبِنا الأديبِ الأوحدِ أبي عبدِ اللهِ بنِ الطيبِ الشريفِ العلمي[2] ما صورتُه: كنتُ مع جماعةٍ من الأصحابِ في رياضٍ، زمنَ الشتاءِ والغصونُ عاريةٌ عن الأوراقِ، فسألتهُم عن ذلكَ، فانتدبَ منَ الجماعةِ صبي كانَ أحدثَ من حضرَ

---

[1] ـ في الأصل: لأن، وأضفنا الفاء لضرورة الربط.

[2] ـ الأنيس المطرب 254-255، وانظر ترجمة العلمي في المقدمة.

سنا[1]، فقال: لأن الناس يحتاجون الشمس في الشتاء، فلو كُسِيَتْ لحالتْ بينهمُ الأوراق وبينها، وفي الصيفِ لو تَعَرت لم يجدُوا وقايةً من حرّ الشمسِ. فأعلمتُ بذلكَ بَعضَ أصحابنا[2]، فأُعجبَ بالجوابِ، ونظمهُ فقالَ:

سَأَلْتُ قَضِيبَ الرَّوْضِ، لِمْ أَنْتَ تَكْتَسِي ... مَصِيفاً، وتَعْرَى[3] في الشِّتَاءِ مِنَ الوَرَقْ
فَقَالَ: أُخَلِّي الشَّمْسَ تُسْخِنُ زَائِرِي، ... لأَقْلَعَ سَهْمَ البَرْدِ عَنْهُ إِذَا مَرَقْ
وَأَلْبَسُ ثَوْبِي فِي المَصِيفِ حَنَانَةً ... لِيَأْوِي إِلَى ظِلِّي ولَوْلاهُ لاَحْتَرَقْ؟

وكم بينَ هذا الجوابِ وجوابِ الشاعرِ القائلِ:

سَأَلْتُ الغُصْنَ: لِمَ تَعْرَى شِتَاءً ... وَفِي وَقْتِ المَصِيفِ أَرَاكَ كَاسِي؟
فقالَ لِي: الرَّبِيعُ عَلَى قُدُومٍ، ... خَلَعْتُ عَلَى البَشِيرِ بِهِ لِبَاسِي

رجع إلى النَّفس: وفي الحديث: "لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإنَّها مِنْ نَفَسِ الرحمانِ"[4]. قالَ أبو منصورٍ الأزهريُّ: النَّفَسُ هُنا إسمٌ وُضِعَ مَوضعَ المصدرِ الحقيقي من التنفيس أي التوسعةِ، لأنَّ الريحَ تُذْهِبُ الجدبَ، وتزجي السَّحابَ، وتفرِّجُ الكُربَ. وفي الحديثِ أيضاً: "أجِدُ نَفَسَ

---

[1] ـ ذكر اسم هذا الصبي في الأنيس المطرب 254، فقال: "فانقطعوا إلاّ ما كان من صاحبنا أبي العباس سيدي أحمد بن الشريف.. وهو يومئذ حدث صغير السن جداً".

[2] ـ هو محمد بن سليمان أبو عبد الله، أديب شاعر من كتاب الوزير أبي العباس أحمد بن علي الريفي. تعرّف عليه العلمي في رحلته إلى الشمال، فتمكنت بينهما عُرى الصداقة، انظر ما دار بينهما من مسجلات ونكات ورواية أخبار وتدبيج مقامات.. في الأنيس المطرب 204-289، 322-336.

[3] ـ في الأصل: تعرو.

[4] ـ في مسند أحمد 250/2 روايتان، الأولى: "لا تسبوا الريحَ، فإنها تجيءُ بالرحمة والعذابِ ولكنْ سلوا اللهَ خيرها وتعوذوا به من ضرها". والثانية: "الرِّيحُ من روحِ اللهِ، تأتي بالرحمةِ وتأتي، بالعذابِ :فإنْ رأيتموها فلا تسبُّوها، وسلُوا الله خيرها، واستعيذوا به من شرّها".

رَبِّكُمْ مِنْ جِهَةِ اليَمَنِ"[1]. قالَ أبو عبيدٍ: عَنَى به الأنصارَ، لأن اللهَ نفَّسَ بهم الكُربةَ عن اليمنِ وهُم من اليمَنِ.

المعنـــى

هذا تنزيلٌ مع الوشاةِ وإقامةٌ للحجةِ على العَذُولِ، وتقريعٌ لِلاَّحِـي، كـيْ يُقلعَ عن الملامـةِ والعتابِ. يقول: إنه وإن كانَ لومُكم لي حقاً، وعَتبُكم علي صدقاً، في صَبري على جورِ الحبيبِ وظُلمِه، وتحمِّلِ ذلِّ الصبابةِ، لكن كيفَ لي بإنقاذِ مُهجتِي من ذلكَ العذابِ، وأنَّى لي التَّخلصُ من شباكِ الهَوى، وقدْ وقعَ المَحبوبُ مِنِّي موقعَ تنفُّسِي، فلا طاقةَ لي أن [أدفعـ]ـهُ، ولا قدرةَ على السُّلوِّ عنهُ. وكما أنَّ الإنس[2] لاَ فَكَاكَ لهُ عن تنفسِـهِ، فكذلكَ لا فكاكَ لـي عَنْ عِشقِهِ، وليسَ ذلكَ باختيارِي ولا تصنُّعاً مني. وفي المعنى لكاملٍ في سلمى صاحبتهِ[3]:

أَلاَ إنَّمَا الحُـبُّ الـذِي صَـدَعَ الحَشَـا ... قَضَـاءٌ مِـنَ الرَّحْمَـانِ، يَبْلُـو بِـهِ العَبْـدَا
يَلُومُونَنِـي فـي حُـبِّ سَلْمَـى، كَأَنَّمَـا ... يَـرَوْنَ الهَـوَى شَيْئـاً تَمَنَّيْتُـهُ عَمْـدَا

ويُعجبُني في الرَّدِّ على العذولِ واللُّومِ قولُ الرَّمادِي الأندلسي في أبي علي القالِي[4]:

مَـنْ حَاكِـمٌ بَيْنِـي وَبَيْـنَ عَذُولِـي؟ ... الشَّجْـوُ شَـجْوِي، والعَوِيـلُ عَوِيلِـي
فِـي أيِّ جَارِحَـةٍ أَصُـونُ مُعَذِّبِـي ... سَـلِمَتْ مِـنَ التَّعْذِيـبِ والتَّنْكِيـلِ
إنْ قُلْـتُ: فِـي بَصَـرِي، فَثَـمَّ مَدَامِعِـي ... أَوْ قُلْـتُ: فِـي قَلْبِـي فَثَـمَّ غَلِيلِـي
لَكِـنْ جَعَلْتُ لَـهُ المَسَامِـعَ مَوْضِعـاً ... وَحَجَبْتُهَـا عَـنْ عَـذْلِ كُـلِّ عَـذُولِ

---

[1] ـ مسند أحمد 541/2.

[2] ـ هكذا في الأصلِ، والأولى أن يكونَ: الإنسان.

[3] ـ قدم البيت الثاني على الأول في ديوان الصبابة 34، وهو أحسن.

[4] ـ أبيات الرمادي. والقصة المتعلقة بها في نفح الطيب 71/3-72.

وحُكيَ أن المتنبي لما سمعَ هذا الشعرَ، قالَ: يصونُه في استِه، وكانَ الرَّمادي لمَّا سمِعَ قولَ المُتنبي[1]:

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ   لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

قالَ: أَظُنُّه ضَرْطَةً.

المعانـــي

نَكَّر (حُكْمُ)، وأتى بهِ بعدَ النفيِ قصداً للعمومِ وإشعاراً بأنَّ الحِيَلَ كلُّها نفدتْ، وأبوابَ النجاةِ كلَّها سُدتْ، لأنَّ النكرةَ في سياقِ النفيِ كُلَّها تَعُمُّ.

البيـــان

فيه التشبيهُ البليغُ بحذفِ الأداةِ. ونظيرُه قولُهُ تعالى: "وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ"[2] أي حلَّ كمحلِّ النفسِ من الجسدِ. وعندِي أن تعبيرَ لسانِ الدينِ ابنِ الخطيبِ، في مُعارضتِه السَّالفةِ، بالمجالِ في قوله:

سَاحِرُ المُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى،   جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالَ النَّفَسِ

أَلْطفُ من تعبيرِ ابنِ سهلٍ بالمحلِّ، وإنْ كانَ لسانُ الدينِ أخذَ منهُ.

البديــع

فيهِ الجناسُ بينَ النَّفْسِ والنَّفَسِ، وهو جناسٌ تامٌّ. وسلَفَ في عدَّةِ مَواضعَ، ومنهُ قولُ

---

[1] ـ ديوان المتنبي 2، ثالثُ ثلاثةِ أبياتٍ قالها في الصبا.

[2] ـ صلة الآية: "وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً، وهيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ". سورة النمل 82/27.

بعضِهم:

يَــارَبِّ قَــدْ قُلْــتَ: حَمَـلْـنَـاكُـــمُ لَمَّـا طَغَـــى المَــاءُ عَلَـــى الجَارِيَـــه[1]
عَبْــدُكَ هَــذَا قَــدْ طَـغَـى مَــــاؤُهُ فَاحْمِلْــهُ يَـا رَبِّ عَلَـــى الجارِيَـــــه[2]

الإعــراب

لَيْسَ: فعلٌ ماضٍ على الصحيحِ. وحُكْمٌ: اسمُها. وفي الأمرِ: خبرُها.

ولِي: في محلِّ نصبٍ على الحالِ.

وبَعْدَ: منصوبٌ على الظرفيةِ.

وما: مُهيئةٌ له للدخولِ على الجملةِ الفعليةِ.

وحلَّ: فعلٌ ماضٍ. وفي النَّفْسِ: مُتعلِّقٌ بهِ. ومَحَلَّ: ظرفُ مكانٍ أو مصدرٌ.

---

[1] ـ اقتباس من الآية: "إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ". سورة الحاقة 11/69.

[2] ـ في الأصل: وعبدك بالواو.

-13-

غَـــالِبٌ لِـــي، غَـالِـــبٌ بِالتُّـــؤَدَه بِـــأَبِي أَفْدِيـــهِ مِـــنْ جَـــافٍ رَفِيـــقٍ[1]

اللغـــة

الغَلْبُ، ويُحرَّكُ: القَهرُ. والمُغلَّبُ: المَغلوبُ مِرارًا[2]. قالَ:

وَإِنَّـكَ لَـمْ يَفْخَـــرْ عَلَيْـكَ كَفَاخِـــرٍ [بِفَخْـرٍ][3] وَلَـمْ يَغْلِبْـكَ مِثْـلُ مُغَلَّـــبِ

و**التُّؤَدَةُ** :قالَ في القاموسِ: "بفتحِ الهمزةِ وسكونها. والوئيدُ والتُّؤَادُ: الرزانةُ والتَّأَنِّي[4] وفَدَاهُ يَفديـهِ فِدَاءً وفِدًى ويُفتـحُ، وافتـدَى بـهِ، وفـاداهُ: أعطـاهُ شيئاً فـأخذهُ[5]. والفِداءُ ككِســاءٍ: ذلـكَ المُعْطَى. وفدَّاهُ يُفدِّيهِ: قالَ لهُ: جُعلتُ فِداكَ.

و"**رجلٌ جافي الخِلقةِ والخَلْقِ**: كَزٌّ غَليظٌ"[6].

و**الرِّفْقُ**: اللطفُ، وحسنُ الصنيعِ. وأرفقَهُ: رَفَـق بـهِ ونفعَـهُ[7]. والرفيـقُ: المُرافقُ، للواحدِ والجماعةِ. والرفيقُ: ضدُّ الأخر[قِ]. وما أحسنَ قولَ أبي الحسنِ الجزارِ في التأنِّي:

---

[1] ـ في ديوان ابن سهل 285: رقيق.

[2] ـ القاموس المحيط (غلب).

[3] ـ بياض في الأصل، وأثبتنا ما في (ج)، والبيت لامرئ القيس في ديوانه 44.

[4] ـ القاموس المحيط (وأد).

[5] ـ في القاموس المحيط (فدى): فأنقذه. وهو المناسب.

[6] ـ القاموس المحيط (جفا).

[7] ـ في القاموس المحيط (رفق): "رفق فلاناً: نفعه كأرفقه".

حُسْنُ التَّأَنِّي مِمَّا يُعِينُ عَلَى رِزْقِ الفَتَى، والحُظُوظُ تَخْتَلِفُ
وَالعَبْدُ مُذْ كَانَ فِي جِزَارَتِهِ يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تُؤكَلُ الكَتِفُ

ونكرَ بعضُهم أنَّ الكتفَ تؤكلُ من أسفلِها، مخافةَ أن يصيبَ الآكلَ المرقُ الجاري من اللَّحْمِ والعظمِ، إذَا أخذَها من أعلى. وقدْ استعملَ المتأخِّرونَ هذا اللفظَ في أشعارِهم كثيراً، ومن أحسنِ ما رأيتُ في ذلكَ قولُ حسَّانِ بنِ المَصِّيصِي يداعِبُ ابنَ جَهْوَرٍ[1]:

شَكَوْتُ إِلَيْهِ بِفَرْطِ الدَّنَفْ فَأَنْكَرَ مِنْ قِصَّتِي مَاعَرَفْ
وَقَالَ: الشُّهُودُ لِمَا تَدَّعِي، وَأَمَّا أَنَا فَعَلَيَّ الحَلِف
فَجِئْنَا ابْنَ جَهْوَرِ المُرتَضَى فَقِيهَ المِلَاحِ وَقَاضِي الكَلَفْ
وكَانَ بَصِيراً بِحُكْمِ الهَوَى ويَعْلَمُ مِنْ أيْنَ أَكْلُ الكَتِفْ
فَأَوْمَا إِلَى الخَدِّ أَنْ يُجْتَنَى، وَأَوْمَا إِلَى الرِّيقِ أَنْ يُرْتَشَفْ
وَقَالَ لَهُ جَاهِداً فِي انْتِصَافْ: دَعوا، يَا مَخَانِيثُ، هَذَا الصَّلَفْ
كَذَا تَقْتُلُونَ مَشَاهِيرَنَا، إِذَا مَاتَ هَذَا فَأَيْنَ الخَلَفْ

رجع: ويقالُ: اتأَدَ اتِّئاداً، إذا اطمأنَّ في قولِه أو فعلِه. وتذكرتُ به قولَ القائلِ:

قَالُوا: انْحَنَى كِبَراً، فَقُلْتُ: سَفَاهَةٌ، لِمَقَالِ مَنْ لَمْ يَتَّئِدْ فِي قِيلِهِ
سَكَنَ الحَبِيبُ شِغَافَ قَلْبِي ثَاوِياً فَحَنَوْتُ مُنْعَكِفاً عَلَى تَقْبِيلِهِ

المعنى

لمَّا أخبرَ أن الحبيبَ نزلَ منهُ مكاناً لا قدرةَ له على إخلائهِ عنهُ، وأنَّ أمرَ الهوَى خرجَ

[1] ـ نسبت هذه الأبيات في نفح الطيب 383/3، مع زيادة واختلافٍ في الروايةِ، للمقرئ أبي عبد الله محمد الفراء.

من اختيارِه، وصارَ في حيزِ القهرِ، أفصحَ بحقيقةِ الحالِ وبيَّنَ أنَّ المحبوبَ استولَى عليهِ، وملكَ قيادَه، وأنهُ هزمَ جيشَ الصبرِ بوقارِه وهيبتِه، فإنَّ الهيبةَ حكَّامةٌ في النفوسِ، تُذعنُ لها العُقولُ؛ فأنا أفديهِ من المكارهِ، بأبي وأمِّي في رفقِهِ بي، إذْ لم يُزهقْ الروحَ، وتَركَ فضلةً تجولُ في الشبحِ. فوصفي له بالجفاءِ فيهِ تسامحٌ. ولهُ الفضلُ في الإغضاءِ عنْ جسارةِ عبدِه عليهِ. ويقرُبُ من هذا ما رأيتُه في الذخيرةِ لابنِ بسامٍ من قولِ ابن عمارفي غلامٍ من عبيدِ ابنِ هودٍ[1]:

وَأَحْوَرَ مِنْ ظِبَاءِ الرُّومِ عَاطٍ ... بِسَالِفَتَيْهِ مِنْ دَمْعِي فَرِيدُ
نَبِيلُ الخَلْقِ، جَافِي الخُلْقِ، عَبْدٌ ... هُوَ المَوْلَى وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُ
بكَيْتُ، وقَدْ نَأَى وَدَنَا رِضَاهُ، ... وقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الجَلِيدِ[2]
قَسَا قَلْباً وَشَنَّ عَلَيْهِ دِرْعاً[3] ... فَظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ حَدِيدُ
وَإِنَّ فَتَى تَمَلَّكَهُ بِنَقْدٍ ... وَأَحْرَزَ رِقَّهُ لَفَتَى سَعِيدُ

وقد تلاعبَ الشعراءُ بمكانةِ المحبوبِ، فتارةً يجعلونَها سلطانيةً، ومنهُ قولُ ابنِ التِّلمساني[4]:

أَدَامَ اللَّهُ أَنْصَارَ العُيُونِ، ... وَخَلَّدَ مُلْكَ هَاتِيكَ الجُفُونِ

---

[1] ـ الذخيرة، القسم الثاني المجلد الأول 388.
الأبيات عدا الثاني منها في نفح الطيب 328/3.

[2] ـ في حاشية الذخيرة "مضمن" وصدره: "فقالوا قد جزعتَ فقلت: كلا" (أمالي القالي 49/1 ، وروايته: وهل يبكي" (انظر الذخيرة 1/ 325).

[3] ـ في الأصل و(ب): سن عيه درعا، وفي (ج) ونفح الطيب 320/3: شن عليه ذرعا. وأرجح أن يكون "شدَّ" أي لبس دِرعاً من حديد على قلبه الحديدي فصار باطنه وظاهره حديداً كما في الشطر الثاني.

[4] ـ الأبيات في الغيث المسجم 95/2، وخزانة الأدب 253، وتزيين الأسواق 447. وفي الأصل و(ب): إلى السجون.

وَضَــاعَفَ بِــالفُتُورِ لَهَـــا اقْتِــدَاراً وَإِنْ تَــكُ أَضْعَفَــتْ عَقْلِــي وَدِينِــي
وَصَــانَ حِجَــابَ هَــاتِيكَ الثَّــنَايَا، وَإِنْ تَتَــتِ الفُــؤَادَ إِلَــى الشُّجُــونِ
وَخَلَّــدَ دَوْلَــةَ الأَعْطَــافِ فِينَــا، وَإِنْ جَــارَتْ عَلَــى قَلْبِي الضَّغِيــنِ

الحسن[1]:

كَتَبْــتُ إِلَــى الحَبِــيبِ بَيِــتَ شِعْــرٍ أُعَاتِبُــهُ، فَأَغْضَبَــهُ جَوَابِــي
أَجِبْنِــي، يَــا أَمِــيرِي عَــنْ جَوَابِــي فَــإِنَّ النَّفْــسَ تَسْكُــنُ بِالْجَــوَابِ
فَوَقَّــعَ فِي الكِتَــابِ: يُــزَادُ هَجْــراً وَإِبْعَــاداً إِلَــى يَــوْمِ الحِسَــابِ

وقد تلطَّفَ ابنُ سهلٍ حيثُ جعلَ الوقارَ والرزانةَ آلةً للقهرِ وسبباً للاستيلاءِ وفي المعنى قالَ الشاعرُ[2]:

وَشَــادِنٍ أَلْبَسُــوهُ قَنَــابِلاً وَصِفَاحَــا
فَقُلْــتُ: لاَ تَشْغَلُــوهُ كَفَــى الوَقَــارُ سِلاَحَــا

ومنَ المألوفِ أن الرَّزَانَةَ تكسُو الجَمَالَ طلاوةً، والتؤدةَ يزدادُ بها المليحُ ملاحةً، كما أن ضِدَّ ذلكَ يُخْلِقُ ديباجةَ الجمالِ. وقلتُ:

أُحِبُّ الغَــزَالَ شَدِيــدَ الحَيَــا، وَأُنْفِــقُ فِــي حُبِّــهِ مُهْجَتِــي
وَإِنَّ قَلِيــلَ الحَيَــاءِ وَلَــوْ سَمَا[3] البَدْرَ ما كانَ فِي رُفْقَتِــي

---

[1] ـ وهو أبو نواس الحسنُ بن هاني الشاعرُ المعروف. والأبياتُ له في الشريشي الكبير 314/2.

[2] ـ القنابل: رجعنا إلى القاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج العروس، وقطر المحيط وقواميس أخرى فلم نجد فيها شرحاً لكلمة قنابل بما يناسب المعنى هنا. ونقل الناصري البيتين في الدرر المرصعة 96 مما انتسخه من كراسة تسلمها من الإفراني تضم بعض شعره، وفيها: سلاسلا بدل قنابلا.

[3] ـ سما: بمعنى علا.

وما أَنْدَرَ وجودَ مليحٍ تردَّى رداءَ الوقارِ والنزاهـةِ، ومـالَ إلـى أهلِ العفـافِ، ولـم يـرضَ الدَّنيةَ. بلْ لا ترى مَليحاً إلاّ وطبعُه مائلٌ لأهلِ الفسقِ والفسـ[ـادِ]، ولِلهِ القائلُ الأولُ:

ذَهَبَ الكِـرَامُ فـلاَ كَرِيـمٌ يُرْتَجَـى ... مِنْـهُ النَّـوَالُ، وَلاَ مَلِيـحٌ يُعْشَـقُ

وأنشدَ لنفسِهِ صاحِبُنا الأديبُ أبو محمدٍ، عبدُ اللـهِ ابـنُ الإمـامِ الشـهيرِ سيدي عبدِ السـلامِ جسوسٍ، روَّحَ اللهُ روحَه، ونوَّرَ ضريحَه:

وَمِمَّـا ثـنَانِي عَـنْ هَوَاهُـمْ وَصَدَّنِـي، ... وَقَدْ كُنْتُ مُغْـرًى بِـالهَوَى، وَهْـوَ دَيْدَنِـي

نُفُورُهُـمْ مِنِّـي، وَمِـنْ كُـلِّ عَاشِـقٍ ... عَفِيفٍ، وَهُمْ فِي طَوْعِ كُلِّ يَـدَيْ دَنِـي

وأنشدني أيضاً لنفسه في المعنى تاجُ الأدباءِ وسراجُ البُلغاءِ، صاحبُ القلمِ البليـغِ أبـو عبـدِ اللهِ سيدي محمدُ بنُ الطيبِ الشريفُ العَلَمي:

مَـا أَقْبَـحَ الحُسْـنَ! وَالعُشَّـاقُ تَمْدَحُـهُ، ... كَمْ بَـانَ لِـي فِيـهِ مِـنْ بَـاسٍ وَمِـنْ بُـوسِ

أَرَى الحِسَانَ بِأَيْـدِي الفَاسِقِيـنَ غَـدَوْا ... مِثْلَ الطَّوَاوِيسِ فِي أَيْـدِي الطَّوَارِيـسِ[1]

وقولُه: بأبي أفدِيهِ: هذه اللفظةُ كثيرةُ الاستعمالِ في الكلامِ العَربي. وفيها ما لا يخفـى مـن التلطُّفِ. والعربُ تجعلُها دعامةً في الكلامِ، كما جَعلوا: لا أبا لكَ، إغراءً علـى المسؤولِ أن يُجيبَ، وتحنُّناً للمطلوبِ ألا يخيِّبَ الرجاءَ.

---

[1] ـ الطَّواريس: في لسان العرب (طرس) :طرسه: أفسده.

المعانـــي

خصَّ الأبَ بالذكرِ صوناً للكلامِ مـن الاستهجانِ الذي يحصُل من ذكرِ الأمِّ، وإنْ كـانَ سُمِعَ: فداؤُكَ أبي وأمي. فسلكَ ما لا يحتاجُ عابرُه إلـى التوقُّـفِ في بعضِ سِكَكِهِ. وسَمعتُ عن بعضِ أشياخي أنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانٍ كانَ يقولُ لأصحابهِ: جَنِّبُوا مَجالسَنا ذكرَ النِّسـاءِ والطعامِ.

البيـــان

فيه الاستعارةُ بالكنايةِ على رأيِ السكاكي في إنكارِ المجازِ العقلي[1]. وخلاصـةُ مذهبِـه أن تُشبِّه الفاعلَ المَجازيَّ بالفاعلِ الحقِيقِيِّ في تعلُّقِ وجودِ الفعلِ بـهِ، ثـم تُفـردَ الفـاعلَ المجـازي بالذِّكرِ، وتنسبَ إليهِ شيئاً من لوازمِ الفاعلِ الحَقيقي. وهذا إنما يتأتى إذا لم نجْعلِ الباءَ للسَّببيةِ، وإلاَّ فحقيقةٌ كما سلفَ.

ذكرتُ بالمجازِ والحقيقةِ قولَ ابنِ العفيفِ:

خَمْـرةٌ لِلشَّـقِيقِ أَضْحَـتْ شَقِيقَـهْ، بِنْـتُ كَـرْمٍ، بِالمَكْرُمَـاتِ خَلِيقَـهْ
قَالَ قَوْمٌ مِنْ لُطْفِهَا: هِـيَ فِـي الكَـأْ سِ مَجَـازٌ، والكَـأْسُ فِيهَـا حَقِيقَـهْ

البديــع

فيـهِ التكرارُ، وهو عِندَهم إعـادةُ اللفظِ لتقريرِ مَعنـاهُ مـن مـدحٍ أو ذمٍّ أو غـرضٍ مـنَ الأغراضِ، كقولهِ[2]:

---

[1] ـ انظر مفتاح العلوم 208–210.

[2] ـ البيتان في خزانة الأدب 205.

يَقُلْــنَ، وَقَــدْ قِيــلَ إِنِّــي هَجَعْــتُ عَسَــى أَنْ يُلِــمَّ بِرُوحِــي الْخَيَــالُ:
حَقِيــقٌ، حَقِيــقٌ، وَجَــدْتَ السُّلُــوَّ فَقُلْــتُ لَهُــنَّ: مُحَــالٌ، مُحَــالُ

القاضي الفاضلُ[1]:

مَــاذَا يَقُــولُ اللَّوَاحِــي، ضَــلَّ سَــعْيُهُمُ وَمَــا تَقُــولُ الأَعَــادِي، زَادَ مَعْنَــاهُ
هَــلْ غَــيْرَ أَنِّــي أَهْــوَاهُ وَقَــدْ صَدَقُــوا، نَـعَــمْ، أَنَــا أَهْـــوَاهُ وَأَهْـــوَاهُ
حَسْبُ البَرِيَّةِ أَجْــراً فَضْــلُ رُؤْيَتِــهِ، فَمَـا رُئِــي قَــطُّ إلاَّ سُــبِّحَ اللَّــهُ

والتكرارُ في البيتِ، في قولِه: "غالبٌ لِي، غالبٌ". وفائدتُه المبالغةُ في إقامةِ الحُجَّةِ على اللَّواحِي. واعلمْ أنَّ عندَ أهلِ البديعِ التكرارَ والتكريرَ، أمَّا التكرارُ فقدْ علمتَه، وأما التَّكريرُ، فقالَ الصفيُّ الحلي[2]: هوَ أن يأتيَ المُتكلمُ بجملٍ مفصلةٍ، أو غيرِ مفصلةٍ، ثم يخبرُ عنها بصفةٍ واحدةٍ مكررةٍ بحسبِ العددِ الذي قدَّره في تلكَ الجملةِ، كقولِه، عليهِ السلام: "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو بِهِ اللَّهُ الخَطَايَا ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ:

إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المكَارِهِ، وكثرةُ الخُطَى إلى المَسْجِدِ، وانتظَارُ الصَّلاةِ إلى الصَّلاةِ"[3]. فهذه جُملٌ مُفصَّلة، ثمَّ أتى بصفةٍ واحدةٍ مكررَّةٍ بحسبِ [المقـ]ـاطفِ، فقالَ: فذلكُم الرباطُ، ثلاثاً. ومنهُ قولُ ابنِ الرومي[4]:

---

[1] ـ الأبيات في المصدر السابق.

[2] ـ الكلام التالي المتعلق بالتكرير هنا مأخوذ بتصرف بالحذف، من أنوار التجلي 296/2، وهو غير منسوب فيها للحلي. ولم يتحدث الحلي في شرح الكافية البديعية عن التكرير. وكل ما قال في التكرار هو: "أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها لتأكيد الوصف أو المدح أو غيره من الأغراض".(شرح الكافية البديعية134).

[3] ـ الموطأ 113، وأضاف: "فذلكُم الرباطُ، فذلكُم الرِّباطُ، فذلكُم الرباطُ".

[4] ـ ديوان ابن الرومي 353/1 (تحقيق حسين نصار).

أُمُورُكُـــمُ بَنِـــي خَاقَـــانَ عِنْـــدِي عُجُـــابٌ فِـــي عُجَـــابٍ فِـــي عُجُـــابِ
قُـــرُونٌ فِـــي رُؤُوسٍ فِـــي وُجُـــوهٍ صِلاَبٌ فِي صِـــلاَبٍ فِـــي صِـــلاَبِ

وقولُ الآخر:

وَتَسْـــقِينِي وَتَشْـــرَبُ فِـــي رحيـــقٍ خَلِيـــقٍ أن يُخَلَّـــقَ بِالـخَلُـــوقِ
كَأَنَّ الكَـــأْسَ فِـــي يَدِهَـــا وَفِيهَـــا عَقِيـــقٌ فِـــي عَقِيـــقٍ فِـــي عَقِيـــقِ

وفيهِ الطِّباقُ بينَ (جافٍ) و(رَقيق). وقدْ تقدَّمَ غيرَ ما مرةٍ.

الإعــراب:

غَالِبٌ: مبتدأٌ. والمَسوغُ العملُ في المجرورِ.

وغالِبٌ الثاني: خبرٌ. وبالتؤدةِ: معمول لهُ.

وبأبي: مُتعلقٌ بأفْديهِ.

ومِنْ جافٍ: تَمييزٌ جُرَّ بمِنْ. وفي معنى (مِنْ) هذه أقوال، فقيلَ: للتبعيضِ وقيلَ لبيانِ الجنسِ، كما ارتضاهُ أبنُ هِشامٍ في الحواشي.

مَــا عَلِمْنَــا قَبْــلَ ثَغْــرٍ نَضَّــدَهُ   أُقْحُوَانــاً عُصِــرَتْ مِنْــهُ رَحِيــقْ[1]

اللغــة

العِلْمُ: ضدُّ الجهلِ، فسَّرهُ في القاموسِ بالمعرفةِ[2]. وعلماؤنا يُفرِّقونَ بينهما كما هوَ مقرَّر في محلِّه. وقبلَ: نقيضُ بَعدَ. و**الثَّغْرُ**، بالثاء المُثلثةِ في أولِه، قالَ في القاموسِ: "الفمُ والأسنانُ، أو مقدمُها، أو ما دامتْ في منابِتِهــا"[3].

حكايــة

تَذكرتُ بالثاء المُثلثةِ ما رأيتُه للوادِي آشي في ترجمةِ شيخِه التقي بنِ الحرسِ الحنفي، قال: سألتُه: هلْ للوباءِ بمصرَ وقتٌ معلومٌ؟ فقالَ لي:جرتْ العادةُ عندَهم، بِقَدَرِ اللهِ وسرِّه في خلقِه، أنَّ كلَّ سنةٍ أولُها ثاءٌ مُثلثةٌ يكونُ الوباءُ فيهـا، واللهُ أعلمُ. وهذا معروفٌ عندَهُم، انتهى.

و**الثغرُ** أيضاً: ما يَلي دارَ الحربِ، وموضعُ المخافةِ من فروجِ البلدانِ. وما أحلى قولَ الصــوافِ[4]:

رَأى ثغْرَ مَنْ أَهْوَى عَذُولِـي، فَـقَالَ لِـي   ولَـمْ يَـدْرِ أنَّ اللَّـوْمَ فِـي حُبِّـهِ يُـغْـرِي:

---

[1] ـ ديوان ابنِ سهل 285.

[2] ـ القاموس المحيط (علم).

[3] ـ المصدر السابق (ثغر).

[4] ـ البيتان في تزيين الأسواق 477، منسوبين ليوسف بن مسعود، وانظر الشريشي الكبير 114/2.

شُغِلْـتُ بِهَـذَا وَارْتَبَطْـتُ بِحُسْنِـهِ، وَأَحْسَنُ مَا كَانَ الرِّبَاطُ عَلَى الثُّغْـرِ

وقولُه: **نَضَّدَهُ**، قالَ ابنُ القوطيَّةَ: نَضَدَ الشيءَ نَضْداً: جعَلَ بعضَهُ على بعْضٍ[1]. وبهذا فسَّرَ الكواشي "طَلْعٌ نَضِيدٌ"[2]. قالَ العُزيزي: أي مَنْضُودٌ. و**الأُقْحُوانُ**: نباتٌ معروفٌ عندَهم[3]. وهو المُسمَّى بالبابونج. قالَ النابغة[4]:

كَالأُقْحُـوانِ غَـداةَ غِـبٍّ سَمَائِـهِ جَفَّـتْ أَعَالِيـهِ وَأَسْفَلُـهُ نَـدِي

ابنُ تميمٍ[5]:

كَيْـفَ السَّبِيـلُ لِلَثْـمِ مَـنْ أَحْبَبْتُـهُ فِـي رَوْضَـةٍ لِلزَّهْرِ فِيهَـا مَعْـرَكُ ؟
مَـا بَيْـنَ مَنْثُـورٍ وَنَـاظِـمِ نَرْجِـسِ مَـعَ أُقْحُـوَانٍ وَصْفُـهُ لاَ يُـدْرَكُ
هَـذَا يُشِيـرُ بِإِصْبَـعٍ، وَعُيُـونُ ذَا تَرْنُـو إِلَـيَّ، وَثَغْـرُ هَـذَا يَضْحَـكُ

و **عَصَرَ** العِنبَ ونحوَه يعْصِره، فهو مَعصورٌ وعَصيرٌ: استخرجَ ما فيهِ. والعُصارةُ ما تحلَّبَ منهُ[6]. ذكرتُ هنا واقعةَ عبدِ الجليلِ بنِ وهبونٍ المَرينِيِّ مع خالِه[7]، وأنهُ كانَ دونَ الحُلُمِ

---

[1] ـ كتاب الأفعال 263.

[2] ـ سورة قاف 10/50، وتمام الآيةِ: "والنَّخلَ بَاسِقاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ".

[3] ـ في حاشية الأصل: "ولأبي إسحق النمري مُضمنا:

لـهُ شَفَةٌ أضاعوا النشرَ فيهـا
فَمَا أشهَى لقلبي ما أضاعـوا.

[4] ـ ديوان النابغة 40.

[5] ـ حلبة الكميت 34.

[6] ـ القاموس المحيط (عصر) بتصرف.

[7] ـ عن خزانة الأدب 175 بتصرف في الضمائر. ترجمة ابن وهبون في فوات الوفيات 249/2-255.

الحُلم إلى جَنْبِ خالِه، وقد صُنعَ لخالِه عريشٌ، فانكسرتْ دعائمُه[1]، ثم رفع على أخشابِ جوزَةٍ فانكسرتْ، فقالَ خالُه: أجز:

مَالَ عَلَيْهَا العَرِيشُ فَانْكَسَرَتْ

فقال:

كَأَنَّهَا مِنْ سُلاَفَةٍ سكِرَتْ

لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلاَ وَعَتْ أُذُنِي	سُلاَفَةً أَسْكَرَتْ وَمَا عُصِرَتْ

والرَّحِيقُ، قال في القاموس: "الخَمْرُ، أو أبيضُها، أو أفضلُها، أو الخالِصُ، أوْ الصَّافي"[2]. وقد وضعتِ العربُ للخمرِ أسْماءً كثيرةً، ورأيتُ في حلْبةِ الكُميتِ للنواجي قالَ: رأيْتُ في بعضِ التَّذاكيرِ أنَّ لها ألفَ اسمٍ[3]. ويُقالُ إن الخمرَ والأسدَ أكثرُ الموجوداتِ أسماءً. وقدْ ألَّفَ المجدُ اللغوي صاحبُ القاموس في استقصاءِ أسماءِ الخمرِ. وذكَرَ النَّواجي في أولِ الحَلْبةِ كثيراً [مِنَ أ]سمائِها المُشتهرَةِ، كالرَّاحِ والمُدامِ والطِّلاءِ والقَرْقَفِ والسُّلافةِ والرَّحيقِ والعجوزِ. وما أملحَ قولَ ابنِ نباتة[4]:

قَدْ لَقَّبُوا الرَّاحَ بِالعَجُوزِ، وَمَا	تَخْرُجُ أَلْقَابُهُمْ عَنِ العَادَهْ
أَلاَنَتِ الغَادَةَ الَّتِي امْتَنَعَتْ،	فَصَحَّ أَنَّ العَجُوزَ قَوَّادَهْ

---

[1] ـ الأصل و(ب) و(ج) وخزانة الأدب 175: دَعائمها..رُفعت. والعريش مذكر. (لسان العرب: عرش).

[2] ـ القاموس المحيط (رحق).

[3] ـ ذكر النواجي في حلبة الكميت 8 ما يزيد على مائة وثلاثينَ إسماً للخمر، وأحالَ على"الكتاب المسمى بقطب السرور للقيرواني".

[4] ـ لم نجدِ البيتينِ في ديوان ابن نباتة، وهما في حلبة الكميت 10.

كانَ الشيخُ أبو الحسنِ ابنُ العابدِ يقولُ: إنما سُميتِ الخمرُ بالعجوزِ لأنها بنتُ ثمانينَ، يعني عددَ حدِّها. ولهُ فيها[1]:

عَذَلْنَا فُلاَناً عَلَى فِعْلِهِ، وَلُمْنَاهُ فِي شُرْبِهِ لِلْعَجُوزْ
فقَالَ: دَعُونِيَ مِنْ أَجْلِهَا أَنَالُ أَنَا وَأَخِي وَالعَجُوزْ

فقلتُ: قد يكونُ أبو الحسنِ فهمَ ذلكَ من قولِ الشاعرِ الأولِ:

شَرِبْتَ مِنْ أَكْؤُسِ خَمْرِ الصِّبَا فَحَدَّكَ الدَّهْرُ ثَمَانِينَا

ومنْ لطيفِ ما يُحكى أنَّ بعضَهم كتبَ إلى القاضي ابنِ قُريعةَ فُتْيا[2]، وهي: ما يقولُ مَولانا القاضي، أيده اللهُ، في رجلٍ سمَّى ولدَه مُداماً، وكنَّاهُ أبا النَّدامى[3]، وسمَّى ابنتَه الرَّاح، وكنَّاها أمَّ الأفراح، وسمَّى عبدَه الشَّراب، وكناه أبا الإطراب، وسمى وليدته القَهوةَ، وكنَّاها أمَّ النَّشْوة؟ أيُنهى عن بطالتِه، أم يؤنَّب على خلاعتِه؟ فكتبَ الجوابَ: لونُعتَ [هذا][4] لأبي حَنيفةَ، لجَعلهُ خليفةً، ولعقدَ لهُ رايةً، وقاتلَ تحتَها من خالفَ رأيَه. ولو علِمنا مكانَه لقبَّلنا أركانَه. فإنْ أَتبَع هذه الأسماءَ أفعالاً، وهذه الكُنى استعمالاً، علمنا أنهُ أحيا دولةَ المُجونِ، وَأَقامَ لِواءَ ابنةِ الزَّرجونِ[5]. فبايَعْناهُ، وشايَعْناهُ. وإنْ تكنْ أسماءً سمَّاها، مالُه بها من سُلطانٍ،

---

[1] ـ ابنُ العابدِ هو الشيخ علي بن عبد الله أبو الحسن القرطبي. رحل إلى مصر. وفي نفح الطيب: "قال بعض المشارقة عنه: إنما سُميتِ الخمرُ بالعجوز لأنها بنتُ ثمانين، يعني عدد حدها، وأنشد له..". البيتان (نفح الطيب 374/2). أي الحد المقام على شاربها.

[2] ـ الفتيا، كما في القاموس المحيط، هي ما يفتي به الفقيه. فالأولى أن يكون: طلب، بدل، كتب.

[3] ـ في الأصل: وكناه بالندامى، والتصويب عن حلبة الكميت 10.

[4] ـ زيادة من المصدر السابق.

[5] ـ الزَّرجون: الخمر.

خلعْنا طاعَتَهُ، وفرّقنا جماعتَهُ. فنحنُ إلى إمامٍ فعّالٍ أحوجُ منّا إلى إمامٍ قوالٍ"[1]، انتهى.

المعنـــى

رجعَ لنشرِ أوصافِ الظّبي، وتفصيلِ ما انطوتْ عليهِ صورتُه من ضروبِ المَحاسِنِ وأنواعِ الملاحةِ. فذكرَ أنّ ريقَهُ راحٌ معتّقةٌ، وأنها أُخذتْ من أقْحُوانِ ثغرِه. وهذا عجبٌ، فإنّ الأقحوانَ لا تكونُ منهُ سُلا[فةٌ. فـ]في البيتِ تشبيهُ الثغرِ بالأقحوانِ، وتشبيهُ الريقِ بالمُدامِ، وكِلاَ التّشبيهينِ مِمّا تلاعبَ به فرسانُ الكلامِ. قالَ[2]:

وَلَيْـلٍ بِتُّـهُ مِـنْ ثَغْـرِ حِبِّـي ... وَمِـنْ كَأْسِـي إِلَـى فَلَـقِ الصَّبَـاحِ
أُقَبِّـلُ أُقْحُوانـاً فِـي شَقِيـقٍ، ... وَأَشْرَبُهـا شَقِيقـاً فِـي أَقَـاحِ

النواجـي[3]:

لِلَّـهِ ثَغْـرٌ لِلْحَبِيـبِ، تَجَمَّعَـتْ ... فِـي ضِمْنِـهِ لِلْعَاشِقِيـنَ نَفَائِـسُ
فِيهِ الرَّحِيقُ، وَخَالُـهُ مِسْـكُ الخِتَـا ... مِ، وفِيـهِ فَلْيَتَنَافَـسِ المُتَنَافِـسُ[4]

الصفـدي:

وَغَـزَالٍ، غَـزَا فُـؤَادِي بِسَهْـمٍ ... وَسِنَانٍ مِـنْ طَرْفِـهِ الوَسْنَـانِ
كَمْ سَقَانِي مِنْ ثَغْرِهِ كَـأسَ خَمْـرٍ، ... فَرَشَفْـتُ السُّـلافَ مِـنْ أُقْحُـوَانِ

ابنُ تَميـم[5]:

---

[1] ـ حلبة الكميت 10-11.

[2] ـ البيتان في الغيث المسجم 123/1 منسوبين لابن تميم.

[3] ـ البيتان في تزيين الأسواق 477.

[4] ـ اقتباس من الآية: "خِتامُهُ مِسكٌ، وفي ذلكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ". (المطففينَ 26/83).

[5] ـ اقتباس من الآية: "خِتَامُه مِسكٌ، وَفي ذلكَ فلْيتنافسِ المُتنافسونَ". (المطففينَ 26/83).

إنْ تَـاهَ ثَغْـرُ الأقَـاحِي فِـــي تَشَبُّهِـــهِ بِثَغْـرِ حِبِّـكَ، وَاسْـتَوْلَى بِـهِ الطَّـرَبُ
فَقُلْ لـهُ عِنْدَمَـا يَحْكِيـهِ مُبْتَسِمـــاً: لَقَدْ حَكَيْـتَ، وَلَكِــنْ فَاتَـكَ الشَّنَـــبُ

عَرقلَـةُ[1]:

بِـــأَبِي مَبْسِــــمٌ إِذَا لاَحَ أَهْـــدَى بَـــرَداً يُنْقِـــعُ الجَوَانِـــحَ بَـــرْدَا
شَهِـدَ اللَّثْـمُ وَهْــوَ شَاهِــدُ عَـــدْلٍ، أَنَّ فِـــي ثَغْـــرِهِ رَحِيقـــاً وَشَهْـــدَا

ابنُ عبدِ الظَّاهـرِ:

يَـا رُبَّ كَـأْسٍ صِـرْتُ مِـنْ شُـرْبِهَا، مِـنْ بَعْـدِ رَشْـفِي رِيـقَ مَعْشُوقِـي
مُلْتَهِـــبَ الأَحْشَـــاءِ نَـــاراً لأَنْ شَرِبْتُهَـــا مِنْـــهُ عَلَـى الـرِّيـــقِ

شيخُ الشيـوخِ[2]:

سَأَلْتُـــهُ مِـــنْ رِيقِـــهِ قُبْلَـــةً أُطْفِـــي بِهَـــا مِـــنْ كَبِـدِي حَـــرَّهْ
فَقَـالَ: أَخْشَـى يَـــا شَدِيـــدَ الظَّمَـــا أَنْ تُتْبِـــعَ الشَّرْبَـــةَ بِالجَـــرَّهْ

امرؤُ القيسِ[3]:

وَثَغْـــرٍ لَهَـــا طَيِّـــبٍ وَاضِـــحٍ لَذِيـــذِ المُقَبَّـــلِ وَالمُبْتَسَـــمْ

---

[1] ـ البيتان في الغيث المسجم 269/2 منسوبينِ لأبي إسحق الصابي، وقبلهما بيتانِ لعرقلةِ يبتدئ أولهما بقوله: بابلي... ولعل الإفراني سها بسبب هذه البداية فنسب البيتين إلى عرقلة.

[2] ـ البيتان في الغيث المسجم 261/2، وتزيين الأسواق 478.

[3] ـ نستبعد أن يكون هذان البيتان من شعر امرئ القيس، وهما أشبه بشعر العصور الإسلامية المتأخرة. ولم يردا في ديوانه. والأنسب صوتيا أن يكون "مَنْ كتَمَ" بدل "ما كُتِمَ".

وَمَا نُقْتُـهُ غَيْـرَ ظَنِّـي بِـهِ　　وَبِالظَّـنِّ يقضـى علَـى مَـا كُتِـمْ

بشـار[1]:

يَـا أَطْيَـبَ النَّـاسِ رِيقـاً غَـيْرَ مُخْتَـبَرِ　　إلاَّ شَـهَادَةَ أَطْـرَافِ المَسَاوِيـكِ
قَدْ زُرْتَنَا مَـرَّةً فِـي الدَّهْـرِ وَاحِـدَةً　　ثَـنِّ وَلاَ تَجْعَلَنْهَـا بَيْضَـةَ الدِّيـكِ

ابنُ مُرجِ الكُحـلِ[2]:

وَعِنْـدِي مِـنْ مَعَاطِفِهَـا حَدِيـثٌ　　يُخَبِّـرُ أَنَّ رِيقَتَهـا مُـدَامُ
وَفِـي أَلْحَاظِهَـا السَّكْـرَى دَلِيـلٌ　　وَمَـا نُقْتُـا وَلاَ زَعَـمَ الـهُمَـامُ

أشارَ لقولِ النابغـة[3]:

تَجلُـو بِقَادِمَتَـيْ حَمَامَـةِ أَيْكَـةٍ　　بَـرَداً أُسِـفَّ لِثَاثُـهُ بِالإثْمِـدِ
كَالأُقْحُـوَانِ غَـدَاةَ غِـبِّ سَمَائِـهِ　　جَفَّـتْ أَعَالِيـهِ، وَأَسْفَلُـهُ نَـدِي
زَعَـمَ الهُمَـامُ، وَلَـمْ أَذُقْـهُ، بِأَنَّـهُ　　يُشْفَى بِرَيَّا رِيقِهَـا العَطِـشُ الصَّـدِي

ابن الساعاتي:

قَبَّلْتُهَـا وَرَشَفْـتُ خَمْـرَةَ رِيقِهَـا　　فَوَجَدْتُ نَـارَ صَبَابَتِي فِـي كَوْثَـرِ

---

[1] ـ ديوان بشار 173.

[2] ـ في رفع الحجب 195/1، ونفح الطيب 53/5 . في النفح : مراشفها، وفي رفع الحجب: لواحظها.

[3] ـ الأبيات 20، 21، 24 من القصيدة في وصف المتجردة، في ديوانه 40-41، وفي المصادر السابقة. في الأصل: أشف، وهو تصحيف، وأثبتنا ما في ديوان النابغة. ومن عادة العرب أن يُسفوا اللثات بالإثمد ليَبْرُز بياضُ الأسنان. والإثمد: حَجَر يتخذ منه الكحل، وقيل ضرب من الكحل، وقيل هو الكحل نفسه. (لسان العرب: ثمد).

وَتَخَلَّتْ جَنَّــةَ وَجْهِهَــا، فَأَبَاحَنِــي رِضْوَانُهـا المَرْجُــوُّ شُـرْبَ المُسْكِــرِ

آخـــر:

تَبَسَّـمَ فـارْتَحَتْ مِـنْ سَكْرَتِـي، وقُلْــتُ: هُنَـا القَرْقَـفُ المُنْتَخَـبْ
وَمَـا ذُقْـتُ فَـاهُ، ولَكِنَّــهُ حَكَمْــتُ عَلَـى خَمْـرِهِ بِالحَبَـبْ

والأبياتُ في هذا المعنى كثيـرةٌ.

المعانـــي

أتى بـ (نا) الموضوعةِ لُغةً للمتكلمِ مع غيرِه، إيذاناً بأنَّ نفيَ العِلْمِ بهذا الأمرِ القريبِ هو لكُلِ أحدٍ. ونكَّرَ ثغرَه للتَّعظيمِ. ووصفَه بأنه نضيدٌ، أي متناسقٌ تناسقَ الدُّرَرِ في العِقدِ. وقد أكثرَ الشعراءُ في تشبيهِ الثَّغرِ بالدُّررِ. قالَ إبراهيمُ المِعيارُ[1]:

أُحَيْبَتُــهُ كَــالغُصْنِ، شَاعِــرُهُ لَــهُ عَلَيْــهِ نَــوْحُ وَرْقَــاءِ
وَثَغْــرُهُ الصَّــادِي مِـنْ حُسْنِــهِ يَحَــارُ فِــي تَشْبِيهِــهِ الطَّائِــي

الصفدي مُضمناً[2]:

عَزَمْـتُ عَلَـى رُقْيَـا مَحَاسِـنِ وَجْهِـهِ بِـأَنْوَارِ آيَـاتِ الضُّحَـى حِيـنَ أَقْبَـلاَ
فَلَمَّـا بَـدَا يَفْتَـرُّ عَـنْ دُرِّ ثَغْـرِهِ بَدَأْتُ بِبِسْـمِ اللَّـهِ فِـي النَّظْـمِ أَوَّلاَ

---

[1] ـ البيتان في تزيين الأسواق 477 منسوبين للصلاح الصفدي، والبيان بعدهما: "عزمت على.." للمعمار كما نسب الأخيران في خزانة الأدب 475 لبرهان الدين المعمار. فلعل الإفراني سها في نسبة الأبيات. والطائي: هو أبو تمام الطائي الشاعرُ المعروف.

[2] ـ انظر الحاشية السابقة.

السَّعْدُ بْنُ عَرَبِي:

سَبَانِي ثَغْرٌ مِنْكَ كَالدُّرِّ نَظْمُهُ فَيَا مَنْ رَأَى دُرّاً يُشَبَّهُ بِالدُّرِّ
أُشَاهِدُ رِيقاً مِنْكَ كَالشَّهْدِ طَعْمُهُ، وَمَا ذُقْتُهُ يَوْماً، وَلَكِنَّنِي أَدْرِي

ونكَّرَ أُقحواناً ورحيقاً قصداً للحقيقةِ في ضِمنِ أيِّ فردٍ كانَ. والخَمرُ تُعصرُ من خمسةٍ: منَ العِنبِ، والتَّمرِ، والحِنطةِ، والشعيرِ، والذُّرةِ.

قرأتُ في بعضِ كُتبِ التاريخِ بمدينة مراكش، حرسها اللهُ، أن سببَ ابتداءِ الخمرِ هو أنَّ بعضَ الناسِ في الزمنِ الأولِ، كانَ ماراً في بريَّةٍ، فوجدَ داليةً من العنبِ قُطوفُها دانيةٌ[1]. فتعجَّبَ منها غايةً، إذ لمْ يكنْ رآها قبلُ، فقالَ: لا أجدُ غريبةً أرفعُها للسلطانِ إلاَّ هذه، فحملَها لهُ. فلما مثُلت بين يدي السلطانِ استغربَها، وأمرَ بالعناقيدِ فعُصرتْ وحمِل ماؤها، ولمْ يتجشَّم[2] أحدٌ أن يشربَه، فبقيَ حيناً من الدهرِ في أوانيهِ إلى أن اشتدَّ وتخمَّرَ، وأرادَ السلطانُ أنْ يقفَ على حقيقةِ أمرِه، فنظرَ أشخاصاً وجبَ عليهم القتلُ، فسقاهُمْ إياهُ، فطربُوا بهِ، وغنَّوْا ورقصُوا، فسقاهُ لآخرينَ، ففعلُوا كما فعلَ الأولونَ. فأمرَ بها السلطانُ أنْ تُغرسَ أشجارُ[ها][3]، ويُعتنى بها، فلمْ يزلْ شربُه إلى هَلُمَّ جرّاً.

البيــان

فيها استعارةُ الأقحوانِ للثغرِ، وليسَ المرادُ الأصفرَ كما يُتوهمُ، [وإن كانَ] صِياغُ الصفرةِ مما يُوثقُ القلوبَ الخليةَ بقيودِ البليةِ. وما أحلَى قولَ عبدِ المُحسنِ الحلبي الكاتبِ في مليحٍ لبسَ أصفرَ:

---

[1] ـ في سورة الحاقة 23/69: "..في جنة عالية، قطوفها دانية".

[2] ـ في الأصل: يتجسم، ولم نر له وجها.

[3] ـ خرم في الأصل، وفي (ج): أشجرها، وفي (ب): أسجره.

نَاجَتْكَ أَثْوَابُ الحَبِيبِ بِلَوْنِهَا: إِنَّ اصْفِرَارِي خَشْيَةٌ لِفِرَاقِهِ
فَأَجَبْتُهُ: إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتَهُ حقّاً، فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ عُشَّاقِهِ

آخرُ يعتذرُ عن صُفرةِ وجهِ مَحبوبتِه:

يَعِيبُونَهَا عِنْدِي لِصُفْرَةِ وَجْهِهَا فَقُلْتُ: الْهِرَقْلِيَّاتُ أَوْجُهُهَا صُفْرُ

وممَّا ينخرطُ في سِلكِ الصُّفرةِ ما كتبَ بهِ بعضُ الأدباءِ إلى القاضي مُنْذِرٍ[1]:

مَسْأَلَةٌ جِئْتُكَ مُسْتَفْتِياً فِيهَا وأَنْتَ العَالِمُ المُسْتَشَار
عَلامَ تَحْمَرُّ وُجُوهُ الظِّبَا، وَفِي وُجُوهِ العَاشِقِينَ اصْفِرَارْ؟

فأجابَه:

احْمَرَّ لَوْنُ الظَّبْيِ إِذْ لَحْظُهُ سَيْفٌ عَلَى العُشَّاقِ فِيهِ احْوِرارْ
وَاصْفَرَّ وَجْهُ الصَّبِّ لَمَّا نَأَى، وَالشَّمْسُ تُكْسَى لِلْمَغِيبِ اصْفِرَارْ

وبيتُ القاضي الأخيرُ مُنتزعٌ من قولِ أبي حاتمٍ الحِجازي:

فَكَفَى مِنَ الدِّينَارِ صُفْرَةُ وَجْهِهِ، الشَّمْسُ صُفْرَتُهَا مِنْ أَجْلِ زَوَالِهَا

واستعارَ الرحيقَ للريقِ، وهذِه الاستعارةُ مطلقةٌ، لم تقترنْ بصفةٍ ولا تفريعِ كلامٍ، بخلافِ المُجرَّدةِ وهي ما قُرِنتْ بما يُلائمُ المستعارَ، والمرشحةُ بما يُلائمُ المستعارَ منه. قالَ ابنُ حجة[2]: والمرشحةُ أحلى أنواعِ الاستعارةِ بإجماعِ علماءِ الفنِّ

[1] ـ البيتان وجواب القاضي منذر عنهما في نفح الطيب 2م22.
[2] ـ في الأصل: ابن أبي حجة، وهو خطأ. وكلام ابن حجة عن الاستعارة المرشحة في خزانة الأدب 60.

فيهِ حُسنُ البيان. قالَ في المصباحِ: وهو عبارةٌ عن كَشفِ المعنى وإيصالِه إلى النفسِ بسهولةٍ. ويأتي على أقسامٍ: أقبحُ وأوسطُ وأحسنُ. فالأقبحُ كَبيانِ باقلٍ، وقد سُئلَ عن ثمنِ ظبيٍ، فأرادَ أن يقولَ: أحدَ عشرَ، فأدركهُ العيُّ، حتَّى فرَّقَ أصابعَهُ وأدلعَ لسانَه، فأفْلتَ الظبيُ. والمتوسطُ، كما لو قالَ: خمسةٌ وستَّةٌ، أو عشرةٌ وواحدٌ، ونحو ذلك. والأحسنُ يأتي مع الإيجازِ والإطنابِ. فمن مجيئِه مع الإيجازِ[1]:

لَهُ لَحَظَاتٌ فِي خَفَايَا سَرِيرَةٍ، إِذَا كَرَّهَا، فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

وهذا البيتُ من قصيدةٍ لإبراهيمَ بنِ هرمةَ، مدحَ بها أبا جعفرٍ المنصورَ، فاستحسنَها منهُ وقالَ: سلْني حاجَتَك، فقالَ: تكتبُ إلى عاملِكَ بالمدينةِ لا يحُدُّني على السُّكرِ. فقالَ: هذا حدٌّ من حدودِ اللهِ، وما كنتُ لآمرَ بتعطيلهِ، فقالَ: تَحيَّلْ، يا أميرَ المؤمنينَ. فقالَ: أما هذا فنعَمْ. فأمرَ بالكتابِ إلى عاملِه بالمدينةِ: منْ أتاكَ من أعوانِكَ بابنِ هرمةَ سكرانَ فاضربْه مائةَ سوطٍ، واجلدِ ابنَ هرمةَ ثمانينَ. فكانَ ابنُ هرمةَ إذا مرَّ به عونٌ، وهو سكرانُ، قالَ: مَنْ يشتري ثمانينَ بمائةٍ[2]. ومن مجيئهِ معَ الإطنابِ[3]. قولُ امرئ القيس[4]:

كأنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

---

[1]ـ انظر هذا الكلام عن حسن البيان مع بيت الشاهد بعده في خزانة الأدب 558، وهو لبن هرمة في ديوانه 168، وفوات الوفيات 31/1.

[2]ـ انظر هذه القصة في الغيث المسجم 216/1، وفوات الوفيات 34/1-35، ويروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابن هرمة: "إني لستُ كمن باعَ لك دينه رجاءَ مدحك أو خوفَ ذمِّك.. وأنا أقسم بالله لئن أوتيتُ بك سكرانَ لأضربنَّكَ حدَّين: حداً للخمرِ، وحداً للسُّكر". (الكامل للمبرد 242/1).

[3]ـ في الأصل: الإيجاز والمثبت ما في (ج)، وهو أنسب.

[4]ـ شرح ديوان امرئ القيس 30.

ما: نافيَةٌ، وتنكَّرتْ بلفظةِ ما قولَ صدرِ الدينِ بنِ عبدِ الحَقّ[1]:

جَهَنَّـــمُ، حَمَّامُكُـــمُ، نَـارُهَــا　　تُقَطِّـــعُ أَكَابِدَنَــا بِـالظَّمَـــا
وَفِيهَـــا عُصَــاةٌ لَهُـمْ ضَجَّـــةٌ　　"وَإِنْ يَسْتَغِيثُــوا يُغَاثُــوا بِمَـــا"

وقولَ ابنِ مكانسٍ[2]:

مِــنْ شَــرْطِنا إِنْ أَسْــكَرَتْنَا الطِّـــلاَ　　صِرْفَـــاً، تَدَاوَيْنَـــا بِرَشْــفِ اللَّمَـــى
نَعَـــافُ مَــزْجَ المَـــاءِ مِنْ كَأْسِهَـــا　　لاَ وَاخَـــذَ اللَّـــهُ السُّكَـــارَى بِمَـــا

الشريف الدِّمشقي[3]:

ضَلُّوا عَــنِ المَـاءِ لَمَّـا أَنْ سَـرَوْا سَحَــرًا　　قَوْمِـــي، وَظَلُّــوا حَيَـارَى يَلْهَثُــونَ ظَمَـا
وَاللَّـــهُ أَكْرَمَنِــي بِـالـوِرْدِ دُونَـهُـــمُ،　　فَقُلْــتُ: "يَا لَيْــتَ قَوْمِــي يَعْلَمُــونَ بِمَـــا"

وقولَ ابنِ سناءِ المُلكِ[4]:

---

[1] ـ البيتان في خزانة الأدب 160، وفي الثاني اقتباسٌ من القرآن: "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً، أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ". (سورة الكهف 29/18).

[2] ـ البيتان في خزانة الأدب 160، وحلبة الكميت 162.
في الأصل: يعاف، وأثبتنا ما في المصدرين السابقين.

[3] ـ البيتان في خزانة الأدب 160 منسوبين لـ "المُقر المَرحومي الأميني صاحب ديوان الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة". ونَرى أن الإفراني تسرَّعَ فجعلَ (الشريف) وهو وصف للديوان لصاحب الديوان فقال: الشريف الدمشقي. وفي البيت الثاني اقتباس من القرآن: "قَالَ: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي". (سورة يس 26/36).

[4] ـ ديوان ابن سناء الملك 673.

رَأَيْتُ طَرْفَكَ يَوْمَ البَيْنِ حِينَ هَمَا والدَّمْعُ ثَغْرٌ، وتَكْحِيلُ الجُفُـ[ـونِ لَمَى]
فاكْفُفْ مَلاَمَكَ عَنِّي حِينَ أَلْثِمُهُ، فمَا شَكَكْتُ بِأَنِّي قَدْ لَثَمْتُ فَمَا

ابنُ حجةَ[1]:

قَالُوا: وَقَدْ فَرَّطْتُ فِي تَصَبُّرِي، وَمَا شَفَى بِقُرْبِهِ سَقَامَا
اِصْبِرْ عَسَى تُشْفَى بِمَاءِ رِيقِهِ، قُلْتُ لَهُمْ: "يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا"

آخـرُ[2]:

فَإِنَّ المَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا

وفي هذه المُقطعاتِ اللقبُ البديعي المُسمَّى بالاكتفاءِ وهو أن يأتيَ الشاعرُ بقافيةٍ تفتقرُ لمحذوفٍ فلا يذكرُه اكتفاءً بدلالةِ باقِي لفظِ البيتِ عليه، ومنهُ قولُ القيراطي[3]:

حَسَنَاتُ الخَدِّ مِنْهُ قَدْ أَطَالَتْ حَسَرَاتِي
كُلَّمَا سَاءَ فِعَالاً، قُلْتُ: "إِنَّ الحَسَنَاتِ"

ابنُ سناءِ المُلكِ[4]:

يَا عَاذِلِينَ جَهِلْتُمُ فَضْلَ الهَوَى فَعَذَلْتُمُ فِيهِ، ولَكِنِّي أَنَا

---

[1] في خزانة الأدب 160. وفي الأصل: أفرطت.. لقربه.. والمثبت عن المصدر السابق. وفي البيت الثاني اقتباس من الآية: "أنْ تقولَ نفسٌ: يَا حسرتا على ما فرَّطْتُ في جنْبِ اللهِ". (سورة الزمر 78/39).

[2] ـ البيت في خزانة الأدب 159. وقد ضمنه معنى الآية: "أينما تكونوا يُدْرِكْكُمُ الموتُ ولوْ كُنتُمْ في بُروجٍ مُشيدَةٍ". (سورة النساء 78/4).

[3] ـ خزانة الأدب 161. و صلة الآية المضمنة: "إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ". (سورة هود 114/11).

[4] ـ ديوان ابن سناء الملك 799.

ويُعجبني قولُ بعضهم من قصيد[ة] مطل[ع]ها[1]:

هَـزُّوا القُـدُودَ فَـأَخْجَلُوا سُـمْرَ القَنَـا، وتَقَلَّـدُوا عِـوَضَ السُّـيُوفِ الأعْيُنَـا
وتَقَدَّمُـوا للعَاشِقِيـنَ فَكُلُّهُـمُ طَلَـبَ الأمَـانَ لِنَفْسِـهِ إلاَّ أَنَـا

رجـع

وَعَلِمْنَا: فعلٌ ماضٍ مبني على السكون[2]، وأصلهُ أن يحـرِّك آخرُه، ومـا أحلـى قـولَ ابـن الأزرقِ الغرناطي على طريق التورية، مما يُكتب على سيفٍ[3]:

إِنْ عَمَّتِ الأُفْـقَ مِـنْ نَقْعِ الوَغَـا سُحُبٌ فَشِـمْ بِهَـا بَارِقـاً مِـنْ لَمْـعِ إِيمَـاضِ
وَإِنْ نَـوتْ حَرَكَاتُ النَّصْرِ أَرْضَ عِـدًى فَلَيْـسَ لِلْفَتْـحِ إلاَّ فِعْلِـيَ المَاضِـي

أُقحواناً: مفعولُه الأولُ. وجملةُ "**عُصِرتْ من رحيقْ**": فـي محـلِّ المفعـولِ الثـاني. **وقبـلَ**: ظرفٌ يتعلقُ بـ (عَلِمَ). **ونَضَّدَهْ**: صفة (ثغْرٍ) في محلِّ جرٍّ.

---

[1] ـ البيتان في خزانة الأدب 159. وفي الأصل: قصيد مطلعها.

[2] ـ في الأصل: الفتح، وهو سهو.

[3] ـ البيتان في نفح الطيب 6/152-153، 2/699-700.

-15-

أَخَــذَتْ عَيْنَــاهُ مِنْهَــا العَرْبَــدَهْ وَفُــؤَادِي سُــكْرُهُ مَــا إنْ يُفِيــقْ[1]

اللغــة

الأخْذُ: قـالَ ابنُ القوطيـةِ: "أخذَ أخْذاً: ضـدُّ أعطـى، والرجلَ أسَرَهُ، ومن نفسِه: كفَّ، والعينُ: رَمَدتْ"[2]. وفي القاموس:" الأخذُ: الإيقاعُ بالشخصِ، والعقوبةُ"[3]. والعَينُ: معروفةٌ.

العَرْبَدَةُ: قالَ في القاموس: "العربدةُ سوءُ الخُلقِ، والمُعربدُ: مُؤذي نديمِه في سُكرِه"[4]. وقالَ في الأساسِ: "يُعربدُ على أصحابه عربدةً، السكرانُ. وتقولُ حَسْبُ المُعربدِ أنَّ اشتقاقه منَ العِرْبَدِّ، وهو ضربٌ من الحياتِ"[5]، انتهى. والعَربدةُ: هيَ مُنتهى لذَّةِ السَّكرانِ. رأيتُ في ربيعِ الأبرارِ للزمخشري أن عبدَ الملكِ بنَ مروان قالَ للأخطلِ: "صِفْ لِي الخَمْرَ، فقالَ: أولُها صُداعٌ، وآخرُها خُمَّارٌ، قالَ: فما يُعجبُكَ منها؟ قالَ: إنَّ بينهُما طرْبةً لا يَعدِلها[6] مُلكُك، وأنشدَ يقولُ[7]:

إذا مَـا نَدِيمِـي عَلَّنِـي، ثُـمَّ عَلَّنِـي ثَـلاَثَ زُجَاجَـاتٍ لَهُـنَّ هَدِيـرُ

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 285.

[2] ـ كتاب الأفعال (أخذ) ص 178.

[3] ـ القاموس المحيط (أخذ).

[4] ـ المصدر السابق (عربد).

[5] ـ أساس البلاغة (عربد).

[6] ـ في الأصلِ: لا يعدل لها، وفي ربيع الأبرار 493: لايعدلها، وهو الصحيح.

[7] ـ ديوان الأخطل 679.

خَرَجْتُ أَجُرُّ الذَّيْلَ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ، أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ

آخر:

شَرِبْنَا مِنَ الدَّانِيِّ حَتَّى كَأَنَّنَا مُلُوكٌ لَنَا بَرُّ العِرَاقَيْنِ وَالبَحْرُ
فَلَمَّا انْجَلَى شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْتَنَا تَوَلَّى الغِنَا عَنَّا، وَأَعْقَبَنَا الفَقْرُ

ورأيت في حلبة الكميت للنواجي أن ابن هرمة[1] كان مولعاً بالخمرِ، فمر في بعض الليالي على جيرانِه سكرانَ، والصِّبيانُ يصيحونَ عليهِ، فلمّا كانَ من الغدِ دخلوا عليهِ ولاَمُوهُ، فقالَ: واللهِ لقد تطلَّبتْ هذه السكرةَ مدةً حتى ظفرتُ بها، أما سمعتُم قولي:

أَسْأَلُ اللَّهَ سكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي وَصِيَاحَ الصِّبْيَانِ: وَا سكْرَانُ!

ومن هذه الطربةِ حرِّمت الخمرُ، لأن الشاربَ ينطقُ فيه[2] عن غيرِ قصدٍ. وربما تكلَّم بما لا يليقُ. وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ أن عمرَ بنَ الخطابِ، رضيَ اللهُ عنهُ، شربَ الخمرَ، فأخذَ لَحْيَ بعيرٍ، فشجَّ بهِ رأسَ عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ، ثم ناحَ علَى قَتْلَى بدرٍ بشعرِ الأسودِ بنِ يَعفُرٍ، وهو:

وكَائِنْ بِالقَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ مِنَ الفِتْيَانِ والشَّرْبِ الكِرَامِ
وكَائِنْ بِالقَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ مِنَ الشِّيزَى المُكَلَّلِ بِالسَّنَامِ

إلى آخرِ الأبياتِ المشهورةِ. فبلغَ هذا النبيَّ، صلى الله عليه، فخرجَ مُغضباً يجرُّ رداءَهُ، فرفعَ شيئاً كانَ في يدِه ليضربَهُ بهِ، فقالَ: أعوذُ باللهِ من غضبِ اللهِ ورسولِه. فأنزلَ اللهُ

[1] ـ في الأصل: ابن هرقة، وهو غلط، والقصة في حلبة الكميت 22. والبيت في ديوان ابن هرمة 229.
[2] ـ أي في السكر.

تعالى آيةَ: "فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ"[1]. فقال عمر: "انتهَيْنا"[2].

والشَّرْبُ في أبياتِ الأسودِ، بفتح الشينِ [وتَسكينِ][3] الراءِ: القومُ الشَّاربونَ. والشِّيزَى: خشبٌ أسودُ للقصاعِ[4]. وجفانٌ من الشِّيزى: تُعملُ منهُ. وتكلَّل الرَّوضُ بالنَّورِ: حفَّ بهِ. والسَّنَامُ: ما ارتفعَ من وسطِ ظهرِ الجَمَلِ. وكائِنْ[5] بالألف: وقعتْ هنا لغةً في كأين. وبها قرأ ابنُ كثيرٍ.

استطرادٌ حسنٌ

ذكرَ صاحبُ التذييلِ والتكميلِ أبو حَيانَ[6]، قال: من غريبِ الحِكاياتِ في هذه اللُّغةِ ما حدَّثني به بعضُ أدباءِ تونُسَ، والعُهدةُ عليهِ، أنَّ الفقيهَ المُحدِّثَ أبا القاسمِ ابن البراءِ كانَ يحرِّضُ شيخَنا الأديبَ الحافظَ أبا [الحسنِ[7]] حازمَ بنَ محمدٍ ابن حازمٍ على أن يشتغلَ بالفقهِ ويكفَّ عن الأدبِ، فحضرَ حازمُ وجماعةٌ عندَ المُستنصرِ، ملكِ إفريقيةَ، وذكروا[8] قراءةَ ابنِ كثيرٍ: وكائنْ، واستغربُوها، وقالوا: لم يجئْ منها في كلامِ العربِ إلاَّ قولُ الشاعرِ:

---

[1] ـ سورة المائدة 91/5.

[2] ـ عن ربيعِ الأبرار 492 بتصرف.

[3] ـ زيادة يقتضيها السياق.

[4] ـ في القاموس المحيط (شيز): "الشيزُ بالكسرِ: خشب أسود للقصاع كالشيزى".

[5] ـ في الأصل: كأين.

[6] ـ في الأصل: "عن أبي حيان"، وصاحب التذييل والتكميل في شرح التسهيل لابن مالك هو أبو حيان نفســـه.

[7] ـ في الأصل: أبا حازم بن محمد بن حازم، والزيادة من أزهار الرياض، ونفح الطيب، وفيهما حازم بن محمد بن الحسن ابن حازم أبو الحسين الأنصاري القرطاجني (بشرق الأندلس) شاعر ولغوي. انتقل إلى إفريقية، ومات بتونس سنة 684. (أزهار الرياض 171/3-182 ونفح الطيب 584/2-589).

[8] ـ في الأصل: وذكروه.

وكَائِــنْ بِالأَبَاطِـــحِ مِــنْ صَدِيـــقِ

فقالَ لهمْ حازمُ: قد وردَ منها ما لا يُحصى، فطلبوا ذلكَ منهُ، فأنشدَهم من هذه اللغـةِ ألـفَ بيتٍ، فدفعَ لهُ المُستنصرُ ألفَ دينارٍ من الذهبِ فجاءَ بها إلى ابنِ البراءِ فقـالَ لـهُ: هذه مسـألةٌ من الأدبِ أخذتُ منها ألفَ دينارٍ، فأرني أنتَ مسألةً من الفقه حصَّل بها المختبَرُ ألف دينـارٍ. والذي أقولُهُ، أن هذه المسألةَ كانتْ مُبيتةً، طولِعَ فيها دواوينُ أياماً كثيرةً. على أنَّ حازماً كانَ منَ الحفظِ في غايةٍ لا يُشاركُ، انتهى.

والفُـؤادُ: القلبُ مذكرٌ، وهو ما يتعلَّقُ بالمَرِيءِ من كبدٍ ورئـةٍ، والجمـعُ [1] أفئـدةٌ. وسُمي بذلكَ أخذاً من التَّفَؤُّدِ، وهو التَّحركُ، والتَّوقُّدُ[2]، كمـا سُميتِ الفـائدةُ فـائدةً لأنها تُعقَـلُ بـالفوائدِ وفي هذا قالَ العلامةُ المَحمودي في حَواشِي الانْتباه: أنشدني شيخُنا الشهابُ الخفاجِي:

مِـــنَ الفُـــؤَادِ اشْتُقَّـــتِ الفائِــــدَهْ وَالنَّفْـــسُ، يَـــا صَـــاحِ، بِـــذَا شَـــاهِدَهْ
لِــذَا تَـــرَى أَفْـئِــــدَةَ النَّـــاسِ قَـــدْ مَالَـتْ لِمَـــنْ فِـــي قُرْبِـــهِ فَائِــــدَهْ

وفسَّرَ بعضُهم الفائدةَ لغةً بالزيادةِ تحصلُ للإنسـانِ، اسم فـاعلٍ من فـادتْ لـهُ فـائدةٌ فيداً، وأفدتُه: أعطيتُه، وأفدتُ منهُ: أخذتُ، وعُرفاً: كلُّ نـافعٍ دينـي أو دُنيَـوي، أو هـيَ مـا يكـونُ الشيءُ أحسنَ حالاً منهُ بغيرِهِ.

والسُّكرُ: نقيضُ الصَّحوِ، والمُسكرُ: موجبُـه. وفـي ربيـعِ الأبـرارِ قـالَ: "أبـو حَنيفـةَ عن

---

[1] ـ في الأصل: وجمعها، وفي (ج): والجمع.

[2] ـ انظر القاموس المحيط (فأد).

إبراهيمَ: كانتِ الروايةُ: كُلُّ سُكرٍ حرامٌ.فزادوا[1] ميماً». وفيه: «السُكارَى ثلاثةٌ: قِردٌ حرّكَ رأسَهُ ورقص، وكلبٌ هارشَ ونبح، رَوِيَتْ فنامتْ»[2].

موعظـــة

رأيتُ في كتابِ ألف باء أن رجُلاً مولعاً بالخمرِ مرَّ على موضعٍ يُقالُ لهُ: طَرْزَ مَا بـاد، فأعجبَه، فقالَ:

بِطَرْزَمَابَــادَ كَــرْمٌ مَــا مَـرَرْتُ بِـــهِ إلاَّ تَعَجَّبْــتُ مِمَّــنْ يَشْــرَبُ المَـــاءَ

فسمعَ هاتفاً يقولُ:

وَفِــي جَهَنَّـــمَ مــاءٌ مَــا تَـجَرَّعَــــهُ خَلْــقٌ فَأَبْقَـــى لَـهُ فِـي الجَـوْفِ أَمْعَــاءَ

فكانَ سببَ توبتِه.

أفاقَ يُفيقُ إفاقةً: انتبهَ. ويُقالُ: مُصيبةٌ سريعةُ الإفاقةِ.

المعنـــى

هذا زيادةٌ في الإيضاحِ ومُبالغةٌ في تبيينِ الحُجةِ على أن ريقَهُ راحٌ مختومٌ. فيقولُ: دليلُ كونِ ثغرِهِ أدارَ كؤوسَ المدامِ أن مُقلتيهِ عَربدتَا، ولا تكونُ العربدةُ إلاَّ منْ شرابِ المُسكرِ. وهذا كقولِ ابنِ سناءِ المُلكِ[3]:

شَــهِدْتُ بِـأَنَّ الشَّـــهْدَ وَالمِسْــكَ رِيقُـــهُ وَمَــا كُنْــتُ لَــوْ لَــمْ أَخْتَــبِرْهُ لأَشْــهَدَا

---

[1] ـ انظر هذا الكلام في ربيع الأبرار 495. وفيه: فزاد فيها: ونص الحديث من الموطأ 324 والبخاري 48/4: "كُلُّ مُسكِرٍ حَرَامٌ".

[2] ـ ربيع الأبرار 493.

[3] ـ البيتان في ديوان ابن سناء الملك 170.

وَأَنَّ السُّلافَ البَابِلِيَّةَ لحْظُهُ[1] ... وَإلاَّ سَلُوا إِنْسَانَهُ كَيْفَ عَرْبَدَا

ويُعجبني قولُ الصلاحِ الصَّفَدي:

عَيْنَاهُ قَدْ شَهِدَتْ بِأَنِّي مُخْطِئٌ ... وَأَتَتْ بِخَطِّ عِذَارِهِ تِذْكَارَا

يَا حَاكِمَ الحُبِّ اتَّئِدْ فِي قَتْلَتِي ... فالخَطُّ زُورٌ والشُّهُودُ سُكَارَى

سالِمُ بنُ الوليدِ:

إِبْرِيقُنَا سَلَبَ الغَزَالَةَ جِيدَهَا ... وحكَى المُدِيرُ بِمُقْلَتَيْهِ غَزَالاَ

يَسْقِيكَ بِالعَيْنَيْنِ كَأْسَ صَبَابَةٍ ... ويُعِيدُهَا مِنْ كَفِّهِ جِرْيَالاَ[2]

وتذكرتُ ما رأيتُه في الشريشي الكبير على المقاماتِ، قالَ: "كانَ لسليمانَ بن وهبٍ نديمٌ يأنسُ به، فعربدَ عليهِ ليلةً فاطرحَه وجفاهُ. فوقفَ له يوماً في الطريقِ، فلما مرَّ به وثبَ عليهِ، ثم قالَ له: أيها الوزيرُ، ألا تكونُ في أمري كما قالَ عليُّ بنُ الجَهم:

القَوْمُ إخْوَانُ صِدْقٍ بيْنَهُمْ نَسَبٌ ... مِنَ المَوَدَّةِ لَمْ يُعْدَلْ بِهِ نَسَبُ

تَرَاضَعُوا دَرَّةَ الصَّهْبَاءِ بَيْنَهُمُ، ... فَأَوْجَبُوا لِرَضِيعِ الكَأْسِ مَا يَجِبُ

لاَ يَحْفَظُونَ عَلَى السَّكْرَانِ زَلَّتَهُ ... وَلاَ تَرِيبُكَ مِنْ أَخْلاَقِهِمْ رِيَبُ

فقال: «قد رضيتُ رضىً صحيحاً فعدْ لِشأنِكَ»[3]. وقولُهُ: فَأَوْجَبُوا إلخ..، ينظرُ قولِ الآخرِ[4]:

إِذَا لَمْ يَكُنْ سُكْرٌ يُضِلُّ عَنِ الهُدَى ... فَسِيَّانِ مَاءٌ فِي الزُّجَاجَةِ وَالخَمْرُ

---

[1] ـ في الأصل: ريقه، وهو غلط هنا. وفي ديوان ابن سناء: لحظه.

[2] ـ الجريال: الخمر الشديدة الحمرة..(اللسان: جرل).

[3] ـ الشريشي الكبير 153/1.

[4] ـ البيتان في الغيث المسجم 269/2.

وما ألطفَ ما استعملَ العربدَة أبو محمدٍ ابنُ صارةَ في قولهِ في حديقةٍ:

وَحَدِيقَــــةٍ مِـــنْ نَرْجِـــسٍ وَبَهَـــارِ رَفَعَــتْ لِـــوَاءَ الحُسْـــنِ لِلنُّظَّـــارِ
فَكَأَنَّمَـــا هَـــذَا ضُحًـــى مُتَهَلِّـــلٌ وكَأَنَّمَـــا هَـــذَا أَصِيـــلُ نَـهَـــارِ
أَخَــوَانِ أُمُّهُمَـا مَعــاً شَـمْسُ الضُّحَـى وَأَبُوهُمَـــا قَمَـــرُ السَّمَـــاءِ السَّـــارِي
شَـرِبَا سُـلاَفَ القَطْـرِ حَتَّـى عَرْبَـدَا وتَرَاجَمَـــا بِكَـوَاكِـــبِ الأَزْهَـــارِ
وَاسْتَوْدَعَـــا خَبَرَيْهِمَـــا نَفَسَ الصَّبَـــا فَـــأَذَاعَ مَـــا كَتَمَـــا مِـنَ الأَسْـــرَارِ

المعانـــي

عبَّرَ بالواو في قولِه: وفُؤادي. وقالَ بعضُ أصحابِنا: إنَّ التعبيرَ بالفاءِ أحسنُ، وهو ظاهرٌ، لما فيهِ من إيذانِ الفاءِ بالترتُّبِ على ما قبلَها، فبسبب سُكرِ جفونِه وعربدتِه، لا يَنتبهُ فؤادي من رقدةِ سُكره. وأمَّا الواوُ فلا تخلُصُ في هذا المحلِّ من قلقٍ.

وفي معنًى ما نَظمَهُ قولُ بعضِهم:

لاَ يُفِيـــقُ الفُـــؤَادُ مِـنْ سكْـرَةِ العِشْــ ـــقِ، وقَصْـــدُ الفُـــؤَادِ ألاَّ يُفِيقَـــا

آخــــر:

زَادَكَ السَّاقِـــي عَلَـــى مَـــا يُقْـــدَرُ أَنْـتَ إِنْ لَـــمْ تَصْـــحُ أَصْـــلاً تُعْـــذَرُ

أشارَ هذا الشاعرُ للمقدارِ المحدودِ في الشربِ. وقد اختلفَ علماءُ الخلاعةِ في ذلكَ. والصوابُ ما اختارَهُ أبو نواسٍ لأنهُ العلمُ المشهورُ في فنِّ المُجون[1]:

---

[1] ـ الأبيات في ديوان أبي نواس 485.

سَـــأَلْتُ أَخِـــي أَبَـــا عِيسَـــى وَجِبْرِيـــلٌ لَـــهُ فَضْـــلُ
فَقُلْـــتُ: الخَمْـــرُ تُعْجِبُنِـــي، فَقَـــالَ: كَثِيرُهَـــا قَتْـــلُ
فَقُلْـــتُ لَـــهُ: فَقَـــدِّرْ لِـــي، فَقَـــالَ، وَقَوْلُـــهُ فَصْـــلُ:
رَأَيْـــتُ طَبَائِـــعَ الإِنْسَـــانِ أَرْبَعَـــةً هِـــيَ الأَصْـــلُ
فَـــأَرْبَعَـــةٌ لأَرْبَعَـــةٍ لِكُـــلِّ طَبِيعَـــةٍ رِطْـــلُ

البيـــان

استعارَ العربدة للفتورِ الذي كلَّتْ عيناه عنْ حملِهِ، كأن العيْنينِ سكرانُ طافحٌ، أو شاربٌ مُعربدٌ. وهذه الاستعارةُ من ألطفِ الاستعاراتِ. وكذلكَ إسنادُه للفؤادِ عدمَ الصَّحوِ من خمرةِ المحبةِ فيهِ من الحلاوةِ ما لاَ يعبَّر عنهُ. ولقد كانَ ابنُ سهلٍ، فيما يظهرُ من كلامِه، عَفَّ الإزارِ. وانظرْ قولَه في الرَّائيَّةِ[1]:

وَأَبَـــى عَفَافِـــيَ أَنْ أُقَبِّـــلَ ثَغْـــرَهُ وَالقَلْـــبُ مَطْـــوِيٌّ عَلَـــى جَمَرَاتِـــهِ

ولا يبعدُ أن يكونَ ذلكَ فيهِ طبيعةً. وقالَ ابنُ القاضي في شرحهِ أبياتَ الذهبي. لمَّا تكلَّمَ على عفافِ ابنِ سهلٍ: ولعلهُ صناعةٌ فيهِ لا طبيعةٌ، [وهذا[2]] فيهِ تَوريكٌ[3] وتحاملٌ، وإلاَّ فأيُّ مانعٍ يَمنعُ أن يكونَ العفافُ لهُ سَجيةً، والعفافُ يكونُ في سائرِ العربِ والعَجَمِ!

البديع

فيه السُّهولة[4]، وذَكرَها التّيفاشي مضافةً إلى بابِ الظرافةِ. قالَ الخفاجي في سرِّ الفصاحةِ:

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 349.

[2] ـ زيادة من (ج).

[3] ـ التوريكُ هنا: إساءة الظن، ففي القاموس (ورك): ورَّك الذنبَ عليه توريكاً: حملَه، "والتوريكُ في اليَمين، نيةٌ ينويها الحالفُ غيرَ ما نواه مُستحلِفه".

[4] ـ أخذ الإفراني الكلامَ على السهولة هنا من خزانة الأدب 554. انظر كذلك سر الفصاحة 218.

السهولةُ خُلوصُ اللفظِ من التَّكلفِ والتَّعقيدِ، ومن أمثلتِهِ قولُه:

أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَنِّي إِذَا مَا تُبْتُ عَنْ لَيْلَى تَتُوبُ
فَهَا أَنَا تَائِبٌ عَنْ حُبِّ لَيْلَى فَمَا لَكَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ تَذُوبُ

ومن السُّهولةِ، ما يُحكى أن أبا الخطابِ السعدِي أنشدَ موسَى الهادِي شِعرَهُ الذي مدحَهُ بِهِ:

يَا خَيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كَفَّاهُ حِجْزَتَهُ وَخَيْرَ مَنْ قَلَّدَتْهُ أَمْرَهَا مُضَرُ

فقالَ موسَى: إلاَّ، يا بائسُ. فقالَ أبو الخطابِ واصلاً كلامَه بكلامِه:

إِلاَّ النَّبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَهُ فَخْراً، وَأَنْتَ بِذَاكَ الفَخْرِ تَفْتَخِرُ

فَنظرُوا في صحيفَةِ القصيدةِ، فلمْ يَجدوا البيتَ فيها، فَعلِموا أنهُ ارتجلَهُ، وأضعَفَ لهُ في الصلةِ.

وضدُّ السهولةِ هو التعقيدُ، والتَّعسفُ بالألفاظِ الوحشيةِ. ومن ذلكَ ما رأيتُه في بُغيةِ الآمِلِ في ترتيبِ الكامِلِ، أنَّ ابنَ زرقاءَ، وكانَ يرتكبُ في كلامِه اللُّغةَ المُتقعِّرةَ، أكلتْ أمُّه طيناً، فضعُفتْ معدتُها واصفرَّ وجهُها، فكتبَ رقعةً يطلبُ من الناسِ الدعاءَ لها، وطرحَها في المسجدِ. فكانَ لا يقرأُ أحدٌ[1] الرقعةَ إلا لعَنَه، ودعا على أمِّه ألاَّ تُعافَى. ونصُّ الرقعةِ: "الحمدُ للهِ، صينَ امرؤٌ[2]، ورُعيَ امرؤٌ دعَا لإمرأةٍ مُقْسَئِنَّةٍ، أُولعتْ بأكلِ الطَّرْمُوثِ، فأصابَها منهُ اسْمِيلالٌ، أن يَهبَ اللهُ لها اطْرِغْشَاشاً وادْرِعْشَاشاً"، انتهى. والاسْميلالُ: ضعفُ المعدةِ.

---

[1] ـ في الأصل: أحدا، وهو غلط.
[2] ـ في الأصل: امرؤا، وهو غلط.

والطرموثُ: الطينُ. والمُقسبنَّةُ: الهرمَـةُ مـن الكـبرِ. واطْرَغَـشَّ[1] وادْرَعَـشَّ[2]: بَـرأَ مـن المَــرضِ.

الإعراب

أخذَ: فعلٌ ماضٍ. و **عيناهُ**: فاعلُـهُ. و **العَرْبَدَةُ**: مفعولُ أخذ. أي تنـاولت[3] عينـاهُ العربـدَةَ منها، أي مـن رحيقِ ثغرهِ. ويصـحُّ أنْ يُنصـبَ (**عَيْنَـاهُ**) مفعولاً، وتُرفـعَ (**العربـدةُ**) فـاعلاً، ويكون الأخذ بمعنى الإيقاعِ، وهذا أَظهر.

والواوُ في قولِه: وفؤادِي، سلفَ الكلامُ عليها. ذكرتُ بـالواوِ مـا رأيتُـه فـي درَّةِ الغـواصِ للحريري عن "ثعلبٍ قالَ: أنشدني ابنُ الأعْرابي في أماليهِ:

تَفرَّقَــتْ غنَمِــي، يوْمــاً، فَقُلْــتُ لَهَــا: يَــارَبِّ، سَلِّطْ عَلَيْهَــا الذِّئْــبَ والضَّبُعَــا

فَسألتُه حينَ أنشدنيهِ: أدعا لها أم عليها؟ فقالَ: إن أرادَ أن يُسلِّطا في وقـتٍ واحدٍ فقدْ دعـا لها، لأنَّ الذِّئبَ يمنعُ الضبعَ، والضبعَ تدفعُ الذئبَ فَتَنْجُو هيَ، وإن أرادَ أن يسلِّطَ عليها الذئـبُ في وقتٍ آخرَ، فقد دعا عليْها"[4]. انتهى.

وَ **فُؤادي**: مبتدأ، وسُكرُه: بدلٌ منه. وجُملةُ "**ما إنْ يُفِيقْ**": خبرٌ.

---

[1] ـ القاموس المحيط (طرعش).

[2] ـ المصدر السابق (درعش).

[3] ـ في الأصل: تناول، وفي (ج): تناولت.

[4] ـ دُرة الغواص 44.

فَـاحِمُ اللِّمَّـةِ مَغْسُـولُ اللَّمَـى   سَـاحِرُ الغُنْـجِ شَـهِيُّ اللَّعَـسِ

اللغــة

الفاحِمُ: الأسودُ بيِّنُ الفُحومةِ.

واللِّمَّة بالكسرِ: ما نزلَ عنْ شَحْمَةِ الأذنِ. والجُمَّةُ: مُجتمعُ شعرِ الرأسِ الواصلِ للمَنْكِبينِ. والوفرةُ ما بلغَ شحمةَ الأذنِ. هذا قولُ جُمهورِ أهلِ اللغةِ، وهو الذي ذكرَه صاحبُ المحكمِ والنهايةِ والمَشارقِ وغيرُهم. ونظمَ ذلكَ الشيخُ علي الأجهوري في شرح لاميةِ العراقي فقالَ:

الوَفْـرَةُ: الشَّـعْرُ لِشَحْمَـةِ الأُذُنْ   وَجُمَّـةٌ: إنْ هِـيَ لِمَنْكِـبٍ تَكُـنْ
وَسَـمِّ مَـا بَيْنَهُمَـا بِاللِّمَّـةِ   قَدْ قَـالَ ذَا جُمْهُـورُ أَهْـلِ اللُّغَـةِ

والمغسولُ: من العسلِ، لعابُ النحلِ، أو طلٌّ خفي يقعُ على الزهرِ فيلقُطُه النحلُ. وقولُه تعالى "فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ"[1]. اعترضه الملاحدة، دمرهم اللهُ، بأن العسلَ مضر بالصفراء، مُهيجٌ للمرارِ، فكيفَ يكونُ شفاءً للناس؟ والجوابُ أنهُ تعالى لم يقُلْ: شفاءٌ لكلِّ الناسِ، بلْ قالَ: شفاءٌ للناسِ، ويكفي أن كلَّ معجونٍ لا يتمُّ تركيبُه إلاَّ بالعسلِ. وذهبَ قومٌ من أهلِ الجهالةِ إلى أنَّ المرادَ بهذه الآيةِ: أهلُ البيتِ بنو هاشمٍ، وأنهم النحلُ، والشرابُ القرآنُ والحكمةُ. وذكرَ هذا بعضُهُم في مجلسِ أبي جعفرٍ المنصورِ، فقالَ رجلٌ من الحاضرينَ: جعلَ اللهُ طعامَكَ وشرابَكَ مِمَّا يخرُجُ من بطونِ هاشمٍ، فضحِكَ مَنْ بالمجلِسِ.

---

[1] ـ صلةُ الآيةِ: "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ". (سورة النحل 69/16).

واللَّمَى، قالَ في القاموسِ: "مُثلَّثةُ اللاَّمِ: سُمرةٌ في الشَّفةِ أو شربةُ سوادٍ فيها. لمِيَ كرَضِيَ"[1].

والسِّحْرُ: عرَّفهُ ابنُ عرفةَ في شامِلِه الكلامي، فقالَ: أمرٌ خارقٌ للعادةِ مُطَّردُ الارتباطِ بسببٍ خاصٍّ بهِ. قالَ: وزَعَمَ القرافي أنهُ غيرُ خارقٍ للعادةِ، وغرابتُه إنما هيَ بجهلِ أسبابِه لأكثرِ الناسِ. وما أحلَى قولَ ابنِ خطيبِ دَارِيَّا في السِّحرِ الحلالِ:

تَصَفَّحْتُ دِيوَانَ الصَّفِيِّ فَلَمْ أَجِدْ ... لَدَيْهِ مِنَ السِّحْرِ الحَلاَلِ مَرَامِي
فَقُلْتُ لِقَلْبِي: دُونَكَ ابنَ نُبَاتَةٍ ... وَلاَ تَقْرَبِ الحِلِّيَّ فَهْوَ حَرَامِي

والغُنْجُ، قالَ ابنُ القوطيةَ: "غَنَجَتِ الجَارِيَةُ غُنْجاً: حَسُنَ شَكْلُهَا"[2]، قالَ في القاموس: "الغُنجُ بالضمِّ وبضمتَّين: الشَّكْلُ"[3]. وقالَ في مادة الشَّكْلِ: "والشَّكلُ بالفتحِ والكسرِ: غُنْجُ المرأةِ، ودلُّها وغزَلُها"[4]. ويَعني بهِ واللهُ أعلمُ، تمايُلَها وتَشهِّيها واستدعاءَها[5] بلحظِها رَمْزاً وغمْزاً.

والشَّهِيُّ: المُشتهَى، يقالُ شيءٌ شهيٌّ، أيْ: مُشتهًى.

واللَّعَسُ: سوادُ مُستحسنٌ في الشفةِ، لعِسَ كفرِحَ. والنعتُ ألعسُ. وجاريةٌ لَعْساءُ: في لونِها أدْنَى سوادٍ، ومشربةٌ من الحمرةِ[6].

---

[1] ـ القاموس المحيط (لمي).
[2] ـ كتاب الأفعال (غنج) ص 198.
[3] ـ القاموس المحيط (غنج).
[4] ـ المصدر السابق (شكل).
[5] ـ في الأصل: استدعاؤها، وهو غلط.
[6] ـ القاموس المحيط (لعس).

المعنى

ضمَّن هذا البيتَ أشياءَ من محاسنِ الظبْيِ، فوصفَهُ بحلَكِ الشعرِ، وأنهُ لِشدةِ اسودَادِه كالفحمةِ. قالَ بكرُ بنُ النَّطَّاحُ[1]:

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ شَعْرَهَا ... وتَغِيبُ فِيهِ وَهْوَ فَحْمٌ أَسْحَمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ ... وكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمُ

ابنُ المعتزِ[2]:

مَهْضُومَةُ الكَشْحِ، وجهُهَا قَمَرٌ ... تَنْشَقُّ عَنْهُ حَنَادِسُ الظُّلَمِ
دَعَتْ خَلاَخِيلَهَا ذَوَائِبَهَا ... فَجِئْنَ مِنْ قَرْنِهَا إِلَى القَدَمِ

ولَهُ[3]:

سَقَتْنِيَ فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا ... شَبِيهَةَ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ لِلشَّعْرِ وَالدُّجَى ... وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَخَدٍّ حَبِيبِ

أخذهُ أبو الطيبِ[4]:

كَشَفَتْ ثَلاَثَ ذَوَائِبَ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ، فَأَرَتْنَا لَيَالِيَ أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

---

[1] ـ البيتان في نهاية الأرب 19/2، ومنطق الطير.
[2] ـ ديوان ابن المعتز 350/1 (تحقيق السمرائي).
[3] ـ ديوان ابن المعتز 40/2 (تحقيق السمرائي).
[4] ـ ديوان المتنبي 107.

وتذكَّرتُ به البيتينِ المشهورين، وهما[1]:

رَأَتْ قَمَـــرَ السَّـــمَاءِ فَأَذْكَرَتْنِـــي لَيَـــالِيَ وَصْلِهَـــا بالرَّقْمَتَيْـــنِ
كِلانَـــا نَـاظِـــرٌ قَمَـــراً، ولكِـــنْ رَأَيْـــتُ بِعَيْنِهَـــا وَرَأَتْ بِعَيْـــنِي

ورأيتُ في نفحِ الطيبِ أنَّ أبا الحَسنِ ابنَ فرحونٍ نزيلَ طيبةَ، لمَّا وردَ تلمسانَ، سألَهُ[2] ابنُ حكمٍ عن معنَى البيتينِ، ففكَّرَ ثمَّ قالَ: لعلَّ هذا الرجلَ: كانَ ينظرُ إليها، وهيَ تنظرُ إلى قمرِ السماءِ، فهيَ تنظرُ إلى القمرِ حقيقةً، وهو لِفرْطِ استحسانِهِ يرَى أنها الحقيقةُ. فقدْ رأى بعينِها لأنها ناظرةٌ الحقيقةَ، وأيضاً فهوَ ينظُرُ إلى قمرٍ مَجازاً. وهو لفرطِ استحسانِهِ لهَا يرَى أنَّ قمرَ السماءِ هو المجازُ، فقدْ رأتْ بعينِه لأنها ناظرةٌ المجازَ. قلتُ: ومن هنا تعلمُ وجهَ الفاءِ في قولِه: فَأَذْكَرَتْنِي، لأنَّهُ[3] لما صارتْ رُؤْيَتُها رُؤْيَتَهُ، وصارَ القمرُ حقيقةً إياها، كانَ قولُه:

رَأَتْ قَمَـــرَ السَّمَـــاءِ فَـأَذْكَرَتْنِـــي

بمثابةِ قولِكَ: أَذْكَرَتْنِي... فتأملْه، فإن بعضَ من لا يفهمُ كلامَ الأستاذِ حقَّ الفهمِ يُنشِدُهُ: وَأَذْكَرَتْنِي.. فالفاءُ في البيتِ الأولِ مبنيةٌ على معنَى البيت الثاني، لأنها مبنيةٌ عليهِ. وهذا النحوُ يُسمى الإيذان في علمِ البَيانِ[4]، انتهى.

وممَّا ينخرطُ في ذكرِ الشعرِ، ما ذكرَهُ ابنُ بسَّامٍ في الذخيرةِ[5] أن المعتمدَ بن عبادٍ، مشتْ بينَ يديْهِ يوماً بعضُ جواريهِ، وعليها ثوبٌ شفافٌ، لا يكادُ يفرقُ بينه وبينَ جسمِها، فأمرَ

---

[1] ـ البيتان في حلبة الكميت 342، ونفح الطيب 5/226-227، والأنيس المطرب 213. ونسبُهما في ديوان الصبابة 230 للمستوفي الإربلي، وفي تزيين الأسواق 490 لابن المستوفي.

[2] ـ نفح الطيب 5/226.

[3] ـ في الأصل: لأنها، وأثبتنا ما في نفح الطيب 5/226.

[4] ـ نفح الطيب 5/226-227 بتصرف طفيف.

[5] ـ القصة في نفح الطيب 3/233-234 كذلك، مع ستة أبيات للنحلي.

بسكْبِ ماءِ الوردِ عليْها، فَلَصِقَ الثوبُ بِجِسمِها فأنشدَ:

مَـنْ لِـي بِسَاحِـرَةِ الجُفُـونِ غَرِيـرَةٍ   تَخْتَـالُ بَيْـنَ أَسِنَّـةٍ وَبَوَاتِـرِ

فَعجَزَ عنِ الزيادةِ، فدفعَ البيتَ لمملوكٍ، وقالَ: انظرْ مَنْ بالبابِ من الشعراءِ، فوجدَ النَّحليَّ، فزاد عليهِ وقالَ:

رَاقَـتْ مَحَاسِنُهَـا وَرَقَّ أَدِيمُهَـا   فَتَكَـادُ تُبْصِـرُ بَاطِنـاً مِـنْ ظَاهِـرِ
يَنْـدَى بِمَـاءِ الـوَرْدِ مُسْبَـلُ شَعْرِهَـا   كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِـنْ جَنَـاحِ الطَّائِـرِ

فاستحسنَها المعتمدُ، ودعاهُ وقالَ لهُ: أكنتَ مَعنا؟ فقالَ لهُ: يا قائِلَ المَحلِ، ألمْ تسمعْ "وأوحَى ربُّكَ إلى النَّحْلِ"[1]. ونكَّتَ الثعالبي على النَّحلي في الاستشهادِ بالآيةِ، قالَ: "وذلكَ منه هفوةٌ". والصوابُ أنهُ اقتباسٌ جائزٌ، إذ الوحيُ في الآيةِ بمعنى الإلهامِ. وما أحلَى قولَ ابنِ آجرومٍ:

مَـا شَانَـهُ شَيْئـاً حِلاقَـةُ رَأْسِـهِ   بَـلْ زَادَ أَضْعافـاً بِـذَاكَ جَمَالُـهُ
والشَّمْـعُ أَضْـوأُ مَـا يَكُـونُ ضِيَـاؤُهُ   لِلنَّاظِرِيـنَ إذا يُقَـطُّ ذُبَالُـهُ

آخـرُ[2]:

حَلَقُـوا رَأْسَـهُ لِيَكْسِـبَ قُبْحـاً   غَـيْرَةً مِنْهُـمُ عَلَيْـهِ وَشُحَّـا
كَـانَ قَبْـلَ الحِـلاقِ لَيْـلاً بَهِيمـاً   فَمَحَـوْا لَيْلَـهُ وَأَبْقَـوْهُ صُبْحَـا

ابنُ نباتةَ[3]:

---

[1] ـ سورة النحل 68/16.

[2] ـ البيتان في ديوان الصبابة 45، والشريشي الكبير 146/1.

[3] ـ ديوان ابن نباتة 58.

أَيُّهَا العَاذِلُ الغَبِيُّ تَأَمَّلْ ... مَنْ غَدَا فِي صِفَاتِهِ القَلْبُ ذَائِبْ
وَتَعَجَّبْ لِطُرَّةٍ وَجَبِينٍ ... إِنَّ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ عَجَائِبْ

وله مُضمناً[1]:

أَفْدِي الذِي جَبِينُهُ وَشَعْرُهُ ... طُرَّةُ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى

ووصَفَهُ أيضاً بأنهُ معسولُ المَراشفِ. وقدْ أكثرَ الشعراءُ في ذلكَ، ومنهُ:

وَفِي أَرْضِ الجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي ... بِمَعْسُولِ المَرَاشِفِ كَوثَرِيِّ

وهذا البيتُ من قصيدةِ الشيخِ حَسن بنِ علي الفَكُّون القُسَمطيني، أحدِ أشياخِ العبدري[2] صاحب الرحلةِ، وهي قصيدةٌ ضمَّنها ذكرَ البلادِ التي رآها في ارتحالِه من قُسمطينَةَ إلى مُراكشَ، وأولها:

أَلاَ قُلْ لِلسَّرِيِّ ابْنِ السَّرِيِّ ... أَخِي البَدْرِ الجَوَادِ الأَرْيَحِيِّ[3]

---

[1] - ديوان ابن نباتة 96، وتزيين الأسواق 465.

[2] - هذا وهمٌ نقله الإفراني عن المقري في نفح الطيب، وقد صحَّحه الدكتورُ إحسان عباس في الحاشية، فقالَ: "وهِمَ المقري هنا، إذ إن العبدري لما حلَّ بمدينةِ قسنطينة سأل من لقيه (وهو الحسن بن بلقاسم بن باديس) عن الأديب أبي علي بن عمر القسمطيني المعروف بابن الفكون، فذكر ابن بلقاسم أنه أدرك الفكون وهو طفل صغير، ولكنه لا يحفظ عام ولادته أو وفاته. قال العبدري: ورُمت أن أجد من يروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش فلم أجده، فقيدتها هنالك غير مروية، وكان القسنطيني كتب بها إلى أبي البدر ابن مردنيش (رحلة العبدري 30، وأثبت القصيدة هنالك ص 30-31، وقد عارض العبدري هذه القصيدة بقصيدة أثبتها في آخر رحلته". النفح 483/2 قلت: وقصيدة العبدري في نفح الطيب 483/2-484، وقد رجعت إلى رحلة العبدري ج:1 فتأكد لي ما ذكر الدكتور إحسان عباس.

[3] - يقصد أبا بدر ابن مردنيش المذكور في الحاشية السابقة.

ومنها:

وكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ طُرّاً … سِوَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو غَيْرُ شَيِّ
فَلَمَّا جِئْتُ مِيلَةَ[1] خَيْرَ دَارٍ … أَمَالَتْنِي بِكُلِّ رَشاً أَبِيِّ
وكَمْ أَوْرَتْ ظِبَاءُ بَنِي وِرَارٍ[2] … أُوَارَ الشَّوْقِ بِالرِّيقِ الشَّهِيِّ
وَجِئْتُ بِجَايَةَ فَجلَتْ بُدُوراً … يَضِيقُ بِوَصْفِهَا حَرْفُ الرَّوِيِّ
وَفِي أَرْضِ الجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي … بِمَعْسُولِ المَرَاشِفِ كَوثَرِيِّ
وَفِي مِلْيَانَةٍ قَدْ ذُبْتُ شَوْقاً … بِلِينِ العِطْفِ وَالقَلْبِ القَسِيِّ
وَفِي تَنَسٍ نَسِيتُ جَمِيلَ صَبْرِي … وَهِمْتُ بِكُلِّ ذِي وَجْهٍ وَضِيِّ
وَفِي مَازُونَةٍ مَا زِلْتُ صَبّاً … بِوَسْنَانِ المَحَاجِرِ لَوْذَعِيِّ
وَفِي وَهْرَانَ قَدْ أَمْسَيْتُ رَهْناً … بِظَامِي الخِصْرِ ذِي رِدْفٍ رَوِيِّ
وَأَبْدَتْ لِي تِلِمْسَانٌ بُدُوراً … جَلَبْنَ الشَّوْقَ لِلقَلْبِ الخَلِيِّ
وَلَمَّا جِئْتُ وَجْدَةَ هِمْتُ وَجْداً … بِمُنْخَنِثِ المَعَاطِفِ مَعْنَوِيِّ
وَحَلَّ رَشَا الرِّبَاطِ رِشَا رِبَاطِي … وَتَيَّمَنِي بِطَرْفٍ بَابِلِيِّ
وَأَطْلَعَ قُطْرُ فَاسٍ لِي شُمُوساً … مَغَارِبُهُنَّ فِي قَلْبِ الشَّجِيِّ
ومَا مَكْنَاسَةٌ إلاَّ كِنَاسٌ … لأَحْوَى الطَّرْفِ ذِي حُسْنٍ سَنِيِّ
وَإِنْ تَسْأَلْ عَنْ أَرْضِ سَلاَ فَفِيهَا … ظِبَاءٌ صَائِدَاتٌ لِلْكَمِيِّ
وَفِي مُرَّاكُشٍ، يَا وَيْحَ قَلْبِي … أَتَى الوَادِي فَطَمَّ عَلَى القَرِيِّ
بُدُورٌ بَلْ شُمُوسٌ بَلْ صَبَاحٌ … بَهِيٌّ فِي بَهِيٍّ فِي بَهِيِّ

---

[1] ـ في الأصل: بلة، والتصويب عن رحلة العبدري 34، ونفح الطيب 483/2، و"ميلة: مدينة على أربع مراحل من قلعة بني حماد". (الروض المعطار 569).

[2] ـ في الأصل: وراء، والمثبت عن رحلة العبدري 34، ونفح الطيب 483/2.

أَبَحْنَ مَصَارِعَ العُشَّاقِ لَمَّا سَعَيْنَ بِهِ، فَكَمْ مَيْتٍ وَحَيِّ
بِقَامَةِ كُلِّ أَسْمَرَ سَمْهَرِيٍّ وَمُقْلَةِ كُلِّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيِّ
إِذَا أَنْسَيْنَنِي حَسَناً فَإِنِّي أُنَسِّيهِمْ هَوَى غَيْلاَنَ مَيِّ
فَهَا أَنَا قَدْ تَخِذْتُ الغَرْبَ دَاراً، وَأُدْعَى اليَوْمَ بِالمُرَّاكُشِيِّ
عَلَى أَنَّ اشْتِيَاقَكَ نَحْوَ زَيْدٍ كَشَوْقِكَ نَحْوَ عَمْرٍو بِالسَّوِيِّ
تَقَسَّمَنِي الهَوَى شَرْقاً وَغَرْباً، فَيَا لِلْمَشْرِقِيِّ المَغْرِبِيِّ
فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ عَانٍ وَجِسْمٌ حَلَّ بِالغَرْبِ القَصِيِّ
فَهَذَا بِالغُدُوِّ يَهِيمُ غَرْباً وَذَاكَ يَهِيمُ شَرْقاً بِالعَشِيِّ
وَلَوْلاَ اللَّهُ مِتُّ هَوًى وَشَوْقاً وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيِّ

ووصفه أيضاً بسحر الغنج المتقدّمِ تفسيرُه. والمعهودُ وصفُ اللحظِ بهِ. وفيهِ نُظمتِ المقطعاتُ. ومنها قولُ ابن نُباتةَ[1]:

وَأَغْيَدَ جَالَتْ فِي القُلُوبِ لِحَاظُهُ وَأَشْهَرَتِ الأَجْفَانَ مُقْلَتُهُ الوَسْنَى
أَجِلْ نَظَراً فِي حَاجِبَيْهِ وَطَرْفِهِ تَرَ السِّحْرَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى

الوَداعي[2]:

رَمَتْنِي سُودُ عَيْنَيْهِ فَأَصْمَتْنِي وَلَمْ تُخْطِ
وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ بِدْعٍ، سِهَامُ اللَّيْلِ لاَ تُخْطِي

أبو الأصبغ:

---

[1] ـ البيتان في ديوان ابن نباتة، وتزيين الأسواق 467.
وفي الأصل: وأشهرت، وفي (ج) والديوان وتزيين الأسواق: وأسهرت.

[2] ـ البيتان في تزيين الأسواق 467.

وَمَـا أنْـسَ لاَأَنْـسَ المُدَامَـةَ بَيْنَنَـا يُنَاوِلُنِيهَـا، وهْـوَ بِالسِّحْـرِ نَافِـثُ
وَيَجْعَلُ نُقْـلِي رِيقَـهُ [1]بَعْـدَ رَشْفِهَـا فَيَالَكَ مِـنْ طِيـبٍ عَلَـى السُّـكْرِ بَـاعِثُ
فَسُكْرَانِ مِـنْ خَمْرٍ وَمِنْ رَشْفِ رِيقِـهِ، وَبَيْنَهُمَـا مِـنْ سِحْـرِ عَيْنَيْـهِ ثَالِـثُ

أبو عامرٍ:

وَمُهَفْهَـفٍ غَـضِّ الشَّبَـابِ مُنَعَّـمٍ فِيـهِ أَطَلْـتُ إِلَـى الجُنَـاحِ جَنَاحِـي
قَـدْ جَـاءَ يَسْـعَى بِالمُدَامِ، فَقُلْـتُ: لاَ إِنِّـي هَجَـرْتُ تَعَاطِـيَ الأَقْـدَاحِ
لا تَسْقِنِـي رَاحَ الكُـؤُوسِ، وَسَقِّنِـي سِحْـرَ العُيُونِ، يَقُـمْ مَقَـامَ الـرَّاحِ

ومن الناسِ مـن يستحسنُ العيونَ الزُّرَقَ، ويَروِي في ذلكَ حديثاً، وهو: "الزُّرَقُ في العُيونِ يُمْنٌ"[2]. قالَ الوأواءُ الدِّمشقي[3]:

يَـا مَـنْ هُـوَ المَـاءُ فِـي تَكْوِيـنِ خِلْقَتِـهِ وَمَـنْ هُـوَ الخَمْـرُ فِـي أَفْعَـالِ مُقْلَتِـهِ
وَمَـنْ بِزُرْقَـةِ سَـيْفِ اللَّحْـظِ طَـلَّ دَمِـي وَالسَّيْـفُ مَـا فَخْـرُهُ إلاَّ بِزُرْقَتِـهِ
عَلَّمْتَ إِنْسَانَ عَيْنِـي أَنْ يَعُـومَ، فَقَـدْ جَـادَتْ سِبَاحَتُـهُ فِي بَحْـرِ دَمْعَتِـهِ

السَّرِي المَوصلي[4]:

---

[1] ـ في الأصل: ويجعل صدي ريقها، والمثبت عن (ج).
[2] ـ في الشريشي الكبير 133/1: "جاء في حديث عائشة عن النبي..أنه قالَ: الزَّرَقُ في العينينِ يُمن". ولم أعثر على هذا الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، . وأورده السيوطي في الجامع الصغير (طبعة دار الفكر33/2) بخلاف في اللفظ: "الزرقة في العين يُمن".
[3] ـ ديوان الوأواء الدمشقي 65، والشريشي الكبير 38/1، وتزيين الأسواق 467، وفي الأصل: فساحته، وفي الديوان والشريشي: سباحته، وهو الصحيح.
[4] ـ البيتان له في يتيمة الدهر 243/1.

وَقَالُـــوا: بِمُقْلَتِـــهِ زُرْقَـــةٌ   تَشِـــينُ، فَظَـــلَّ لَهَـــا مُطْرِقَـــا
وَهَـلْ يَقْطَـعُ السَّيْـــفُ يَـومَ الوَغَـــى   إِذَا لَـــمْ يَكُـــنْ مَتْنُـــهُ أَزْرَقَـــا

ووصفَه أيضاً بسُمرةِ الشفةِ، وقد أكثروا فيها أيضاً. قالَ كُشاجم:

عـرض بعوضـي القلـوبِ مِـنَ الجَـوَى   لأَبْـرَحَ مِـنْ كَـيٍّ القُلُـوبِ عَلَـى الجَمْـرِ
كَأَنَّ الشِّفَـاهَ اللُّعْـسَ مِنْـهَـا خَوَاتِـــمُ   مِـنَ التِّبْـرِ، مَخْتُـومٌ بِهِـنَّ عَلَـى الـــدُّرِّ

المعانـــي

نسَّقَ هذه الأوصافَ، وقصدَ التلذُّذَ بها، وإلاَّ فهي كما قالَ أبو الطيب[1]:

أَسَامِيـــاً لَـــمْ تَـــزِدْهُ مَعْرِفَـــةً   وَإِنَّمَـــا لَـــذَّةً ذَكَرْنَـــاهَـــا

وفيهِ إيجازُ الحذفِ، لأنَّ أصلَ الكلامِ: هوَ، أيْ الظبيُ الذي سيقَ الحديثُ من أجلِه.

البيـــان

ارتكبَ أن يُضيفَ الصفّةَ للموصوفِ في البيتِ ليتحكَّمَ من المبالغـةِ. وقولُـه: فاحمُ اللِّمـةِ، أي سوداءُ كالفحمِ، ومعسولُ اللَّمى، أي لَماهُ كالعسلِ، وهكذا. ولاَ يَخفَى حسنُ هذا التصـرفِ في التشبيهِ.

البديـــع

فيه التعديدُ، وهو مِنَ الألقابِ البديعيةِ، كما ذكرَهُ الإمامُ فخرُ الدينِ الرازي وغيرُه[2]. قالَ

---

[1] ـ ديوان المتنبي 554.
[2] ـ انظر خزانة الأدب 507.

ابنُ حجةَ: والتعديدُ ايقاعُ أسماء مُنفردةٍ على سياقٍ واحدٍ. ومنهُ قولُه تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ"[1] الآيةُ. ومنهُ قولُ أبي الطيبِ[2]:

الخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالقِرْطَاسُ وَالقَلَمُ

وفيه الجناسُ بينَ اللِّمَّةِ واللَّمَى، وتقدَّمَ مِراراً.

الإعـــراب

فاحمُ اللِّمَّةِ: تقدَّمَ أنهُ خبرٌ عن مبتدأ مُضمرٍ. وفاحمٌ: صفةٌ مشبهةٌ لقصدِ الثبوتِ هنا، وذلكَ هو الفرقُ بينَ اسمِ الفاعلِ والصِّفةِ المشبهةِ. واسمِ الفاعلِ: ما دلَّ على الحدثِ والحُدوثِ وفاعِلِه.

نكـــتة

ذكرتُ هنا باسمِ الفاعلِ واقعةَ أبي عيسى لبِّ بنِ عبدِ الوارثِ القلعي: وذلكَ أنهُ أحبَّ أحدَ أولادِ الأ[عيانِ] ممنْ كانَ يقرأُ عليْهِ. فلمَّا خلاَ بهِ شَكَا إليهِ ما يجدُه. فقالَ لهُ: الصبيانُ يفطنونَ بي، فإذا أردتَ أن تقولَ شيْئاً فاكتُبْهُ في ورقةٍ. فلما سمعَ ذلكَ أبو عيسى تمكَّنَ منهُ الطمعُ فيهِ، وكتبَ لهُ:

يَا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ الوَرَى صِلْ هَائِماً قَدْ ضَلَّ فِيكَ مُحَيَّرَا
وَامْنُنْ عَلَيْهِ بِقُبْلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الهَوَى أَنْ تُؤْجَرَا

---

[1] ـ سورة البقرة 155/2.

[2] ـ ديوان المتنبي 324.

فلمَّا حصلتِ الورقةُ عندهُ، كتبَ لي في غيرِها: أنا من بيتٍ عادةُ أهلِهِ أنْ يكونوا اسمَ فاعلٍ لا اسمَ مفعولٍ، وإنما أردتُ أن يكونَ خطُّكَ شاهداً لي[1] إن اشتكيتُ لأبي بكَ، لِئَلاَّ يقولَ: حَاشَا للهِ أنْ يقعَ الفقيهُ في هذا! فلمْ أزلْ بِهِ، إلى أنْ قالَ لي: إنْ عُدتَ لي بمثلِها أعلمتُ أبي، وتبتُ من ذلكَ الحينِ عن هذا ومِثلِهِ[2].

و**معسولُ اللَّمَى**، وما ذُكرَ بعدهُ، كلُّها أخبارٌ عنِ المبتدأِ المُضمرِ. وفيهِ تعدُّد الخبرِ.

---

[1] ـ في الأصل: شاهدا إلى، وهو غلط.

[2] ـ انظر القصة في نفح الطيب 3/532-533 مرويةً عن الحجازي الذي سمعها عن القلعي مباشرة.

-17-

وَجْهُـــهُ[1] يَتْلُـــو الضُّحَـــى مُبْتَسِمـــاً وَهْـــوَ مِـــنْ إِعْرَاضِـــهِ فِـــي عَبَـــسِ

اللغــة

الوجهُ: مُستقبلُ كل شيءٍ. وما أحلى قولَ ابنِ الصائغِ:

قَـــاسَ الـــوَرَى وَجْـــهَ حَبِيبِـــي بِـــالقَمَرْ بِجَـــامِعِ بَيْنَهُمَـــا، وَهْـــوَ الخَفَـــرْ
قُلْـــتُ: القِيَـــاسُ بَاطِـــلٌ بِفُرقَـــةٍ، وَبَعْدَ ذَا عِنْـدِيَ فِـــي الوَجْـــهِ نَظَـــرْ

وتَلوتُ القرآنَ وغيرَه تِلاوةً: قرأتُه

فائــدة

إنما قالَ الفقهاءُ: سُجودُ التلاوةِ، ولم يقولوا: سجودُ القراءةِ، لأن التلاوةَ أخصُّ من القراءةِ، إذِ التلاوةُ لا تكونُ في كلمةٍ واحدةٍ. والقراءةُ تكونُ فيها. تقولُ: قرأَ اسمَه، ولا تقولُ: تلاهُ. ذكرهُ الشيخُ الخَرَشي.

والضَّحْوَةُ: ارتفاعُ النهارِ. والضُّحَى: فوقه[2]. والضحاءُ بالمدِّ: إذا قَرُبَ انتصافُ النهارِ، قالهُ في القامُوسِ.

والابتسامُ: معلومٌ. والإعراضُ: الصدودُ. أعرضَ عنهُ: صدَّ. وعَبَسَ وجهُهُ يعبِسُ عُبوساً كَلَحَ.

---

[1] - في ديوان ابن سهل 285 :حسنه.
[2] - في القاموس المحيط (ضحو): فويقه.

أن وجهَه لحسنِه كأنهُ شمسُ الضُّحى المُنيرةُ. فهوَ مـن جمالِـهِ الفاتنِ ضـاحكٌ مُبتسمٌ، إلاّ أنهُ من صُدُودِهِ في عُبوسِ. وأوْهَمَ، مع إرادةِ هذا المعنَى، أنهُ يتلو سورةَ الضُّحى[1] في إقبالِه، وهو في سورةِ عَبَسَ[2] منْ صدِّه. ويُضاهي هذا التوهيمَ بسُورِ القرآنِ قولُه[3]:

يَـــا ذَاهِبــــاً فِـــي دَارِهِ جَـائِـيــــاً   مِـــنْ غَيْـــرِ مَعْنَـــى وَ بِـــلاَ فَـائِـــدَهْ
قَـدْ جُـــنَّ أَصْحَابُـــكَ مِـنْ جُوعِهِـــمْ   فَاقْـــرأْ عَلَيْهِـــمْ سُـــورَةَ المَـائِـــدَهْ

القيراطي:

وكَـــمْ سَـــأَلَ العَـــوَاذِلُ عَـــنْ حَدِيثِـــي   فَقُلْـــتُ لَهُـــمْ: عَلَـــى العَهْـــدِ القَدِيـــمِ
وَعَـــمْ يَتَسَـاءَلُـــونَ وَلِـــي دُمُـــوعٌ   تُخَبِّرُهُـــمْ عَـــنِ النَّبَـــأِ العَظِيـــمِ[4]

آخـــرُ:

وكـأنـــي أَقْـــرَا بِحَـــرْفِ أَبِـــي عَمْـــ   ـــرِو عَلَـى القَـومْ سُـــورَةَ الأَنْعَـــامِ
مِحْنَـةٌ تَصْقَـعُ ابْـنَ عَمْـرِو بْـــنِ يَحْيَـــى   فِـي دِمَـــاغِ الأَعْشَـى بِفِعْـــلِ القَطَامِـــي

وفي هذينِ البيتينِ اللقبُ البديعي المُسمَّى بالاستطرادِ، وهو أن تكونَ في غرضٍ منْ أغراضِ الشعرِ تُوهمُ أنكَ مستمرٌّ فيهِ، ثم تخرجُ منهُ إلى غيرِه لمناسبةٍ بينهما. ومن ألطفِه

---

[1] ـ سورة الضحى93/1: "والضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى".

[2] ـ سورة عبس 80/1: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أنْ جَاءَهُ الأعْمَى.."

[3] ـ البيتان في زهر الآداب 307/2 منسوبينِ لأبي الحجاجِ، وفي معاهدِ التنصيص 190/3 لابن الحجاج.

[4] ـ ضمّن هذا البيت بعض ألفاظِ الآيةِ الأولى والثانيةِ من سورة النبأ 78/1-2: "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَأِ العَظِيمِ..".

[3] ـ يقصد أبا بدر ابن مردنيش المذكور في الحاشية السابقة.

قولُ حَسَنٍ:

جَـاوَرْتُ أَجْبَـالاً كَـأَنَّ صُخُورَهَـا وَجَنَـاتُ نَجْـمٍ، ذِي الحَيَـاءِ البَـارِدِ
وَالشَّوكُ يَلْعَـبُ فِـي ثِيَابِـيَ، مِثْلَمَـا فَعَلَ الهِجَـاءُ بِعِـرْضِ عَبْـدِ الوَاحِـدِ

ابنُ المعتز:

وَلَقَـدْ شَرِبْـتُ مُدَامَـةً كَرْخِيَّـةً مَـعْ مَـاجِدٍ طَلْـقِ اليَدَيْـنِ حَمِيـدِ
عُلِيَـتْ بِمَـاءٍ بَـارِدٍ فَكَأَنَّمَـا عُلِيَـتْ بِبَـرْدِ قَصِيـدَةِ ابـنْ سعيـدِ

وَمِنْ غَرِيبِ الاستطرادِ ما وقعَ للشاعرِ المَشهورِ أبي العباسِ أحمدَ العَفْجو[مـي][1] الشهير بالجَوَّاري وعامةُ الغَربِ يقولون: الجرَّاوي، يهجو قومَه بني عَفجومٍ، وهمْ بَرْبَرٌ بِتَادِلاَ مُتوصلاً بذلكَ إلى هجوِ بني المَلجومِ:

يَـا ابـنَ السَّبِيـلِ إِذَا مَـرَرْتَ بِتَـادِلاَ لاَتَنْزِلَـنَّ عَلَـى بَنِـي عَفْجُـومِ
أَرْضٌ أَغَـارَ بِهَـا العَـدُوُّ، فَلَـنْ تَـرَى إِلاَّ مُجَـاوِبَـةَ الصَّـدَى[2] لِلْبُـومِ
قَـوْمٌ طَـوَوْا ذِكْـرَ السَّمَاحَـةِ بَيْنَهُـمْ، لَكِنَّهُـمْ نَشَـرُوا لِـوَاءَ اللُّـومِ

---

[1] ـ في نفح الطيب 502/2: الغفجومي، والزيادة منه.
وعلق عليه الدكتور إحسان عباس في الحاشية بقوله: "هو أبو العباس أحمدُ بن عبد السلام الجراوي (609) دخل الأندلس متردداً عليها، وكان عالماً بالآداب، وقف ابن الأبار على ديوان شعره وألف كتاباً سماه "صفوة الأدب، ونخبة كلام العرب". وكانت وفاتُه بإشبيلية، ولم أجد أحداً سماه بغير الجراوي" ولعله أن يكتب "الكواري" أو"القواري" لأنه يلفظ جيماً مصرية. انظر التكملة 128، وصفحات مختلفة من البيان المغرب (طبعة تطوان 1960)..".
وفي الروض المعطار 569 أن أحمد بن عبد السلام الجراوي الشاعر الباقعةَ التادلي مدح عبد المؤمن وولده يوسف، فيما قيل، ومات عام العقاب (609هـ) واستوطن مدينة فاس، وكان مسلطا على بني الملجوم، واستطرد بهجاء قومه وبلده إليهم. ثم أورد له ثلاثة أبيات من هذا الهجاء.
[2] ـ نوع من البوم يأوي إلى الأماكن الخراب.

قَـومٌ طَـوَوْا ذِكْـرَ السَّمَاحَــةِ بَيْنَهُــمْ، لَكِنَّهُــمْ نَـشَــرُوا لِــوَاءَ اللُّــومِ
لاَحَــظَّ فِــي أَمْـوَالِـهِــمْ وَنَـوالِـهِــمْ لِلسَّائِــلِ الـعَافِــي وَلاَ المَحْــرُومِ
لاَ يَمْلِكُــونَ، إِذَا اسْتُبِيــحَ حَرِيمُهُــمْ، إِلاَّ الصُّــرَاخَ بِدَعْــوَةِ المَظْلُــومِ
يَا لَيْتَنِــي مِـنْ غَيْرِهِــمْ، وَلَـوْ أَنَّنِــي مِـنْ أَرْضِ فَـاسٍ، مِـنْ بَنِـي المَلْجُــومِ

وعندي أنَّ أبا العباسِ أخذَ ذلكَ الاستطرادَ من قولِ الشاعرِ القديم[1]:

إِذَا مَا اتَّقَـى اللَّــهَ الفَتَــى وَأَطَاعَــهُ فَلَيْسَ بِـهِ بَـأْسٌ، وَإِنْ كَـانَ مِـنْ جَــرْمِ

وبنو المَلجومِ كانوا، في الزمنِ القديمِ، من وُجهاءِ فاسٍ، ومن أشرافِهم. وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ من المؤرخينَ أن أحدَ قضاةِ فاسٍ من بني الملجومِ بيعَتْ خُرومُ كُتُبه بستةِ آلافِ دينارٍ. قالَ في النفح [2]: وفي ذلكَ دليلٌ على عِظَمِ مكانتِهم.

ولابنِ الرومي[3]:

نَظَــرَتْ فَــأَقْصَدَتِ الفُــؤَادَ بِسَــهْمِهَا ثُــمَّ انْثَنَــتْ عَنْــهُ فَكَــادَ يَهِيــمُ
وَيْـلاَهُ! إِنْ نَظَـرَتْ، وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَــتْ وَقْــعُ السِّهَــامِ وَنَزْعُهُــنَّ أَلِيــمُ

وتذكرتُ قولَ ابنِ السَّاعاتي[4]:

أَيَـا قَمَـراً مِـنْ حُسْـنِ وَجْنَتِــهِ لَنَــا بِظِـلٌ عِذَارَيْــهِ الضُّحَــى وَالأَصَائِــلُ
جَعَلْتُـكَ لِلتَّمْيِيــزِ نَصْبــاً لِنَـاظِــرِي فَهَلاَّ رَفَعْتَ الهَجْـرَ، وَالهَجْـرُ فَاعِــلُ

---

[1] ـ في الأصل: لقي الله..حرم. وكلاهما تصحيف. وفي (ج): لقى الله...جرم.
[2] ـ نفح الطيب502/2.
[3] ـ لم يردا في المتوفر عندنا من ديوان ابن الرومي.
[4] ـ لم نجد البيتين في ديوان ابن الساعاتي، وهما في معاهد التنصيص 151/4 منسوبين لابن أبي الإصبع.

وهذا كقولِ ابنِ يعمورٍ[1]:

وَمَلِيــحٍ تَعَلَّــمَ النَّحْــوَ يُلْقِــي مُشْكِــلاَتٍ مِنْــهُ بِلَفْــظٍ وَجِيــزِ
مَــا تَمَيَّــزْتُ وَجْهَــهُ قَــطُّ إلاَّ قَــامَ أَيْــرِي نصبْــاً عَلَــى التَّمْيِيــزِ

وممَّا يُضاهِي بيتَ الأصلِ قولُ المِعمارِ:

إنْ قَــامَ يَتْلُــو ســورةَ الشَّمْــسِ المُنِــيرَةِ[2] فــي ضُحَاهَــا
يَــا حُسْنَــهُ فَكَــأَنَّــهُ الــقَمَــرُ المُنِيــرُ إذَا تَلاَهَــا

المعانـــي

خصَّ الضُّحى، لأنَّ أشملَ ما يكونُ ضياؤُها رَأْدَ الضحى، ولذلكَ ضُربَ المثلُ بها، وليتمكَّنَ لهُ الإيهامُ فضلَ تمكُّنٍ مع قولِه: في عَبَسٍ. وما أحلى قولَ الوَدَاعِي:

وشَــادِنٍ مِثْــلِ الضُّحَــى وَجْهُــهُ، كَتَمْــتُ عِشْــقِي فِيــهِ خَــوْفَ الرَّقِيــبْ
حَتَّــى بَــدَا لَيْــلُ عِــذَارٍ لَــهُ، فَبُحْــتُ، وَاللَّيْــلُ نَهَــارُ الأرِيــبْ

البيـــان

في قولِه: يتلو، مجازٌ، حيثُ أسندَ التلاوةَ للوجهِ، أو الحُسنِ على ما يُوجدُ في بعضِ النسخِ. وعلى مذهبِ السكاكي ذلكَ من بابِ الاستعارةِ، فيندرجُ في مبحثِ البيانِ. وقد تقدَّم مزيدُ إيضاحٍ لمَذْهبِهِ.

---

[1] ـ هكذا في الأصل و(ج) ومعاهد التنصيص 150/3، ولعله ابنُ يغمور جمال الدين المصري. (انظر في نفح الطيب 368/2).

[2] ـ في الأصل: الشمس له في ضحاها، والمثبت عن (ج).

فيهِ الطباقُ، ويُسمَّى المُقابلةَ، بينَ التبسُّمِ والعُبوسِ. وتقدَّمَ في مواضعَ.

وفيهِ التَّوريةُ بـالضُّحى وعَبَسَ، وهي في الاصطلاحِ أن يذكرَ المتكلمُ لفظاً مُفرداً له مَعنيانِ: قريبٍ وبعيدٍ، فيريدَ البعيدَ، ويُورِّيَ عنهُ بالمعنى القريبِ. وبابُ التوريةِ أعذبُ ثمراتِ الأدبِ. ويكادُ الكلامُ العاري عنْها أن يُلحقَ بأصواتِ البهائمِ، وقد اعتنى أبو بكرٍ ابنُ حجةَ في شرحِ بديعيتِه بها غايةَ الاعتناء، وساقَ فيها مُقطعاتٍ تروقُ السامعَ. ونحنُ نلتقطُ مُستطرفَ جواهرِه كما اقتطفَ هو صَفَدَها[1] من الصلاحِ الصَّفديِ في: فضِّ الختامِ في التوريةِ والاستخدام. قالَ الوَداعي[2]:

إِذا رَأَيْتَ عَارِضاً مُسلْسَلاً ... فِي وَجْنَةٍ كَجَنَّةٍ يَا عَاذِلِي
فَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّنِي مِنْ أُمَّةٍ ... تُقَادُ لِلْجَنَّةِ بِالسَّلاَسِلِ

ولَهُ[3]:

تَعَجَّبُوا لَمَّا رَأَوْا أَدْمُعِي ... بيضاً وَرَاحَتْ كَالدَّمِ القَانِي
لاَ تَعْجَبُوا، طَرْفِيَ رَبُّ الهَوَى ... فَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنِ

ولهُ[4]:

---

[1] ـ الصفد: العطاءُ. (في القاموس المحيط: صفد).
وقد خصص ابنُ حجةَ 140 صفحة من كتابه خزانة الأدب (295-435) للتورية، استقصى فيها النصوص المناسبة من عصور مختلفة، وقد أخذ عن الصفدي وابن نباتة وغيرهما باسطا قواعد التورية.

[2] ـ في خزانة الأدب 339.

[3] ـ البيتان في المصدر السابق 344، وفيه اقتباس من الآية " يسألُهُ مَنْ في السَّماواتِ والأرْضِ كلَّ يومٍ هوَ في شأْنٍ". (سورة الرحمن 29/55)

[4] ـ البيتان في المصدر السابق 345.

كُلَّمَـا رُمْـتُ فِيـكَ إِنْكَـارَ حُبِّـي   مِـنْ عَـذُو[لـي] يَزِيـدُ فـي تَعْنِيفِـي
عَرَّفَتْـهُ لاَمُ العِـذَارِ غَرَامِـي   بِـكَ، والـلاَمُ آلَـةُ التَّعْرِيـفِ

ابنُ نباتة[1]:

يَاغَائِبِيـنَ تَعَلَّلْنَـا لِغَيْبَتِهِـمْ   بطِيـبِ عَيْشٍ، فَـلاَ، وَاللَّـهِ، لَـمْ يَطِـبِ
ذَكَرْتُ، وَالكَأسُ فِـي كَفِّي، لَيَالِيكُـمْ،   فَالكَـأسُ فِـي رَاحَـةٍ، والقَلْبُ فِي تَعَـبِ

ولَـهُ[2]:

قَبَّلْتُـهُ عِنْـدَ النَّـوَى فَتَمَـرَّرَتْ   تِلْـكَ الحَـلاَوَةُ بِالتَّفَـرُّقِ وَالنَّـوَى
ولَثَمْتُـهُ عِنْـدَ القُـدُومِ فَحَبَّـذَا   رُطَـبُ الشِّفَـاهِ السُّكَّـرِيُّ بِـلاَ نَـوَى

ابنُ الوردي:

بِأَبِـي أَعْـوَرُ عَيْـنٍ فَاتِـنٌ   مِثْـلُ بَـدْرِ الثِّـمِّ، والبَـدْرُ بِعَيْـنْ
طَرْفُـهُ الوَاحِـدُ عَضْـبٌ ذَكَـرُ   فَلَـهُ فِي الحُسْـنِ حَـظُّ الأُنْثَيَيْـنْ

ابنُ العطارِ في طاهر[3]:

تَجَاهَـلَ[4] شَافِعِـيٌّ وَمَالِكِـيٌّ   وَهَـذَا البَحْـثُ بَيْـنَ النَّـاسِ ظَـاهِرْ

---

[1] - البيتان في ديوان ابن نباتة 64، وخزانة الأدب 354.
في الأصل: في التعب، وفي ديوان ابن نباتة: في تعب.
[2] - البيتان في ديوان ابنِ نباتة 456.
في الأصل: والنوى، وفي ديوان ابن نباتة: والجوى.
[3] - المقصود: رجلٌ إسمه طاهر.
[4] - في الأصل وفي (ج) تجاهل، ولعل الصواب: تجادل. وهذا الشطر مختل.

فَقَالَ الشّافِعِيُّ: الكَلْبُ نِجْسٌ وقَالَ المَالِكِيُّ: الكَلْبُ طَاهِرْ

ولهُ في شرف الدين عيسى:

عِيسَى ومَنْ مَدَحُوهُ مَا شِمْتُ فِيهِمْ [رَئِيسَا]
ومَا رَأَيْتُ أُنَاساً لَكِنْ حَمِيراً وَعِيسَى

ابنُ أبي حَجَلَةَ مُضمّناً[1]:

قُلْ لِلْهِلاَلِ، وَغَيْمُ الأُفْقِ يَسْتُرُهُ: حكَيْتُ طَلْعَةَ مَنْ أَهْوَاهُ بِالبَلَجِ[2]
لَكَ البِشَارَةُ، فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ

ابنُ الوردي في رجُلٍ يُكنى بالمَجدِ له زوجةٌ تضرٌّ به[3]:

زَوْجَةُ مَجْدِ الدِّينِ وَالِدَاهَا فِي ثَلْمِ عِرْضِ المَجْدِ أَشْبَهَاهَا
إنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي المَجْدِ غَايَتَاهَا

ولهُ:

يَامَنْ غَدَا فِي طِلاَبِ المَجْدِ مُجْتَهِداً لَمْ يَثْنِهِ عَنْهُ لاَ مَالٌ وَلاَ وَلَدُ
لاَ تَبْسُطَنَّ لِتَقْلِيدِ القَضَاءِ يَداً أَيَرْتَضِي رُتْبَةَ التَّقْلِيدِ مُجْتَهِدُ

ولهُ:

---

[1] ـ البيتان في خزانة الأدب 475، ومعاهد التنصيص 178/4.

[2] ـ البلج: طلاقة الوجه وبياضه، وتباعد ونقاوة ما بين الحاجبين.

[3] ـ هكذا ضبطت في الأصل بشدة على الراء.

يَــــا مَـــنْ تَولَّـــى قَاضِيَــــا هَـــذَا قَضَـــاءٌ أَمْ قَـــدَرْ
عُــــذْرُكَ فِـــي نِسْيَـــانِنَـــا أَنَّ القَضَـــا يُعْمِـــي البَصَـــرْ

ابنُ نباتة[1]:

[لَقَـدْ] عُدْنَــا[كُـمُ لَمَّــا] ضَعُفْـتُمْ فَـــلاَ وَاللَّـــهِ مـــا وَافَيْتُمُـــونَا
أَقِيمُـــوا فِـــي ضَنَاكُـــمْ أَوْ أَفِيقُـــوا "فَـــإِنْ عُدْنَـــا فَإِنَّـــا ظَالِمُـــونَ"[2]

ابنُ العفيف[3]:

تَمَشَّـى بِصَحْـنِ الجَـامِعِ الشَّـادِنُ الَّـذِي عَلَـى قَـدِّهِ أَغْصَـانُ بَـانِ النَّقَـا تُثْـنِي
فَقُلْـتُ وقَـدْ لاَحَـتْ حَلاَوَةُ شَكْلِـــهِ: أَلاَ فَانْظُرُوا هَذِي الحَـلاَوَةَ فِـي الصَّحْـنِ

ابنُ تَميمٍ في وكيلٍ بدارِ القاضي[4]:

لاَ تَقْـــرُبِ الشَّـــرْعَ إِذَا لَـــمْ تَكُـــنْ تَخْـــبُرُهُ، فَهْـــوَ دَقِيـــقٌ جَلِيـــلْ
وَوَكِّـــلِ العِـــزَّ الَّـــذِي وَجْهُـــهُ عَلَـــى نَجَـاحِ الأَمْـــرِ أَقْـــوَى دَلِيـــلْ
وَلاَ تَمِـــلْ عَنْـــهُ إِلَـــى غَـيْـــرِهِ وَ "حَسْبُنَـا اللَّـــهُ وَنِعْـــمَ الوكِيـــلْ"

---

[1] ـ نجد البيتين في ديوان ابن نباتة.

[2] ـ سورة المؤمنون 107/23، وتمام الآية: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ".

[3] ـ البيتان في ديوان الشاب الظريف 67.

والشادن: ولدُ الظبيةِ يقوى ويَستغني عن أمه. والنَّقا: القطعةُ من الرمل المحدودبة.

[4] ـ الأبيات في معاهد التنصيص 109/4، وفي الأصل: تجيزه، وفي معاهد التنصيص: تَخبرُه. وفي المصدر السابق أن المدعو بالعز هو وكيل بدار القاضي.

الآية من آل عمران 173/2.

مُحي الدين[1] :

شُكْراً لِنَسْمَةِ أَرْضِكُمْ كَمْ بَلَّغَتْ عَنِّي تَحِيَّهْ
لاَغَرْوَ أَنْ حَفِظَتْ أَحَا دِيثَ الهَوَى، فَهْيَ الذَّكِيَّهْ

وتبِعَهُ الصّفْدي[2] :

يا طيبَ نَشْرٍ هَبَّ لِي مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَثَارَ كَامِنَ لَوْعَتِي وتَهَتُّكِي
أَهْدَى تَحِيَّتَكُمْ، وأَشْبَهَ لُطْفَكُمْ، ورَوَى شَذَاكُمْ، إِنَّ ذَا مِسْكٌ ذَكِي!

وأشَارَ إِلَى هذهِ السرقةُ شِهَابُ الدينِ بنُ أبي حَجلة[3] :

إِنَّ ابْنَ أَيْبَكَ لَمْ تَزَلْ سَرِقَاتُهُ تَأْتِي بِكُلِّ قَبِيحَةٍ وقَبِيحِ
نَسَبَ المَعَانِيَ فِي النَّسِيمِ لِنَفْسِهِ جَهْلاً، فَرَاحَ كَلاَمُهُ فِي الرِّيحِ

مُحي الدين[4]:

لاَ تَسَلْنِي عَنْ أولِ العِشْقِ إِنِّي أَنَا فِيهِ قَدِيمُ هَجْرٍ وَهِجْرَهْ
مِنْ جَبِينِكَ يَا حَبِيبِي أَرَّخْـ ـتُ دُمُوعِي لِمُسْتَهَلٍّ وَغُرَّهْ

الوَراق:

---

[1] ـ في الأصل: مجير الدين، وفي ديوان الصبابة 115 حيث ورد البيتان بعدَه: محي الدين، وهو الصواب، لأنَّ الإفراني دأبَ على استعمال مجير الدين بن عبد الظاهر بدل محي الدين بن عبد الظاهر. (الصفحة 173 الحاشية 3، والصفحة 359 الحاشية 1).

[2] ـ البيتان في ديوان الصبابة 115.

[3] ـ البيتان في المصدر السابق.

[4] ـ في الأصل: مجير الدين، وفي ديوان الصبابة 192 حيث ورد البيتان بعده: ابن عبد الظاهر، وهو الصواب. كما سبق.

أَصُـونُ أَدِيـمَ وَجْهِـي عَـنْ أُنَـاسٍ لِقَـاءُ المَـوْتِ عِنْدَهُـمْ الأَدِيـبُ
وَرَبُّ الشِّعْـرِ عِنْدَهُـمْ بَغِيـضٌ وَلَـوْ وَافَـى بِـهِ لَهُـمْ حَبِيـبُ

الإعـراب

وَجْهُهُ: مبتدأٌ. وجملة "يتلو الضُّحى": خبرُه.

و **مبتسماً:** حالٌ من فاعلِ يتلو.

وذكرتُ بنصبِ(مُبتسم) البيتَ المُتداولَ بينَ الأدباءِ من مُعلقةِ عمرو بنِ كلثوم، وهو:

مُشَعْشَعَـةٌ كَـأَنَّ الحُـصَّ فِيهَـا إِذَا مَـا المَـاءُ خَالَطَهَـا سَخِينَـا

فاختلفوا في وجهِ نَصبِ (سخين)، فيه.[فـ]بادِي الـ[ـرأي] يقولُ: [نُصبَ] على الحالِ. وتخريجُه عندَ المُحققينَ، إمَّا أن يكونَ منَ السُّخونةِ وصفاً لموصوفٍ محذوفٍ، أي فأضْحى شَراباً سَخيناً، أو منَ السَّخاءِ. فإنْ قيلَ: القياسُ على هذا أن يُقالَ: سَخَوْنَا، بالواو. قلتُ نصَّ الجَوهري وغيرُه على أنَّه يقالُ: سَخى يَسْخَى وَيَسْخُو[1].

و **هُوَ:** مُبتدأٌ. **وفي عَبَسَ:** خبرٌ.

و **مِنْ:** صلةُ (عَبَس). وجرَّ(عَبَس) جَرْياً على القاعدة المُقررةِ أن الفعلَ إذا نُسبَ إليه حكمٌ، جازَ فيهِ الإعرابُ والحِكايةُ. ويشبهُ ما في البيتِ قولُ ابنِ الوردي[2]:

---

[1] ـ وردت مناقشة إعراب هذه الكلمة، ورأي الجوهري فيه في خزانة الأدب 296. وفي الصحاح (سخو): "سخا يسخو وسخى يسخى" ومثل ببيت عمرو بن كلثوم.

[2] ـ بقصد سورة النازعات 79 وأولها: "وَالنَّازعاتِ غرْقاً..". وسورة المرسلات 77. وأولُها: "والمُرْسَلاتِ عُرْفاً..". وسورة الإنسانِ 76 وتمام الآيةِ: "هلْ أَتى عَلَى الإنسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً".

وَوَعَـدْتَ أَمْـسِ أَنْ تَـزُورَ فَلَـمْ تَـزُرْ فَغَـدَوْتُ مَسْـلُوبَ الفُـؤَادِ مُشَتَّتَـا
لِي مُهْجَـةٌ فِي "النَّـازِعَـاتِ" وعَبْـرَةٌ فِي "المُرْسَلاَتِ" وفِكْـرَةٌ في "هَلْ أَتَـى"

ولابن نباتة[1]:

ولَقَـدْ تَمُـرُّ الحَادِثَـاتُ عَلَـى الفَتَـى وتَـزُولُ حَتَّـى مَـا تَمُـرُّ بِفِكْـرِهِ
ولَـرُبَّ لَيْـلٍ بِالهُمُـومِ كَـمَّـلٍ صَابَرْتُـهُ حَتَّـى ظَفِـرْتُ بِفَجْـرِهِ

[1] ـ البيتان في ديوان ابن نباتة 225-226، وبينهما بيتان آخران.

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهْوَ المُذْنِبُ[1]

اللغـة

أَيُّهَا: يأتي الكلامُ مُستوفًى عليها في الإعراب. و **السُّؤالُ**: التماسُ الأرَبِ. و **الجُرمُ** بالضَّمِّ: الذنبُ كالجريمة. و **لَدَى**: بمعنَى (عندَ). و **الجزاءُ**: المُكافأةُ على الشيءِ. و **الذنبُ**: الإثْمُ، والجمعُ ذُنوبٌ.

المعنـى

رَجعَ فيهِ للشكايةِ بالظبي، وذلكَ لاشتعال نار جوانحِهِ بعدَ أن كانتْ خامدةً، فضاقَ بها ذرْعاً، فروّحَ نفسَه بمنافثةِ السائلِ الذي سألَه عن سببِ هذا الجفاءِ والهجرانِ، وبأيِّ ذنبٍ استوجبَ هذه القطيعةَ، فقالَ: لو وجدتُ من يُنصفني منهُ، ويأخذُ لي بالحقِّ منهُ، قامتْ عليهِ الحُجةُ أنهُ هو المذنبُ بالتَّجنِّي والإعراضِ، وأما أنا فلا ذنبَ لي إلا الكَلَفُ بهِ.

ولا يخفَى ما في إسنادِ الذنبِ للمحبوبِ منَ الجفاءِ وقلَّةِ التأدُّبِ. وقد عرَّضَ ابنُ الخطيب في [معارضته] بابنِ سهلٍ بقولِهِ[2]:

إنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الأَمَلُ وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوقِ يَذُوبْ
فَهْوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ لَيْسَ فِي الحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبْ

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 285.

[2] ـ البيتان في نفح الطيب 13/7. وهما في موشحة ابن الخطيب في مقدمة الشارح.

آخـــرُ[1]:

وزَعَمْـتَ أَنِّـي ظَالِـمٌ فَـهَجَرْتَنِـي ... ورَمَيْتَ فِـي قَلْبِـي بِسَهْـمٍ نَافِـذِ
ونَعَمْ ظَلَمْتُـكِ فَاعْـذِرِي وتَجَـاوَزِي ... هَـذَا مَقَـامُ المُسْتَجِيـرِ العَـائِـذِ

وما ألطفَ قولَ من قالَ[2]:

يَـا سَيِّدِي، عِنْـدَكَ لِـي مَظْلَمَـهْ ... فَاسْتَفْتِ فِيهَـا ابـنَ أبـي خَيْثَمَـهْ
فَـإِنَّـهُ يَرْوِيـهِ عَـنْ جَـدِّهِ ... وجَـدُّهِ يَرْوِيـهِ عَـنْ عِكْرِمَـهْ
عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ عَـنِ المُصْطَفَـى ... نَبِيِّنَـا المَبْعُـوثِ بِالمَرْحَمَـهْ
أنَّ انْقِطَـاعَ الخِـلِّ عَـنْ خِلِّـهِ ... فَـوْقَ ثَـلاثٍ رَبُّنَـا حَرَّمَـهْ
وأَنْتَ مُـذْ شَهْـرٍ لَنَـا هَاجِـرٌ ... أَمَـا تَخَـافُ اللَّـهَ فِينَـا؟ فَمَـهْ!

صالحُ ابن شريفٍ[3]:

عَجِيـبٌ لَعَمْـرُكَ شَـأْنُ الهَـوَى ... ولَكِـنَّ صَبْـرِي لَـهُ أَعْجَـبُ
ولَـمْ أَرَ كَالحُـبِّ يَـا عَاذِلِـي ... عَذَابـاً، ولَكِنَّـهُ يَعْـذُبُ
ولاَ كَالحَبِيـبِ وَخِذْلاَنِـهِ ... يَزِيـدُ صُـدُوداً إِذَا يَرْغَـبُ
يَـرَى أَنَّ ذَنْبِـي حُبِّـي لَـهُ ... بِعَيْشِـكَ قُـلْ لِـي: مَـنِ المُذْنِـبُ؟

الشريفُ الرَّضِي[4]:

---

[1] ـ البيتان في ديوان الصبابة 170، وتزيين الأسواق 439.
وفي الأصل: من قلبي، وفي (ج) والمصدرين السابقين: في قلبي.

[2] ـ البيتان في ديوان الصبابة 108، وأنوار التجلي 142/1.

[3] ـ الوافي في نظم القوافي الورقة 136و.

[4] ـ لم نجد هذا البيت في ديوان الشريف الرضي.

وَيَقْتُلُنِــــي عَمْــــداً لأَنِّــــي أُحِبُّـــــهُ　　أَلَيْــسَ عَجِيبــاً أَنْ أُحِــبَّ فَأُقْتَــــلا

المعانـــي

أتى بـ(أيُّها) المُتركِّبةِ من هاءِ التنبيهِ حِرصاً على إقبالِ المخاطبِ. وهي أبلغُ من النداءِ المُجرد عنها، ولهذا ارتُكِبتْ في التنزيلِ. وقدَّم الخبرَ في (لي) رعايةً للاختصاصِ والحصرِ، وعرفَ الجُزأينِ في هوَ المذنبُ للاختصاصِ أيضاً.

البيـــان

أطلقَ الذنبَ على تَجَنِّي الظبي وهِجرانِه. والذي وقعتْ به الفتوى عند أهلِ الفنِّ في مثلِ هذا من الاعراضِ عنِ المُحبِّ ما ذكرهُ صاحبُ ديوانِ الصبابةِ، قالَ: "يُستحبُّ لمنْ وُسمَ بالجمالِ وأخذَ بمجامعِ القلوبِ[1]، أن يكونَ كثيرَ التدللِ قليلَ التبذُّلِ، فإن ذلكَ أدعى للسلامةِ، [وأبعدُ عنِ الملامةِ]، فقد قالَ [ابنُ[2]] وكيـ[ع]:

قَالُــوا: عَشِقْــتَ كَثِيــرَ التِّيــهِ مُمْتَنِعــاً،　　فَقُلْــتُ: هَيْهَــاتَ، عَنْكُــمْ غَــابَ أَطْيَبُــهُ
لَوْ جَادَ هَــانَ، وقُلْــتُ: الجُــودُ عَادَتُــهُ　　وَإِنَّمَــا عَــزَّ لَمَّــا عَــزَّ مَطْلَبُــهُ

البديـــع

فيهِ الإرصادُ، وهو أن يتقدَّمَ في البيتِ ما يُشْعرُ بالرَّوِي، كقولِه:

---

[1] - في ديوان الصبابة 187، وتزيين الأسواق 444: وأخذ بقلوب النساء والرجال. قلت: وهذا أنسب للسجع.

[2] - زيادة ضرورية عن المصدرين السابقين وحلبة الكميت 123. وهو: الحسن بن علي الضبي التنيسي توفي سنة 393هـ/ 1003م بمصر، شاعر مجيد، له ديوان شعر مطبوع. (انظر وفيات الأعيان 377/1-380 طبعة القاهرة 1948، ويتيمة الدهر 356/1).

إذَا لَـــمْ تَسْتَطِـــعْ شَيْئـــاً فَدَعْـــهُ   وَجَـــاوِزْهُ إِلَـــى مَـــا تَسْتَطِيـــعُ

وبيانُـه أن مَن سمِعَ: "لِـي جـزاءُ الذَّنـبِ"، وفهمَ مـرادَه استشـعرتْ نفسُـه أن الـذي يُقفِّـي هوَ(المُذنبُ)، وفيهِ الرجوعُ، وهو العَودُ علـى الكـلامِ السـابقِ بـالنقضِ لنُكتـةٍ، حيـث انعطـفَ بقولِه: وهو المُذنبُ، لأنهُ ربما يتوهمُ مِن قولِه: لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ، خلافُ المرادِ.

الإعــراب

أَيُّهَا: مُنادى بإسقاطِ حرفِ النداءِ، على حدِّ "سَنَفْرُغُ لكُمُ أَيُّهَا الثَّقلاَنِ"[1]، مبنـيٌّ علـى الضـمِّ لأن (أيّاً) مُفردٌ، وهاءُ التنبيهِ زائدةٌ لازمةُ.

و **السَّائلُ**: مرفوعٌ بالتبعية لأيُّهَا باعتبارِ لفظِه. فإن قلتَ: أيُّهـا، مبنـي، والسـائلُ، مرفـوعٌ، وكيفَ ساغَ أن يَتبعَ المُعربُ المبنيّ؟ قلت: قال في التصريح: أيٌّ شَبيهة بـالمعرب مـن جِهـةِ حُدوثِ ضمِّها بِسببِ الداخلِ عليها[2].

و **عَنْ**: تَتَعلَّقُ بالسائلِ[3]. و **جُرمِي**: مجرورٌ، بمعنـى جَرِيمَتـي، ولهذا تَعلَّقَ بـه الظـرفُ، وهو لَدَى.

و **جَزَاءُ الذَّنْبِ**: مُبتدأ. و **لي** خَبرُهُ.

و **هُوَ** الخ..: جملةٌ في محلِّ نصبٍ على الحالِ.

---

[1] ـ سورة الرحمن 31/55.

[2] ـ انظر التصريح 48-49.

[3] ـ في الأصل: بائل.

أَخَـذَتْ شَـمْسُ الضُّحَـى مِـنْ وَجْنَتَيْـهْ مَشْـرِقاً لِلشَّمْـسِ فِـيهِ مَغْـرِبُ

اللغــة

أخذَ: تَنَاولَ، وحَازَ. وتقدم[1].

و **الشَّمْسُ**: الكَوكَبُ النهاري. وقد وضعتِ العربُ لها أسماءً: ذَكَاءُ، غيرُ مُنصرفٍ، ولا تدخُلُهُ أداةُ التعريفِ، والجاريةُ، والجونَةُ، والغزالةُ[2]. "وقد غلَّطوا الحَريري في قوله: "قلمَّا ذرَّ قرنُ الغزالةِ، طمَّر طمور[3] الغزالة". وقالوا: لم تقل العربُ الغزالة إلا للشمسِ، وإذا أرادوا مؤنث الغزال قالوا: الظبية"[4]. و[ما أحلى قول القـ]ـائل[5]:

غَـدَوْتَ مُفَكِّـراً فِـي سِـرٍّ أُفْـقٍ أَرَانَـا العِلْـمَ مِـنْ بَعْـدِ الجَهَالَـهْ
فَمَـا طُوِيَـتْ لَـهُ شِيَـكُ الـدَّرَارِي إِلَـى أَنْ أَظْفَرَتْـهُ بِالغَزَالَـهْ

فائــدة

رأيتُ في المقدمة لابن خلدونِ أن ما تزعمه عامةُ المؤرخينَ، أنَّ عُوجَ بن عناق[6] كانَ

[1] ـ تقدم في شرح البيت الخامس عشر.

[2] ـ قالَ الحريري في درة الغواص: "وكَتسيتِهم الشمسَ في وقتِ ارتفاعِها الغزالةَ، وعندَ غروبها الجَونةَ، حتى امتنعوا أن يقولوا: طلعتِ الجَونةُ، كما لم يُسمعْ: غربتِ الغزالة..".

[3] ـ ذر: طلع. وطمر: وثب

[4] ـ نص عبارة الغيث المسجم 143/2.

[5] ـ البيتان في المصدر السابق

[6] ـ مقدمة ابن خلدون 314-316.

لِطولِه يتناولُ السمكَ منَ البحرِ، ويشويهِ في الشمسِ، غلطٌ من وجهين: الأول، لاعتقادِهم أنَّ الشمسَ حَارةٌ، وأنها تُحرقُ ما قَربَ منها، ولا يعلمونَ أنَّ الحرَّ من ضوئها، وذلكَ أن الأشعةَ تنعكسُ من سطحِ الأرضِ بمقابلةِ الأضواءِ، فَتَتَضاعفُ الحرارة هنالكَ، ولو تَجاوَزْتَ مَطارحَ الأشعةِ المنعكسةِ فلا حَرَّ هُنالكَ، بل يكونُ فيه البردُ حيثُ مجرى السُّحبِ، وإنما الشمسُ في نفسها لاَ حارةٌ ولاَ باردةٌ، وإنما هي جسمٌ بسيطٌ مُضيءٌ لامزاجَ لهُ. والثاني، اعتقادُهم أنَّ أجسادَ الأقدمينَ عظيمةٌ عن أجسادِنا في أطرافها. وليسَ الأمرُ كذلكَ، فليسَ [بينَ] أجسامنا وأجسامِهم كبيرُ بونٍ. ولقدْ أُولعَ القُصاصُ بذلكَ، وسطَّروا من عادٍ وثمودَ وأخباراً عريقةً في الكذبِ ونقلَ المَسعودي نحواً من ذلكَ. وهذا رأيٌ لا وَجْهَ له إلاَّ التحكُّمُ، كما تراهُ. وليسَ له علةٌ طبيعيةٌ، ولا سببٌ برهاني، ونحنُ نُشاهدُ مساكنَ الأولينَ، وأبوابَهم وطرُقَهم فيما أحدثوا من البُنيانِ والديارِ والمساكنِ، كديارِ ثمودَ المنحوتةِ في الصخرِ بيوتاً صغاراً، وأبواباً ضيقةً. وقدْ أشارَ، عليهِ السلامُ، إلى أنَّها ديارُهم، كما هو مَعلومٌ[1].

وقد أكثر الشعراءُ في مَدحِ الشمسِ. ابنُ المعتزّ[2]:

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمُقُنَا بِلَحْظٍ   مَرِيضٍ مُدْنَفٍ، مِنْ خَلْفِ سِتْرِ
تُحَاوِلُ فَتْقَ غَيْمٍ وَهْوَ يَأْبَى   كَعِنِّينٍ يُحَاوِلُ فَتْقَ بِكْرِ

ابنُ طَبا طَبا[3]:

مَتَى أَبْصَرْتَ شَمْساً تَحْتَ غَيْمٍ   تَرَى المِرْآةَ فِي كَفِّ الحَسُودِ

وفي القاموس المحيط (عوج): "عُوجُ بنُ عُوقٍ بضمِّها: رجلٌ وُلدَ في منزلِ آدمَ فعاشَ إلى زَمنِ موسى، وذُكرَ من عظَم خَلقه شَناعةٌ".

1 ـ نهاية كلام ابن خلدون بتصرف.

2 ـ ديوان ابن المعتز 580/2 (تحقيق السمراني)، والغيث المسجم 152/2.

3 ـ البيتان في الغيث المسجم 153/2، ومعاهد التنصيص 105/2.

تُقَابِلُهَا فَتُلْبِسُهَا غِشَاءً بِأَنْفَاسٍ تَزَايَدُ فِي الصُّعُودِ

هذا كقولِ أبي بكرٍ محمد بنِ هاشمٍ[1] في السَّماءِ:

وَتَنَقَّبَتْ بِخَفِيفِ غَيْمٍ أَبْيَضٍ هِيَ فِيهِ بَيْنَ تَخَفُّرٍ وَتَبَرُّجِ
كَتَنَفُّسِ الحَسْنَاءِ فِي المِرْآةِ إِذْ كَمُلَتْ مَحَاسِنُهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجِ

المعوجُ[2]:

كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ غُدْوَةٍ عَلَى وَرَقْ الأَشْجَارِ أَوَّلُ طَالِعِ
دَنَانِيرُ فِي كَفِّ الأَشَلِّ يَضُمُّهَا لِقَبْضٍ فَتَهْوِي مِنْ فُرُوجِ الأَصَابِعِ

و**الوجنةُ** مُثلثةً وبفتحتين: ما ارتفعَ من الخدِّ.

و **المشرقُ**: مكانُ الشروقِ. و**المغربُ**: مكانُ الغروبِ. وإقليمانِ مُتقابلانِ. قالَ ابنُ حمادة في كتابِ المُقتبس: حدُّ المغربِ من ضَفَةِ النيلِ بالإسكندريةِ إلى آخرِ بلادِ المغربِ، وحدُّه مدينةُ سَلاَ. وينقسمُ أقساماً، فقسمٌ من الإسكندريةِ إلى أطرابُلسَ، وهو أكبرها وأقلُّها عمارةً. وقسمٌ من أطرابُلسَ، ويقالُ له الزابُ الأعلى، ويليها الزابُ الأسفلُ، وحدُّه إلى مدينةِ تيهرتْ. ويليها بلادُ المغربِ، وهي طنجةُ، وحدُّها مدينةُ سلاَ، وهي آخرُ المغربِ. وإذا جا[وزْ]تَ سَلاَ لِناحيةِ الجنوبِ تَركتَ مغربَ الشمسِ يُمنةً وأخذتَ منها قافلاً إلى القبلةِ، فتُسمَّى تلكَ البلادُ بلادَ تامَسْنَا، ويُقالُ لها أيضاً بلادُ السوسِ الأدنى، وحدُّها إلى جبلِ دَرَنٍ. وإذا جُزْتَ

---

[1] ـ هو محمد بن هاشم الخالدي أبو بكر، (معاهد التنصيص 2/103-104)، انظر الصفحة 204 الحاشية 4 ،و 212. والبيتان في الغيث المسجم، ومعاهد التنصيص.
وفي الأصل: المرآة في الحسناء إذا. وهوغلط، والتصويب عن المصدرين السابقين.

[2] ـ في حلبة الكميت 120: المعوج الشامي.
والبيتان في الحلبة 333، وفي الغيث المسجم 2/153، ومعاهد التنصيص 2/33.

هذا الجبلَ فعنْ يَمينِكَ بلادُ السوسِ الأقصَى، ويقالُ لها بلادُ ماسَّةَ، ويتَّصلُ السوسُ الأقصى ببلادِ الصحراءِ إلى بلادِ الزَّنْجِ. وبلادُ الأندلسِ من المغربِ، وكذلكَ إفريقيةُ.

استطراد

قالَ الإمامُ أبو القاسمِ السُّهيليُّ في الرَّوضِ الأُنُفِ: "عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ، هو والدُ الطالبيينَ القائمينَ على بني العباسِ، وهمْ محمدٌ ويَحيى وإدريسُ. ماتَ إدريسُ بإفريقيةَ فاراً من الرَّشيدِ. وماتَ مسموماً في دلاَّعةٍ أكلَها"[1]، انتهى، منه. وقد أولعَ أَقْوامٌ ممن طبعَ اللهُ على قلوبهم بطبائعِ العِنادِ بكلامِ السُّهيلي، وَصَرفوا الكَلِمَ عن مَواضِعِهِ وقالوا: [إن مولانا] إدريسَ الذي يزارُ بزرهونَ ليسَ هوَ ولَدَ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ المذكورِ، لأنه ماتَ في إفريقيةَ، كما قالَ السُّهيلي. وكانَ بعضُ العلماءِ يُبالغُ في الردِّ على السُّهيلي، ويتغالَى في التشنيعِ عليهِ. ومن تضلَّعَ بمطالعةِ كتبِ التاريخِ علِمَ أن كلامَ السُّهيلي صوابٌ، وأنَّ الكلَّ على هُدًى، قالَ شيخُنا أعجوبةُ الزمانِ الأديبُ البارعُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحيِّ الحلبيُّ الشافعي في كتابِهِ الدُّرُّ النفيسُ، في التعريفِ بمولانا إدريس، مُصوِّباً لكلامِ السُّهيلي، ما نصُّه باختصارٍ: إفريقيةُ تُطلقُ على أرضِ القيروانِ، وعلى هذا الإطلاقِ جرَى جمعٌ من الفقهاءِ، وتارةً على ما بين طنجةَ وأطرابلسَ[2].

قالَ في الروضِ المِعطارِ في أخبارِ الأقطارِ: "طولُ[3] إفريقيةَ، من بَرقةَ شرقاً إلى طنجةَ غرباً"، وقالَ في حرفِ الزَّاي منهُ: "زواغةُ من بلادِ إفريقيةَ، سُميتْ بزواغةَ قبيلةٍ من البربرِ"[4]، انتهى كلامُ الروضِ. وزواغةَ التي ذكرَ، بلادُ حرثٍ غربيٍّ فاسٍ، وهي قبالةَ

---

[1] ـ الدر النفيس 162 نقلا عن الروض الأنف وفي نهاية النقل: "صح بلفظه".

[2] ـ الدر النفيس 162.

[3] ـ في الأصل: أول، وهو كذلك في الدر النفيس 162، والمثبت عن الروض المعطار 47، وهو مصدر النص المحصور.

[4] ـ الروض المعطار 295.

زرهونٍ، وقيلَ إنَّ فيها مسيرةَ يومٍ، فتدخلُ في إفريقيةَ فاسٌ وزرهونٌ من بابِ أولَى. وفي روضةِ المُستعِينِ، الجاري على التَّلقينِ، وفي كتابِ سُحنونٍ عن أبيهِ: ويضم عملَ[1] إفريقيةَ بَعضَ هم عن بعضٍ، من أهلِ أطرابلسَ إلى طنجةَ. وطنجةُ، قيلَ مدينةُ وليلي، وقيلَ المعروفةُ اليومَ. قالَ في المسالك: عملُ طنجةَ شهرٌ في مِثلِه، انتهى كلامُ شيخنا[2].

المعنـى

معنى البيتِ مُحتمِلٌ لأحدِ أمرينِ، الأولُ، أن يكونَ المُرادُ أنَّ الشمسَ حازتْ من سماءِ خُدودِه مكاناً شروقُها منهُ وغروبُها فيهِ. والمَعنى بهذا، أنَّ الشمسَ لا تبرَحُ من فلكِ وَجَناتِه، ولا يُتوهمُ بِغروبِها أن تتَضاءلَ أنوارُها، وتَتقطعَ أضواؤُها، بل هي طالعةٌ في سماءِ المُحيا دائماً. الثاني، أن يكونَ مرادُه أن الشمسَ اكتسبتْ أنوارَ شُروقِها من لمعانِ وَجناتِهِ، فوجهُهُ هو الذي يُمدها بالأضواءِ. ولِلشمسِ بسببِ الوَجنتينِ غروبٌ، كما لها بها طلوعٌ. والفرق بينَ الوجهينِ جعلُ "مَشرق" و"مَغرب" للمكانِ أو مصدرَينِ[3]، وجعلُ (في) على بابِها من الظرفيةِ والسَّببيةِ. ويقـ[ـرُبُ من بيتِ ابنِ سهلٍ] قولُ أبي عامرِ بنِ مَسلَمةَ:

مُـــــزَّةٌ مَاتـــــتْ زَمَـانَـــــا ... بِحِجَـــــابٍ يَحْتَوِيهـــــا

لبِثَـــــتْ فِـــــي بَطْـــــنِ أُمٍّ ... غَيَّبَتْـــــهَا عَـــــنْ بَنِيهَـــــا

أَلْحَدَتْهَـــــا الشَّمْـــــسُ دَهْـــــراً ... ثُـــــمَّ عَـــــادَ الـــــرُّوحُ فِيهَـــــا

كَـــــانَ مَـــــاءُ المُـــــزْنِ عِيـــــسَى ... حِيـــــنَ أَلْقَيْنَـــــاهُ فِيهَـــــا

فَانْبَـــــرَى مِنْهَـــــا سِـــــرَاجٌ ... رَائِـــــقٌ مَـــــنْ يَجْتَلِيهَـــــا

---

[1] ـ في الأصل: يصح، غير منقوطة، ونراها تصحيفَ "يضم". وفي الصفحة 156 من الدر النفيس: يضم عمل.

[2] ـ الدر النفيس 155، 156، 159.

[3] ـ في الأصل: مصدران.

طَلَعَتْ مِنْهَا شُمُوسٌ غَرَبَتْ فِي مُطْلِعِيهَا
غَرَبَتْ أَلْبَابُنَا إِذْ غَرَبَتْ فِي شَارِبِيهَا

وَيَنخرطُ في سلكِ البيتِ قولُ بدرِ الدينِ حسنِ الزغاري في مليحٍ عليهِ عمامةٌ حمراءُ[1]:

وَبِي سَامِرِيٌّ مَرَّ بِي فِي عِمَامَةٍ قَدِ اكْتَسَبَتْ مِنْ وَجْنَتَيْنِهِ احمرارها
مُوَرَّدَةٌ دَارَتْ بِوَجْهِهِ كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا

المعاني

نُكتةُ تخصيصِ الشمسِ بالضُّحى تقدَّمتْ. وأوقعَ الظاهرَ، في قولِهِ: لِلشمسِ، موقعَ المضمرِ شرحاً للقصةِ وزيادةً بالتنويهِ بجمالِ الوجناتِ.

البيان

فيهِ الاستعارةُ بالكِنايةِ على رأيِ السَّكاكي في المجازِ العقلي. وكذلكَ المجاز في الظرفيةِ. ولا يخفى ما في البيتِ من حُسنِ التخييلِ الذي هو مرقاةٌ لبديعِ الاستعاراتِ، ولطيفِ الكناياتِ.

البديع

فيهِ المطابقةُ بينَ المَشرقِ والمغربِ، ومن غريبِ المطابقةِ قولُه تعالى: "زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ"[2].

---

[1] ـ البيتان في خزانة الأدب 477، ومعاهد التنصيص 478.

[2] ـ سورة النور 35/24، وصلة الآيةِ: "الزُّجاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ".

الإعـــراب

أخذت: فعلٌ ماضٍ. و **شمسُ الضُّحى**: فاعلٌ بهِ.

و **مِنْ وَجْنَتَيْهِ**: يتعلقُ بأخذَ. ويجوزُ أن تكونَ "مِنْ وَجْنَتَيْهِ" زائدةً بناءً علىٰ أنَّ **(مِنْ)** تـزادُ في الإيجابِ. والمسألةُ فيها خلافٌ في العربيةِ. وما أحسنَ قولَ القائلِ[1]:

قَاسُـــوكَ بِـــالغُصْنِ فِـــي التَّثَـــنِّي قِيَـــاسَ جَهْـــلٍ بِـــلاَ انْتِصَـــافِ
فَـــذَاكَ غُصْـــنُ الخِـــلاَفِ يُدْعَـــى وَأَنْـــتَ غُصْـــنٌ بِـــلاَ خِـــلاَفِ

وعليهِ فَـ**(وَجْنَتَيْهِ)** مفعولٌ أولُ بِـ (أخذتْ). **ومَشرقاً**: مفعولٌ ثانٍ. و أخذَ حينئذٍ بمعنى اتخـذَ.

و **للشَّمْسِ**: خبرٌ مُقدمٌ. و **مَغْرِبُ**: مُبتدأٌ. و **فيهِ** يتعلقُ بهِ.

---

[1] ـ البيتان في خزانة الأدب 214، ومعاهد التنصيص 301/2.

ذَهَّبَــتْ بِمَعِــيَ أَشْوَاقِــيَ إِلَيْــهِ وَلَـــهُ خَـــدٌّ بِلَحْظِــي مُذْهَـــبُ [1]

[اللغــة]

قالَ في [القامو]س: "[الـذَّ]هبُ: التِّبْرُ ويؤنـثُ، وأذهبَـهُ: طـلاهُ بـهِ، كذهَّبـه، فهو مُذهَّبٌ، [وذَهِيبٌ، ومَذْهَبٌ]"[2]. وذكرَ الحُكماءُ أنَّ من خواصِّ الذهبِ ألاَّ يعلـوهُ صـدأٌ، وأمَّا قـولُ ابـنِ خفاجةَ[3]:

وَالنَّقعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَى شَمْسِ الضّـُحَى فَـكَـأَنَّـــهُ صَـــدَأٌ عَلَـــى دِيـنَـــارِ

قالَ الصَّفَدي: ففيهِ نظرٌ، لمـا ذكرْنـا، ولأنَّ أصحـابَ[4] الخـواصِّ يزعمـونَ أنَّ الذهـبَ إذا عُلِّقَ في مكانٍ تتصاعدُ إليهِ الرُّطوباتُ، كما إذا علِّق في فضاءِ بيرٍ، ربَّما بَلِـيَ وتـآكلَ. وابـنُ النبيهِ استعملَ الصدأَ فأحسنَ:

وَالظِّـلُّ[5] يَسْبَـحُ فِـــي الغَدِيـــرِ كَأَنَّـــهُ صَـــدَأٌ يَلُـــوحُ عَلَـــى حُسَـــامٍ مُرْهَـــفِ

[والدمعُ]: ما ترخيهِ شؤونُ الرأسِ بحرارةٍ غريزيةٍ، تفرُّ أمامَهـا رُطوبـاتُ الدمـاغِ فتَنزلُ

---

[1] ـ ديوان ابن سهلٍ 285.

وفي الأصل: ذهبت دمعي من أشواقي. و(من) زائدة.

[2] ـ القاموس المحيط (ذهب).

[3] ـ لم أعثر على هذا البيت في ديوان ابن خفاجة.

[4] ـ في الأصل: أصحب. وفي (ب) أصحَاب.

[5] ـ في الأصل: الطل، والمثبت عن ديوان ابن النبيه 198

منهُ عندَ تحرُّكِ النفسِ بفرحٍ، فتكونُ الدمعةُ باردةً، ومنهُ: أقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ، عندَ الأصمعي من القُرِّ، وهو ضرُّ البردِ، أو بحُزنٍ فتكونُ حارةً، قالَه ابنُ مرزوقٍ في شرحِ البردةِ[1].

والشوقُ: نزوعُ النفسِ، وحركةُ الهَوَى، وقدْ شَاقَني. فإن قيلَ: أي فرقٍ بين الشوقِ والاشتياقِ؟ فالجوابُ ما رأيتُه في بعضِ التقاييدِ، أن الشوقَ ما يعتري المُحبَّ ببُعدِ أحبابِه عنهُ، والاشتياقُ ما يَعتريهِ وهُم حاضرونَ، وهو أقوَى من الشوقِ، لأنَّ كثرةَ الحروفِ تدلُّ على كثرةِ المَعنى.

والخدُّ: ما جاوزَ مؤخرَ العينينِ، إلى مُنتهى الشّدقِ، أو اللَّذانِ يكتنفانِ الشّدقَ عنْ يَمينٍ ويسارٍ.

ولَحظَهُ كمَنَعَهُ وإليهِ لحظاً: نظرَ بمُؤَخَّرِ عَيْنيهِ، وهو أشدُّ التفاتاً من الشَّرزِ، الملاحظةُ مفاعلةٌ منهُ.

المعنــى

أنَّ خدودَه صيرتْ دمعي يقطرُ، وهو أحمرُ ذهبيُّ اللَّونِ، وذلكَ من فرطِ اشتياقِي إليهِ، ولمَّا فعلتْ بِي خدودُه ذلكَ، أخذتُ بثأْري منها، فرميْتُ إكسيرَ[2] طرفِي فيها، فأعادها ذهباً نُضاراً. أما شطرُ البيتِ الأولِ فمنهُ لابنِ نباتةَ[3]:

يَــا غَــزَالاً رَنَــا، وَغُصنْــاً تَثَنَّــى وَهِــلاَلاً سَــنَا، وَبَــدْراً أَنَــارَا
كَانَ دَمْعِــي عَلَــى هَــوَاكَ لُجَيْنًــاً فَأَحَالَتْــهُ نَــارُ قَلْبِــي نُضَــارَا

---

[1]. إظهار صوت المودة 12/1 و.

[2] ـ الإكسيرُ، عندَ أصحابِ الصنعةِ والكِمياءِ القدماءِ، هو ما يُلقى على الفضةِ ونحوها فيحوله إلى ذهبٍ خالصٍ.

[3] ـ البيتان له فب معاهد التنصيص 249/1.

وَلِلْوَأْوَاءِ الدمشقي[1]:

كُــلُّ دَمْــعٍ فَبِالتَّكَلُّــفِ يَجْــرِي غَــيْرَ [دَمْــعِ المُحِــبِّ] وَالمَهْجُــورِ
وَرَدَ البَيْــنُ دَمْــعَ عَيْنِــي فَأَضْحَــى كَعَقِيــقٍ أُذِيــبَ فِــي بِلَّــوْرِ

المطوعي[2]:

لَمَّـا اسْـتَقَلَّتْ بِهِـمْ غِـيرُ النَّـوَى أُصُـلاً وَشَـتَّتَتْهُمْ صُـرُوفُ البَيْـنِ تَشْتِيتَـا
جَلَسْتُ أَنْظُمُ فِـي وَصْـفِ النَّـوَى دُرَراً وَالعَيْـنُ تَنْثُـرُ مِـنْ دَمْعِـي يَوَاقِيتَـا

آخــرُ:

مَـا كُنْــتُ أَمْلِـكُ غَيْـرَ نَفْـسٍ حُـرَّةٍ رُهِنَـتْ، وَأَحْسِـبُ أَنَّ رَهْنِـي يَغْلُـقُ[3]
أَنَا مَعْدِنُ اليَاقُـوتِ، جِسْمِـي أَصْفَـرُ وَمَدَامِعِـي حُمْـرٌ، وَقَلْبِـي أَزْرَقُ

وما أحسنَ قولَ بدرِ الدينِ في الدمعِ الأبيضِ:

قَـالُوا: تَبَـاكَى بِـالدُّمُوعِ وَمَـا بَكَـى بِـدَمٍ عَلَـى عَيْـشٍ تَصَـرَّمَ وَانْقَضَـى
فَأَجَبْتُهُمْ: هُـوَ مِـنْ دَمْعِـي لَكِنَّـهُ لَمَّـا تَصَعَّـدَ صَـارَ يَقْطُـرُ أَبْيَضَـا

عزُّ الدينِ المَوصليُّ:

خُضْـرَةُ الصُّـدْغِ، وَالسَّـوَادُ مِـنَ العَيْـ ـنِ بَيَـاضَ المَشِيـبِ قَـدْ أَوْرَثَانِـي

[1] ـ ديوان الوأواء الدمشقي 109، ومعاهد التنصيص 249/1.
[2] ـ معاهد التنصيص 249/1.
[3] ـ غلِق الرهنُ يغلَق في يد المُرتهن: صارَ ملكَه بسببِ عجزِ الراهنِ عن افتكاكِه في الوقتِ المحدَّد. والبيتان في شرح البردة للألبيري مخ خ ع 528 ج الصفحة 12.

خُضْرَةُ الصُّدْغِ، وَالسَّوَادُ مِنَ العَيْـ ـنِ بَيَاضَ المَشِيبِ قَدْ أَوْرَثَانِي
وَاحْمِرَارُ الدُّمُوعِ، صَفَّرَ خَدِّي كُلُّ ذَا مِنْ تَلَوُّنَاتِ الزَّمَانِ

وأمَّا الشطرُ الثاني فمنه لابنِ النبيهِ[1]:

صَنْعَةُ الكِيمِيَاءِ صَحَّتْ لِعَيْنِي حِينَ يَزْدَادُ، إِذْ يَرَانِي، احْمِرَارَا
فَإِذَا مَا أَلْقَيْتُ إِكْسِيرَ لَحْظِي فِي لُجَيْنِ الخُدُودِ صَارَ نُضَارَا

ابنُ العويرة[2]:

كَانَتْ دُمُوعِيَ حُمْراً فِي عَيْنِهِمُ حُزْناً، أُقَطِّرُهَا مِنْ لَوْعَةِ الحُرَقِ
قَطَفْتُ بِاللَّحْظِ وَرْداً مِنْ خُدُودِهِمُ فَاستَقْطَرَ البَيْنُ مَاءَ الوَرْدِ مِنْ حَدَقِي

وما ألطفَ ما قالَ بعضُ المشارقةِ و تُروى لابنِ شرفٍ[3]:

لِحَاظُكُمْ تَجْرَحُنَا فِي الحَشَا وَلَحْظُنَا يَجْرَحُكُمْ فِي الخُدُودْ
جُرْحٌ بِجُرْحٍ، فَاجْعَلُوا ذَا بِذَا، فَمَا الَّذِي أَوْجَبَ هَذَا الصُّدُودْ؟

وأجابَ عن هذينِ البيتينِ الإمامُ الشهيرُ سيدي قاسمُ العُقباني مُتَّزِناً[4]:

أَوْجَبَهُ مِنِّي، يَا سَيِّدِي، جُرْحٌ بِخَدٍّ لَيْسَ فِيهِ الجُحُودْ

---

[1] ـ ديوان ابن النبيه 347، وسبق البيتان في الصفحة 242 ـ 243.

[2] ـ الصفحة 220 الحاشية5.

[3] ـ أورد ابنُ دحية البيتين في المطرب 6. وهما مما أنشدَته جدته، كما نقلهما المقري في نفح الطيب 169/4–170 مع جواب العقباني عليهما.

[4] ـ البيتان والتعليق في نفح الطيب 170/4، وفي الأصل: جحود بدون تعريف.

المعانـــي

أتى [بصفة تفعَّـ]لَ في "ذهَّب" إيذاناً بالتكلف، وجمعَ (أشواقا) للمبالغةِ في كثرتِها. ونكرَ (خدا) للتعظيمِ والتنويهِ بلطفاته. وقدَّمَ المعمولَ في قولِه: بلحظي، إشعاراً بالحصرِ، وأن الخد كان لُجيناً، فعادَ بسيفِ الحياةِ، من أجلِ النظرِ إليهِ، نُضاراً.

البيـــان

فيه الاستعارةُ من فاعلِ (ذهَّبت) المجازي، وكذلكَ في قولِه: بِلَحْظِي مُذْهَبُ.

البديـــع

فيه حُسنُ الاتباعِ، قالَ ابنُ حجةَ[1]: وهو أن يأتي المُتكلمُ إلى معنًى اخترعَه الغيرُ، فيُحسنَ اتباعَه بأن يتصرفَ فيهِ باختصارٍ، أو [قصـ]ـر الوزنِ، أو غيرِ ذلكَ من الزياداتِ التي يَستحقُّ بها المتأخرُ الفضلَ على المتقدِّمِ، كقولِ عنترةَ:

إنِّي امْرُؤٌ مِـنْ خَيْـرِ عَبْـسٍ مَنْصِبـاً ... شَطْـرِي وَأَحْمِـي سَائِـرِي بِالمُنْصُـلِ

أخذهُ الفقيهُ منصورٌ المغربيُّ[2] في فقيهٍ سبَّهُ، وكانَ شريفاً من أبيهِ دونَ أمِّه، فقالَ:

مَـنْ فَاتَنِـي بِأَبِيـهِ ... وَلَـمْ يَفُتْنِـي بِأُمِّـهْ
وَرَامَ شَتْمِـيَ ظُلْمـاً ... سَكَـتُّ عَـنْ نِصْـفِ شَتْمِـهْ

وحدَّثَ أبو هلالٍ العسكري في الصناعتينِ، عن أبي بكرٍ المُهلبي، قالَ:" كنَّا في حَلْقةِ دِعْبَلٍ الشاعرِ، فَجرى ذكرُ أبي تمامٍ، فقالَ دعبلٌ: كانَ يتَّبعُ معانيَّ فيأخذُها، فقالَ له رجلٌ في

---

[1] ـ خزانة الأدب 499-500.

[2] ـ في معاهد التنصيص 29/4: المصري.

مجلسِه: مثلَ ماذا؟ قالَ: مثلَ قولي:

وَإِنَّ امْـرَأً أَسْـدَى إِلَيَّ بِشَافِـعٍ إِلَيْهِ، وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّـي، لأَحْمَـقُ

فأخذه أبو تمامٍ وقال:

وَإِذَا امْـرُؤٌ أَسْـدَى إِلَيْـكَ صَنِيعَـةً مِـنْ جَاهِـهِ فَكَأَنَّمَـا مِـنْ مَالِـهِ

فقالَ الرجلُ: أحسنَ واللهِ. فقال دِعبلُ: كذبتَ، واللهِ، قبحكَ اللهُ. فقال الرجلُ: إن كانَ سبقَك بهذا المعنى، وتبعتَه فما أحسنْتَ، وإنْ كانَ أخذَه منكَ فقدْ أجادَ، وصار أولَى به منكَ في الحالينِ. فغضبَ دِعبلٌ وقامَ"[1].

وقال ابنُ الرومي[2]:

تَخِذْتُكُـمُ دِرْعـاً حَصِينـاً لِتَدْفَعُـوا نِبَـالَ العِـدَى عَنِّـي، فَكُنْتُـمْ نِصَالَهَـا
وقَـدْ كُنْـتُ أَرْجُـو مِنْكُـمُ خَيْرَ نَـاصِرٍ عَلَـى حِيـنِ خِـذْلاَنِ اليَمِيـنِ شِـمَالَهَا
فَـإِنْ كُنْتُـمُ لَـمْ تَحْفَظُـوا[3] لِمَوَدَّتِـي ذِمَامـاً، فَكُونُـوا لاَ عَلَيْهَـا وَلاَ لَهَـا
قِفُوا وَقْفَـةَ المَعْـذُورِ عَنِّـي بِمَعْـزِلٍ وَخَلُّـوا نِبَالِـي لِلْعِـدَى وَنِبَالَهَـا

وأخذه ابنُ سنانٍ الخفاجيُّ[4]:

أَعْدَدْتُكُـمْ لِدِفَـاعِ كُـلِّ مُلِمَّـةٍ عَوْنـاً، فَكُنْتُـمْ عَـوْنَ كُـلِّ مُلِمَّـةِ
وَتَخِذْتُكُـمْ لِـي جُنَّـةً، فَكَأَنَّمَـا نَظَـرَ العَـدُوُّ مَقَـاتِلِي مِـنْ جُنَّتِـي

---

[1] ـ كتاب الصناعتين 219، وخزانة الأدب 502، ومعاهد التنصيص 33/4.

[2] ديوان ابن الرومي 88، (اختيار كامل الكيلاني).

[3] ـ في الأصل و(ج): لا تحفظوا، وهو غلط.

[4] ـ خزانة الأدب 500.

فَلأنْفُضَـنَّ يَـدَيَّ يَأْسـاً مِنْكُـمُ نَفْـضَ الأنَامِـلِ مِـنْ تُـرَابِ المَيِّـتِ

الإعــراب

ذهَّبَتْ: فعلٌ ماضٍ، فاعله ضميرُ الوجناتِ. ودمعِي: مفعول به. ومن أشواقي: متعلق بـ "ذهَّبت".

وخدٌّ: مبتدأ[1].

ولهُ: صفةٌ لخدٌّ.

ومُذْهَبُ: خبرٌ.

وبلحظي: يتعلقُ به.

---

[1] ـ في هذا القول نظر، ونرى أن "له": خبر مقدم، وخد: مبتدأ مؤخر، ومُذهبٌ: صفة له.

يَنْبِـتُ الـوَرْدَ بِغَرْسِـي كُلَّمَـا لَحَظَتْـهُ مُقْلَتِـي فِـي الخَلَـسِ

اللغـة

النباتُ: معروف. و**الوردُ**: مَعلومُ. وفي مدحِه لصالحِ بنِ شريفٍ[1]:

الـوَرْدُ سُـلْطَانُ كُـلِّ زَهْـرٍ لَـوْ أَنَّـهُ دَائِـمُ الـوُرُودِ
بَعْـدَ خُـدُودِ المِـلاَحِ شَـيْءٌ مَـا أَشْبَـهَ الـوَرْدَ بِالخُـدُودِ

آخـرُ[2]:

أَمَـا تَـرَى شَـجَرَاتِ الـوَرْدِ مُظْهِـرَةً لَهَـا بَدَائِـعَ، قَـدْ رُكِّبْـنَ فِـي قُضُـبِ
كَأَنَّهُـنَّ يَوَاقِيـتُ، تُطِيـفُ بِهَـا زُمُـرُّدٌ، وَسْطَهَـا شَـذْرٌ مِـنَ الذَّهَـبِ

وحدَّث البرهانُ النواجي قالَ: أنشدَني بعضُ الأصحابِ قولَ الشاعرِ[3]:

لِلْـوَرْدِ عِنْـدِي مَحَـلٌّ وَرُتْبَـةٌ لاَ تَمَـلُّ
كُـلُّ الرَّيَـاحِيـنِ جُنْـدٌ وَهْـوَ الأَمِيـرُ الأَجَـلُّ

واستحسنَها وبالغَ في مدحِها، فقلتُ: ليسَ بشيءٍ، ثم أنشدتُه ارتجالاً:

---

[1] ـ نسبها في الوافي في نظم القوافي. الورقة 150 ظ للرصافي، وسقطت فيه كلمة (شيء) وهي ضرورية للوزن.

[2]ـ نُسب هذان البيتان في المصدر السابق 150 ظ لابن طاهر.

[3] ـ حلبة الكميت 243.

مَلِيكُ الوَرْدِ وَافَى فِي جُيُوشٍ | لَهَا بِالسَّعْدِ أَلْوِيَةٌ سَنِيَّهْ
فَوَافَقْتُهُ الأَزَاهِرُ طَائِعَاتٍ | لأَنَّ الوَرْدَ شَوْكَتُهُ قَوِيَّهْ

ثم وقفتُ بعد ذلكَ على [هذا المعنى]، في ثلاثةِ أبياتٍ للشيخِ شمسِ الدينِ بنِ العفيفِ[1]:

قَامَتْ حُرُوبُ الزَّهْرِ[مَا] | بَيْنَ الرِّيَاضِ السُّنْدُسِيَّهْ
وَأَتَتْ بِأَجْمَعِهَا لِتَغْـ | ـزُو رَوْضَةَ الوَرْدِ الجَنِيَّهْ
لَكِنَّهَا كُسِرَتْ لأَنَّ | الوَرْدَ شَوْكَتُهُ قَوِيَّهْ

ورأيتُ في كتابِ المراتع لِلشمس النواجي[2]، قال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوصليُّ: "دخلتُ يوماً على الرَّشيدِ، وبينَ يديْه وردٌ أحمرُ وأبيضُ، وهو يخلُطُه بقضيبٍ كانَ معهُ، وقد أهديتْ لهُ جاريةٌ حسناءُ، بديعةُ الجمالِ، حاذقةٌ، أديبةٌ، وكانَ لهُ شغفٌ بها، فقالَ لي: يا إسحاقُ، قلْ في هذا الوردِ شيئاً. فقلتُ: سمعاً وطاعةً، ثم أنشدتُ:

كَأَنَّهُ وَجْهُ مَحْبُوبٍ يُقَبِّلُهُ | فَمُ الحَبِيبِ، وَقَدْ أَبْدَى بِهِ خَجَلا

فَأجابتْ من خلفِ أستاره:

كَأَنَّهُ لَوْنُ خَدِّي حِينَ تَدْفَعُنِي | يَدُ الرَّشِيدِ لِشَيْءٍ يُوجِبُ الغُسُلا

فقالَ لي: يا إسحاقُ، فقد شوقتني هذه الفاجرة إلى ذلك. فقلتُ: واللهِ لاقُمتُ إلا بجائزتي فأجازني بجائزةٍ سنيةٍ، فأخذتُها وانصرفتُ"[3]. ويُعجبني قولُ ابنِ تميمٍ:

---

[1] ـ ديوان الشاب الظريف: 69-70.

[2] ـ انظر الصفحة 155، الحاشية 4.

[3] ـ حلبة الكميت 241-242.

[حـاذر] أَصَـابعَ مَـنْ ظَلَمْـتَ، فَإِنَّـهُ   يَدْعُـو بِقَلْـبٍ فِـي الرَّجَـا مَكْسُـورِ
فَالوَرْدُ مَا أَلْقَاهُ فِـي جَمْـرِ الغَضَـا   إلاَّ الدُّعَـا بِأَصَابِـعِ المَنْثُـورِ

وممَّا يُنسبُ لابن الرُّومي في تفضيلِ النرجسِ عليهِ:

لِلنَّرْجِسِ الفَضْـلُ المُبِيـنُ، وَإِنْ أَبَـى   آبٍ، وَحَـادَ عَـنِ الحَقِيقَـةِ حَائِـدُ[1]
فَصْـلُ القَضِيَّـةِ أَنَّ هَـذَا قَائِـدٌ   زَهْـرَ الرِّيَـاضِ وَأَنَّ هَـذَا طَـارِدُ
لِلنَّرْجِـسِ الحُسْـنُ البَدِيـعُ، إِذَا بَـدَا   لِلنَّاظِرِيـنَ طَرِيفُـهُ والتَّالِـدُ

وناقضَه في ذلكَ أبو العباس ابنُ يونس الكاتبُ، فقالَ[2]:

يَـا مَـنْ يُشَـبِّهُ نَرْجِسـاً بِلَوَاحِـظٍ   دُعْـجٍ، تَنَبَّـهْ! إِنَّ فَهْمَـكَ رَاقِـدُ
إِنَّ القِيَـاسَ، لِمَـنْ يَصِـحُّ قِيَاسُـهُ،   بَيْـنَ العُيُـونِ وَبَيْنَـهُ مُتَبَاعِـدُ
وَالـوَرْدُ أَشْـبَهُ بِالخُـدُودِ حِكَايَـةً   فَعَـلاَمَ تَجْحَـدُ فَضْلَـهُ، يَـا جَاحِـدُ
مَلِكٌ قَصِيـرٌ عُمْـرُهُ مُسْتَأْهِـلٌ   لِخُلُـودِهِ [لَـوْ] أَنَّ حَيّـاً خَالِـدُ

وختمَها بقولِه:

فَانْظُـرْ إِلَـى المُصْفَـرِّ لَوْنـاً مِنْهُمَـا   وَافْطِـنْ، فَمَـا يَصْفَـرُّ إِلاَّ الحَاسِـدُ

---

[1] ـ في ديوان ابن الرومي 76 (اختيار كامل كيلاني):

للنرجسِ الفضلُ المُبينُ لأنهُ   زهر ونَورٌ، وهو نبيتٌ واحدُ

ومعه خمسةُ أبياتٍ غير ما جاء هنا. والبيت الثاني، مع ثلاثة أبيات غير ما ذكر هنا، وفـي الغيث المسجم 157/2.

[2] ـ الغيث المسجم 157/2.

وهذا كقولِ السّلطانِ، واسطةِ الملوكِ السعديينَ، أبي العباسِ أحمد المنصورِ[1]:

لاَ وَطَرْفٍ سَلَبَ السَّيْفَ الفِرِنْدْ ... فِي قِوَامٍ كَقَنَا الخَطِّ نَهَدْ
وَوَمِيضٍ لاَحَ لَمَّا ابْتَسَمَتْ ... فَرَأَيْنَا مِنْهُ دُرّاً أَوْ بَرَدْ
مَا هِلاَلُ الأُفْقِ إلاَّ حَاسِدٌ ... لِبَهَاهَا وَعُلاَهَا والغَيْدْ
وَلِذَا عَاشَ قَلِيلاً نَاحِلاً ... كَيْفَ لا يَفْنَى نُحُولاً مَنْ حَسَدْ

وعارض بهذا مقطَّعةَ الشريفِ محمد بنِ العقادِ المكي[2]:

لاَ وَ فَرْعٍ كَدُجَى اللَّيْلِ غَسَقْ ... وَجَبِينٍ ضَوْءُهُ ضَوْءُ الفَلَقْ
وَمُحَيَّا كَلِفَ البَدْرُ بِهِ ... وَخُدُودٍ مِنْ حَوَالَيْهِ شَفَقْ
مَا أرَى الغِزْلاَنَ إلاَّ سَرَقَتْ ... مِنْهُ جِيداً، وَالْتِفَاتاً وَحَدَقْ
ثُمَّ خَافَتْ فَتَوَلَّتْ شُرَّداً ... كَيْفَ لاَ يَشْرُدُ خَوْفاً مَنْ سَرَقْ !

استطراد

النرجسُ المذكورُ، هو النوارُ الأصفرُ المعروفُ عندنا. وزَعمَ بعضُهم أن النرجسَ الذي تُشبَّهُ بِهِ العيونُ، نرجسٌ في المشرقِ في أعلاهُ دائرةٌ، تحُفُّ بها ورقٌ بيضٌ، على شكلِ العينِ. قالَ التجاني في تحفة العروسِ: ولا يصحُّ ذلكَ، إذ لو صحَّ لكانَ لا يشبَّه به إلاَّ من

---

[1] ـ نقل صاحب مناهل الصفا 298 هذه الأبيات من خط المنصور مع بعض الخلاف في الرواية، وهي في نفح الطيب 80/7، ونزهة الحادي 141.

الخط: ميناء البحرين تنسب إليه الرماحُ، نَهَد: ارتفع.

[2]- في الأصل: العرف.

والمكي الذي وفد على المنصور ومدحه، هو "أبو الفضل بن محمد العقاد" وهو ممن عارضوا موشحة ابن سهلٍ (نفح الطيب 69/7-80)، وفي نزهة الحادي 125: "أبو الفضل المعروف بابن العقاد المكي". وفي مكان آخر من نزهة الحادي 141 يقول الإفراني "وقد عارض، رحمه الله، بهذه الأبيات أبياتَ الشيخ الأديب الإمام الخليلي". وإمام الدين الخليلي من الوافدين كذلك على المنصور.

علم وجودَه، والتشبيهُ واقعٌ ممَّن علمَ وجودَ ذلكَ، ومن لم يعلمْ، انتهى.

رجع، "وغرس الشجرَ يغرسه: أثبته في الأرضِ، كأغْرسَه، والغرسُ: جمعُه أغراسٌ وغِراسٌ"[1].

و**المُقلةُ**: شُحمةُ العينِ الجامعةُ للسوادِ والبياضِ. والحدقةُ: السوادُ وسطَ العينِ. و**الإنسانُ**: موضعُ البصرِ منها. و**الخَلسُ**: سرقةُ النظرِ، ووحيُ اللحظِ.

المعنــى

أنَّ خد الظبيِ، إذا سرقتُ النظرَ إليهِ أنبتُّ فيه الوردَ، وذلكَ كنايةٌ عن كونِه يلحقُه الخجلُ، إذا نظرَ العاشقُ إليهِ فيكسو بياضَ وجنتَيهِ حمرةً تحكي احمرارَ الوردِ. قالَ ابنُ دريدٍ[2]:

يَصفَــــرُّ لَــــونِي، [إذَا تَأَمَّلَـــــهُ] طَــــرْفِي، وَيَحْمَـــرُّ خَــــدُّهُ خَجَـــلا
حَتَّـــى كَـــأَنَّ الَّـــذِي بِوَجْنَتَـــهِ مِـنْ دَمِ خَـدِّي إِلَيْـــهِ قَـــدْ نُقِـــلا

أحمدُ بنُ حبرةَ[3]:

مَـــالِي يَجُـــورُ الحَبِيـــبُ مِـــنْ قِـــبَلِ، هَـــلْ حَـــاكِمٌ عَـــادِلٌ، فَيَحْكُـــمَ لِـــي؟
حُمْـرَةُ خَدَّيْـهِ مِـــنْ دَمِـــي صُبِغَـــتْ وَيَدَّعِـــي أَنَّهَـــا مِـــنَ الـخَـجَــلِ

---

[1] ـ القاموس المحيط (غرس).

[2] ـ لم نجد هذه الأبيات في ديوان ابنِ دريدٍ.

وهيَ في تزيين الأسواق 403-404 منسوبة لابن أبي الحديد:

يصفرُّ وجهي حينَ أنظرُ وجهَهُ خوفاً، ويُدركُه الحياءُ فيخجلُ
فكأن ما بخدودِه مـن حُمـرةٍ ظلتْ إليها من دَمـي تتنقـلُ

[3] ـ البيتان في تزيين الأسواق 469 منسوبين لمحمد بن ياقوتٍ.

الصَّنَوْبري[1]:

ذَاتُ خَـــدٍّ يَكَــادُ يُدْمِيــهِ وَهْـــمٌ   مِــنْ مُشِيــرٍ بِالجِــدِّ أَوْ بِالمِــزَاحْ
فِـــي بَيَــاضٍ وَحُمْـــرَةٍ فَكَـأَنْ قَــدْ   صِيغَ لَوْنــاً مِــنْ مَــاءِ مُــزْنٍ وَرَاحْ

تَمِيمُ بنُ المُعزِ[2]:

وَرْدُ الخُـــــدُودِ أَرَقُّ مِـــــنْ   وَرْدِ الرِّيَـــــاضِ وَأَنْعَـــــمُ
هَـــــذَا تَـنَشَّـقُـــــهُ الأُنُـــــو   فُ، وَذَا يُـقَـبِّلُـــــهُ الفَـــــمُ
فَـــإِذَا عَدَلْـــتَ فَـأَفْضَـــلُ الــــ   ـــوَرْدَيْـــــنِ وَرْدٌ يُـلْـثَـــــمُ
لاَ وَرْدَ إِلاَّ مَـــــا تَـــوَلَّـــــ   ـــى صَبْـــغَ حُمْرَتِـــهِ الـــدَّمُ
سُبْحَـــانَ مَـــنْ جَعَـــلَ الخُـــدُو   دَ شَقَـائِقـــــاً تُـتَـنَـسَّـــــمُ
وَأَعَـــارَهَـــا الأَصْـــدَاغَ، فَهْـــ   ـــيَ بِهَـــا شَقِيـــقٌ مُعْلَـــمُ

المعانـــي

عبَّر بالمضارع في (يُنْبِتُ) قصدَ الاستمرارِ والتجدُّدِ حيناً فحيناً. وأكَّدَ ذلكَ بلفظةِ (كلما) الموضوعةِ لاستغراقِ الأحايينِ، وعمومِ الأوقاتِ. وزادَ قولَه: في الخُلَسِ، فكاهةً يستحسنُها الذهنُ السليمُ لاقتضائِها أن الغرسَ سريعُ النباتِ، لأنهُ ينشأُ عنْ أدْوَنِ النظرِ، فكيفَ لو كانَ بالتأمُّلِ.

[1] ـ الروضيات 49 وتزيين الأسواق 469.

[2] ـ ديوان تميم بن المُعز 386 من قصيدة.

استعارَ لاحمرارِ الوجناتِ الوردَ، وذِكْرُ البناتِ مما يلائِمُ المستعارَ منــه. والشـعراءُ يشبِّهونَ حُمرةَ الخدِّ بحمرةِ التُّفاحِ وحمرةِ الخمرةِ والجمرِ والدَّمِ، قالَ الحُلواني[1]:

يـا طـالبَ الحَـجِّ، وَهْـوَ ذو صِغَـرٍ، عَجِّلْـتَ، فاسْتَأْنِـهِ حَتَّـى الكِبَـرِ
إنْ كُنْـتَ تَبْـغِي مَثُوبَـةً، فَعَسَـى تَحْمِـلُ لِـي قُبْلَـةً إلَـى الحَجَـرِ
وإنْ رَمَيْـتَ الجِمَـارَ، فَـارْمِ بِهَـا كَـلَّ فُـؤَادٍ عَلَيْـكَ لَـمْ يَطِـرِ
فقـالَ: دَعْنِـي وزَمْزَمَـا، فَعَسَـى أَغْسِـلُ عَـنْ وَجْنَتِـي دَمَ البَشَـرِ

وقالَ العباسُ بنُ الحسنِ العَلوي:

نـادتكَ مِـنْ بَعْـضِ الخُـدُورِ بيـضٌ نَواعِـمُ كَالبُـدُورِ
حُـورٌ تَحُـورُ[2] إلـى صِبَـا كَ، بأَعيُـنٍ مِنْهُـنَّ حُـورِ
وكَأَنَّمَـا بِـرُضَابِهِـ ـنَّ جَنَى الرَّحِيقِ مِـنَ الخُمُـورِ
يَصْبِغْـنَ تُفَّـاحَ الخُـدُو دِ بِمَـاءِ رُمَّـانِ الصُّـدُورِ

وما أطرفَ قولَ ابنِ نباتةَ[3] في رمانِ الصُّدورِ:

رُبَّ سَـوْدَاءِ مُقْلَـةٍ هَيَّجَـتْ لِـي دَاءَ وَجْـدٍ، أَعْظِـمْ بِـهِ مِـنْ دَاءِ!
لَيْـتَ رُمَّـانَ نَهْدِهَـا كَـانَ يُجْنَـى فَهْوَ بَعْـضُ الـدَّوَا مِـنَ السَّـوْدَاءِ

---

[1] ـ الأبيات في الشريشي الكبير 95/2. والحلواني هو: عبد الكريم بن فضال أبو الحسين القيرواني (انظر الذخيرة القسم الرابع من المجلد الأول من 219، والحلة السيراء 23/2).

[2] ـ تحُور: ترجعُ، حارَ عن الشيء وإليه: رَجع عنه وإليهِ (اللسان: حور).

[3] ـ في الأصل: لبابة، وهو تصحيف. والبيان لابن نباتة في ديوانه 18.

ويشبهُ هذا في التلميح بالطِّبِّ قولُ أبي العربِ:

دبَّ العِـذَارُ بِخَـدِّهِ ثُـمَّ انْثَنَـى عَـنْ لَثْـمِ مَبْسِمِـهِ الأَلَـذِّ الأَشْنَـبِ
لاَ غَـرْوَ أَنْ خَشِـيَ الـرَّدَى فِـي لَثْمِـهِ فَـالرِّيـقُ سُـمٌّ قَـاتِـلٌ لِلْعَـقْـرَبِ

البديـع

فيه التتميمُ، وهو إتيانُ الشاعرِ بلفظٍ زائدٍ، يُبلِّغُـه للقافيـةِ، وهـو علـى قسمينِ: قسمٌ لا يُفيدُ مَجيئُه إلا إقامةَ الوزنِ، وقسمٌ يفيدُ مع ذلكَ ضرباً من المحاسنِ. ومنَ الثاني قولُ المتنبي[1]:

وَخُفُـوقُ قَلْـبٍ، لَـوْ رَأَيْـتَ لهيبَـهُ، يَـا جُنَّتِـي، لَرَأَيْـتَ فِيـهِ جَهَنَّمَـا

فتمَّم بقولِهِ: "يَا جُنَّتِي"، للوزنِ مع رعيةِ الطباقِ. ومنهُ ما وقعَ لابنِ سهلٍ في قولِـه: في الخَلَسِ، يتمُّ المعنى بدونِه، إلا أنهُ توصَّلَ بهِ للقافيةِ، وزادَ به معنى لطيفاً.

ومن القبيحِ قولُ أبي تمامٍ:

خُذْهَـا ابْنَـةَ الفِكْـرِ المُهَـذَّبِ فِي الدُّجَـى وَاللَّيْـلُ أَسْـوَدُ رُقْعَـةِ الجِلْبَـابِ

فقولهُ: والليلُ أسودُ.. زيادةٌ مُستهجنةٌ، أغنى عنها لفظُ الدُّجى.

واعلمْ أن كثيراً من عُلماءِ البديعِ خَفِيَ عليْهِمْ الفرقُ بين التتميمِ والتكميلِ، قالَ زكـيُّ الدينِ ابنُ أبي الإصبعِ، إمامُ هذه الصناعةِ: "الفرقُ بينهما، أن التتميمَ يَردُ علـى المَعنـى النـاقصِ، فيتممهُ، والتكميلُ يردُ على المعنى التَّامِّ فيكمِّلُـه، إذْ الكمالُ اسمٌ زائدٌ علـى التتميمِ"[2]. ومنَ

[1] ـ ديوان المتنبي 8.

[2] ـ خزانة الأدب 212، وفيها: "إذِ الكمالُ أمرٌ زائدٌ على التمام" وهو أجودُ.

التكميلِ[1] قولُ كُثيِّر[2]:

لَوْ أَنَّ عَـزَّةَ خَاصَمَـتْ شَمْـسَ الضُّحَـــى فِي الحُسْنِ، عِنْـدَ مُوَفَّــقٍ، لَقَضَـــى لَهَـــا

فقوله: **عندَ موفقٍ**، تكميلٌ حسنٌ.

الإعــراب

يُنْبِتُ: فعلٌ مضارعٌ. وفاعلُه ضميرُ الخدِّ.

و**الوردَ**: مفعولٌ به.

و**بغرسِي**: جارٌّ ومَجرورٌ صلةُ (يُنبتُ).

و**كلَّما**: منصوبٌ على الظرفيةِ.

و**لحَظَتْهُ مُقْلَتِي**: فعلٌ ماضٍ، وفاعِلٌ، ومفعولٌ.

و**في الخَلَسِ**: يتعلقُ بـ (لَحَظَتْهُ).

---

[1] ـ في الأصل: التتميم، والصوابُ التكميلُ كما بينَ المؤلف في التعليق على البيتِ بعد.

[2] ـ ديوان كثير 394.

لَيْــتَ شِعْـرِي أيُّ شَــيْءٍ حَرَّمَــا   ذَلِــكَ الــوَرْدَ عَلَــى المُغْــتَرِسِ

اللغــة

لَيْتَ: حرفُ تمنٍّ لِما يُمكنُ وقوعُه، أو لاَ يمكنُ. قال الحلواني[1]:

لَيْــتَ شِعْــرِي، ولَيْــتَ حَرْفُ تَمَــنٍّ   رُبَّمَــا عَلَّــلَ الفُــؤَادَ السَّقِيمَــا

وشِعري: علمي، يُقالُ: شعرتُ بكذا، علمتُه.

والشيءُ: معروفٌ، جمعُه أشياءُ، فيهِ خلافٌ عندَ النحاةِ [2] يطلبُ منَ القاموسِ.

و **حرَّم** اللهُ كذا: لمْ يبحْ انتهاكَه. ويقالُ: أحرمَ الرَّجلُ، إذا دخلَ في الحرمِ.

وحُكيَ أن الرشيدَ سألَ الكسائي عن قولِ الشاعرِ[3]:

قَتَلُــوا ابْــنَ عَفَّــانَ الخَلِيفَــةَ مُحْرِمــاً   وَدَعَــا، فَلَــمْ أَرَ مِثْلَــهُ مَخْــذُولاَ

فقالَ لهُ: ما معنى مُحرماً؟ فقالَ له الكِسائي: كانَ مُحرماً بالحجِّ. وذلكَ بمحضرِ الأصمعي فأنكرَ ذلكَ الأصمعيُّ، وقال: واللهِ ما أحرمَ بالحجِّ، ولا أراد الشاعرُ أنهُ في أشهُرِ الحَرامِ.

---

[1] ـ في الشريشي الكبير 89/2. وفيهِ: "الحلواني القيرواني يتشوف إلى القيروان". وبعده :

كَيْفَ يَا قَيْرَوَانُ، حَالُكِ لمَّا   نَثَرَ البينُ سلكَكِ المنظومَا

[2] ـ اختلفوا في أصله همزة أو ياء، وجمعه:(القاموس المحيط: شيء).

[3] ـ هو الراعي النميري. والبيت في ديوانه 144، ومجالس العلماء 336.

فقالَ له الرشيدُ: وما أرادَ يا أصمعيُّ؟ فقالَ: يقالُ أحرمَ، إذا دخلَ في الحرمِ، كما يقالُ أشهرَ، إذا دخلَ في الشهرِ، كما يقال: أعامَ، إذا دخلَ في العامِ. وهذا مثلُ مَا أرادَ عَدِيُّ بنُ زيدٍ:

قَتَلُوا كِسْـرَى بِلَيْـلٍ مُحْرِمًـا[1]

فأيُّ إحرامٍ لكسرَى؟ فقالَ له الرشيدُ: ما تطاقُ في الشعرِ أَجْمِع، ثم قال: لا تتـ[ـعرّ]ضوا للأصمعي في الشعرِ[2].

والمُغترِسُ: الغارسُ.

المعنـى

لمَّا أبانَ في البيتِ قبلهُ، أنه الغارسُ للوردِ، في رياضِ الوجناتِ، ومن غرسَ شيئاً فهوَ[لهُ]، عجبَ من كونِه لا يجدُ سبيلاً لقطفِ ما غرسَه، ولم يدرِ السببَ الموجبَ لهذا الإبعادِ. ولابن الفارضِ في المعنى[3]:

زَرَعْتُ بِاللَّحْظِ وَرْداً فَوْقَ وَجْنَتِهِ   حَقّاً لِطَرْفِيَ أَنْ يَجْنِي الَّذِي غَرَسَا

وقال آخرُ، وتنسبُ للقاضي عبدِ الوهابِ[4]:

---

[1] ـ تمام البيت:

فتولى لم يمتَّع بكفَن

ديوان عدي 178، والمصدر السابق.

[2] ـ الراجح أن الإفراني نقلَ هذه القصة عن أنوار التجلي 94/1، وانظر المصادر المذكورة في مجالس العلماء 336.

[3] ـ ديوات ابن الفارض 177.

[4] ـ هو عبد الوهاب علي بن نصر أبو محمد البغدادي فقيه مالكي له نظم ومعرفة بالأدب. ولد ببغداد وماتَ بمصرَ سنة 1031/422 (انظر تاريخ قضاة الأندلس 40-41).

يَـــزْرَعُ وَرْداً نَـاضِـــراً نَـاظِـــرِي فِـي وَجْنَـةٍ كَـالقَمَرِ الطَّـالِعِ (الزَّاهِـرِ)
فَلِـمْ مَنَعْـتُـمْ شَفَتِـي قَـطْـفَـهُ وَالحُكْـمُ أَنَّ الـزَّرْعَ لِلـزَّارِعِ (لِلبَـاذِرِ)

وأجابَ بعضُ المغاربةِ[1]:

سَلَّمْـتُ أَنَّ الحُكْـمَ مَـا قُلْـتُـمُ وَهْـوَ الَّـذِي نُـصَّ عَـنِ الشَّـارِعِ
فَكَيْـفَ تَبْغِـي شَفَـةٌ قَطْـفَـهُ وَغَيْرُهَـا المَدْعُـو بِالـزَّارِعِ

وردَّ عليهِ الإمامُ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ التَّنَسي[2]:

فـي ذَا الَّـذِي قُلْتُـمُ مَبْحَـثٌ إِذْ فِيـهِ إِيهَـامٌ عَلَـى السَّامِـعِ
سَلَّمْتُـمُ الحُكْـمَ لَـهُ مُطْلَقـاً غَيْـرُ ذَا نُـصَّ عَـنِ الشَّـارِعِ

يعني أنه يَلزمُ، على قولِ المُجيبِ، أن يُباحَ له النظرُ مُطلقاً، والشرعُ خلافُه، وأجابَ بعضُ الحَنفيةِ[3]:

لأَنَّ أَهْـلَ الحُـبِّ فِـي حُكْمِنَـا عَبِيدُنَـا فِـي شَـرْعِنَا الوَاسِـعِ
والعَبْـدُ لاَ مِلْـكَ لَـهُ عِنْدَنَـا فَحَقُّـهُ لِلسَّيِّـدِ المَانِـعِ

= والبيتان ينسبان لأبي الفضل الدرامي كما سيأتي غير بعيدٍ نقلا عن نفح الطيب 112/3-113. والبيتان في الشريشي الكبير 148/1.

وزاد في الأصل كلمةَ (الزاهر) وكلمة (الباذر) في نهايةِ البيتين وكأن هناك روايةً أخرى للبيتين بهذا الروي.

1 ـ نفح الطيب 112/3.

2 ـ المصدر السابق 113/3.

3 ـ المصدر السابق 113/3.

وهذا جوابٌ حسنٌ. وأجاب بعضُ المغاربةِ، ولم يلتزم الروي[1] :

قُلْ لأبِي الفَضْلِ الوَزِيرِ الَّذِي ... بَاهَى بِهِ مَغْرِبَنَا الشَّرْقُ
غَرَسْتَ ظُلْماً وَأَرَدْتَ الجَنَى ... وَمَا لِغَرْسِ ظَالِمٍ حَقُّ

قال في نفح الطيبِ: أرادَ بأبي الفضلِ محمدَ بنَ عبدِ الواحدِ الدَّارمي، وهذا مما يُعيِّنُ أن الأبياتَ المجاوبَ عنها لهُ، وبعضُهم ينسبُها للقاضي عبد الوهاب المالكي، انتهى[2]. ومن شعرِ أبي الفضلِ[3]:

دَعَتْنِي عَيْنَاكَ نَحْوَ الصِّبَا ... دُعَاءً يُكَرِّرُ فِي كُلِّ سَاعَهْ
فَلَوْلاَ، وَحَقِّكَ، عُذْرُ المَشِيبِ ... لَقُلْتُ لِعَيْنَيْكِ: سَمْعاً وَطَاعَهْ

ولهُ[4] :

وَالبَيْتُ إنْ ضَاقَ عَنْ ثَمَانِيَةٍ ... مُتَّسِعٌ بِالوِدَادِ لِلتَّاسِعْ

وأخذه الشيخُ منديلُ بنُ آجرومٍ فقالَ:

بَيْنَ كَرِيمَيْنِ مَنْزِلٌ وَافِرْ ... وَالوُدُّ شَيْءٌ يُقَرِّبُ النَّافِرْ
والبَيْتُ، إنْ ضَاقَ عَنْ ثَمَانِيَةٍ ... مُتَّسِعٌ، بِالوِدَادِ، لِلْعَاشِرْ

---

1 ـ المصدر السابق 3/11-12، 13.

2 ـ الذي علق به المقري على الأبيات هو قوله: "وهذا مما يعينُ أن الأبياتَ لأبي الفضلِ الدارمي المذكور في الذخيرة، لا للقاضي عبد الوهاب"، (نفح الطيب 3/113).

3 ـ المصدر السابق 3/115.

4 ـ قبل هذا البيت:

بينَ كريمينِ منزلٌ وَاسعٌ ... والود حالٌ تقربُ الشاسعْ

وهما في نفح الطيب 3/113، ونسبهما في الشريشي الكبير 2/64 للتهامي.

وقالَ ابنُ الزقاق[1]:

ألاَ فَـــادْنُ إنْ ضَـــاقَ النَّـــدِيُّ، فإنَّــــهُ رَحِيـــبٌ بِـــوُدٍّ ضُمِّنَتْـــهُ الأَضَالِــــعُ
يَضِيقُ الفَضَـا عَنْ صَاحِبَيْـنِ تَبَاغَضَــــا وَسَمُّ الخِيَّــاطِ، بِالحَبِيبَيْـنِ وَاسِــــعُ

ابنُ الوليدِ المالقي[2]:

صَـــيِّرْ فُــؤَادَكَ لِلْمَحْبُـــوبِ مَنْزِلَـــةً سَــمُّ الخِيَّـــاطِ مَجَـــالٌ لِلْمُحِبَّيْـــنِ
وَلاَ تُسَامِــحْ بَغِيضَــاً فِـــي مُعَاشَـــرَةٍ فَقَلَّمَـــا تَسَـــعُ الدُّنْيَـــا بَغِيضَيْــنِ

المعانـــي

أتى (بلَيتَ شعري) تهويـلاً للقضيـةِ. وأتـى باسمِ الإشـارةِ ظـاهراً فـي موضـعِ المضمرِ، ادعاءً لكمالِ ظهورهِ، كقولِ ابنِ الدُّمينةِ[2]:

قِفِــي قَبْـلَ وَشْـكِ البَيْــنِ يَابْنَــةَ مَــالِكِ وَلاَ تَحْرِمِينَــا نَظْــرَةً فِـــي جَمَالِــــكِ
تَعَــالَلْتِ كَــيْ أَشْـجَى، وَمَــا بِــكِ عِلَّـــةٌ تُرِيدِيــنَ [قَتْلِــي، قَــدْ] ظَفِــرْتِ بِــذَلِكِ
وَقَوْلُــكِ لِلْعُــوَّادِ: كَيْـفَ تَرَوْنَـــهُ؟ فَقَـــالُوا: قَتِيـــلاً. قُلْــتِ: لَيْــسَ بِهَالِــــكِ
لَئِــنْ سَاءَنِــي أَنْ نِلْتِنِــي بِمَسَـــاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِـــي أَنِّـــي خَطَــرْتُ بِبَالِـــكِ

---

[1] ـ الشريشي الكبير 64/2.

[2] ـ البيتان في المغرب 317/1، والشريشي الكبير 64/2 ونفح الطيب 265/3. والمالقي هو غانم بن الوليد بن عمر، أبو محمد المخزومي المالقي، عالم أديب (المصادر السابقة، والمطرب لابن دحية 84).

[3] ـ البيتان الأول والرابع هنا، هما الأول والأخير من قصيدة في ديوان ابن الدمينة تتكون من عشرينَ بيتا. وزادَ المحقق في الحاشيةِ ثلاثة أبياتٍ بعدَ البيتِ الثامن عشر نقلها عن الحماسة البصرية ثانيها وثالثها هما الثاني والثالث هنا، (ديوان ابن الدمينة 13-14، و ورد البيت الأخيرُ وحدَه فـي الشريشـي الكبيـر 313/1 وديوان الصبابة 187).

البيـــان

تقدَّم ما يتعلق بالورد والغرس، وما فيهما من مجازٍ.

البديـــع

فيهِ التَّوجيهُ، وهو عندَ المتقدمينَ احتمالُ الكلامِ وجهينِ من المَعنى، من غيرِ تقييدٍ لمدحٍ أو ذم. ومنهُ قولُ الشاعرِ في الحسنِ بنِ سهلٍ، لمَّا تزوجَ المأمونُ ابنتَه بُورانَ[1]:

بَـــارَكَ اللَّـــــهُ لِلْحَسَـــــنْ ... ولِبُـــورانَ فِـــي الخَتَـــنْ
يَـــا إِمَـــامَ الهُـــدَى ظَفِـــرْ ... تَ، ولَكِـــنْ بِبِنْـــتِ مَـــنْ!

سمعتُ شيخنا الإمامَ الشهيرَ، العلامةَ النِّحريرَ، جامعَ أشتاتِ العلومِ، فقيهَ الزمانِ، أبا علي سيدي الحسنَ بنَ رحالٍ المَعْدَانِي، أنسأ اللهُ في أجلِه، يقولُ: قالَ صاحبُ القاموسِ: سُميتِ البرانيةُ التي تُصنعُ من البادنجانِ با[سمها] نسبةً إلى بُورانَ هذِه، لأنها استُنبطت في عُرسها. وكانَ عرسُها حافلاً، لم يسمعْ بمثلِه فيما سلفَ. وإليهِ يشيرُ قولُ الأديبِ البارعِ، عمرَ الأندلسي صاحبِ الأزجالِ:

لَدَيْكُمْ مِنَ الأَلْوَانِ مَا لَمْ يَجِئْ بِهِ ... طَهُورُ بْنُ ذُنُّونٍ، وَلاَ عُرْسُ بُورَانِ[2]

---

[1] ـ انظر خزانة الأدب 98، 169.
والبيان في الشريشي الكبير 198/2 لأبي حازم الباهلي، وهو في الوفيات 258/1-261 (طبعة 1948) :محمد بن حازم الباهلي.

[2] ـ عمرُ الزجالُ صاحبُ البيتن نعته في نفح الطيب 40/5 بالفقيهِ، والبيت هو الثاني والخمسون من قصيدة في 83 بيتا.

وهذا البيتُ من قصيدة مجونيةٍ، يقولُ فيها:

وَنَحْنُ، عَلَى ما يَغْفِرُ اللَّهُ، إنَّمَا ... نَرُوحُ وَنَغْدُو مِنْ رِبَاطٍ إِلَى خَانِ
مَعَ الصُّبْحِ نُضَفِّيهَا[1] عَبَاءَةَ صُفَّةٍ ... وَفِي اللَّيْلِ نَلْوِيهَا زَنَانِيرَ رُهْبَانِ
أَتَنْكُرُ في سَفْحِ العُقَابِ مَبِيتَكُمْ ... ثَمَانِينَ شَخْصاً مِنْ إِنَاثٍ وَذُكْرَانِ

والتوجيهُ عنِ المتأخرينَ، أن يوجِّهَ المُتكلمُ مُفرداتِ بعضِ الكلامِ، أو جملةَ أسماءٍ مُتلائمةٍ اصطلاحاً مع[2] أسماءِ الأعلامِ، أو قواعدِ علومٍ أو غيرِها، توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظِ، من غيرِ اشتراكٍ. قالَ ابنُ أبي الإصبَعِ: هذا لَأحقّ بالتسميةِ بالتوجيهِ، وأمَّا ما ذكرْناهُ عن الأقدمينَ، فهو من قبيلِ الإيهامِ[3]. ومنَ التوجيهِ في الفقهِ ما كانَ يتمثّل بهِ ابنُ عبدِ السلامِ[4]:

شَرَطْتُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ تَسْلِيمِ مُهْجَتِي ... وَقَبْلَ تَمَامِ البَيْعِ، حَتْماً يُوَاصِلُوا
فَلَمَّا أَرَدْتُ الأَخْذَ بِالشَّرْطِ أَعْرَضُوا ... وَقَالُوا: يَصِحُّ البَيْعُ، والشَّرْطُ بَاطِلُ

عبدُ الوهابِ[5]:

وَنَائِمَةٍ قَبَّلْتُهَا فَتَنَبَّهَتْ ... وَقَالَتْ: تَعَالَوْا فَاطْلُبُوا اللِّصَّ بِالحَدِّ

وقال في نفح الطيب 440/1 متحدثا عن بني ذي النون ملوك طليطلة: "ولهم الإعذار المشهور، الذي يقال له" الإعذار الذنوني "وبه يضرب المثل عند أهل المغرب، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق، والمامون بن ذي النون هو صاحب ذلك".

[1] ـ في الأصل: مصفيها، وما أثبتناه عن نفح الطيب 44/5.

[2] ـ في الأصل: مثلا اصطلاحا من.. وما أثبتناه عن خزانة الأدب 169.

[3] ـ نقل هذا الكلام عن المصدر السابق بتصرف.

[4] ـ في أنوار التجلي 129/1: "وأنشد أبن عبد السلام التونسي في مجلس تدريسه، وقد جرى ذكر البيع والشرط بين يديه".

[5] ـ أنوار التجلي 130/1. وفي معاهد التنصيص 48/4: "القاضي عبد الوهاب المالكي" وسبقت ترجمته.

فَقُلْتُ: فَدَتْكِ النَّفْسُ إِنِّي غَاصِبٌ ... وَمَا حَكَمُوا فِي غَاصِبٍ بِسِوَى الرَّدِّ

وقالَ ابن جابرٍ[1]:

طَلَبْتُ زَكَاةَ الحُسْنِ مِنْهَا فَجَاوَبَتْ ... إِلَيْكَ، فَهَذَا لَيْسَ تُدْرِكُهُ مِنِّي
عَلَيَّ دُيُونٌ لِلْعُيُونِ، فَلاَ تَرُمْ ... زَكَاةً فَإِنَّ الدَّيْنَ يُسْقِطُهَا عَنِّي

ومن أظرفِ التوجيهِ في علمِ النحوِ، ما يُذكر أنهُ كانَ بالعراقِ عاملان، اسمُ أحدِهما عمرُ، والآخر أحمدُ، فعُزل عمرُ من عمالتِه، واستقرَّ مكانَه أحمدُ بسببِ مالٍ وزنَهُ، فقال بعضُهم في ذلكَ[2]:

أَيَا عُمَرُ اسْتَعِدَّ لِغَيْرِ هَذَا ... فَأَحْمَدُ فِي الوِلاَيَةِ مُطْمَئِنُّ
فَيَصْدُقُ فِيكَ مَعْرِفَةٌ وَعَدْلٌ ... وَأَحْمَدُ فِيهِ مَعْرِفَةٌ وَوَزْنُ

ابنُ عُنَينٍ في قاضٍ عُزلَ، وكانَ غيرَ محمودِ السيرةِ[3]:

فَلاَ تَغْضَبَنَّ إِذَا مَا صُرِفْتْ ... وَلاَ عَدْلَ فِيكَ وَلاَ مَعْرِفَهْ

خاتمةٌ في التوجيهِ بوجه جميلٍ

قالَ الثعالبي في الأنوار[4]: التوجيهُ على قسمينِ: قولي وفِعلي، فالأولُ كقولِ من قالَ لآخرَ وقتَ المساءِ: عِمْ صَبَاحاً:

---

[1] ـ هو ابن جابرٍ الأندلسي (معاهد التنصيص 148/4).
[2] ـ البيتان في خزانة الأدب 174.
[3] البيت في المصدر السابق.
[4] ـ أنوار التجلي 128.

أَقِـمْ عُـذْرِي بِقَـولِكَ: عِـمْ صَبَاحـاً وقَـدْ أَرْخَـتْ لَنَـا الظَّلْمَـاءُ جُنْحـا
وَهَبْنِـي قَـدْ أَسَـأْتُ بِـذَاكَ عَمْـدَا أَلَيْسَ اللَّيْلُ حِيـنَ طَلَعْـتَ [صُبْحـا]

ومنهُ فيمن قالَ في الصباحِ: عِمْ مَساءً[1]:

إِنْ قُلْـتُ فِـي الصُّبْـحِ: عِـمْ مَسَـاءً وَقَـدْ بَـدَتْ لِلْـوَرَى ذُكَـاءُ
فَـلاَ تَلُـمْ عَاشِقـاً كَئِيبـاً فَيَوْمُـهُ كُـلُّـهُ مَسَـاءُ

وألطفُ منهُ ما رويناهُ أن ابنَ عبدِ المنَّانِ الكاتبَ دخلَ على السلطانِ[2] فصبَّحَ عندَ المساءِ، فقالَ له: أنتَ سكرانُ! فأنشدَ بديهةً:

صَبَّحْتُـهُ عِنْـدَ المَسَـاءِ، فَقَـالَ لِـي: مَـاذَا الكَـلاَمُ؟ وَظَـنَّ ذَاكَ مِزَاحَـا
فَأَجَبْتُـهُ: إِشْـرَاقُ وَجْهِـكَ غَرَّنِـي حَتَّـى تَوَهَّمْـتُ المَسَـاءَ صَبَاحَـا

والثاني كقولِ أبي بكرٍ بنِ قُزمان[3]:

يَـا أَهْـلَ ذَا المَجْلِسِ السَّـامِي سُـرَادِقُهُ مَـا مِلْـتُ، لَكِنَّنِـي مَالَـتْ بِـيَ الـرَّاحُ
فَـإِنْ أَكُـنْ مُطْفِئـاً مِصْبَـاحَ بَيْتِكُـمُ فَكُلُّ مَنْ فِيكُـمُ فِي البَيْـتِ مِصْبَـاحُ

آخرُ في المعنى[4]:

---

[1] ـ المصدر السابق.

[2] ـ المقصود يحيى بن أحمد بن عبد المنان، وليس الأب أحمد بن عبد المنان كما قد يتبادر إلى الذهن، لشهرة الأب بالكتابة والشعر، وقد سبقت ترجمته. والسلطان المعنى، هو أحمد بن أبي سالم المريني (انظر جذوة الاقتباس 124/1-125).

[3] ـ أنوار التجلي 128/1.

[4] ـ المصدر السابق.

أَنْكِ السِّـرَاجَ تُرِينَـا غُــرَّةً سَفَــرَتْ مِـنْ أَجْلِهَـا الشَّـمْسُ تَسْـتَحْيِي وَتَسْــتَتِرُ
أَوْ خَلِّــهِ فَكَفَانَــا وَجْــهُ سَيِّدِنَــــا لاَ يَطْلُبُ الضَّوْءَ مَنْ فِــي بَيْتِــهِ القَمَـــرُ

الإعــراب

ليتَ: حرف تمنٍّ.

وشعري: اسمُ ليتَ مُضافٌ لياءِ المتكلمِ. وخبرُ ليتَ محذوفٌ، أي حاصلٌ أو كائنٌ.

وأيُّ شيءٍ: مبتدأٌ.

وجملةُ حرَّمَ: من الفعلِ والفاعلِ: خبرُ المبتدأِ.

وذلكَ الوَرْدَ: مفعولُ حرَّمَ.

-23-

أَنْفَدَتْ دَمْعِي نَارٌ فِي ضِرَامْ   تَلْتَظِي فِي كُلِّ حِينٍ مَاتَشَا[1]

اللغة

نَفِدَ، بالدال المهملةِ كسمِعَ، نفاداً ونَفَداً: فنيَ وذهبَ، وأنفدَهُ: أفناهُ[2]. وأما النفاذ بالذالِ المعجمةِ، فجوازُ الشيءِ عنِ الشيءِ والخلوصُ منهُ كالنفوذِ.

والنارُ معروفةٌ، مؤنثةٌ، وقد تُذكَّر.

تنبيه

ذكرَ ابنُ حجرٍ الهَيْثمي في شرحِ الهمزيةِ أنَّ النَّارَ واويةُ العينِ[3]، ويشهدُ لصحةِ ذلكَ قولُهم: تنورتُها، وفي الجمعِ أنوارٌ ونيرانٌ، وأصلُ نيرانٍ نِوْرانٌ، فقلبت الواوُ ياءً لوقوعِها إثرَ كَسرةٍ كميزانٍ، ولابنِ صارةَ في وصفِ النارِ[4]:

لابْنَةِ الزَّنْدِ فِي الكَوَانِينِ جَمْرٌ   كَالدَّرَارِي، فِي لَيْلَةِ الظَّلْمَاءِ
خَبِّرُونِي عَنْهَا وَلاَ تَكْذِبُونِي   أَلَدَيْهَا صِنَاعَةُ الكِيمِيَاءِ
سَبَكَتْ فَحْمَهَا سَبَائِكَ تِبْرٍ   صَبَغَتْهُ بِالفِضَّةِ البَيْضَاءِ
كُلَّمَا وَلْوَلَ النَّسِيمُ عَلَيْهَا   رَقَصَتْ فِي غِلاَلَةٍ حَمْرَاءِ

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 286.

[2] ـ القاموس المحيط (نفد).

[3] ـ شرح الهمزية 31.

[4] ـ الأبيات في الشريشي الكبير 2/281 ونفح الطيب 3/442

سَـفَرَتْ عَــنْ جَبِينِهَــا فَأَرَتْـنَــا حَــاجِبَ الشَّــمْسِ طَالِعــاً بِالعِشَــاءِ
لَوْ تَرَانَــا مِــنْ خَلْفِهَــا قُلْــتَ: قَــوْمٌ يَتَعَــاطَــوْنَ أَكْــؤُسَ الصَّهْـبَــاءِ

وقَالَ ابنُ لبَّال[1]:

فَحْــمٌ نَكَــا فِــي حَشَــاهُ جَمْــرٌ فَقُلْــتُ: مِسْــكٌ وَجُلَّنَــارُ
أَوْ خَــدُّ مَــنْ قَــدْ هَوِيــتُ لَمَّــا أَطَــلَّ مِــنْ فَوْقِــهِ الْعِــذَارُ

وقال ابنُ صارة[2]:

شَابَـتْ نَوَاصِــي النَّــارِ بَعْـدَ شَبَابِهَــا وتَسَتَّــرَتْ عَنَّــا بِثَــوْبِ رَمَــادِ

[وأجازَه ابنُ العربي[3]]:

شَابَــتْ كَمَــا شِبْنَــا وزَالَ شَبَابُنَــا فَكَأَنَّمَــا كُنَّــا عَلَــى مِيعَــادِ

ولأبي حيان في مَليحٍ فحَّامٍ[4]:

وَعَلِقْتُــهُ مُسْــوَدَّ عَيْــنٍ وَوَفْــرَةٍ وَثَوبٍ يُعانِي في صَنْعَةَ الفَحْمِ عَنْ قَصْدِ

---

[1] ـ في الأصل: ابن لنال. وفي شريشي الكبير 281/2، ونفح الطيب 442/3:الفقيه الأديب ابن لبال.
قلت: ولعله أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح، وهو لبال بن أمية، أنشد ابنَ دحية، وترجم لـه هذا الأخير، ونقل نماذج من شعره في المطرب 97.
والبيتان في الشريسي الكبير 281/2، ونفح الطيب 442/3.
وفي الأصل: ذكت، وما أثبتناه عن نفح الطيب، وفي الشريسي الكبير: ذكت في حشاه نار.
[2] ـ في الأصل: ابن العربي، وهو خطأ.(انظر أزهار الرياض 88/3، ونفح الطيب 30/2-31).
[3] ـ زيادة ضرورية، مستوحاة من المصدرين السابقين.
[4] ـ ديوان أبي حيان 440–441.

كَـأَنَّ خُـطُـوطَ الفَحْــمِ فِي وَجَنـاتـــهِ　　لُطَاخَـةُ مِسْـكٍ فِـي جَنِـيٍّ مِـنَ الـــوَرْدِ

ولابنِ جُرجٍ في أسودَ[1]:

رُبَّ ابْـــنِ لَيْـــلٍ سَقَانَـــا　　وَالشَّـــمْسُ تَطْلُـــعُ غِـــرَّةْ
وَظَـــلَّ يَسْـــوَدُّ لَـوْنـــاً　　وَالكَـــأسُ تَسْـــطَعُ حُمْـــرَةْ
كَـأَنَّـــهُ كُـــدْسُ فَحْـــمٍ　　قَـــدْ أُوقِـــدَتْ مِنْـــهُ جَمْـــرَةْ

ابنُ تميمٍ[2]:

كَأَنَّمَـــا نَـارُنَـــا، وَقَـــدْ خَمَـــدَتْ　　وَجَمْرُهَـــا بِالرَّمَـــادِ مَسْتُـــورُ
دَمٌ جَـرَى مِـــنْ فَوَاخِـــتٍ[3] نُبِحَـــتْ　　مِـــنْ فَوْقِهَـــا رِيشُهُـــنَّ مَنْثُـــورُ

ولَهُ:

كَأَنَّمَـــا النَّـــارُ فِـــي تَلَهُّبِهَـــا　　وَالفَحْـــمُ مِـــنْ فَوْقِهَـــا يُغَطِّيهَـــا
زِنْجِيَّـــةٌ شَبَّكَـــتْ أَنَـامِلَهَـــا　　مِـــنْ فَـــوْقِ نَـارَنْجَـــةٍ[4] لِتُخْفِيهَـــا

ويقالُ: تنوَّرتُها أي نظرتُ لنارِها. وعليهِ قولُ امرئِ القيسِ[5]:

تَنَوَّرْتُهـــا مِـــنْ أَذرِعَـــاتٍ وَأَهْلُهَـــا　　بِيَثْـــرِبَ أَدْنَـــى دَارِهَـــا نَظَـــرٌ عَـــالِ

---

[1] ـ الأبيات في الغيث المسجم 256/1، ولعل ابن جرج المقصود هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرج المعروف بابن الذهبي، فيلسوف طبيبٌ له مشاركة في الأدب، لقيه ابنُ سعيد بمراكش. (المغرب 102/2).

[2] ـ المصدر السابق، ومعاهد التنصيص 102/2.

[3] ـ الفواخت: جمع فاختة، وهي ضرب من الحمام المطوق (اللسان: فخت).

[4] ـ النارنج: نوع من الليمون.

[5] ـ ديوان امرئ القيس 31. (رواية الأصمعي).

ومعنَى هذا البيتِ من العوائصِ. وقد استصعبَه جماعةٌ من أشياخِنَا. ورأيتُ بخطِّ الشيخِ الأديبِ حاملِ لِواءِ البلاغةِ بِعصرِنا، أبي عبدِاللهِ سيدي محمد بن زاكور الفاسي[1]، رحمه اللهُ، في تفسيرِ معناهُ ما مُلخصُه، أن يكونَ (أَنْئَى): فعلٌ ماضٍ، و"دارَها" بالنصبِ: مفعولٌ بهِ. [ونظـ]ـر عالٍ: فاعلٌ. والمعنَى: قرَّبَ دارَها مني، وإنْ كانتْ بعيدةً، تفكيري في محاسِنِها البديعةِ، وجَوَلانُ خاطرِي في جمالِها، فأرادَ بالنظرِ العالِي نظرَ الوهمِ والخيالِ، انتهى. وهذا الذي ذكرَهُ في معنَى البيت حَسنٌ لو ساعدتْه الروايةُ. والذي ذكرَه ابنُ خروفٍ في إعرابِ الأشعارِ الستةِ[2] أن (دارَها) بالجَرِّ مضافٌ إليهِ ما قبلَهُ. ولمْ يزدْ على هذا، فليُتأملْ.

رجع. وضرِمت النارُ كفرِحتْ: اشتعلتْ، وأضرَمها وضرَّمها واستَضْرمها: أوقَدَها.

و"**اللَّظى كالفتَى**: النَّارُ، أو لهيبُها، لَظِيَتْ كرَضِيَتْ لظًى، والتَظَتْ وتَلَظَّتْ: تلهَّبتْ"[3].

"**والحِينُ** بالكسرِ [الدهرُ[4]] أو وقتٌ مُبهمٌ، يصلحُ لجميعِ الأزمانِ طالَ أو قصُرَ، يكونُ سنةً أو أكثرَ".

وشاءَ الشيءَ: أرادَه، والمَشيئةُ: المحبَّةُ.

المعنــى

أنَّ بينَ ضُلوعِي من لواعجِ الاشتياقِ ناراً مُؤجَّجَةً، أحرقتْ ضُلوعي، وأفنتْ دُموعِي،

---

[1]ـ محمد بن قاسم المشهور بابن زاكور الفاسي (1190هـ-1708م) له مؤلفات في الأدب (انظر كتابنا الإفراني ص67-68).

[2] ـ في الأصل و(ج): الست.

[3] ـ القاموس المحيط (لظي).

[4] ـ زيادة من المصدر السابق (حين).

وجفَّتْ حرارتُها ماءَ جفُونِي، لأنَّ الحرارةَ جفافةٌ للنداوةِ، فهيَ في كلِّ وقتٍ تلتهبُ بإرادتِها. وقد أكثرَ الشعراءُ في هذا المعنى. ولا يُعجبُني في هذا المعنى إلاَّ قولُ الشيخِ عبدِ الوهابِ المالَقي[1]:

كَأَنَّ فُؤَادِي وَطَرْفِي مَعًا ... هُمَا طَرَفَا غُصُنٍ أَخْضَرِ
إذَا اشْتَعَلَ النَّارُ فِي جَانِبٍ ... جَرَى المَاءُ فِي الجَانِبِ الآخَرِ

ابنُ رشيقٍ[2]:

إنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا مِنْكَ ابْتُلِيتُ بِهِ ... وَأَنَّ بُرْءَ سَقَامِي عَزَّ مَطْلَبُهُ
أَشِرْ بِعُودٍ مِنَ الكِبْرِيتِ نَحْوَ فَمِي ... وَانْظُرْ إِلَى زَفَرَاتِي كَيْفَ تُلْهِبُهُ

المعانــي

نوَّنَ (نارٌ) ونكَّرها لقصدِ التفخيمِ. وأكَّد ذلكَ بالظرفِ[3]، وفيه ما لا يخفى مِن الجمعِ بينَ الضِّرامِ والتلظي، رغبةً في الاستعطافِ، وإظهاراً للشكايةِ.

البيــان

أطلقَ النارَ على ما يجدُه في قلبِه من مَضاضةِ الهِجرانِ، تَوسعاً. وأَتى بالتَّلظِّي والاشتعالِ تقريباً لجانبِ الاستعارةِ.

---

[1] ـ نفح الطيب 60/2.
[2] ـ ديوان ابن رشيق 33، والشريشي الكبير 251/2.
[3] ـ في الأصل: بالطرف، وهو تصحيف.

فيه التنكيتُ بالتاءِ المثناةِ. وحقيقتُه عُرفاً، أن يقصدَ المتكلمُ إلى الشيءِ بـالذِّكرِ، دونَ أشياءَ كلُّها تسدُّ مسدَّهُ، لولا نُكتةٌ في ذلكَ الشيءِ المقصـودِ تُرجِّحُ اختصاصَـهُ بـالذكرِ. ومـن أمثلتِـه قوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى"[1]، فخص الشِّعرى لأن من العربِ من عبدَها. ومنـهُ قـولُ ابنِ الزقاقِ[2]:

وَمِـنْ أَعْجَـبِ الأَشْيَـاءِ أَنِّـي مُسْلِـمٌ حَنِيـفٌ، ولَكِـنْ خَيْـرُ أَيَّامِـيَ السَّبْـتُ

فخصَّ هذا اليومَ لأنه ظفِرَ فيهِ بالمحبوبِ. ولبعضِهم في المعنى:

تَخَـيَّرَتِ اليَهُـودُ السَّبْـتَ حَقّـاً وقُلْنَـا فِـي العَرُوبَـةِ[3] يَـومُ عِيـدِ
فَلَمَّـا أَنْ طَلَعْـتَ السَّبْـتَ فِينَـا أَطَلْـتَ لِسَـانَ مُحْتَـجٍّ اليَهُـودِ

قلتُ: في هاتين[4] المُقطَّعتينِ اللقبُ البديعي المُسمى بالتغايرِ، وهو عبارةٌ عن تلطُّفِ الشاعرِ بمدحِ ما كانَ ذمَّهُ، أو ذمِّ ما كانَ مَدحَهُ هو أو غيرُه، كقولِ بعضِهم:

قَـدْ أَجْمَـعَ النَّـاسُ عَلَـى بُغْـضِ(لاَ) ولَسْـتُ أَنْسَـى أَبَـداً حُـبَّ (لا)
لأَنَّنِـي قُلْـتُ لَـهُ: سَيِّـدِي تُحِـبُّ غَيْـرِي، أَبَـداً، قَـالَ: لاَ

وألطفُ منهُ قولُ أبي القاسمِ السُّهيلي:

---

[1] ـ سورة النجم 49/53.

[2] ـ البيتان في المطرب 105 ونفح الطيب 19/4، 300.

في الأصل: حنيفي، وهو غلط، والتصويب من المطرب ونفح الطيب.

[3] ـ العَروبةُ: يوم الجمعة.

[4] ـ في الأصل: و(ج): هذين، وهو غلط.

لَمَّا أجَابَ بِلاَ، طَمِعْتُ بِوَصْلِهِ   إذْ حَرْفُ لاَ حَرْفَانِ مُعْتَنِقَانِ
وكَذَا نعَمْ بِنَعِيمِ وَصْلِ آذَنَتْ،   فَنَعَمْ ولاَ فِي اللَّفْظِ مُتَّفِقَانِ

وقالَ الطُّغرائي[1]:

مَنْ خَصَّ بِالشُّكْرِ الصَّدِيقَ فإنَّنِي   أحْبُو بِخَالِصِ شُكْرِيَ الأَعْدَاءَ
جَعَلُوا التَّنَافُسَ فِي المَعَالِي دَيْدَنِي   حَتَّى امْتَطَيْتُ بِنَعْلِيَ الجَوْزَاءَ
وَنَعَوْا إلَيَّ مَعَايِبِي فَحَذِرْتُهَا   وَنَفَيْتُ عَنْ أخْلاَقِيَ الأَقْذَاءَ
وَلَرُبَّمَا انْتَفَعَ الفَتَى بِعَدُوِّهِ   وَالسُّمُّ، أحْيَاناً، يَكُونُ شِفَاءَ

أخذهُ أبو حَيان فقالَ:

عِدَاتِي لَهُمْ، فَضلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ.

...البيتين [2]

ومن التغايرِ رسالةُ السيفِ والقلمِ التي أملاها جمالُ الدينِ ابنُ نُباتةَ، ونقلَها الحِجازي وابنُ أبي حجلة [3] وغيرُهما. وأبياتُ المغايرةِ كثيرةٌ، والشعرُ كما قالَ ابنُ الرومي[4]:

---

[1] ـ الأبيات في نفح الطيب 290/3.

[2] ـ البيتان هما:

عِداتي لهُمْ فضلٌ عليَّ ومِنَّة   فلا أذْهبَ الرحْمانُ عنَّا الأعاديَا
هُمُ بَحثوا عن زلَّتي فاجتنبتُها   وهُم نافسوني فاكتسبتُ المَعاليَا

وهما في ديوان أبي حيان 415/5، ونفح الطيب 290/3.

[3] ـ انظرها في خزانةالأدب فلعل الإفراني سها فوضع ابن أبي حجلة بدل ابن حجة.

[4] ـ ديوان ابن الرومي 1144/3 (تحقيق حديث نشار) وفيه: ترجيح لقائله.. بعض تغييره.
ومجاج النحل: هو العسل

فِـي زُخْـرُفِ القَـولِ تَزْوِيـرٌ لِباطِنِـهِ   وَالحَـقُّ قَـدْ يَعْتَرِيـهِ سـوءُ تَعْبِيـرِ
تَقُـولُ: هَـذَا مُجَـاجُ النَّحْـلِ تَمْدَحُـهُ   وَإِنْ ذَمَمْـتَ، فَقُـلْ: قَـيْءُ الزَّنَابِيـرِ
مَـدْحٌ وذَمٌّ، وذَاتُ الشَّـيْءِ واحِـدَةٌ   إِنَّ البَيَـانَ يُـرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّـورِ

الإعـراب

أنفدَ: فعلٌ ماضٍ.

ودَمْعي: مفعولٌ بـه مُضـافٌ لياءِ المتكلمِ. ومـا أحلـى قـولَ سـعدِ الديـنِ ولَـد ابـنِ العَربـي الحَاتمي:

لِـي حَبِيـبٌ بـالنَّحْوِ أَصْبَـحَ مُغْـرَى   فَهْـوَ مِنِّـي بِمَـا أُعانِيـهِ أَدْرَى
قُلْـتُ: مَـاذَا تَقُـولُ حِيـنَ تُنَـادِي   يَـا حَبِيبِـي، المُضَـافَ دُونَـكَ جَهْـرًا
قَالَ لِي: يَاغُـلاَمُ، أَوْ يَـا غُـلاَمِـي!   قُلْـتُ: لَبَّيْـكَ ثُـمَّ لَبَّيْـكَ عَشَـرًا

ونارٌ: فاعلٌ.

وفي ضرامٍ: وصفٌ له.

وتَلْتَظِي: فعلٌ مُضارعٌ.

وضميرُ النارِ فاعلُه.

وفي كلِّ حينٍ: يتعلَّقُ بهِ.

وما: مصدريةٌ لا غيرُ، أيْ مَشيئَتَها.

هِـيَ فِـي خَدَّيْـهِ بَـرْدٌ وَسَـلاَمْ   وَهْـيَ ضُـرٌّ وَحَرِيـقٌ فِـي الحَشَـا[1]

اللغـة

قال في القاموسِ: "هِيَ، ويُشدَّدُ، كنايةٌ عن الواحدِ المؤنثِ، وقد تحذَفُ ياؤُه فيقالُ هِـ"[2]. والخَدُّ: معلومٌ.

والبَرْدُ: ضدُّ الحرِّ، ويُطلقُ على الموتِ، ومنه: "لاَ يَذُوقونَ فِيهَا بَرْداً"[3]، وذكرَ العُزيزي أن البَردَ في الآيةِ أريدَ به النومُ[4]، قال: وفي المثلِ: "منعَ البرد البرد"[5].

والسَّلامُ: السلامةُ، أي الخلوصُ من التهلكةِ، ولهذا سميتِ الجنـةُ دارَ السلامِ، أو لأنَّ الملائكةَ يسلِّمون فيها على المؤمنينَ. ونهرُ السلامِ: دجلةُ. ومدينةُ السلامِ: بغدادُ، وفيها يقولُ القاضي عبدُ الوهاب:

وَفِـي بَغْـدَادَ سَـادَاتٌ كِـرَامٌ   وَلَكِـنْ بِالسَّـلاَمِ بِـلاَ طَعَـامِ
فَمَـا زَادُوا الصَّدِيـقَ عَلَـى سَـلاَمٍ   لِهَـذَا سُمِّيَـتْ دَارَ السَّـلاَمِ

وفيها أيضاً يقولُ[6]:

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 286.

[2] ـ القاموس المحيط (هاء)، وفيه: ".. فيقال: حتّاهِ فعلتُ ذلكَ".

[3] ـ سورة النبأ 24/78.

[4] ـ في القاموس المحيط (برد): "والبرد: النوم، ومنه "لاَيَذُوقونَ فِيهَا بَرْداً".

[5] ـ لم أعثر على هذا المثل في المصادر المعتمدة عندي في موضوع الأمثال.

[6] ـ البيتان وحديثهما في الشريشي الكبير 189/2 والغيث المسجم 68/1-69.

بَغْـــدَادُ دَارٌ لأَهْـــلِ المَـــالِ طَيِّبَـــةٌ وَلِلْمَفَـــالِيسِ دَارُ الضَّنْـــكِ وَالضِّيـــقِ
أَقَمْــتُ فِيهَــا مُضَاعــاً بَيْــنَ سَاكِنِهَـــا كَأَنَّنِي مُصْحَــفٌ فِــي بَيْــتِ زِنْدِيـــقِ

وسببُ قولِه ذلكَ، أنهُ لمَّا ضاقَتْ عليهِ المَعيشةُ في بغداد خرجَ قاصداً مِصرَ، فشيعهُ أربعمائةِ مُحنَّكٍ، فقالَ لهمْ لمَّا ودَّعَهم: لو وجدتُ بينَ ظُهرانيكم رغيفين كلَّ غَداةٍ وعشيةٍ ما فارقتُ بغدادَ. ثمَّ إنهُ لما استوطنَ مصرَ بسطَ اللهُ عليهِ الرِّزقَ. حكَى السُّيوطي في حُسنِ المحاضرةِ أن بعضَهم دخلَ على القاضي عبد الوهابِ في مرض موتِه، قالَ: فرأيتُ نعلَ زوجتِه من خالِصِ الذهبِ وسمعتُه يقولُ، وهويجودُ بروحِه: سُبحانَ اللهِ! عِندما عِشْنَا مِتْنَا.

والضُّرُّ: ضدُّ النفعِ، والضررُ: سوءُ الحالِ.

والحَرِيقُ: التهابُ النارِ.

والحشا: مادونَ الحجابِ ممَّا في البطنِ من كبدٍ وطحالٍ وما تبعَهُ. أو ما بينَ ضِلعِ الخلفِ التي في آخرِ الجنْبِ إلى الورِكِ وظاهرِ البطنِ.

سؤالٌ حسنٌ: كيفَ تكتبُ الحَشا، هلْ بالألفِ أو بالياءِ في آخرِه؟

جوابُه: أن تعتَبِر القاعدةَ المقررةَ عندَ علماءِ الخطِّ، وهيَ: أنْ تنظرَ في الألفِ التي[1] في الإسمِ الثُّلاثي المقصورِ، فإن كانتْ منقلبةً عن واوٍ كُتب ذلكَ الإسمُ بالألفِ، وإنْ كانت عن ياءٍ فبالياءِ. وهذا أصلٌ لا ينكسرُ قياسُه، ولا يَهي أساسُه. ويُعتبرُ ذلكَ [في] التصريفِ في التثنيةِ والجمعِ، وتصريفِ الفعلِ المأخوذِ منهُ. فعلى هذا يكتبُ العصا والقَفا بالألفِ، لقولِهم في الفعل: عصوْتُ وقفوْتُ، وعَصَوانِ وقفَوانِ، ويكتب الحِمَى والحَصَى والحَشي بالياءِ[2] لقولِكَ فيها:

---

[1] ـ وفي الأصل: الذي، وهو غلط.

[2] ـ هكذا نص في الأصل على أنها بالياء ثم كتبها(المؤلف أو الناسخ) بالألف.

حَميتُ وحصيتُ، وحِميانِ وحَصياتٌ وحَشيانِ. وإن زادَ المقصورُ على الثلاثةِ كتبَ بالياءِ مُطلقاً، كملهًى ومرمًى ومثنًى، إلا أن يكونَ قبلَ آخرهِ ياءٌ، فيكتبُ بالألفِ لئلاَّ يجمعَ بينَ ياءَيْنِ، كعُلْيَا ودُنْيَا، إلاَّ يَحْيى إسماً فيكتبُ بالياءِ، للفرقِ بينه وبينَ يحيا فِعلاً.

وحُكمُ ما يُكتبُ من الأفعالِ المعتلةِ بالألفِ والياءِ، مثلُ حكمِ الأسماءِ المقصورةِ. قالَ الرئيسُ أبو محمدٍ القاسمُ الحريري: وهذه القاعدةُ ممَّا يخبطُ فيها الخواصُّ خَبطَ عشواءَ[1].

المعنـــى

أن فعلَ النارِ التي أظهرتُ الشكايةَ بها جزعاً من لذغِها للفؤادِ عجبٌ، وذلكَ أنها في روضِ وجناتِ الظبي نارُ الخليلْ، التي قالَ لها الجَليلْ: "كُونِي بَرْداً وَسَلاَمَاً"[2]، وفي شِغافِ أضالعي نارٌ ترمي بِشَـررٍ[3]، مع أنَّ النارَ شيءٌ واحدٌ جمعَ بينَ الضررِ والنفعِ، والحرارةِ والبُرودةِ.

ومعنى البيتِ مما جرى كُماةُ البراعةِ في رِهانه. قال ابنُ سَناءِ المُلكِ من قصيدةٍ[4]:

دَنَوْتُ وَقَدْ أَبْدَى الكَرَى مِنْهُ مَا أَبْدَى ... فَقَبَّلْتُهُ فِي الخَدِّ تِسْعِينَ أَوْ إِحْدَى
وَأَبْصَرْتُ فِي خَدَّيْهِ مَاءً وَخُضْرَةً ... فَمَا أَمْلَحَ المَرْعَى وَمَا أَعْذَبَ الوِرْدَا
تَلَهَّبَ مَاءُ الخَدِّ، أَوْ سَالَ جَمْرُهُ ... فَيَا مَاءُ، مَا أَذْكَى! وَيَا جَمْرُ، مَا أَنْدَى!
وَفِي القَلْبِ نِيرَانُ الخَلِيلِ تَوَقَّدَتْ، ... وَمَا ذُقْتُ مِنْهَا لاَ سَلاَمَاً وَلاَ بَرْدَا[5]

---

[1] ـ درة الغواص 129-130 بتصرف.

[2] ـ صلة الآية: "قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إبراهيمَ".(سورة الأنبياء 69/21)

[3] ـ يشير إلى الآية:" إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ"، (المرسلات 32/77).

[4] ـ الأبيات 1، 2، 3، 13 من قصيدة في ديوان ابن سناء المُلك 206.

[5]. اقتباس من الآية: "لاَيَذُوقونَ فيها برداً وَلاَ سَلاماً". (سورة النبأ 24/78).

حسنُ الزغاري، وما أحسنَهُ:

وَافَــى كِتَـــابُكَ، يَاخَلِيـــلِي، بَعْدَمَــا حكَمَـــتْ عَلَـــيَّ بِبُعْـــدِكَ الأَيَّـــامُ
لَكِـنْ أَرَى نَـــارَ اشْتِيَاقِـــي لَـمْ تَكُـــنْ بَـــرْداً عَلَـــيَّ، وَفِيـــهِ مِنْــكَ سَـــلاَمُ

وقالَ ابن قرناصٍ[1]:

وَوَجْنَــةٍ قَــدْ غَــدَتْ كَــالوَرْدِ حُمْرَتُـهَــا وَأَشْـــبَهَ الآسَ ذَاكَ العَـــارِضُ النَّضِـــرُ
كَـأَنَّ مُوسَـى، كَلِيـمَ اللَّــهِ، أَقْبَسَـهَــا نَـاراً، وَجَـرَّ عَلَيْهَـــا ذَيْلَــهُ الخَضِـــرُ

وأحسنَ أبو بكرٍ ابنُ القوطية[2]:

قُـمْ فَاسْـقِنِيهَا عَلَـى الـوَرْدِ الَّـذِي فَغَمَــا وَبَــاكِرِ السَّوْسَــنَ الغَــضَّ الَّــذِي نَجَمَــا
كَأَنَّمَــا ارْتَضَعَــا خِلْفَـــيْ سَمَائِهِمَــا فَـــأَرْضَعَتْ لَبَنــاً هَـــذَا وَذَاكَ دَمَــا
كَـــأَنَّ ذَا طُلْيَـــةٌ نُضَّـــتْ لِمُعْتَـــرِضٍ وَذَاكَ خَــدٌّ غَــدَاةَ البَيْـــنِ قَـــدْ لُطِمَــا
أَوْلاَ، فَـــذَاكَ أَنَابِيـــبُ اللُّجَيْـــنِ، وَذَا جَمْرُ الغضَــا حرَكَتْـهُ الرِّيـحُ فَاضْطَرَمَــا

إفــــادة

قالَ في درة الغواصِ: السَّوسَنُ بفتحِ السِّين كَكَوثَرٍ وجَوْهرٍ، والخواصُ يوهمونَ فيضمـونَ السينَ، ولمْ يُسمع في كلامِ العربِ فُوعَلَ إلاَّجؤذر[3]، وبَنَى على هذا مَن قال:

---

[1] ـ البيتان في تزيين الأسواق 493.
وفي الأصل: ذلكَ، وهو خطأ، والتصويب عن تزيين الأسواق.

[2] ـ الأبيات في رفع الحجب 153/1 ودرة الغواص 78.
في الأصل: نعما، وأثبتنا ما في رفع الحجب. وفي درة الغواص: فعما بالعين المهملة.
فغم الورْدُ: تفتحَ. ونجمَ: ظهرَ وطلعَ. والخِلفُ: حلمةُ ضرع الناقة. والطُّلْيـةُ: العنـقُ. أو أصلـه. والنَّصُّ: الإظهارُ، ونص الشيءَ: أظهرَه.

لَـمْ يكْفِـكَ الهَجْــرُ فَـــأَهْدَيْتَ لِـــي   تَفَـــاؤُلاً بِالسُّـــوءِ لِـــي سُوسَنَــــهْ
أَوَّلُهَـــا سُـــوءٌ، وبَـاقِـــي اسْمِـهَـــا   يُخْبِـــرُ أَنَّ السُّـــوءَ يَبْقَـــى سَنَــــهْ

ومن معنَى قولِ ابنِ سهلٍ قولُ ابنِ العفيفِ[1]:

وَعُيُـونٍ أَمْرَضْـنَ جِسْـمِي وَأَضْرَمْـــ   ـــنَ بِقَلْبِـي لَوَاعِـــجَ البَلْبَـــالِ
وَخُـــدُودٍ مِثْـــلِ الرِّيَـــاضِ زَوَاهٍ   مَـــا لِأَيَّـــامِ حُسْنِـهَـــا مِـــنْ زَوَالِ
لَـمْ أَكُـنْ مِـنْ جُنَـاتِـهَـــا، عَلِـمَ اللَّـــ   ـــهُ، وَإِنِّـــي بِحَرِّهَـــا اليَـوْمَ صَـــالِي

ووعدَ ابنَ رشيقٍ مَحبُوبُه أن يكونَ عندَه يومَ عيدٍ، فصلَّى وارتقبَ، فإذا السماءُ قد أرعدتْ وأبرقتْ فكتبَ إليهِ[2]:

تَجَهَّـمَ العِيـــدُ وَانْهَلَّـــتْ مَدَامِعُــــهُ   وكُنْـتُ أَعْهَـدُ مِنْـــهُ البِشْـــرَ وَالضَّحِكَـــا
كَأَنَّــهُ جَـاءَ يَطْـوِي الأَرْضَ مِـنْ بُعُــدٍ   شَوْقَـــاً إِلَيْـكَ فَلَمَّـــا لَـمْ يَجِـدْكَ بَكَـــى

---

[1] ـ ديوان الشاب الظريف 55. والثالث من هذه الأبيات هو للحارث بن عبادٍ البكري من أبطالِ حربِ البسوس في الجاهلية، قاله في هذه الحرب، وصلة البيت قبله:

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعامةِ مِنِي   لَقِحَتْ حرب وائلٍ عن حيالِ
لَمْ أكن من جُناتها.....   ....

(انظر الأصمعيات 71). وقد ضمنه ابن العفيف هنا للمناسبة

وعلق عبد الرحيم العباسي على هذا البيت في معاهد التنصيص 168/4 بقوله: "صرف لفظ جناتها من معنى الجناية إلى معنى الجني".

البَلْبالُ: الهمُّ.

[2] ـ ديوان ابن رشيق 140.

المعانـــي

زادَ (السلامة) لدفعِ مكيدةِ البرودةِ، لأنها إذا استحكمتْ كانت عذاباً. وهذا ممَّا يقولُه علماءُ التفسيرِ: لوْ قالَ اللهُ لنارِ الخليلِ: "كُونِي بَرْداً"[1] ولم يزدْ : وسلاماً ، لمات برْداً.

البيـــان

في التعبير: البردِ والسلامِ ما لا يخفىَ من ترشيحِ استعارةِ النارِ للخُدودِ، حتى كانتْ هذه النارُ كنارِ إبراهيمَ الخليلِ، ويُروى أنَّ إبراهيمَ، عليهِ السلامُ لمْ يَنتفعْ أحدٌ بالنَّارِ يومَ أُلقِيَ فيها. وكانَ إذاك ابنَ ستَّ عشرةَ سنةً[2]. وحُكيَ أنَّ عبدَ اللَّهِ ابنَ عُمرَ قالَ لمُجاهدٍ: أتدري من أشارَ بتحريقِ إبراهيمَ؟ قال: لاَ، قال: رجلٌ من أعرابِ فارسَ. قال: وهلْ للفرسِ أعرابٌ؟ قال: نعم، الكُردُ.

البديـــع

فيه الاقتباسُ في "برد وسلام"، وهو أن يُضمِّن المتكلِّمُ آيةً من كتابِ اللـهِ خاصـةً. وتقدم في السِّمطِ الأولِ تحريرُ أقسامِه. والاقتباسُ منـهُ مـا لا يُخرجُ فيـهِ عن أصـلِ معنـاهُ، كقولِ الحَريري: "قلمْ يكُ إلاَّ كلمحِ البصرِ أو أقرب، حتى أنشدَ فأغْرَب"[3]. ومنهُ ما يُخرجُ فيـهِ عن أصله، كقولِ ابنِ الرومي[4]:

---

[1] سورة الأنبياء 69/21.

[2] ـ في الأصل: ستة عشر، وهو غلط.

[3] ـ أوضحَ ذلكَ ابنَ حجةٍ في خزانة الأدبِ 540 بقولهِ: "كنَّى به عن شدة القرب، وكذلكَ هو في الآيـة". والآية هي: "وما أمْرُ الساعةِ إلاَّ كلَمْحِ البَصرِ أو هُوَ أقْرَب" (سورة النحل 77/16).

[4] ـ البيتان في ديوان ابن الرومي 1553/4 وعقود الجمان 167 وخزانة الأدب 540.
وقد بين ابن حجة نوع الخروج عن الأصل في هذا الاقتباس في خزانـة الأدب 540 فقـال: "كنَّى بـه عن الرجلِ الذي لاَ يُرجى نفعُه، والمُراد به في الآية الكريمة أرضُ مكة". والآية هـي: "رَبَّنَـا إنِّـيَ أسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتي بوادٍ غيرِ ذِي زرعٍ". (سورة إبراهيم 37/14).

لَئِـــنْ أَخْطَـــأْتُ فِـــي مَدْحِيـــــكَ مَـــا أَخْطَـــأْتَ فِـــي مَنْعِـــي
لَقَـــدْ أَنْزَلْـــتُ حَـــاجَـاتِـــــي بِـــــوَادٍ غَـيْـــــرِ ذِي زَرْعِ

قال ابن حجة: يجوزُ للمقتبسِ أن يغيِّر اللَّفظَ المقتَبَس منه بزَيْد أو نقْص، أو تغيير[1]، كقوله[2]:

كَـانَ الَّـــذِي خِفْـــتُ أَنْ يكُونَـــا إنَّـــا إلـــى اللَّــهِ راجعُـونَـــا

فإنْ قلتَ: من غيَّر شيئاً من القرآن فهو كافرٌ، قلتُ: هُم يقولون في الاقتباس: أخذُ الآيةِ منَ القرآنِ لا على أنها منهُ، ولهذا قالوا: إنهُ ليسَ من الاقتباسِ قوله:

أَيُّهَـــا المُسْتَطِيـــلُ بالبَغْـــي أَقْصِـــرْ رُبَّمَـــا طَـأْطَـــأَ الزَّمَـــانُ الرُّؤُوسَـــا
وَتَذَكَّـــرْ قَـــوْلَ الإلَـــهِ تَعَـالَـــى: "إنَّ قَـارُونَ كَـانَ مِـنْ قَـوْمِ مُـــوسَـى"[3]

ومنهُ للشهابِ العَسْقلانِي[4]:

خَـاضَ العَـوَاذِلُ فِـي حَدِيـثِ مَدَامِعِـي لَمَّـا رَأَوْا كَالبَحْـرِ سُرْعَـةَ سَيْـــرِه
فَحَبَسْتُـــهُ لأَصُـــونَ سِـــرَّ هَوَاكُـــمُ "حَتَّـى يَخُوضُـوا فـي حَدِيـثٍ غَيْـــرِهِ"

---

[1] ـ في خزانة الأدب 540: "بزيادةٍ أو نقصانٍ أو تقديمٍ أو تأخيرٍ".

[2] ـ البيت في معاهد التنصيص 139/4.
وفيه اقتباس من الآية: "الذينَ إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون" (سورة البقرة 156/2).
فقد عوض "إنا لله وإنا إليه..." بقوله: "إنا إلى الله"، وفيه نقص.

[3] ـ سورة القصص 76/28.

[4] ـ البيتان في خزانة الأدب 542 وعقود الجمان 169 ومعاهد التنصيص 143/4.
وآية الاقتباس: "فلا تَقْعُدوا معهُم حتى يخُوضوا في حديثٍ غيرهِ" (سورة النساء 140/4).

وقد ألفَ بعضُ أصحابِنا في الاقتباسِ. وجمعَ في ذلكَ كراريسَ حسنة وسمَّاهُ بالنبراس في حكم الاقتباس. والذي عليه المحققونَ جريانُ الاقتباسِ في الحديثِ أيضا، بل زادَ الطَّيبي أن يكونَ في مسائلِ الفقه[1]. ومن لطيفِ الاقتباسِ في الحديثِ قولُ ابنِ آجرومَ في سيفِ مولانا إدريس الموضوعِ على رأسِ منارِ القرويينَ [2]:

شَامُوا بِفَاسٍ سَيْفَ إدْرِيسِهِمْ ... فَوقَ مَنَارٍ لاَ لأَمْرٍ مَخُوفْ
بَلْ أَشْعَرُوا بِقَوْلِ خَيْرِ الوَرَى: ... "جَنَّتُكُمْ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفْ"

ولأحمدَ بنِ يَحيى الخزرجي[3]:

أَنْكَرَ السَّيْفَ بِالمَنَارِ بِفَاسٍ ... قَائِلٌ إنَّ ذَاكَ [دَاعِـ]ـي اغْتِمَامِ
لاَ يَرُعْكَ الحُسَامُ سُلَّ عَلَيْهَا ... جَنَّةُ الخُلْدِ تَحْتَ ظِلِّ الحُسَامِ

محمدُ الربيبُ[4]:

وَمَا خَصَّ إدْرِيسُ المَنَارَ بِسَيْفِهِ ... لِغَمٍّ، وَلَكِنْ كَيْ يَعُمَّ نِدَاؤُهُ
مُشِيراً: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ تَأْمَنُوا ... وَمَنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيهِ، هَذَا جَزَاؤُهُ!

---

[1] ـ خزانة الأدب 541.

[2] ـ خصص ابن الأحمر الباب الثاني عشر، وهو الأخير، من كتابه نثير الجمان 451-461 للشعر الذي قيلَ في سيف إدريس المرفوع على صومعة جامع القرويين من مدينة فاس. وعليه اعتماد الإفراني فيما أورده هنا.

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه 93/2، وفيه أن رسول اللهِ قال: "وَاعلَمُوا أن الجنة تحتَ ظِلالِ السُّيوفِ".

[3] ـ البيتان في نثير الجمان 453. وقد سبقت ترجمة أحمد بن يحيى بن عبد المنان.

وقد سقطت الدال والألف من كلمة (داعي) في الأصل. والتصويب من نثير الجمان.

[4] ـ في نثير الجمان 454: "صاحبنا الفقيه أبو عبد اللهِ محمد بن عبد الرحمن المعروف بالربيب".

وله أيضاً:

سِرُّ فَاسٍ لِفَارِسٍ[1] قَدْ بَدَا فِي وَضْعِ إدْرِيسَ بِالمَنَارِ حُسَامَهْ
فَهِمَ العِزُّ لِلنِّدَاءِ فَأَوْرَى نَارَهُ مُعْلِماً وَشَالَ عَلامَهْ!

قال ابنُ الأحمرِ: هذه الزيادةُ التي زادَها في المَقطوعةِ، وهي ذكرُ العلاَمِ والفنارِ اللذينِ أحدثهُما أميرُ المؤمنينَ أبو عنانٍ فارسُ المرينيُّ سنةَ[2]. وقال أبو العباسِ الخزرجي[3]:

سَيْفُ إدْرِيسَ بالمَنَارِ بِفَاسٍ لَيْسَ لِلْغَمِّ، لاَ وَلاَ لِلْمَخَافَهْ
إنَّمَا كَانَ وَضْعُهُ السَّيْفَ فِيهَا مُعْلِماً أَنَّهُ مَقَرُّ الخِلاَفَهْ

وفي قولِه: "وضْعُه"، نظرٌ: لأن واضعَ السيفِ أحمدُ بن أبي بكرٍ الزّناتي. وقالَ غيرُه[4]:

وليسَ ارْتِفَاعِي فِي المَنَارِ لِكُرْبَةٍ وَلَكِنَّهُ كَيْ يَعْلَمَ الحَقَّ جَاهِلُهْ
أَحُضُّ عَلَى الخَمْسِ التِي فَازَ أَهْلُهَا وَمَنْ حَادَ عَنْ أَوْقَاتِهَا، أَنَا قَاتِلُهْ

قال ابنُ الأحمرِ: "وقولُه: "أَنَا قاتلُه"[5]، ليسَ كذلكَ، لأنَّ مؤخِّرَ الصل[وات] على أوقاتِها لاَ يُقتلُ وإنما يقتلُ جاحدُها". قالهُ في نثير الجمانِ له. ومنهُ نقلتُ هذه المقطعاتِ في السيفِ المذكورِ. قال شيخُنا أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحَي الحَلبي الشافعي: في انتقادِ ابن الأحمرِ

---

[1] ـ هو فارس أبو عنان المريني.

[2] ـ في الأصل ثلاثة حروف غير مقروءة، وفي نثير الجمان في شهر ربيع الأول سنة تسعة وأربعين وثلاثمائة.

[3] ـ أحمدُ بن محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بالدباغ، قال فيه تلميذه ابن الأحمر: "لهُ نظم رائقٌ، جمع فيه بين الجزالة والحلاوة، ونثر فائق، عليه رداء الطلاوة، وباع عظيم في نقد الأدب.." (نثير الجمان 398_414، نثير فرائد الجمان 376).

[4] ـ في نثير الجمان 456: "صاحبنا أبو الفضل محمد بن باشر التسولي" والبيتان فيه 459.

[5] ـ في نثير الجمان 459: ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله..

نظرٌ، لأن مذهبَ المالكيةِ أن من أخَّرَ الصلاةَ يُقْتَلُ، ولو قالَ: أنا أفعلُ، وإنما الخلافُ هل كُفراً، وهو رأيُ ابنِ حبيبٍ، أو حداً وهو المشهورُ'[1].

الإعـــراب

هِيَ: مبتدأٌ،

وبَرْدٌ وسَلاَمٌ: خبرٌ.

وفي خدَّيْهِ: في محلٍّ نصبٍ على الحالِ.

وهي: مبتدأٌ.

وضُرٌّ وحريقٌ: خبرٌ.

وفي الحَشَا: متعلقٌ بأحدهما، فيتنازَعاهُ، وإما أن يُجعلَ في محلِّ نصبٍ على الحالِ.

---

[1] ـ يستفاد من النسخة المعتمدة عندنا مِن الدر النفيسِ 377 أن هذا الكلامَ وجده ابنُ عبد الحي بطرة نثير الجمان، فردَّه بما يلي: "قلتُ: وهذا كلُّه تعسفٌ بلا فائدةٍ، وإنما جرَى هذا الكلامُ مجرَى المبالغةِ...".

أَتَّقِـــي مِنْـــهُ عَلَـــى حُكْـــمِ الـغَـــرَامْ   أَسَـــــداً وَرْداً، وأهــــواهُ رَشَـــــا[1]

اللغــة

اتقاهُ يتَّقيهِ: حذِرهُ، والاسم التَّقْوَى، أصلُه تَقْيا، قَلبوهُ للفرقِ بينَ الاسمِ والصفةِ.

و**الحُكمُ** بالضَّم: القضاءُ.

"و**الغرامُ**: الولوعُ، والشرُّ الدائمُ، والهلاكُ والعذابُ. والمُغرمُ كمُكرَم: أسيرُ الحبِّ والدَّيْنِ، والمُولعُ بالشيءِ"[2].

و**الأسدُ**: معروفٌ. والوردُ، قال في القاموس: الأسدُ، كالمُتورِّدِ. والوردُ من الخيلِ: بين الكُميتِ والأشقرِ[3]، قاله الطَّرابلسي[4]. وكأنه سُمِّيَ بذلكَ لكونِه على لونِ الوردِ. قال أبو تمامٍ[5]:

دَرِيئَـةُ خَيْـلٍ لاَ يَـزَالُ لَـدَى الـوَغَـى   لَـهُ مِخْلَـبٌ وَرْدٌ مِـنَ الأَسَـدِ الـــوَرْدِ

وقال أبو الطيب[6]:

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 286.

[2] ـ القاموس المحيط (غرم).

[3] ـ المصدر السابق (ورد).

[4] ـ هو إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي لغوي باحث من أهل طرابلس. من كتبه (كفايةُ المتحفظ) توفي سنة 470هـ (المنهل العذب 1/154-156، وإرشاد الأريب 1/47 عن الأعلام للزركلي 1/25).

[5] ـ ديوان أبي تمام.

[6] ـ ديوان المتنبي 548.

وَلَيْسَ حَيَاءُ الوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيمَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الأَسَدِ الوَرْدِ

والهَوى: العِشقُ. والرشأُ: الظبيُ، والرِّشاءُ بالكسر: الحبلُ. ولابن الرومي[1]:

وَإِذَا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرأً لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ، فَقَدْ أَرَادَ هِجَاءَهُ
لَوْ لَمْ يُقَدِّرْ فِيهِ بُعْدَ المُسْتَقَى عِنْدَ الوُرُودِ، لما أَطَالَ رِشَاءَهُ

وأخذه الوراقُ[2]:

سَامِحْ بِفَضْلِكَ عَبْداً مُقَصِّراً فِي الثَّنَاءِ
ر[أى] قَلِيباً قَرِيباً فَلَمْ يُطِلْ فِي الرِّشَاءِ

قلتُ: في بيتي ابنِ الرومي اللَّقبُ البديعي المُسمَّى بسلامةِ الاختراعِ، ذكرهُ الحلي وابنُ حجةَ وغيرُهما. ولابنِ الرومي اليدُ الطُّولى في استنباطِ المَعاني، كقولِه في خبازٍ[3]:

إِنْ أَنْسَ لاَ أَنْسَ خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو الرُّقَاقَةَ وَشْكَ اللَّمْحِ بِالبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءَ كَالقَمَرِ
إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ المَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالحَجَرِ

وذكرَ ابنُ بسامٍ في الذخيرةِ في ترجمةِ الفقيهِ المَغربي البماري[4] أنهُ أنشِدتْ هذه الأبياتُ بينَ يديْهِ، فقال بعضُ تلامذتِه: أما إنه لا يُقدرُ على الزيادةِ عليها، فقال الفقيهُ[5]:

---

[1] ـ البيتان في ديوان ابن الرومي 11/1، (تحقيق حسين نصار)، ومعاهد التنصيص 110/1.

[2] ـ البيتان في معاهد التنصيص 110/1. والقليب: البئر.

[3] ـ الأبيات في ديوان ابن الرومي 111/3 (تحقيق حسين نصار)، وفي معاهد التنصيص 109/1. ..وفي الأصل: لم أنس لم أنس، وفي الديوان ما أنس لا أنس. وأثبتنا ما اختارهُ محقق معاهد التنصيص.

[4] ـ في معاهد التنصيص 110/1: الأديب أبو عمرو النميري.

[5] ـ البيت في المصدر السابق.

فَكَـادَ يَضْـرَطُ إعْجَابـاً بِـرؤيَـتِـهَـا وَمَـنْ رَأَى مِثْـلَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْهُ خَـرِي

فضحك من حضرَ وقالوا: البيتُ لائقٌ بالقطعةِ لولا ما فيهِ من ذكرِ الرجيعِ، فقال[1]:

إنْ كَـانَ بَيْتِـي هَـذَا لَيْـسَ يُعْجِبُكُـمْ فَعَجِّلُـوا مَحْـوَهُ أَوْ فَالْعَقُـوهُ طَـرِي

وقال أيضاً[2] يهجو خالداً الشاعر:

لِخَـالِدٍ، شَـاعِرِنا، زَوْجَـةٌ لَهَـا حِـرٌ يَبْلُـغُ مِثْلَيْهَـا
قَوَّامَـةٌ بِاللَّيْـلِ لَكِنَّهَـا تَسْتَغْفِـرُ اللَّـهَ بِرِجْلَيْهَـا

وله أيضا[3]:

إنْ كُنْـتَ مِـنْ جَهْـلِ حَقِّـي غَيْرَ مُعْتَـذِرٍ، أَوْ كُنْـتَ مِـنْ رَدِّ مَـدْحِي غَيْرَ مُتَّئِـبِ
فَأَعْطِنِـي ثَمَـنَ الطِّرْسِ الَّـذِي كُتِبَـتْ فِيـهِ القَصِيـدَةُ، أَوْ كَفَّـارَةَ الكَـذِبِ

ابنُ زيدون[4]:

قُـلْ لِلْوَزِيـرِ، وَقَـدْ قَطَعْـتُ بِمَدْحِـهِ عُمْـرِي، فَكَـانَ السِّـجْنُ مِنْـهُ ثَوَابِـي:
لاَ تَخْـشَ لاَئِمَتِـي بِمَـا قَـدْ جِئْتَـهُ مِـنْ ذَاكَ فِـيَّ، وَلاَ تَـوَقَّ عِتَابِـي

---

[1] ـ البيت في المصدر السابق.
وفي الأصل: نحو، أو فالحقوهُ، وأثبتنا ما في معاهد التنصيص.
[2] ـ المقصودُ ابنُ الرومي، كما في معاهد التنصيص 110/1، وفيه البيتان.
وفي الأصل: من يبلع، وأثبتنا ما في معهد النصيص.
[3] ـ هو ابن الرومي كما في المصدر السابق.
[4] ـ ديوان ابن زيدون 255.

لَـمْ تُخْـطِ فِـي أَمْـرِي الصَّـوَابَ مُوَفَّقـاً   هَـذَا جَـزاءُ الشَّـاعِـرِ الكَـذَّابِ!

الأبِيوَرْدي[1]:

وَمَدَائِـحٍ تَحْكِـي الرِّيَـاضَ أَضَعْتُهـا   فِـي بَـاخِلٍ أَعْيَـتْ بِـهِ الأحْسَـابُ
فَإِذَا تَنَاشَدَهـا الـرُّوَاةُ وَأَبْصَـرُوا الـ   ـمَمْـدُوحَ قَـالُـوا: سـاحِـرٌ كَـذَّابُ

ابنُ حكينا البغدادي[2]:

قَـدْ بَـانَ لِـي عُـذْرُ الكِـرَامِ، فَصَدُّهُـمْ   عَـنْ أَكْـثَرِ الشُّعَـراءِ لَيْـسَ بِعَـارِ
لَـمْ يَسْأَمُـوا بَـذْلَ النَّـوالِ، وإنَّمَـا   جَمَـدَ النَّـدَى لِبُـرُودَةِ الأشْعَـارِ

المعنـى

أنَّ هذا المحبوبَ سكنتْ محبتُه في قلبي، وتخلَّلتْ مسلكَ الروحِ منِّي، فأعشقُهُ ظبياً. وهو في عظيمِ سطوتِه أجدُه في قلبي كالأسدِ الضاري والغَضَنْفَرِ المفترِسِ. ويَنظُر لهذا قولُ أبي عبد اللهِ القرشي المقَّري قاضي الجماعةِ بفاسٍ، صاحبِ القواعدِ الفقيهيةِ مُوريًاً[3]:

---

[1] ـ لم نجد البيتين في ديوان الأبيوردي، وهما له في معاهد التنصيص 112/1، وفيه: "ولطيفٌ قولُ أبي المُظفرِ الأبيوردي".

[2] ـ هو الحسن بن أحمدَ بنِ محمد بن حكينا البغدادي، شاعر ظَريـف يميلُ إلى الخلاعةِ، وأكثرُ أشعاره مقطعاتٌ. توفي سنة 558هـ. (فوات الوفيات 148/1، ومعاهد التنصيص 113/1 الحاشية). والبيتان في معاهد التنصيص.

[3] ـ هو محمد بن محمد القرشي المقري أبو عبد الله قاضي الجماعة بفاس وتلمسان، توفي بفاس سنة 759هـ. ونقل بعد سنة إلى تلمسان. حباهُ حفيدُه صاحبُ النفح ترجمةً موسعةً نقل فيها أخبارَه وأشعاره وأخبارَ شيوخه وتلامذته من مصادرَ متعددة هامة. وأورد نقولا من كتبه تصلحُ أن تكون كتاباً قائماً بذاته (نفح الطيب 203/5-354، وجذوة الاقتباس 298/1-300).
وقال عن كتابِه (القواعد) في نفح الطيب 284/5: "اشتملَ على ألفِ قاعدةٍ، ومائتيْ قاعدة".

لاَ تَعْجَبَــنَّ لِظَبْـيٍ قَــدْ دَهَـــا أَسَـــداً   فَقَــدْ دَهَــا أَسَـداً مِـنْ قَبْـتلُ سُحْنُــونُ

وسُحنونُ اسمُ طائرٍ لا ينامُ الليلَ، وبه سُمي سحنونُ ابنُ سعيدٍ. وعَنَى بأسدٍ أسَدَ بنَ الفراتِ وحكايتُه معهُ في احتِيالِه عليهِ في نسخِ المدونةِ شهيرةٌ.

قالَ في جذوةِ الاقتباسِ عن القاضي المذكورِ، قالَ: سمعتُ ابن حكمٍ يقولُ: كتب بعضُ أدباءِ فاسٍ إلى صاحبٍ له[1]:

ابْعَــثْ إلَــيَّ بِشَــيْءٍ   مَــدَارُ فَــاسٍ عَلَيْــهِ
وَلَيْــسَ عِنْـدكَ شَــيْءٌ   مِمَّــا أُشِيــرُ إِلَيْــهِ

فبعثَ إليهِ بطةَ مُرْيٍ[2] يُشيرُ إلى الرِّياءِ.

المعانــي

نكتةُ قوله: عَلَى حُكْمِ الغَرَامِ، الإعلامُ بأن الحبَّ قضاءٌ يُبلى بـه العبدُ. ومعلومُ أن القضـاءَ إذا نزلَ عمِيَ به البصرُ. ووصف الأسدَ بالورَدِ، ولعلهُ أضرمُ الأسودِ وأكثرُها عداءً.

ثمَّ بعدَ كتْبي هذا وقفتُ على شرحِ ديوانِ أبي تمامٍ ليوسُفَ بنِ عيسَى النحوي المَعروفِ بالأعلمِ، فوجدتُه قالَ على قولِ أبي تمامٍ[3]:

والبيت في نفح الطيب 339/5، وجذوة الاقتباس 299/1.

1 ـ جذوة الاقتباس 299/1.

2 ـ "البطة:إناء كالقارورة"(القاموس المحيط:بط).والـ مُرْيّ بضمِّ الميم وسكون الراء وكسرها كذلك: مركَّب من الدقيق والملح والعسل وموادَّ أخرى (دُوزي: مري). وَفي الرائدِ: "المُري ما يُجعلُ مع الخبز أو الطعام فيطيبُه" "الرائد: مري). وشرح ابن البيطار في كتابه: الجامع لمفردات الأدويةِ والأغذية 147/4 فوائده الطبية وتأثيره على الهضم.

3 ـ ديوان أبي تمام.

أَرُدُّ يَدِي عَنْ عِرْضِ حُــرٍّ وَمَنْطِقِـــي، وَأَمْلَــؤُهَا مِـــنْ شِــدَّةِ الأَسَــدِ الــــوَرْدِ

أي وأقدرُ على هَجوِ اللَّئيمِ ولو كانَ في الشدةِ كالأسدِ الوردِ، وهو أشدُّها.

البيـــان

فيه التشبيهُ البليغُ بحذفِ الأداةِ، أي أتوقاهُ كالأسدِ المجترِي، وسلفَ القولُ فيه.

البديـــعُ

فيهِ التجريدُ، قال في الإيضاحِ[1]: "وهو أن [يُنتزَع] من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ"[2] آخرُ مثلُه في تلكَ الصفةِ، مبالغةً في كمالِها فيهِ[3]، نحو: لي من فلانٍ صديقٌ حميمٌ، أي بلغَ عندي من الصداقةِ مبلغاً صح معهُ أن يُستخلصَ منهُ صديقٌ آخرُ". ومنهُ قولُ الشاعرِ:

أُعَانِقُ غُصْــنَ البــانِ مِـنْ لِيــنِ قَدِّهَـــا وَأَجْنِــي جَنِـــيَّ الــوَرْدِ مِـــنْ وَجَنَاتِهَـــا

فجرَّدَ من قدِّها غصناً ومن وجناتها ورداً. قال الثعالبي: ومن التجريدِ مخاطبةُ الإنسانِ نفسَه، كقولِ أبي الطيب[4]:

لاَ خَيْـــلَ عِنْـــدَكَ تُهْدِيهَـــا وَلاَ مَـــــالُ فَلْيُسْعِـــدِ النُّطْــقُ إِنْ لَـمْ يُسْعِـــدِ الحَـــالُ

الإعراب

أتَّقِي: فعلُ مضارعٌ، وفاعلُه ضميرُ المتكلمِ.

---

[1] ـ الإيضاح 55.

[2] ـ في الأصل: أمرا.

[3] ـ زادَ في الإيضاح 55: "وهو أقسامٌ. منها نحو قولهم".

[4] ـ أنوار التجلي 288/1، والبيت في ديوان المتنبي 502.

ومنهُ: جار ومجرورٌ يتعلق بـ(أتقي)،

والغرامِ: مضافٌ إليهِ.

وأسداً: مفعولُ (أتقي).

ووردأً: وصفٌ لهُ.

وأَهْوَاهُ: جملةٌ معطوفةٌ على جملةِ (أتَّقي).

والهاءُ: مفعولٌ بهِ. ورَشاً: حالٌ.

قُلْـــتُ، لَمَّــــا أَنْ تَبَـــدَّى مُعْلَمَــــــا   وَهْــوَ مِـــنْ أَلْحَاظِــهِ فِـــي حَـــرَسِ[1]:

اللغــة

"**القولُ:** الكلامُ، وكلُّ لفظٍ مَذَلَ به اللسانُ تامّاً أو ناقصاً، والقولُ في الخيرِ، والقالُ والقيلُ والقالةُ في الشرّ"[2]. وما أملحَ قولَ الحافظِ ابنِ فتوحٍ[3]:

لِقَــاءُ النَّــاسِ لَيْــسَ يُفِيــدُ شَيْئــاً   سِــوَى الهَذَيَــانِ مِــنْ قِيــلٍ وَقَــالِ
فَــأَقْلِلْ مِــنْ لِقَــاءِ النَّــاسِ إلاَّ   لأَخْــذِ العِلْــمِ أَوْ إِصْــلاحِ حَــالِ

ولَمَّا: بمعنى حينَ، وللنحاةِ خلافٌ في اسميتها وحرفيتِها.

وتَبَدَّى: أي ظَهَرَ. وتذكرتُ بهذه اللفظةِ ما رأيتُه في رِحلةِ البَلوي[4] عن ابن الغمّازِ[5] قال: "كنّا جلوساً مع أبي الربيعِ ابنِ سالمٍ الكِلاعي ببلنسيةَ لارتقابِ هلالِ شوالٍ. فأولُ من رآه غُلامٌ وضيءُ الوجهِ من قرابةِ الشيخِ، فارتجلَ الشيخُ:

---

[1] ـ ديوان ابن سهل 286.

[2] ـ القاموس المحيط (قول)، ومَذَلَ سرَّه: أفشاهُ، (القاموس المحيط: مذل).

[3] ـ البيتان في نفح الطيب 114/2، وابن فتوح هو محمد بن فتوح ابن عبد الله الأرذي الحميدي (ترجمته في نفح الطيب 112/2-115).

[4] ـ تقدم التعريف بها.

[5] ـ في الأصل ابن الغمار، براء مهملة، والصواب ما أثبتناه عن تاج المفرق 155/1، وهو: أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي، نزل ببجاية وتولى بها القضاء ومات بتونس سنة 693هـ (انظر تاج المفرق 155/1 وعنوان الدراية 70-72 ونفح الطيب 233/5-234).

تَـوَارَى هِــلاَلُ الأُفْـقِ عَـنْ أَعْيُـنِ الـوَرَى وَغَطَّـى بِسُحْـمِ الغَيْــمِ زَهْــواً مُحَيَّــاهُ[1]
فَلَمَّــــا أَتَـــاهُ صِنْـــوُهُ لِيَــــزُورَهُ تَبَـــدَّى لَـــهُ دُونَ الأَنَـــامِ فَحَيَّـــاهُ"[2]

ويقربُ من هذا ما حدَّثني به بعضُ الفضلاءِ أنَّ الشيخَ الإمامَ أبا سالمٍ، عبدَ اللهِ العياشي صعَد منارَ جامع القرويينَ معَ الـ[شهـ]ودِ لارتقابِ الهلالِ، وكانَ معهُم القاضي ابنُ سودةَ، فلم يرَوْا شيئاً. فأنشدَ أبو سالمٍ[3]:

قُــــلْ لِلَّذِيـــنَ ارْتَقَبُـــوا فِعْلَكُــــمُ لاَ أَرْتَضِــــي
أَنَّـــى لَكُـــمْ رُؤْيَتُــــهُ وَفِيكُـــمُ شَمْـــسٌ تُضِـــي

و**أعلم** الثوبَ: وسمَهُ ورقَمَه "ومَعْلَم الشيءِ كمَقْعَدٍ: مَظِـنَّتُـه وما يُستدلُّ به"[4].

و**الألحاظ**: العيونُ.

و"**حرسَه** حرْساً وحِراسةً فهو حارسٌ[5] وأحراسٌ. والحَرَسِيُّ واحدُ حرسِ السُّلطانِ". قاله في القاموس.

المعنــى

قلتُ للظبيِ لمَّا تجلَّى كالبُردِ المعلمِ في رقمِ أَديمِه بِسلكِ المحاسنِ. أو يكونُ أرادَ أنـهُ لابسٌ حلةً ذاتَ وشْيٍ وتزويقٍ. ويجوزُ أن يُقرأَ مُعلِماً بالكسرِ اسمَ فاعلٍ من الإعلامِ، وحالةَ قولي له

---

[1] ـ في الأصل: زهو، والتنوين عن تاج المفرق.
[2] ـ تاج المفرق 155/1. وفيه كما في نفح الطيب 234/5 أن هذه الحادثة تكررت لابن الغماز بتونس.
[3] ـ ترجم له الإفراني في الصفوة.
[4] ـ القاموس المحيط (علم).
[5] ـ في القاموس المحيط (حرس) زيادة: "حارسٌ ج حَرَسٌ وأحراسٌ وحُرَّاسٌ...".

وهو في حِصنٍ حَصينٍ، وجيشٍ رَصينٍ، من سيوفِ جُفونِه، ورماحِ قدِّه. وقد أكثرَ الشعراءُ في معنى المصراعِ الأخيرِ، ومنهُ:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَحْرُسُوكَ بِخَادِمٍ ... وَخُدَّامُ ذَاكَ الحُسْنِ عِنْدِي أَكْثَرُ

التِّهامي[1]:

طَرَقَتْهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلَتْ لَهُ ... وَهَناً مِنَ الغُرَرِ الصِّبَاحِ صَبَاحَا
أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ العُيُونِ أَسِنَّةً ... وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ القُدُودِ رِمَاحَا
يَا حَبَّذَا ذَاكَ السِّلاَحُ وَحَبَّذَا ... وَقْتٌ يَكُونُ الحُسْنُ فِيهِ سِلاَحَا

ويناسبُ هذا المقامَ أبياتُ مَجدِ الدينِ بنِ الظهيرِ الإربِيلي[2]، وإنها لمِن السِّحرِ الحلالِ:

غِشُّ المُفَنِّدِ كَامِنٌ فِي نصْحِهِ ... فَأَطِلْ وُقُوفَكَ فِي الغُوَيْرِ وَسَفْحِهِ

منهـا:

وَبِيَ الَّذِي يُغْنِيهِ فاتِرُ طَرْفِهِ ... عَنْ سَيْفِهِ، وقِوَامُهُ عَنْ رُمْحِهِ
ظَبْيٌ يُؤنِّسُ بِالغَرَامِ نِفَارُهُ ... ويَجِدُّ فِي نهبِ القُلُوبِ بِمَزْحِهِ
ذُو وَجْنَةٍ شَرِقَتْ بِمَاءِ نَعِيمِهَا ... كَالوَرْدِ أَشْرَقَهُ نَدَاهُ بِرَشْحِهِ
وكَأَنَّ طُرَّتَهُ، وَضَوْءَ جَبِينِهِ ... لَيْلٌ تَأَلَّقَ فِيهِ بَارِقُ صُبْحِهِ
يَا شَاهِراً مِنْ جَفْنِهِ عَضْباً[3] غَدَا ... مَاءُ المَنِيَّةِ بادِياً فِي صَفْحِهِ

---

[1] ـ ديوان التِّهامي 10. والوَهنُ من الليل: نحوُ منتصفِه.

[2] ـ القصيدة في الغيث المسجم 244-245، وقال في التقديم لها: "أنشدني لنفسه شيخُنا الإمام مجدُ الدين محمدُ بنُ الظهيرِ الإربلي الحَنفي". (انظر ترجمة مجد الدين الإربلي في فوات الوفيات 301/3).

وفنده: كذَّبه وعجزه وخطأ رأيه. (القاموس المحيط: فند).

[3] ـ في الأصل: غضبا، وهو خطأ، وأثبتنا ما في الغيث المسجم.

قَلْبِـــي وَطَرْفِـــي، ذَا يَسِـــيلُ دَمـــاً، وَذَا دُونَ الـــوَرَى أَنْـــتَ العَلِيـــمُ بِجُرْحِـــهِ
وَهُمَـــا بِحُبِّـــكَ شَاهِـــدَانِ، وَإِنَّمَـــا تَعْدِيـــلُ[5] كُـــلٌّ مِنْهُمَـــا فِـــي جُرْحِـــهِ
وَالقَلْـــبُ مَنْزِلُـــكَ القَدِيـــمُ، فَـــإِنْ تَجِـــدْ فِيـــهِ سِـــوَاكَ مِـــنَ الأَنَـــامِ فَنَحِّـــهِ

المعانـــي

فائدةُ الجملةِ الحاليةِ، وهْي قوله: وَهْوَ مِنْ أَلْحَاظِهِ إلخ، الإشارةُ إلى أنهُ لمَّا ظهر كانَ في موكبٍ من محاسنِه محروساً بسيفِ لحظِه، وآلةِ مُلكِه.

البيـــان

فيه التشبيهُ البليغُ على التفسير الأول[1]، وأما على الثاني فلا.

البديـــع

فيه الاعتراضُ بالجملة الحاليةِ من قولِه: وهو من ألحاظـهِ. وقد ذكرَ الشيخُ صفي الدين الحلي أن من الألقابِ البديعيةِ الاعتراضَ. قالَ نُصَيْبٌ:

فَكِـدْتُ، وَلَمْ أُخْلَـقْ مِنَ الطَّيْرِ، إِنْ بَـــدَا سَنَـــا بَـــارِقٍ، نَحْـــوَ الحِجَـــازِ أَطِيـــرُ

فقولُه: ولم أُخلق، اعتراضٌ عجيب. قال الثعالبي: وفائدةُ الاعتراضِ أمورٌ كالتنزيهِ والتنبيهِ على سببٍ فيه غرابةٌ[2].

---

[1] ـ يقصد حالة تشبيهه "بالبُردِ المُعلمِ".

قلت: وفي هذه الحالة يكونُ استعارَ البُردَ للمحبوبِ ورشحَ بمُعلمٍ.

[2] ـ أنوار التجلي 2/472-473.

الإعــراب

قُلْتُ: فعلٌ وفاعلٌ.

و**لَمَّا**: اسمٌ بمعنَى حينَ، أو حرفـٌ على خلافٍ تقدَّم.

و**أنْ**: زائدةٌ، و**تبدَّى**: فعلٌ ماضٍ، وفاعلُه الضميرُ المستترُ.

و**مُعْلَمَا**: منصوبٌ على الحالِ.

و**الواوُ**: للحالِ. وهو: مبتدأٌ، و**في حَرَسِ**: خَبَرُه. ومن ألحاظِه: بيانٌ لحَرَسٍ.

أَيُّهَا الآخِذُ قَلْبِي مَغْنَمَا اجْعَلِ الوَصْلَ مَكَانَ الخُمُسِ[1]

اللغة

الأَخْذُ: التناولُ.

و**الغَنِيمَةُ**، والغَنِيمُ، والغُنْمُ بالضَّمِّ: الفيءُ. "غَنِمَ بالكسرِ غُنْماً بالضَّمِّ وبالفتْحِ وبالتَّحريكِ وغُنْمَاناً: الفَوْزُ بالشيءِ بلاَ مَشَقَّةٍ"[2].

واجْعَلْ: صَيِّرْ. وتأتي مادةُ جعل على معانٍ انظرها في القاموسِ.

ووَاصَلَهُ مواصلةً ووِصالاً، كلاهما يكونُ في عفافِ الحبِّ ودَعارَتِه[3].

و**المكانُ**: الموضعُ.

و**الخُمُسُ**: بضمتين ويسكَّن: جزءٌ من الخمسةِ، ولهذا سُمِّيَ الجيْشُ خَميساً، لأنهُ على خمسِ فرقٍ: المقدمةُ، والقلبُ، والميمنةُ، والميسرةُ، والساقةُ. والخَميسُ، جمعُه أخمساءُ وأخمسةٌ[4]. يأتي هنا قولُ بعضِهِم:

اليَوْمَ يَوْمُ الأَرْبِعَا وبَعْدَهُ يَوْمُ الخَمِيسْ

---

[1] - ديوان ابن سهل 286.

[2] - القاموس المحيط (غنم). وفي الأصل: والفوز، والواو زائدة.

[3] - في الأصل: ذعارته، رهو غلط.

[4] - القاموس المحيط (خمس).

فَاخْتَــرْ لَـــهُ مَــا تَشْتَهِـــي وَاجْعَــلْ لَـــهُ نِعْـمَ الأَنِـــيسْ

وَلمَّا أنشدتُهما صاحبَنا الأديبَ الفقيهَ المشاركَ الناسكَ سيدي صالحَ بنَ مُعطـي[1]، أنسأَ اللـهُ في أجلِه، ذيَّلَ عليهِما، فقال:

وَخَيْـــرُ مَـــا أَعْـدَدْتَــــهُ لِـذَاكَ قِــدْرٌ مِـنْ حَمِــيسْ [2]

فقلتُ أنا:

وَالكُسْكُسُـــونُ حُـبُّــــهُ فِـي خَاطِرِي حُـبٌّ رَسِيـــسْ

وزادَ صاحبٌ [لي]:

وَفِـــي الـــزُّلاَلِ غُـنْـيَــــةٌ عَنْ شُـرْبِ كَـأْسِ الخَنْدَرِيـسْ[3]
فَـاغْـنَــمْ نَـزَاهَـــةً عَـلَـــى وَادِي الجَـوَاهِــرِ النَّفِيـــسْ
أَوِ الـمُـصَلَّـــى فَـاقْصِــــدَنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْمَــى الوَطِيـــسْ

وَبيتُ شيخِنا المذكورِ من قولِ محمدِ بن علي الخَطيبِ القَصْري، أحدِ أشياخِ ابنِ غازي، ذكرَه صاحبُ الجُذوةِ[4]، وأنشدَ له:

---

[1] ـ هو صاحب الإفراني، صاحب النسخة الأصل في هذا التحقيق. انظر مقدمتنا، وكتابنا الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.

[2] الحَميسُ: التَّنُّور، والحميسةُ، وهي المقصودُ هنا: القليَّةُ، وحمَس اللحمَ: قلاهُ (القاموس المحيط: حمس). والحَمَّاسُ في الجنوب المغربي: قدرٌ خاصٌّ بالمرق.

[3] ـ كتب فوق كلمة الزلال: الحلال، مع إشارة التصحيح. والخنديس: الخمر، مشتقة من الخدرسة، أو رُومية مُعربة، (القاموس المحيط: خندريس).

[4] ـ قال في جذوة الاقتباس245/1: "محمد بن الخطيب القصري، أحد عدول سماط فاس، أخذ عن محمد ابن أحمد بن غازي، وكانَ أديباً" ثم قالَ: "توفي سنة خمس وخمسينَ وتسعمائة". وانظر كذلك لقط الفرائدِ/

إِذَا أَتَيْتَ الخَمِيــسَ افْعَـــلْ تَوَابِلَـــهُ   مِـنَ الحَمِيـسِ وَإِتْيَـــانِ لِــــدُولاَبِ[1]

وقولي: الكُسْكسونُ بالنونِ، خلافُ ما يدورُ على الألسنةِ، وذلكَ لِما رأيتُه في كتابِ التُّحفِ والطُّرفِ للقاضي أبي عبدِ اللهِ المَقَّري، ونصُّه: قال لي الشيخُ أبو القاسمِ بنُ محمدٍ، ونحنُ في دمشقَ: قالَ لي الشيخُ صالحُ برباطِ الخليلِ، عليهِ السلامُ: نَزَلَ بي مَغربيٌّ، فمرضَ حتَّى طالَ عليَّ أمرُه، فدعوتُ اللَّهَ أن يفرِّجَ عني وعنهُ بموتٍ أو صحةٍ، فرأيتُ النبي، صلى اللهُ عليهِ وسلَّم، فقال لي: أطعمْه الكُسكونَ. قالَ: يقولُه هكذا بالنونِ، فصنعتُه لهُ، فكأنما جعلتُ له فيهِ الشفاءَ. وكانَ أبو القاسمِ يقولُه هكذا بالنونِ، ويقولُ: لاَ أعدلُ عن لفظِ رسولِ اللهِ، انتهى[2]. ورأيتُ في كتابِ تحبيرِ السياسةِ لأبي عبدِ الله ابنِ الأزرقِ الغرناطي: لو رأى أرِسطاليسُ ما أحدثَه البرابرُ من الكسكونِ والبَرانِيسِ، أقرَّ على نفسِه أنهُ لا يُحسنُ شيئاً من الطب[3]. ويتعلَّق بذيلِ الأبياتِ ما كتبَ به بعضُهم[4] يستدعي صاحبَه[5]:

ألف سنة من الوفيات 300. وكان ابنُ غازي الابنُ "خطيبُ جامعِ القرويينَ نحوياً بارعاً في النحو أستاذاً.. توفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ". (نفس المصدر 321/1). أما ابن غـازي الأب فتوفي سنة 919هـ (نفس المصدر 320/1).

فمن مجموع هذه المعطيات، ونظراً لاعتماد الإفراني على جذوة الاقتباس يرجح أن ابـن غـازي هـو الـذي كان من أشياخ القصري.

وبيت القصري مقدم "في جذوة الاقتباس بقوله: "من نظمه يذكرُ سوق خميس فاس".

[1] ـ في الأصل: ثوابلهُ، بالمثلثة، وأثبتنا ما في جذوة الاقتباس.

[2] ـ وردت هذه القصة في نفح الطيب 258/5، وجـاءت مختصرة فـي المحاضرات لأبـي علـي اليوسـي ص 80..

[3] ـ انظر فحوى هذا الكلامِ في المحاضراتِ 80.

[4] ـ المقصود هو أبو الربيعِ سليمانُ بنُ عبدِ اللهِ بن عبد المومن الزناتي الكومي المتوفى سنة 604هـ، وهو شاعر تولى مناصب سياسية (انظر مقدمةَ ديوانه)..

والأبيات موجودة في ديوان أبي الربيع 137 ونفح الطيب 109/3.

[5] ـ المقصود هو أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المومن الموحدي. نقـل المقـري عـن السرخسـي قولـه:

اليَـــومَ يَـــومُ الـجُـمُـعَـــــهْ		يَـــومُ سُكــــونٍ وَدَعَـــــهْ
وَشَمْلُنــــــا مُفْـتَـــــــرِقٌ		فَهَـــلْ تَـــرَى أنْ نَجْمَعَـــــهْ؟

فأجابَه:

اليَـــومَ يَـــومُ الجُمُعَـــــهْ		وَرَبُّـنَـــــا قَـــــدْ رَفَعَـــــهْ
وَالشُّـــرْبُ فِيـــهِ بِدْعَـــــةٌ		فَهَـــلْ تَـــرَى أنْ نَدَعَـــــهْ[1]

المعنـــى

لمَّا تمكَّن منه الغَرامُ، وطالَ به الهُيامُ، خلعَ عذارَ الحَيَـا، وأبدَى مـا كـانَ خفيـاً، وقـالَ: يـاذا الذي قاتَلَ قلبي في معتركِ الصبابةِ والهوى، فغنمَه وأخذهُ فيئاً، هلاَّ جعلـتَ وصـلَـكَ لـي مكـانَ الخُمسِ الواجبِ شرعاً في مثلِه. وهذه مُلحةٌ فقهيةٌ، وعارضَـها ابنُ الخطيبِ حيثُ قالَ[2]:

اِتَّقُـــوا اللَّـــــهَ وَأَحْيُـــوا مُغْرَمَــــا		يَتَلاَشَـــــى نَفَســـــاً فِـــــي نَفَـــسِ
حَبَّـــسَ القَلْـــبَ عَلَيْكُـــمْ كَرَمَـــا		أَفَتَرْضَـــــوْنَ خَــــرَابَ الحُبُـــسِ

"أنه (أي أبو الحسن) كانَ مـن أهلِ الأدب والطـرب، ولـيَ بجايـة مـدةً ثـمَّ عُـزلَ عنهـا لإهمالِـه وإغفالـه، وانهماكِه في ملاذِّه" (نفح الطيب 108/3).

[1] ـ في الأصل: تدعه بالتاء، وأثبتنا ما في ديوان أبي الربيع ونفح الطيب.

[2] ـ نفح الطيب 12/7.

المعانـــي

أتى بهاءِ التنبيهِ في "يا أيها" حرصاً على إقبالِ المخاطبِ وإلقاءِ شَرَاشِرِه[1] لما يُملى عليه.

البيـــان

شبَّهَ قلبَه بأموالِ المُحاربينَ، وأنَّ الظبيَ لمَّا هزمَ جيشَ صبره وأخذَ قلبَه غنيمةً قسمَه كما تُقسمُ الغنائمُ خمسةَ أخماسٍ، فأخذَ سلطانُ الحسنِ الخُمسَ، واستبدَّ بهِ، وقسمَ الأربعةَ أقسامٍ الباقيةَ على أنصارِه من جُفونِه المقاتلَةِ.

البديـــع

فيه التوجيهُ، وسلفَ القولُ فيه.

وقد أحسنَ ابنُ سهلٍ في مَطلعِ فجرِ التوشيحِ وفي ختامِه. وأطبقَ البلغاءُ على وُجوبِ تأنقِ الشاعرِ في ثلاثةِ أماكنَ من القصيدةِ: في ابتدائِها، وانتهائِها، وفي التخلصِ من التغزلِ للمدحِ. ومن أحسنِ الختامِ:

لاَأَسْأَلَ اللَّـــهَ إلاَّ أَنْ يَـــدُومَ لَنَـــا   لاَ أَنْ تَتِـــمَّ مَعَاليـــهِ، فَقَـــدْ كَمُلَـــتْ

الإعـــراب

أيها: مُنادَى مبني على الضمِّ، وسلفَ الكلامُ فيه.

والآخِذُ: عطفُ بيانٍ عليه.

---

[1] ـ الشَّراشرُ: المحبَّةُ، يقالُ: ألقى شراشرَه عليهِ، إذا حرصَ عليه وأحبَّه.

وقَلْبِي: مفعولُه. **ومغتماً**: منصوبٌ على الحالِ.

وإعرابُ الباقِي بينٌ، وفي الإشارةِ ما يُغني عن العبارةِ.

وهَا هُنا كملَ الغرضُ، وقُضـيَ من الشرحِ الحقُّ المُفترضُ. والمسؤولُ ممَّنْ رمقَه أن يجْعلَ جَزائي على ما استفادَه منهُ صفوَ المِقة. وإنْ لمْ يُصادفْ لهُ غرضاً، فلا يجْعلْني لسهمِ ملامِهِ غرضاً. ومن أرادَ أن يُظهرَ منهُ العُجَرَ والبُجَر [1]، فإني أنشدُه قولَ الحافظِ بن حجَر:

يَـا سَيِّـداً طَالَعَـهُ إنْ راقَ مَعْنَـاهُ فَعُـدْ
وَافْتَـحْ لَـهُ بَـابَ الرِّضَـا، وَإنْ تَجِـدْ عَيْبـاً فَسُـدْ

وعقيدَتي أن تآليفي لا طائلَ تحتَها، ولا يجدُ العاري ما يلبسُ إن فتَّش تَختَها [2]. ولا يخفَى على قَريني أنها، كما يُقالُ، من الرأيِ العِشرِيني، وما أنا إلاَّ كالجبانِ يحاولُ أن يكونَ أسدَ العَرينِ، وما عسَى أن يقولَه ابنُ العِشرين. فلا يعتِبْ علي مُعاتب، ولله درُّ العمادِ الكاتبِ [3]:

هِـيَ كُتْبِـي فَلَيْـس تَصلُـحُ مِـنْ بَعْـ ـدِي لِغَـيْرِ العَطَّـارِ وَالإسْكَـافِ
هِـيَ إمَّـا مَـزَاوِدُ لِلْعَـقَـاقِيـ ـرِ، وَإمَّـا بَطَائِـنُ لِلْخِفَـافِ

وقالَ مجيرُ الدينِ الإسْعَرْدِي [4]:

عَرَضْتُ كِتَابِي كَـيْ يُبَـاعَ بِدِرْهَـمٍ عَلَى مُشْتَرٍ عِنْدَ الوَفَـاءِ شَحِيـحِ
رَأَى خَطَّـهُ ذَا عِلَّـةٍ فَـأَعَـادَهُ وَمَنْ يَشْتَـرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيـحِ

---

[1] ـ العُجَرُ والبُجَرُ: المعايبُ. وفي القاموس المحيط (عجر): "وعُجرُه وبُجره: عيوبُه وأحزانُه، وما أبدَى، وما أخفى". وفي (بجر) منه: "وذكر عُجرَهُ وبُجَرَه أي عيُوبَه وأمرهُ كلَّه".

[2] ـ التخت: وعاء تصان فيه الثياب. (القاموس المخيط: تخت).

[3] ـ البيتان له في الغيث المسجم 6/2.

[4] ـ البيتان له في المصدر السابق.

والمطلوبُ من إحسانِ الواقفِ عليهِ وبرِّهِ،

ألَّا ينساني من الدعاء

عندَ طيِّهِ ونشرِهِ.

والسلام.

الفهـارس العامـة

1 ـ المصطلحات البلاغية

2 ـ فهرس الآيات

3 ـ فهرس الأحاديث

4 ـ فهرس الأمثالُ

5 ـ فهرس القوافي[1]

ـ أ ـ

نداؤُه	(2)	الطويل	محمد الربيب	414
نكاءُ	(2)	مخ البسيط		396
شمطاءُ	(2)	الكامل	ابن قرناص	230
ينشئها	(2)	المنسرح	ابن سعيد	63
القضاءُ	(1)	الخفيف		146
أمعاءَ	(1)	البسيط		331
الماءَ	(1)	البسيط		331
هجاءَه	(2)	الكامل	ابن الرومي	417
الأعداءَ	(4)	الكامل	الطغرائي	404
مرائي	(2)	الطويل		238
الندماءِ	(2)	المديد		129
وإنباءِ	(2)	البسيط	الحاجي	216
الغناءِ	(2)	مخ البسيط	مجير الدين بن تميم	122
المساءِ	(2)	الوافر	ابن سهل	82
الضراءِ	(2)	الكامل		216
مائِه	(2)	الكامل	ابن نباتة	259
داءِ	(2)	الخفيف	ابن نباتة	385
ورقاءِ	(2)	الخفيف	إبراهيم المعمار	320
السماءِ	(1)	الخفيف	أبو نواس	227
الظلماءِ	(6)	الخفيف	أبن صارة	398
الثناءِ	(2)	المجتث	الوراق	417
التنائي	(4)	المجتث	المسعودي	221

ـ ب ـ

مصاحبُ	(2)	الطويل	251
ثاقبُه	(1)	الطويل	262

[1] ـ الأرقام المحصورة بين قوسين تدل على عدد أبيات الشاهد.

الحاسدِ	(1)	الكامل	ابن يونس أبو العباس	381
نــــدي	(1)	الكامل	النابغة	314
بالإثمدِ	(3)	الكامل	النابغة	319
العــودِ	(1)	الكامل	النابغة	258
حميــدِ	(2)	الكامل	ابن المعتز	351
عنـدي	(1)	مج الرمل		285
الوردي	(2)	السريع	ابن نباتة	289
السعيد	(1)	السريع	الطيب المريني	140
بالعيدِ	(2)	المنسرح	ابن النعتز	259
وقـــدْ	(2)	الطويل		161
نهـــدْ	(4)	الرمل	أحمد المنصور (الذهبي)	382
الجحودْ	(2)	السريع	قاسم العقباني	375
الخدودْ	(2)	السريع	ابن شرف	375
فعـــدْ	(2)	المجتث	ابن حجر	434

ـذ ـ

الموذي	(2)	الكامل	ابن رشيق	139
نافذِ	(2)	الكامل		362

ـر ـ

ثائـــرُ	(2)	الطويل	عبد الله بن جندب الهنلي	246
وأسترُ	(2)	الطويل	إبراهيم بن الفخار	94
أكثــرُ	(1)	الطويل		425
الفجـرُ	(1)	الطويل		165
والبحرُ	(2)	الطويل		328
والخمرُ	(1)	الطويل		332
نضيرُها	(3)	الطويل	الحلي	187
أطيــرُ	(1)	الطويل	نصيب	426
كافــرُ	(1)	الطويلُ		254

أدرى	(3)	الخفيف	سعد الدين بن العربي	405
مكسورا	(2)	الخفيف	ابن نباتة	246
احمرارا	(2)	الخفيف	ابن النبيه	375،243
أنــارا	(2)	الخفيف	ابن نباتة	373
غــرَّه	(3)	المجتث	ابن جرج	400
المحبرِ	(11)	الطويل		121
الستــرِ	(2)	الطويل		203
البــدرِ	(1)	الطويل	القاضي الفاضل	264
بالـــدرِ	(2)	الطويل	سعد الدين بن العربي	321
يغـري	(2)	الطويل	الصواف	313
الجمـرِ	(2)	الطويل	كشاجم	346
الحشـرِ	(1)	الطويل	ابن سهل	68
ظفــرِ	(2)	المديد	أبو نواس	179
البـاري	(2)	البسيط	ابن الوردي	247
الجاري	(2)	البسيط		229
خــري	(1)	البسيط	المنباري	418
حــذرِ	(2)	البسيط	ابن المعتز	259
الطـررِ	(1)	البسيط		60
بالبصرِ	(3)	البسيط	ابن الرومي	417
طــري	(1)	البسيط	المنباري	418
خطـرِ	(2)	البسيط	القيراطي	128
تعبيـر	(3)	البسيط	ابن الرومي	405
ستــرِ	(2)	الوافر	ابن المعتز	366
كوثري	(1)	الوافر		342
الديـارِ	(1)	الوافر		204
لعثارِه	(17)	الكامل	ابن سهل	76
للنظارِ	(5)	الكامل	ابن صارة	333
بعـــارِ	(2)	الكامل	ابن حكينا البغدادي	419
بعقـارِ	(3)	الكامل	الزبير بن أبي غانم	108
التنكارِ	(2)	الكامل	صفي الدين الحلي	159
دينـارِ	(1)	الكامل	ابن خفاجة	372

وبواترِ	(1)	الكامل	المعتمد	341
المفتري	(2)	الكامل		288
كوثــرِ	(2)	الكامل	ابن الساعاتي	320
خصرهِ	(2)	الكامل	أبو الشحناء العسقلاني	244
بفكـرِه	(2)	الكامل	ابن نباتة	360
ظاهــرِ	(2)	الكامل	النحلي	341
مكسورِ	(2)	الكامل	ابن تميم	381
سيــرِه	(2)	الكامل	الشهاب العسقلاني	413
الساري	(2)	السريع		215
السـاري	(2)	السريع		288
أسمـــارِ	(2)	السريع	عز الدين الموصلي	122
الزاهــرِ	(2)	السريع	القاضي عبد الوهاب أو الدارمي	390
الكبـــرِ	(4)	المنسرح	الحلواني	385
للأمطارِ	(2)	الخفيف	بن المعتز	229
والمهجورِ	(2)	الخفيف	الوأواء الدمشقي	374
والمهجورِ	(2)	الخفيف	(أبو بكر الصولي)	122
أخضــرِ	(2)	المتقارب	عبد الوهاب المالقي	402
للظهورِ	(2)	المتقارب	ابن سهل	63
حرِّهـــا	(1)	المتقارب		200
ظاهــرْ	(2)	الوافر	ابن العطار	356
زائـــرْ	(2)	مج الرمل مر	البهاء زهير	171
فقمــرْ	(2)	الرمل	(ابن عبد الله الغواص)	250
الغـررْ	(1)	الرمل	ابن سهل	181
احورارْ	(2)	السريع	القاضي المنذر	322
المستشارْ	(2)	السريع		322
النافــرْ	(2)	المنسرح	منديل بن آجروم	392
بالنظـرْ	(3)	الكامل		289
الحـورْ	(2)	الكامل	العباس بن الحسن العلوي	98
كالبدورْ	(4)	مج الكامل		385
بالفكـرْ	(1)	الرمل	ابن سهل	202

- ز -

- س -

- ص -

- ط -

- ع -

ـ ف

ك

- ل -

-م-

هـ

فهرس أنصاف الأبيات

أ- الصدور

ب- الأعجاز

5 ـ 2 ـ فهرس الرجز

مجزوء الرجز

5 - 3 - فهرس الموشحات

5 ـ 4 ـ الأزجال

5 ـ 5 ـ المواليا

6 - فهرس الأعلام

7 ـ فهرس الكتب

ف ق ك

ل م ن

8 ـ فهرس الأماكن

9 ـ فهرس مصادر التحقيق والمقدمة[ii]

1. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. تأليف عبد الرحمن بن محمد ابن زيدان المتوفى سنة 1365هـ/1946م. المطبعة الوطنية. الرباط

2. إجازة محمد بن أحمد المسناوي، المتوفى سنة 1136هـ/1724م لأحد تلاميذه، مخطوط الخزانة العامة بتطوان برقم 536 ضمن مجموع.

3. الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه. تأليف الدكتور عباس بن عبد الله الجراري، الجزء الأول. الرباط 1979م.

4. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض. تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقري المتوفى سنة 1140هـ/1727م تحقيق مصطفى السقاء وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. راجعه وحقق الجزء الرابع والخامس منه الأساتذة: محمد بن تاويت وسعيد أعراب وعبد السلام الهراس، وأعيد طبعه بالمحمدية 1978م- 1980.

5. أساس البلاغة. تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 538 هـ/1144م، تحقيق عبد الرحيم محمود القاهرة 1953.

6. الأنوار المبهجة في إبراز دقائق المنفرجة. تأليف زكرياء بن محمد الأنصاري المتوفى سنة 926/1520م مخطوطة خ.م برقم 1984.

7. إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش وسبعة رجال. تأليف العباس بن إبراهيم المراكشي المتوفى سنة 1959م. فاس بدون تاريخ.

8. إظهار صدق المودة في شرح البردة. تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق المتوفى سنة 781هـ/1380م مخطوطة الخزانة العامة برقم 1713د.

9. أعجب العجب في شرح لامية العرب. تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 538هـ/1144م القسطنطينية 1300.

10. الأعلام. تأليف خير الدين الزركلي الطبعة الثالثة.

11. الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام. تأليف العباس بن إبراهيم المراكشي المتوفى سنة 1959م. المطبعة الجديدة فاس 1939م.

12. الأغاني. تأليف أبي الفرج علي بن الحسن الاصبهاني المتوفى سنة 356هـ/967م ليدن 1318هـ.

13. ألف باء. تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المتوفى سنة 604هـ/ 1207م مصر 1387هـ.

[ii] ـ عند اعتمادنا طبعتين لكتاب واحد، نميز إحداهما في حواشي التحقيق.

ـ مخ= مخطوطة. ـ خ.ع= الخزانة العامة بالرباط. ـ خ.م= الخزانة الملكية بالرباط.

14. إمداد أبحر القصيد ببحري أهل التوليد. تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن غازي المتوفى سنة 919هـ/ 1513م. مخ. خ. ع بالرباط.

15. أنس السمير في نوازل الفرزدق وجرير. تأليف علي مصباح الزرويلي المتوفي سنة 1150هـ/1737م، مخ. خ. ع 300 ك.

16. أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي. تأليف محمد عبيد الله بن أبي القاسم الثعالبي المتوفى حوالي 789هـ مخ. خ. م برقم 395.

17. الأنيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب. تأليف أبي عبد الله محمد بن الطيب العلمي المتوفى سنة 1134هـ/1722م. فاس 1315هـ.

18. الإيضاح في علوم البلاغة. تأليف جمال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة 739هـ/1338م. شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي المطبعة الفاروقية 1950م. مكتبة النهضة.

19. البدور الضاوية. تأليف أبي الربيع سليمان بن محمد الحوات المتوفى سنة 1231هـ/1816م. مخ.خ. ع رقم 162د.

20. البديع. تأليف أبي العباس عبد الله بن محمد ابن المعتز، المتوفى سنة 296هـ/909م. شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي، مصر 1945م.

21. البلاغة تطور وتاريخ. تأليف الدكتور شوقي ضيف 1976م.

22. بهجة المجالس وأنس المجالس. تأليف ابن عبد البر يوسف بن عبد الله المتوفى سنة 463هـ/1071م. مخ. خ. ع. رقم 4007.

23. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. تأليف أبي عبد الله محمد بن عذاري المتوفى سنة 695هـ/1295م. تعليق إحسان عباس لبنان 1967م.

24. تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 393هـ/1003م. تحقيق أحمد عبد الغفور. عطار مصر.

25. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. تأليف أبي البقاء خالد بن عيسى البلوي المتوفى سنة 765هـ/1364م. تحقيق الحسن السايح المحمدية المغرب.

26. تاريخ الأمم والملوك. تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ/923م. لبنان.

27. تزيين الأسواق في أخبار العشاق. تأليف داوود بن عمر الأنطاكي المتوفى سنة 1008هـ/1600م. بيروت 1972.

28. تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب. تأليف محمد ابن زاكور المتوفى سنة 1120هـ/1708م. مخ.خ.ع. برقم 157.

29. توشيع التوشيح. تأليف خليل بن أيبك الصفدي صلاح الدين المتوفى سنة 764هـ/1363م. تحقيق ألبير حبيب مطلق. بيروت 1966.

30- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. تأليف ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي ابن البيطار. بغداد.
31- جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي، المتوفى سنة 1025هـ/1616م. الرباط 1974.
32- الجمل. تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة 337هـ/949م. تحقيق ابن أبي شنب. باريس 1957.
33 - جنان الجناس في علم البديع. صلاح الدين الصفدي.القسطنطينية.1200.
34- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. تأليف الدكتور محمد حجي. المحمدية المغرب 1977.
35- حلبة الكميت. تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المتوفى سنة 859هـ/1455م. مصر 1276.
الحلل السندسية (انظر رقم 199).
36- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية. تأليف محمد الأخضر. الدار البيضاء 1977.
37- حياة الحيوان الكبرى. تأليف أبي البقاء محمد بن موسى الدميري المتوفى سنة 808هـ/1405م. مصر 1313هـ.
38- حواشي الخلاصة. تأليف أبي بكر ياسين بن زين الدين العليمي المتوفى سنة 1061هـ/1651م. فاس العليا 1327هـ.
39- اختصار القدح المعلى. تأليف أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد المتوفى سنة 685هـ/1285م.
40- خزانةالأدب وغاية الأرب. تأليف أبي بكر ابن حجة الحموي المتوفى سنة 837هـ/1433م. مصر 1273هـ.
41- دار الطراز في عمل الموشحات. تأليف أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك. المتوفى سنة 608هـ/1212م. تحقيق الدكتور جودة الركابي. دمشق 1977.
42- الدر النفيس. تأليف أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي المتوفى سنة 1120هـ.مخ.خ.ع رقم 433 ك
43- درة الحجال في أسماء الرجال. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المتوفى سنة 1225هـ/1611م. تحقيق محمد الأحمدي أبي النور. دار النصر للطباعة 1970.
44- درة الغواص في أوهام الخواص. تأليف أبي محمد القاسم بن علي الحريري المتوفى سنة 516هـ/1122م.
45- الدرة اليتيمة (البردة). تأليف أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري المتوفى سة 696هـ/1291م. الدار البيضاء
46- الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة. تأليف محمد المكي بن موسى الناصري. مخ.خ.ع برقم 265 ك
47- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تأليف أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ/1449م. تحقيق محمد سيد جاد الحق القاهرة 1966.
48- دليل مؤرخ المغرب الأقصى. تأليف عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة. الدار البيضاء 1960.
49- دوحة الناشر. تأليف محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني. تحقيق الدكتور محمد حجي. الرباط 1976.

50- ديوان الأبيوردي. شعر أبي الظفر محمد بن أحمد القرشي الأبيوردي المتوفى سنة 507هـ/1113م. لبنان 1317هـ.
51- ديوان أحمد بن عبد الحي الحلبي. المتوفى سنة 1120هـ/1708م. مخ.خ.ع برقم 1323 ك.
52- ديوان الأرجاني أبي بكر ناصح الدين أحمد بن محمد، المتوفى سنة 544هـ/1149م. تصحيح أحمد عباس الأزهري. مطبعة جريدة بيروت.
53- ديوان الأعمى التطيلي أبي جعفر أحمد عبد الله المتوفى سنة 525هـ/1130م. تحقيق الدكتور إحسان عباس 1963.
54- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي المتوفى سنة 604هـ. تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرين. تطوان.
55- ديوان بهاء الدين زهير بن محمد المهلبي المتوفى سنة 656هـ/1258م بيروت 1964.
56- ديوان ابن أبي ربيعة أبي الخطاب عمر بن عبد الله، المتوفى سنة 93هـ/ 712م. حققه وقدم له فوزي عطوي بيروت 1971.
57- ديوان شعر ذي الرمة أبي الحارث غيلان ابن عقبة العطوي المتوفى سنة 117هـ/735م. تصحيح وتنقيح كارليل هنري هيس مكارتي. مطبعة كلية كمبريدج 1919م.
58- ديوان ابن رشيق، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة 459هـ/1066م. جمعه ورتبه الدكتور عبد الرحمن ياغي. بيروت سلسلة المكتبة المغربية 2.
59- ديوان ابن الرومي، علي ابن العباس أبي الحسن المتوفى سنة 283هـ/896م. تحقيق حسين نصار، أربعة أجزاء منه. القاهرة 1973-1977.
60- ديوان ابن الرومي، اختيار وتصنيف كامل كيلاني. مطبعة توفيق الأدبية.
61- ديوان ابن زيد، أحمد بن عبد الله الأندلسي المتوفى سنة 463هـ/1071م. شرح وتحقيق كرم البستاني. بيروت 1960.
62- ديوان ابن الساعاتي، علي بن محمد أبي الحسن المتوفى سنة 604هـ/1808م. تحقيق أنيس المقدسي. بيروت 1939.
63- ديوان سبط ابن التعاويذي، أبي الفتح محمد بن عبد الله ابن التعاويذي المتوفى سنة 583هـ/1183م. اعتنى بنسخه وتصحيحه د.س. مرجليوث. مصر 1903.
64- ديوان ابن سناء الملك، أبي القاسم هبة الله بن جعفر المتوفى سنة 608هـ/ 1212م. تصحيح وتعليق وتقديم الدكتور محمد عبد الحق. دار الجيل بيروت.
65- ديوان ابن سهل، أبي إسحق إبراهيم بن سهل الإشبيلي المتوفى سنة 649هـ/1251م. تقديم الدكتور إحسان عباس. بيروت 1967.
66- ديوان الشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسن المتوفى سنة 406هـ/1015م. بيروت 1310.

67- ديوان الصبابة. تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بابن أبي حجلة التلمساني المتوفى سنة 776هـ/1375م. طبع بهامش تزيين الأسواق بيروت 1972.
68- ديوان تميم بن المعز الفاطمي، أبي علي المتوفى سنة 374هـ/985م. مصر 1947.
69- ديوان التهامي، أبي الحسن علي بن محمد المتوفى سنة 416هـ. دمشق 1964.
70- ديوان جرير بن عطية اليربوعي، المتوفى سنة 110هـ/728م. بيروت 1964.
71- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، أبي الوليد المتوفى سنة 54هـ/674م. بيروت
72- ديوان أبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف المتوفى سنة 845هـ/1344م. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي. بغداد 1969.
73- ديوان ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح الأندلسي المتوفى سنة 533هـ/1138م. تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي. مصر 1960.
74- ديوان شعر ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي المتوفى سنة 321هـ/933م. جمعه وهذبه وفهرسه محمد بدر الدين العلوي. القاهرة 1946.
75- ديوان ابن الدمينة، عبد الله بن عبيد الله أبي السري المتوفى سنة 130هـ/ 747م. تحقيق أحمد راتب النفاخ. 1979.
76- ديوان الشاب الظريف، محمد بن سليمان التلمساني ابن العفيف، توفي سنة 688هـ/1289م المطبعة المحمودية.
77- ديوان صفي الدين الحلي، عبد العزيز ابن سرايا، المتوفى سنة 752هـ/1349م. بيروت 1962. وطبعة دار صادر. وقد نص عليها للتمييز.
78- ديوان العباس بن الأحنف اليمامي، أبي الفضل المتوفى سنة 192هـ/808م. بيروت 1965.
79- ديوان عدي بن زيد العبادي، المتوفى نحو 35ق.هـ. تحقيق محمد جبار المعيبد. بغداد 1965.
80- ديوان علي مصباح الزرويلي، المتوفى سنة 1150هـ . مخ.خ.م. 38 69.
81- ديوان عنترة بن شداد العبسي، المتوفى نحو 22 ق.هـ. تحقيق فوزي عطوي. لبنان 1968.
82- ديوان ابن عنين، شرف الدين محمد بن نصر. المتوفى سنة 630هـ/1232م. تحقيق خليل مردم بك. بيروت 1959.
83- ديوان ابن الفارض، عمر بن علي شرف الدين المتوفى سنة 632هـ/1235م. بيروت 1962.
84 - ديوان أبي فراس الحارث بن سعيد الحمداني ، المتوفى سنة 968/307. تحقيق جورج غريب. بيروت 1966.
85 - ديوان الفرزدق، همام بن غالب التميمي أبي فراس، المتوفى سنة 728/110م . بيروت1966.
86 - ديوان كثير عزة ، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، أبي صخر المتوفى سنة 723/105. تحقيق إحسان عباس . بيروت1971.
87 - ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، أبي عقيل المتوفى سنة 661/41م . بيروت 1966.

88 - ديوان المتنبي، أبي الطيب أحمد بن الحسين المتوفى سنة 965/354م جمع وتصحيص ومقارنة وجمع وتعليق الدكتور عبد الوهاب عزام. القاهرة 1944.
88 ب - ديوان امرؤ القيس. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار المعارف . مصر 1964.
89 - ديوان ابن المعتز أبي العباس عبد الله بن محمد ، المتوفى سنة 909/296. دراسة وتحقيق الدكتور السامرائي . العراق 1977.
90 - ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان . بيروت 1969.
91 - ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية ، المتوفى نحو 18ق.هـ. تحقيق كرم البستاني. بيروت 1963.
92 - ديوان ابن نباتة ، جمال الدين محمد بن محمد أبي بكر . المتوفى سنة 1366/768. نشر محمد القلقيلي غفل تاريخ النشر ومكانه.
93 - ديوان ابن النبيه، علي بن محمد أبي الحسن كمال الدين ، المتوفى سنة 1222/612هـ. تحقيق عمر محمد الأسعد. دار الفكر 1969.
94. عنوان النفاسة، لأبي عبد الله محمد بن القاسم ابن زاكور المتوفى سنة 1708/1120. مخ. خ. ع. برقم 158ج.
95 - ديوان ابن هانئ ، محمد بن هانئ الأزدي أبي القاسم المتوفى سنة 362/ 973هـ . بيروت 1964.
96 - ديوان ابن هرمة ، إبراهيم بن علي الكناني أبي إسحاق ، المتوفى سنة 792/176م. تحقيق محمد جبار المعيبد. النجف 1969.
97 - ديوان الوأواء الدمشقي، محمد بن أحمد أبي عبد الله، المتوفى سنة 997/387م. تحقيق سامي الدهان دمشق1950.
98 - ديوان اليوسي ، أبي علي الحسن بن مسعود، المتوفى سنة 1102هـ .مخ. خ.ع. 157ج، 491هـ.
99 - الذخيرة في محاسن الجزيرة ، تأليف علي بن بسام الشنتريني أبي الحسن، المتوفى سنة542/1147م تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت 1979.
100- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة 1144/538م . مخ . خ.ع.2112د.
101 - رحلة العبدري=الرحلة المغربية .تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المتوفى سنة 688هـ تحقيق محمد الفاسي الرباط 1968م. الرباط.
102 - رحلة الوافد من أخبار هجرة الوالد. تأليف أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزرهوني من أهل القرن الثاني عشر الهجري ميكروفيلم .خ.ع.رقم 1124.
103 - رسالة التستاوتي المسماة نزهة الناظر. لأحمد بن عبد القادر التستاوتي المتوفى سنة 1127. مخ.خ.ع.برقم 1302د.
104 - رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة . تأليف أبي القاسم محمد بن أحمد السبتي الغرناطي، المتوفى سنة 1159/760. مصر 1944.

105 - رفع الالتباس في شركة الخماس . تأليف الحسن بن رحال المعداني ، المتوفى سنة 1140/ 1727م.مخ.خ.ع.برقم887ج.

106 - الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض. تأليف أبي عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور، المتوفى سنة1120/1708م. مخ.خ.ع.برقم 357 ك.

107 - الروض المعطار . تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد الحميري ، المتوفى سنة900/1494م. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت 1975.

108 - الروض اليانع الفائح. تأليف حسن بن رحال الهداجي. مخ.خ.ع. برقم 2260 ك.

109 - روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف. تأليف محمد الصغير الإفراني المراكشي، المتوفى سنة 6-1157. طبع بعناية عبد الوهاب بن منصور. الرباط 1962 .

110 - الروضة الغناء في أصول الغناء. لمؤلف مجهول.مخ.خ.ع.برقم190د.

111 - روضة المحبين ونزهة المشتاقين . تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة 751/1350م. صححه وعلق عليه أحمد عبيد.مصر 1956.

112 - الروضيات . شعر أبي بكر أحمد بن محمد الصنوبري. المتوفى سنة 334/946م. جمع محمد راتب النفاخ.حلب1932.

113- رايات المبرزين . أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي. تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي. طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة 1973.

114 - الرياحين الوردية . تأليف محمد المكي بن موسى الناصري. مخ. خ. ع. برقم 88ج. ضمن مجموع.

115 - ريحان الألباب وريعان الشباب ، في مراتب الأدب . تأليف أبي القاسم محمد بن إبراهيم ابن المواعيني القرطبي، المتوفى سنة 564/1168. مخ.خ.م.برقم 2647.

116 - الزاوية الدلائية. تأليف الدكتور محمد حجي. الرباط 1964.

117 - زهر الآداب وثمرات الألباب. تأليف أبي إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، المتوفى سنة 453هـ. بعناية زكي مبارك ومحيي الدين عبد الحميد . مصر 1953.

118 - الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. تأليف شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري ، المتوفى سنة 1250. تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصريين. الدار البيضاء 1956.

119 - سر الفصاحة . تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي ، المتوفى سنة 466/1073م. تحقيق علي فودة . الطبعة الأولى مصر 1932.

120 - السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية . تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد ابن الموقت المراكشي المتوفى سنة 1369/1950م. فاس 1336.

121 - سقط الزند .لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري، المتوفى سنة 449/1057م. تحقيق جماعة من الأساتذة . مصور عن طبعة دار الكتب 1944.

122- سلوة الأنفاس تأليف أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ، المتوفى سنة 1927/1345م. فاس 1316هـ .

123- سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي . تأليف علي مصباح الزرويلي، المتوفى سنة 1150. مخ.خ.ع. برقم 2365 ك.

124 - سنن أبي داود . تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث ، المتوفى سنة 889/275م. مصر 1952.

125 - سوس العالمة. تأليف محمد المختار السوسي، المتوفى سنة 1963. المحمدية1960.

126 - شرح البوردة للأليوري. مخ.خ.عبرقم 530ج، 528ج.

127 - شرح التلخيص(المطول). تأليف سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المتوفى سنة 1390/793م. مطبعة أحمد كامل 1330هـ.

128 - شرح ديوان الأخطل التغلبي ، غياث بن غوث أبي مالك، المتوفى سنة 708/90م. تحقيق إليا سليم الحاوي بيروت .

129 - شرح ديوان الخنساء، تماضر بنت عمر الرياحية، المتوفاة سنة 645/24م. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت. بدون ذكر الشارح ولا الناسخ.

130 - شرح ديوان المتنبي ، أبي الطيب أحمد بن الحسين، المتوفى سنة965/354م. لعبد الرحمن البرقوقي. القاهرة 1938.

131 - شرح ديوان امرئ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي ، المتوفى سنة 80ق.هـ/545م. بيروت1958.

132 - شرح روض السلوان ، المسمى الفريد في تقييد الشريد. تأليف أبي القاسم الفجيجي. مخ.خ.م برقم 721، 988.

133 - شرح على شعر المتنبي في مدح سيف الدولة. لأبي القاسم إبراهيم بن محمد الزهري الإشبيلي، المتوفى سنة 441هـ/1051م. مخ.خ.ع برقم 437د.

134- شرح على كافية ابن مالك. تأليف محمد بن حسن الرضي، المتوفى سنة 1390/793. الشركة الصحافية العثمانية 1310.

135- شرح على متن الهمزية للبوعيري. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ابن حجر الهيثمي، المتوفى سنة 1567/974. مصر 1307.

136- شرح قصيدة بانت سعاد. تأليف جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام. المتوفى سنة 761هـ. مصر 1321.

137- شرح الكافية. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك، المتوفى سنة 1274/672. فاس 1327.

138- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة . صفي الدين الحلي.(ت 750هـ). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1989.

139- شرح لامية العجم. تأليف شهبون التهامي بن محمد الشفشاوني. مخ. خ.ع برقم 1004ج بخط المؤلف.

140- شرح المفصل. تأليف أبي القاسم محمود بنَ عمر الزمخشري، المتوفى سنة 1144/538. المطبعة المنيرية مصر.

141- شرح المقامات الكبير. تأليف أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، المتوفى سنة 1223/612. المطبعة الخيرية ط1.

142- شرح ياقوتة البيان. تأليف أبي عبد الله محمد الصغير الإفراني. مخ.خ.م. برقم 4294.

143- شرف الطالب في أسنى المطالب. لابن قنفذ أحمد. مطبوع ضمن ألف سنة من الوفيات. تحقيق الدكتور محمد حجي الرباط 1976.

144- شعر دعبل، بن علي الخزاعي أبي علي، المتوفى سنة 246/ 860. صنعه الدكتورعبد الكريم الأشتر. دمشق 1964.

145- شعر الراعي وأخباره. شعر عبيد بن حصين الراعي التميري أبو جندل، المتوفى سنة 709/90. جمع وتقديم ناصر الحاني. دمشق 1964.

146- الصحاح= تاج اللغة وصحاح العربية.

147- صحيح الإمام البخاري. تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة256هـ. الأجزاء(1، 2، 3، 4) المطبعة العثمانية مصر 1932. والأجزاء(5، 6، 7، 8) مطبعة مصطفى البابي مصر 1345هـ.

148- صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر. لأبي عبد الله محمد الصغير الإفراني، المتوفى سنة 6–1057. مخ.خ.ع برقم 671د. 1178د.

149- صفوة ما. انتشر، لمحمد الصغير الإفراني. طبعة فاس الحجرية.

150- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى سنة 902/ 9 1497. القاهرة 1394هـ.

151- طبقات الشعراء. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الجمحي المتوفى سنة 846/232. طبعة بيروت مأخوذة عن طبعة ليدن 1966.

152- العاطل الحالي صفي الدين الحلي. تحقيق حسين نصار.الهيئة المصرية العامة. القاهرة1981.

153- العقد الفريد. تأليف أبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه، المتوفى سنة 940/328. تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة 1940.

154- عقود الجمان في علم المعاني والبيان. تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 1505/911 مصر.

155- علم البديع. تأليف الدكتور عبد العزيز عتيق. بيروت 1974.

156- علم البيان. تأليف الدكتور عبد العزيز عتيق. بيروت 1974.

157- علم المعاني: تأليف الدكتور عبد العزيز عتيق. بيروت 1974.
158- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، المتوفى سنة 1063/456. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت 1972.
159- عنوان الدراية. تأليف أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المتوفى سنة 1315/714. الجزائر 1328.
160- عنوان النفاسة، لأبي عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور، المتوفى سنة 1708/1120. مخ.خ.ع برقم 158ج.
161- العيون الغامزة على خبايا الرامزة. تأليف أبي عبد الله بدر الدين محمد بن أبي بكر المخزومي الدماميني، المتوفى سنة 1424/827. مصر 1324هـ.
162- الغصون اليانعة في محاسن المائة السابعة. تأليف أبي الحسن علي بن سعيد، المتوفى سنة 1285/685. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار المعارف مصر.
163- الغيث المسجم في شرح لامية العجم. تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى سنة 1362/464.
164- الأغاني . أبو الفرج الإصفهاني. طبعة دار الثقافة. الطبعة الخامسة 1981.
164- ب - أفعل من كذا أبو علي القالي(ت 967/356). تحقيق محمد الفاضل بن عاشور.تونس.1972
165- فهرس أحمد المنجور. المتوفى سنة 1587/995. تحقيق الدكتور محمد حجي 1976.
166- فهرس الفهارس. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الحي الكتاني. طبعة فاس 1346.
167- فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط قسم الوثائق. تأليف علوش وعبد الله الركراكي. ا لرباط 1958.
168- فهرس ابن النديم. تأليف أبي الفرح محمد بن إسحق، المتوفى سنة 1047/438. مصر.
169- فهرسة أبي القاسم بن سعيد العميري، المتوفى سنة 1764/1178. مخ.خ.ع برقم 1361ك.
170- فوات الوفيات. تأليف محمد بن شاكر الكتبي، المتوفى سنة 764/ 1363. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت 1974.
171- القاموس المحيط. تأليف محمد بن يعقوب الفيروزبادي، المتوفى سنة 1414/817. بيروت 1306.
172- القرآن الكريم برواية الإمام ورش. طبعة دار الفكر.
173- القصيدة. تأليف الدكتور عباس بن عبد الله الجراري. مطبعة الأمنية بالرباط.
174- الكامل. تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المتوفى سنة؟؟؟؟؟.تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والشيخ شحاتة. مصر.
175- الكامل في اللغة والأدب. تأليف أبي الحسن عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، المتوفى سنة 1233/630. تصحيح عبد الوهاب النجار. طبعة إدارة الطباعة المنيرية 1357هـ.

176- كتاب الأفعال. تأليف أبي بكر محمد بن عمر ابن القوطية الأندلسي، المتوفى سنة 977/367. تحت إشراف علي راتب وتحقيق علي فودة. مصر 1952.
177- كتاب الصناعتين. تأليف أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة 1005/395. تحقيق علي محمد البجاتي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة 1971.
178- الاكتفاء في تاريخ الخلفاء. تأليف أبي مروان عبد الملك بن الكردبوس. مخ.خ.م برقم 6709، 8539.
179- لامية الطغرائي، شعر أبي إسماعيل الحسن بن علي مؤيد الدين الإصبهاني، المتوفى سنة 1120/513. شرح وتحقيق ودراسة علي جواد الطاهر. بغداد 1962.
180- التقاط الدرر. تأليف محمد بن الطيب القادري، المتوفى سنة 1773/1187. تحقيق ودراسة هاشم بن المهدي العلوي في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا نوقشت سنة 1979 بجامعة محمد الخامس بالرباط.
181- لسان العرب. تأليف أبي الفضل بن محمد بن مكرم، جمال الدين بن منظور الأنصاري، المتوفى سنة 1311/711. إعداد يوسف الخياط ونديم مرغسلي. بيروت 1970.
182- لزوم ما لا يلزم. شعر أحمد بن عبد الله المعري أبي العلاء، المتوفى سنة 1057/449. تصحيح وتفسير أمين عبد العزيز. مصر 1915.
183- لقط الفوائد من لفظ حقق الفوائد. تأليف ابن القاضي أحمد. تحقيق الدكتور محمد حجي. طبع ضمن ألف سنة من الوفيات الرباط 1976.
184- متن التلخيص. تأليف أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، المتوفىسنة 1338/739. شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. مصر 1949.
185- مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي، المتوفى 337. تحقيق عبد السلام هارون الكويت 1962.
186- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. العدد3–4.
187- مجمع الأمثال. تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، المتوفى سنة 1124/518. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية 1955.
188- المحاضرات. تأليف أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، المتوفى سنة 1102. أعدها للطبع الدكتور محمد حجي. الرباط 1976.
189- المحصل=محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. لـ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مصر 1323.
190- المخصص. تأليف علي بن إسماعيل أبي الحسن ابن سيدة، المتوفى سنة 1066/458. بيروت.
191- المرقصات والمطربات. تأليف أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد، المتوفى سنة 1285/685. دار حمد ومحيو 1973.
192- مسارح الأنظار. تأليف أحمد بن أحمد الغبريني. مخ.خ.م. برقم 2466.
193- المصايد والمطارد. تأليف أبي الفتح محمود بن الحسين الرملي كشاجم، المتوفى سنة 970/360. حققه وعلق عليه محمد أسعد. بغداد 1954.

194- مطالع الأنظار على متن طوالع الأنوار. تأليف أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني المتوفى سنة 749/ 1349. مصر 1322.

195- المطرب من أشعار أهل المغرب. تأليف أبي الخطاب عمر بن حسن ابن دحية. تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين. بيروت 1955.

196- مظاهر الثقافة المغربية من القرن13 إلى 15م. تأليف محمد ابن شقرون. مطبعة الرسالة. الرباط.

197- المعالم= معالم أصول الدين. تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606هـ . مطبوع بطرة المحصل. مصر 1323.

198- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تأليف أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، المتوفى سنة 1556/963. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

199- المغرب في تلخيص أخبار المغرب. تأليف عبد الواحد المراكشي. ضبط محمد سعيد العريان ومحمد العلمي . الدار البيضاء 1978.

200- معجم الشعراء. تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، المتوفى سنة 994/384. تحقيق عبد الستار أحمد فرج. دار إحياء العلوم العربية 1960.

201- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث. طبعة بريل ليدن 1967.

202- المعيار المعرب والجامع المغرب. تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المتوفى سنة 1508/914. طبعة فاس.

203- المغرب في حلي المغرب. تأليف أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد، المتوفى سنة 1285/685. تحقيق الدكتور شوقي ضيف مصر 1955.

204- المفاتيح المرزوقية. تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق، المتوفى سنة 1380/781. مخ.خ.ع برقم 1349د.

205- مفتاح العلوم. تأليف أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، المتوفى سنة 1229/626. مصر 1317. = واعتمدت أحيانا طبعة دار الكتب العلمية بيروت 1983 بتحقيق نعيم زرزور (مع التنصيص على الطبعة)

206- الحُلل السندسية لأحمد بن عبد الحي الحلبي، أبي العباس، المتوفى سنة 1708/1120. مخ.خ.م برقم 4265، 4862.

207- مقدمة ابن خلدون. ضمن كتاب العبر. تأليف أبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون ولي الدين الحضرمي، المتوفى سنة 1406/808. بيروت 1961.

208- مسند ابن حنبل. تأليف أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل، المتوفى سنة 855/241. المكتب الإسلامي دار صادر.

209- مناهج الفكر ومباهج العبر. تأليف محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالوطواط، المتوفى سنة 1318/718. مخ.خ.ع برقم 115ق.

210ـ المنتخب من شعر ابن زاكور، أبي عبد الله محمد بن قاسم، المتوفى سنة 1708/1120. اختيار عبد الله كنون. دار المعارف بمصر.
211ـ المنتقى المقصور. تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي، المتوفى سنة 1616/1025 مخ.خ.ع برقم 48، 764د.
212ـ المنح البادية في الأسانيد العالية، فهرسة محمد بن عبد الرحمن الفاسي، المتوفى سنة 1722/1134 مخ.خ.م برقم 1227.
213ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي. تقديم وتحقيق ودراسة الأستاذ علال غازي في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، نوقشت سنة 1976–1977 بجامعة محمد الخامس.
214ـ المنزع اللطيف. تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد العلوي ابن زيدان، المتوفى سنة1365/1946. مخ.خ.ع برقم 595 ك.
215ـ منطق الطير. تأليف أبي العباسأحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التلمساني، المتوفى سنة 776/1375. مخ.خ.م برقم 1910.
216ـ المنهل الصافي. تأليف أبي المحاسن يوسف بن تغريبردي، المتوفى سنة 874/1470. تحقيق أحمد يوسف نجاسي. مصر 1956.
217ـ المهمات المفيدة في شرح الفريدة. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن زكري، المتوفى سنة 1144/1731. طبعة حجرية.
218ـ مؤرخو الشرفاء. تأليف ليفي بروفنسال، المتوفى سنة 1956. تعريب عبد القادر الخلادي الرباط 1977.
219ـ الموسوعة المغربية. تأليف عبد العزيز عبد الله. الأجزاء 1، 2، 3. الرباط 1975–1976.
220ـ موسيقى الشعر. تأليف إبراهيم أنيس مصر 1972.
221ـ الموشى أو الظرف والظرفاء. تأليف أبي الطيب محمد بن إسحق بن يحيى الوشاء، المتوفى سنة 325/937. بيروت 1960.
222ـ موشحات مغربية. تأليف الدكتور عباس بن عبد الله الجراري. الدار البيضاء 1973.
223ـ موطأ الإمام مالك. أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي. المتوفى سنة 179/795. بيروت 1971.
224ـ النبوغ المغربي في الأدب العربي. تأليف عبد الله كنون. بيروت 1975.
225ـ النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف. شعر ابن رشيق المتوفى سنة 456/1063 وابن شرف المتوفى سنة 460/1067. صنع أبي البركات عبد العزيزي الميمي. مصر 1343.
226ـ نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان. تأليف أبي الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر، المتوفى سنة 807/1404. تحقيق محمد رضوان الداية بيروت 1976.

227- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان. تأليف أبي الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر. دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية. بيروت 1967.
228- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تأليف أبي المحاسن يوسف بن تغريبردي، المتوفى سنة 1470/874. مصر 1938.
229- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي. تأليف أبي عبد الله محمد الصغير الإفراني، المتوفى سنة 1157-6. طبعة مكتبة الطالب بالرباط.
230- نشر العلم في شرح لامية العجم. تأليف محمد بن عمر الحميري، المتوفى سنة 1524/930. فاس 1353.
231- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. تأليف محمد بن الطيب القادري، المتوفى سنة 1773/1187. فاس 1310.
232- نظم الدرر والعقيان. تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله التنيسي، المتوفى سنة 1494/899. مخ.خ.ع برقم 444 ق.
233- نفح الطيب. تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، المتوفى سنة 1727/1140. تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت 19/1388؟؟.
234- النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري. تأليف محمد علي سلطاني. دمشق 1974.
235- نقد الشعر. تأليف أبي الفرج قدامة بن جعفر، المتوفى سنة 948/337. ضبط وشرح محمد عيسى ممنون. المطبعة المليجية 1934.
236- نقد الشعر. تأليف قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى. مكتبة الخانجي 1963.
237- النقد المنهجي عند العرب. تأليف الدكتور محمد مندور، المتوفى سنة 1965. القاهرة 1969.
238- همع الهوامع. تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 1505/911. تصحيح بدر الدين النعساني. مصر 1327.
239- واسطة العقدين، تلخيص كناشتي الملك إسماعيل، تقديم الإفراني محمد الصغير.مخ.خ.ع رقم330 ك.
240- الوافي بالوفيات. لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. طبع باعتناء هملتون ريتر. طهران 1961.
241- الوافي في نظم القوافي، لصالح بن شريف الرندي أبي البقاء.مخ.خ.ع برقم 1013د ضمن مجموع.
242- وفيات الأعيان. تأليف أحمد بن محمد بن خلكان شمس الدين، المتوفى سنة 1282/681. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة 1948.
243- وفيات الونشريسي. تأليف أحمد الونشريسي. مطبوع ضمن ألف سنة من الوفيات. تحقيق الدكتور محمد حجي. مطبوعات دار المغرب 1976.
244- يتيمة الدهر. تأليف عبد الملك بن محمد أبي منصور الثعالبي، المتوفى سنة 1038/429. بيروت 1955.

11 ـ فهـرس الموضوعـات

2 ـ مقدمـة الشـارح

149 ـ 49

3 - شرح أبيات الموشح

509 - 151

327-313	324	323	321	320	317	313	14
336-328	336	334	334	333	331	328	15
348-337	347	346	346	346	339	337	16
360-349	359	354	353	353	350	349	17
364-361	364	363	363	363	361	361	18
371-365	371	370	370	370	369	365	19
378-372	378	376	376	376	373	372	20
387-379	387	386	385	384	383	379	21
397-388	397	393	393	392	389	388	22
405-398	405	403	402	402	401	398	23
415-406	415	411	411	411	408	406	24
422-416	421	421	421	420	419	416	25
427-423	427	426	426	426	424	423	26
433-428	432	432	432	432	431	428	27

خاتمة المطاف 434

فهرس الفهارس

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد

يقول العبد الفقير المتكل على العلي الكبير عبيد مولاه
محمد الملقب بالصغير بن محمد بن عبد الله الافراني نجارا
المراكشي دارا تاب الله عليه ووجه قلبه اليه

الحمد لله الذي وشح جيد اهل الادب بعقود العقيان الشاهدة
على الشرف عنوان، وشرح صدور افكارهم في مراقي كلام العرب فقطفوا
ازهار المعاني من كمائم الالفاظ صنوان وغير صنوان، ونضح مقلدهم
بالاكليل التبيان، وحلى لباتهم في اقتناء الغرائب بعقيان القلائد وقلائد العقيان
والهلهم في سماء عقولهم من فلك البديع شموسها، واراهم جموح التلاعب
فقطفوا من هالة الاساليب شموسها، فسبحوا في مجرى المديح
والهجاء باجمل اشارة واكمل احتجاج، فمنهم من اذاق سائغ شرابه وممزوج
ملح اجاج، وتلقفوا بنوء الافتنان في فنون الاغراض، ورموا بسهام
الاصابة مستهدف الاغراض، وغاصوا في قاموس اللغة على صحاح
الجوهر، واقتعدوا سفينة الغوص في تيار المعاني فغنموا كل معنى
ازهر، وتلفعوا في حلل الكلام تلفع الحرباء، وتغنوا من بدائع الحمد
كل مقصد سما واربى، فمن مجاز للقطاعة مجازه، وحقيقة تزري
بشقائق ابن الشقيقة، وايجاز تقلد بدر الاكليل الاعجاز، وتشبيه
بلا شبيه، وتقسيم ونسيم، وتلميح مليح، وغلو في غاية
العلو، وجناس موصول الاقتباس، وتمثيل بلا تمثيل، والتزام
يجيء الالتزام في الحشر بحسن بدء وحسن ختام، كتبه

ابن الشقيقة هو النعمان ابن المنذر

فسبحان من الهمهم الحكمة وجعل
فصل الخطاب، وجعل المستقى من بحر البلاغة اخصر واطيب، وحسن بهم خطاب
العرب وكلامهم في فن الاشعار ابتداع، وخص كلامهم في رتبة الشعور فلو
رقوا به مرتضا ما ظهر من سلاسته الشائع، واجار عليهم راح الملح في حال
الاملاء عند ما انجلوا اخيارا، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى،
ثم القول بما جمعوه في ابداع سبيله، وان لم تكن شيمتهم متشبه
بهم كما رفعتهم من سماء الشرف مكانا عليا، واستمتع من روح
الشعر والقبول خليلا، فاجعلنا من التابعين لهم بالحسنى، المتمسكين
بالكلام الجموع المعاني مع ابرهم من محكم الاوزان، ثم الصلاة
والصلاة عليه ... مولانا محمد بن عبد الله الذي
هبت على ... وختم في المعجز مخائل النجابة، افضل الانبياء والاملاك
فجاءهم اولى واحرى الفضائل وما ينطق عن الهوى ان من البيان لسحرا
وان من الشعر لحكمة ... خير اهل الناس بالنغم ... والاعجاز
الناطق بجوامع الكلم ولا غرو فهو افصح من نطق بالضاد، صلى الله عليه
وعلى آله واصحابه الذين ... الشريعة ...
ونقلوا جوامع كلام العرب في النثر والنظم مع ... على ...
... ربيعة، وارض عن كل من حمل نوع ... خاصة الادب ...
عن ... جنسه، وبذل في اقتناء ... الفطاحل ...
الاواخر ... نفسه ...
... ويستخرج الغرائب ... على الشواهد ...
كل من كان ... الادب، ولا يتبسل ...
من كل جزء ... مثلة ...

أو غيره أي منادى مبني على الضم وسلب الكلام من ...
عشى تبيان علته وقلبي مفعوله ومغتما منصوب على الحال ...
أنيابا في بيت وجه الاستشهاد ما يغني عن عبارة وهذا ...
تكميل الغرض وفضل الشرح الحوي المقترض والمسؤول ممن وقفه
أن يجعل جزائي على ما استفاده منه صفح المنتقد وإن لم يساعد
لذلك حظ فلا يجعلني لسهم ملامه غرضا ومن أراد أن يتخلص منه
العجب والعجز فلينشد قول الحافظ ابن حجر

يا أيها الطالب ... إن ترى مغتاظه فصبر
وافتح له باب الرضى وإن تجد عيبا فستر

ويغفر ... أن تكن بعض الطالب تحته وكل جيد العار ما بليس
أو مشى تحته ولا يخفى على من بيني أنه كما يقال من سوى
العش يبني وما أن كل الحبال يحاول أن يركب أنسب العرب ...
عشرا أن يقوله أبن العشرين فلا يعتب على معاتب ولله در
الجلد الكاتب

متى تكتبي فلنيش تفلح من يعلل لغير الأعطار والأشكال
هي إما مزلوح للغافلين وإما تلابس للجهال
وقال محيي الدين ابن اسعد حي
عن حيث كتابة كل نبلاء بمن زعم على مشتم عين الأرواح ...
وواضحة داخلة فلا غاد ومن يستشرح أعلنه يصحح
والمطلوب من اختلال الواقف عليه وبمن أن لا ينيمان من
الدعاء بعير كتبه ونسخه والنشا للاهم
وكان الفراغ منه من نسخة جامعه ... صاحبنا الفقيه
لتنبيه السيد ... المراكشي حفظه الله وقدس على
النصف من شهر ... المبارك علام ثمانية
وعشرين ومائة وألف

عدد الصفحات
٢١٩ ص

٢١٩ ص
٨٨٨٨

رقم الإيداع القانوني 1997/1504

ر.د.م.ك 9981-826-33-2

مطبعة فضالة

زنقة ابن زيدون ـ المحمدية (المغرب)

الهاتف: 32.46.45 (03) الفاكس: 32.46.43 (03)